محمود قاسم

المغتربـون

الأدب العربي المكتوب باللغة الفرنسية

الكتاب: المغتربون .. الأدب العربي المكتوب باللغة الفرنسية

الكاتب : محمود قاسم

الطبعة: **2018**

الناشر: وكالة الصحافة العربية (ناشرون)

5 ش عبد المنعم سالم – الوحدة العربية – مدكور- الهرم – الجيزة

جمهورية مصر العربية

هاتف: 35825293 – 35867576 – 35867575

فاكس: 35878373

E-mail: news@apatop.comhttp://www.apatop.com

All rights reserved. No part of this book may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted in any form or by any means without prior permission in writing of the publisher.

جميع الحقوق محفوظة: لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال، دون إذن خطي مسبق من الناشر.

دار الكتب المصرية

فهرسة أثناء النشر

قاسم ، محمود

المغتربون .. الأدب العربي المكتوب باللغة الفرنسية

/ محمود قاسم – الجيزة – وكالة الصحافة العربية.

الترقيم الدولي: 978- 977- 446- 578- 3

489 ص 18 سم.

أ – العنوان رقم الإيداع: 20125

المغتربون

الأدب العربي المكتوب
باللغة الفرنسية

وكالة الصحافة العربية
«ناشرون»

قبل أن تقرأ

أليس من المثير للجدل أن المرء عندما يتصفح أرفف أية مكتبة فرنسية فإنه يجد مجموعة كبيرة من الكتب عن الثقافة العربية المكتوبة أساساً باللغة الفرنسية، في نفس الوقت الذي يلاحظ أن مثل هذه العناوين تكاد تكون غير موجودة في أرفف المكتبة العربية ؟

لاشك أن المرء سيصدم لو طالع هذا الكم الهائل من العناوين الخاصة بهذا الموضوع، باللغة الفرنسية، والكثير من هذه الكتب قديم تاريخياً وحديث أيضاً، ورغم ذلك فإنه لا يوجد في المكتبة العربية كتاب واحد يدرس هذه الظاهرة ويقدمها إلى القارىء العربى، ومن هنا جاءت أهمية الكتاب الذي صدر لنا عام 1996م باسم " الأدب العربي المكتوب بالفرنسية "، الذى نعيد إصداره اليوم، مع إضافة ما يقرب من كتاب آخر إليه، كان يجب إضافته للتأكيد على أهمية هذه الثقافة.

وليس الكتاب الذي بين يديك فقط هو الأول من نوعه في المكتبة العربية، بل هو أيضاً الأول من نوعه الذي يفرد مثل هذه الصفحات عن الأدب العربي المكتوب باللغة الفرنسية فى كل الوطن العربي وخارجه، ففي عناوين الكتب التي رجعنا إليها نجد هناك تقسيمات واضحة للأدب العربي المكتوب باللغة الفرنسية حسب المناطق، وكأنه أدب معزول، فهناك أدب في المغرب العربي، وآخر في مصر، وكأن جغرافية ليبيا على سبيل المثال قد حجزت بين

الأدبين، ثم هناك أدب ثالث في لبنان، أما الكتب التي تتناول الأدب الفرانكفوني فهي تتعامل أساساً مع اللغة التي تجمع بين الأدباء في أماكن عديدة من العــالم، منها كندا وبلجيكا، وسويسرا، وإفريقيا، وبعض المستعمرات الفرنسية القديمــة المتناثرة في العالم، وأيضًا أدب الأدباء الأوربيين الفارين من شرق أوروبا الــذين بدءوا يكتبون بالفرنسية، مثل يوجين أونسكو، وكونديرا، ولم يكن أمامنا سوى أن نتتبع نفس المنهج في الكتابة.

وقد أوضحنا في هذا الكتاب، وفي خلال فصــوله العديــدة أن الأدب" العربي" المكتوب باللغة الفرنسية ليس أبداً أدباً فرنسياً، رغم أنه منشور في دور النشر الفرنسية، ورغم أنه مكتوب باللغة الفرنسية، لكن اللغة لم تصنع أبــداً هوية قومية مختلفة للكاتب الذي ولد عربياً، ولكن ظروف نشأته وتعليمه جعلته يتقن اللغة الفرنسية التي اعتبرت بالنسبة له لغة كتابة أولى، لكنها لم تطمس أبداً في هويته العربية، ولو شئنا أن نقيس ذلك بشكل واضح فإن الفصــل الــذي قدمناه عن الأدباء اليهود الذين كتبوا باللغة الفرنسية، قد بين كيفية الاختلاف بين الكاتب اليهودي الغربي الذي يعيش في نفس المدينة باريس، السفارديم منهم حيث يعتبرون أنفسهم عرباً يهودًا، وهم لم يناصروا إســرائيل في سياســتها ولم يقوموا بزيارتها ولم يتخلوا عن هويتهم العربية.. وظلوا يكتبون دوماً عن سنوات الحنين التي عاشوها في مصر والمغرب العربي.

وقد شئنا أن نضع هذا المقياس لنوضح كيف أن الأدباء العــرب الــذين يكتبون باللغة الفرنسية قد ظلموا كثيراً في أوطانهم، وقد جاءت المأساة مــن أن هذا الظلم وقع من جوانب عديدة، منها مقياس حركة الترجمة من ناحية ومنها النظرة إليهم نظرة بها ريبة واضحة، وقصدية كأن هذا الكاتب الذي قد اتخــذ لنفسه لغة تعبير هي أساساً للمستعمر قد جنح بذلك إلى العمالة !! وهو تصــور

ساذج سمعته من الكثيرين الذين علقوا على عالم "ألبير قصيري" بعد أن ترجمت له أربع روايات، ثم في عالم "أندريه شديد"، حيث نظر البعض إلى هذا الأدب الذي يدور أغلبه في الأحياء الشعبية باعتباره أدباً يشوه وجه مصر، وأن مصر أبداً لم تكن هذه الحواري رغم أن هؤلاء أنفسهم قد أعجبوا كثيراً بنفس العالم في الروايات العربية التي كتبها أدباء من طراز نجيب محفوظ، ويوسف السباعي، وإحسان عبدالقدوس.. وآخرين..

كما أن هذا الأدب قد تعرض للغبن في عالمه العربي بشكل ملحوظ، حيث إن هؤلاء الأدباء لم يشكلوا تجمعاً، وكانوا بعيدين جسمانياً عن دائرة الحلقات الأدبية، وبذلك ترك الباحثون العرب الساحة مفتوحة لأقرانهم الأجانب، وخاصة الفرنسيين للاهتمام بهذا الإبداع، والغريب أن كاتب هذه السطور- على سبيل المثال- اكتشف هذا العالم بالمصادفة، وفي فترة متأخرة حين وقعت عيناي على رواية" شحاذون ومعتزون " لقصيري. وما أن قرأت الفصل الأول منها حتى شرعت في ترجمتها دون أن أكملها. ثم كان ذلك بمثابة مدخل إلى قصيري، الذي ترجمت له بعد ذلك روايات " منزل الموت الأكيد " و"العنف والسخرية" و" كسالى في الوادي الخصيب"..

وكما سنرى، فإن هؤلاء الأدباء يواجهون بازدواجية أدبية، فهم في بلادهم العربية ينظر إليهم على أنهم كتاب أجانب يعيشون في بلد أجنبي ومن المعروف أن أغلبهم قد رحلوا إلى فرنسا بعد أن تقلصت أنشطتهم في مصر وخاصة بعد أن توترت العلاقات مع فرنسا عقب العدوان الثلاثي على مصر في عام 1956م، لبلاده التي جاء منها، وعندما تغيرت كتاباته تحت وقع الزمن لجأ إلى تجريد إبداعه من الزمان والمكان، ولم ينظر أبداً إلى المكان الذي " هاجر " إليه وعاش فوقه، لكنه أبداً لم ينفعل به كمكان.. فهم ينظرون إليه كمهاجر

وليس أبداً من أبناء الوطن، وهو في المقام الأول أيضاً مثقف " فرانكفــوني " ولم تتعامل الأوساط الفرنسية أبداً معهم على أنهم فرنسيون حتى لو حصلوا علــى الجنسية الفرنسية.

ولذا، فإن في هذا الكتاب فصولاً لم نرجع فيها إلى الكتب الكثيرة الــتي رجعنا إليها عند إعداد هذا الكتاب، ولكن هذه الفصول وليدة نفســها مثــل الفصل الخاص بالإبداع الفلسطيني المكتوب بالفرنسية، والفصل الخاص بإبداع الجيلين الثاني والثالث من المهاجرين العرب الذين يعيشون اليــوم في فرنســا، ويحملون الجنسية الفرنسية، وهم أبناء المهاجرين الأوائل الــذين ســافروا إلى فرنسا عقب الاستقلال أو قبله بقليل.

وقد حاولنا في هذا الكتاب أن نرصد بانوراميًا، الكثير من الأسماء المهمة في عالم الأدب العربي المكتوب باللغة الفرنسية،فخصصنا شبه قــاموس صــغير لكتاب كل بلد في نهاية الفصل الخاص به، هذا بالإضافة إلى إلقــاء الأضــواء مركزة على أبرز الأسماء في بلادها.. من خلال البحث والتحليل والرصد لهــذا الأدب.. وجاءت الإضافات الكثيرة هنا لتؤكد أهمية هذا الموضوع.

هل هو أدب عربي..؟

أجل.. هو أدب عربي.. وقد آن الأوان للاعتــراف بــه.. وتقديمــه إلى القاريء العربي.. وذلك بعد هذه الظلال الكثيفة التي ألقيت عليه.. وانسحبت فوق بساطه..

المؤلف

الفصل الأول :

السمات العامة للأدب العربي المكتوب باللغة الفرنسية

> إنهم من وطن واحد، وجميعهم مهاجر إلى لغة وطن لا يتكلم بها وطنه وهم واقعون في ازدواجية ثقافية واضحة، ثقافة البلاد التي ولدوا فيها وانتموا إليها، وثقافة البلد الذي وجدوا أنفسهم يتكلمون لغته، أو يختارونه مهجراً.

هذا هو حال أغلب الأدباء العرب الذين يكتبون إبداعهم باللغة الفرنسية إن لم يكن حال جميعهم، ولاشك أن هناك مجموعة من السمات العامة التي يمكن أن تربط فيما بينها أدب هؤلاء الكتاب أو إبداعهم، أو حتى علاقتهم بالمجتمع الذي يعيشون فيه، سواء الذي جاءوا منه أو القادمين إليه وسوف نتحدث هنا عن مجموعة من أهم هذه السمات :

ارتبط هذا الأدب في المقام الأول بوجود قوات احتلال فرنسية في بعض البلاد، فلاشك أن بعض الأدباء في المغرب العربي يعتبرون أن لغتهم الأولى هي اللغة الفرنسية، وذلك بواقع أكثر من مائة وثلاثين عاماً من الاحتلال الفرنسي لكل من الجزائر وتونس والمغرب، وقد لعب الاستعمار الفرنسي دوراً خطيراً، لم يلعبه أي احتلال آخر في دول العالم العربي، حتى فرنسا نفسها لم تلعب مثل هذا الدور في دول أخرى احتلتها في المنطقة،ولعل هذا يرجع إلى عدة أسباب منها الفترة الزمنية الطويلة التي ظلت فيها قوات الاحتلال في شمال إفريقيا، وأيضاً لاقتراب هذه المنطقة جغرافياً من فرنسا.

هذا الدور الذي نقصده هو " الفرنسية " أو صبغ البلاد الـتي احتلتـها بكل ما هو فرنسي، وخاصة اللغة، وقد تنبه الفرنسيون إلى أن اللغة باعتبارهـا المنطوق الأساسي للبشر، يمكن أن تزيد من انتماء المتحدث بها إلى ثقافة هـذه الدولة.

وعلى مدى أجيال متعاقبة تمكنت اللغة الفرنسية من أبناء المغرب العربي، ثم بدأت هذه اللغة تصبح لغتهم الأولى، ولم يعد صعباً على المواطن العربي الذي ينتقل بين بلاده و فرنسا أن يجد أي اختلاف بين اللغة التي يتكلمها في أي مـن الأرضيين، فزاد إحساسه بالانتماء إلى الأرض الفرنسية من ناحيـة، كمـا زاد ارتباطه بالثقافة الفرنسية من ناحية أخرى.

ولذا، فإن الأدباء العرب الأوائل الذين كتبوا بالفرنسـية، لم يجـدوا أي غربة أوغرابة في أن تكون كتاباتهم باللغة الفرنسية، مثل كاتب ياسين، ليس لأن الفرنسية هي لغتهم الأولى فقط، بل لأن علاقتهم باللغة العربية كانـت واهيـة وضعيفة، خاصة أن تميز الكاتب غالباً، وأساسياً هو تميزه في اختيار مفردات لغته الأدبية..

ولذا، لم يكن غريباً على الكاتب أن يكتب باللغة الفرنسية في البدايـة، ولعل الأمر قد تغير كثيراً مع زيادة حركة التعريب في شمال إفريقيا، وهنا بدأت الأسباب تتغير، حيث بدأت اللغة العربية تعود إلى حالة ازدهارها القديم، ولكن بعض المثقفين وجدوا أنفسهم يمتلكون ناصية اللغة الفرنسية أكثـر، ثم وجـد الكثير منهم ان الكتابة بالفرنسية أفضل لعدة أسباب منها أن الكاتب يمكـن أن يتعايش طيلة حياته من عائد كتاب واحد لو نشـره في إحـدى دور النشـر الفرنسية، بينما عائدات الكتب الصادرة في العالم العربي هزيلة، ولا تقـيم أيـة حياة كريمة أو غير كريمة للكاتب، ومن هذه الأسباب أيضاً كثـرة المحـذورات

الرقابية في العالم العربي أمام الكاتب، وانكماش حركة النشر والقــراءة، بينمــا ازدهرت هذه الأمور بشكل ملحوظ في فرنسا..

ولو نظرنا إلى النقطة السابقة نفسها، فسوف نجد أن الســمة الثانيــة في الأدب المكتوب باللغة الفرنسية مرتبطة في غالب الأحيان بالمهجر، أي هجــرة الكاتب، ومن المعروف أن الأدب العربي قد شهد في بداية القرن العشرين مــا يسمى بحركة الهجرة الأولى التي اتجهت نحو أمريكا اللاتينية، وقد شهدت هــذه الحركة ازدهاراً ملحوظاً في الأدب العربي المكتوب خارج حدود الوطن، حيث ظل الأدباء، لفترة، لا يكتبون إلا باللغة العربية، قبــل أن يــذوبوا وأولادهــم وأحفادهم في هذه البلاد.. أما حركة الهجرة الثانية فقد جاءت من شمال المغرب إلى فرنسا، وقد ازدادت بشكل ملحوظ عقب استقلال بلاد المغــرب العــربي، ووصلت حركة الهجرة إلى أعلى معدلاتها في نهاية الســتينيات ومــع ســنوات السبعينيات إلى درجة جعلت السلطات الفرنسية ــ كما جاء في جريدة الأهرام 4 يناير 1986م ــ تعتبر اللغة العربية هي اللغة الثانية في المدارس الفرنســية، وقد كتبت "أني كريجيه كرينكــي" في كتابهــا " المســلمون في فرنســا " أن " المناضلين الذين اشتركوا في الحرب لإخراج الفرنسيين من الجزائر قــد ســعوا بأنفسهم إلى فرنسا بعد أن أعلنوا : " لقد كسبنا هــذه الحــرب ".. ليعملــوا ويقيموا بها، ويبدو أن القادمــين من شمال إفريقيا قد أرادوا أن يردوا الــدين لفرنسا فسعوا لاستعمارها مثلما استعمرتهم " [1].

---

[1] Les Muslumans. En France، Annie K، riniki : Maison neuve Paris، 1985، p.32.

المرجع السابق.

ويهمنا أن نذكر كما جاء في نفس المرجع السابق، أن عدد الجزائريين الذين وصلوا إلى فرنسا وصل إلى 8ر1 مليون نسمة، والآن وبعد قرابة خمسين عاماً ظهرت ثلاثة أجيال من المهاجرين، أو حسبما يقول أحد الشباب المسافرين حديثاً إلى فرنسا.. " نتلقى ثلاثة أنماط من التعليم : تعليم من آبائنا، وآخر من مدرسينا، وثالث من الحياة..وهذه الأنماط تتضارب "، فهؤلاء الذين رحلوا في النصف الأول من الستينيات قد تجاوزوا الآن الأربعين من العمر، وصار لهم أبناء وربما أحفاد.

وتقول الكاتبة أن العرب يعملون هناك في مهن عديدة ويضع أكثرهم عينيه على عالم الفنون، وتقول أن الكثير من الأعمال الأدبية والسينمائية التي يبدعها المهاجرون تنادي بالارتباط بالوطن الأم من ناحية، والعودة إليه بين وقت وآخر، حتى لا تنقطع الروابط بين المرء ووطنه إذا طال غيابه.

وما دمنا بصدد هذه النقطة، فإن العرب الذين يسافرون إلى فرنسا قد كتبوا باللغة الفرنسية في المقام الأول، ورغم أن المطابع العربية قد انتقلت إلى فرنسا لتصدر الصحف والمجلات والكتب التي توزع في المنطقة العربية لأسباب سياسية وأمنية، فإن أدب هؤلاء القادمين من شمال أوروبا كان في الغالب ناطقاً باللغة الفرنسية، أما من كانوا يكتبون في مجلات وصحف مثل " اليوم السابع " وغيرها فكان غالبه مترجماً عن اللغة الفرنسية.

لم ينحصر همّ الكاتب العربي الذي يكتب باللغة الفرنسية بالانبهار فقط بالثقافة الأوربية، بل كان همه الأول هو البيئة العربية بثقافتها القديمة والحديثة. ولذا، فنحن نقول أننا أمام أدب " عربي " مكتوب باللغة الفرنسية، لأنه مرتبط بالمكان الذي يكتب عنه، وبالناس الذين يعيشون في هذا المكان، بثقافتهم وسلوكهم الخاص والعام، وهو دائماً أسير هذا المكان الذي عاش فيه أغلب

سنوات طفولته وشبابه لا يستطيع أن يترع نفسه منه، وأغلب هـؤلاء الأدبـاء عرفوا لحظات الإبداع الأولى في بلادهم قبل أن يفكروا في الرحيل إلى أوروبا، بل إن الكثيرين منهم قد نشروا كتاباتهم الأولى في بلادهم قبل أن يفكـروا في الرحيل إلى فرنسا، وعندما تم الرحيل.

وهو غالباً رحيل اختياري، فإن الكاتب ظل ملتصقاً بوطنه، ليس فقط من خلال احتفاظه بالجنسية العربية التي جاء منها، بل أيضاً في ارتباطـه بـالأرض النبع.

ولعل هذا يرجع إلى عدة أسباب، منها أن الكاتب مهما فعـل، ومهمـا تجنس بالجنسية الفرنسية فهو في منظور الوطنيين الفرنسيين أجنبياً مهما كانـت هويته في بطاقته، كما أن القاريء المغربي يميل إلى أن يقرأ عن أجـواء الشـرق بلغته، من قبل أدباء قادمين بأنفسهم من هذه المنطقة وينتمون إليهـا، وليسـوا مجرد سائحين سافروا لبضعة أيام أو أكثر للإقامة في الشرق، ثم يعـودون مـرة أخرى حاملين ذكريات عابرة..

لذا، فنحن نؤكد أهم أدباء " عرب "إبداعاً وانتماءً.. وقد تكون هنـاك حالات استثنائية، غيرت في إبداعاها الأدبية مثلما حدث مع "جويس منصـور" مثلاً، لكن هذه الشاعرة المصرية كانت منذ البداية سريالية الاتجاه.. حاولت في كل أعمالها تجريد المكان من مدلولاته ورموزه.

والكاتب العربي الذي هاجر إلى فرنسا للمعيشة فيها كان مضطراً بدافع الضرورة فلو لم يفعل ذلك فلن يكون مقروءاً، لا في بلاده، ولا في فرنسا مثلما حدث مع الشاعر المصري أحمد راسم، وهؤلاء الكتاب لا ينبهرون عند سفرهم إلى فرنسا بنفس الدرجة التي تحدث لمن يكتبون عامة باللغـة العربيـة، لأهـم

يحسون أهم توجهوا إلى بلد يعرفون لغته وثقافته، موجود داخلهم، وكثيراً ما تدفع الهجرة، أو فلنقل المنفى الاختياري الكاتب إلى أن يرتبط أكثر بجذوره القادم منها، وألا ينفصل عنها، وبعض هذا الأدب يتحدث عن التباين الذي اكتشفه الكاتب في هذا المجتمع الذي يعامله على أنه "عربي "، أو مواطن من الدرجة الثانية فلا يسعى إلى نفي هذه الهوية، بل يؤكدها.. هو في كلا الجانبين : الغربي والفرنسي يعتبر غربياً، وأجنبياً وقد اتضح هذا الأمر في مقدمة رواية " نجمة " للكاتب الجزائري "كاتب ياسين" حيث أكد صاحب دار نشر سوى **Seuil** أننا أمام كاتب أجنبي.

لعبت المدارس الأجنبية التي تم إنشاؤها في كل من مصر ولبنان وسوريا دوراً في تكوين مجموعات من الناس يحسون أهم ينتمون إلى ثقافة واحدة ففي البداية تم إنشاء مدارس فرنسية لأبناء الخبراء والموظفين الفرنسيين الذين استعانت بهم الحكومات في مصر والشام، ثم بدأ أبناء البلد من المواطنين في الانضمام إلى هذه المدارس، وقد خلقت هذه الظاهرة التعامل المباشر باللغة أولاً في المجتمعات المغلقة، كالبيوت والنوادي والصالونات، باللغة الفرنسية،وقد اعتبرت هذه الظاهرة سمة من سمات الارتقاء الاجتماعي، لأنه في تلك الآونة، وربما حتى الآن، فإن تكاليف الدراسة في مثل هذه المدارس لا تتناسب سوى مع أصحاب الدخول المرتفعة، وقد تولدت صداقات عميقة بين المتحدثين بالفرنسية أو " المتفرنسين "، وظهرت حركة نشطة لصناعة أدبهم بدأت أولاً في المدن الساحلية كالإسكندرية، ثم انتقلت إلى العاصمة، بمعنى أنه كان هناك الأدباء أولاً، ثم كان لابد من ظهور صحف ومجلات لتستوعب كل هذا الإنتاج، ثم كان لابد من ظهور نقاد لهذا الأدب من الذين يكتبون أيضاً باللغة الفرنسية..

انقسمت المنطقة العربية جغرافياً إلى قسمين رئيسيين، حسب البيئة التي يتكلم بعض أدبائها باللغة الفرنسية، القسم الأول يمثل مصر وسوريا ولبنان، ثم القسم الثاني الذي يمثل المغرب والجزائر وتونس.. وقد بدا كأن هناك انقساماً ما واضحاً بين القسمين، وفي كل منهما كانت أنشطة الأدباء واتصالاتهم تتم بشكل حيوي، بينما تبدو الأمور كأن هناك سوراً عالياً يفصل بين القسمين، فقد راح أدباء لبنان وسوريا يتنقلون بين القاهرة وبيروت، فتعلم أبناء دمشق وبيروت في بعض مدارس الإسكندرية.وصنع هذا أدباً عربياً وليس محلياً، فقد أحس اللبناني غالباً أنه في وطنه مصر، وكم كتب عنها كأنه مصري، مثل "جان أركاش"، و"أندريه شديد" "وسيلين أكسلوس"،وفي الكتب التي تتحدث عن أدباء لبنانيين يكتبون بالفرنسية نجد أن الكثيرين منهم عاشوا طويلاً في مصر.. وليس بين أيدينا من كتاب مغاربة جاءوا للعيش في القاهرة سوى "روبير بلوم" الذي جاءت أسرته من تونس لتعمل في القاهرة عام **1904**م ولكن إقامته لم تطل بها، حيث رحلت أسرته عام **1924**م إلى باريس.

أما في المغرب العربي فقد بدت الصلة قوية بين أدباء الدول الثلاث، ولكن حالات الاتصال مع أدباء الشرق العربي لم تكن بنفس القوة، ولعل هناك اتصالاً حدث فيما بينهم عندما اختار الكثير منهم باريس من أجل الإقامة فيها، فارتبط بعضهم بصداقات قوية مع الأدباء الفرنسيين، مثلما حدث مع "ألبير قصيري"، و"أندريه شديد"، بينما راح كاتب مثل "الطاهر بن جلون" يكتب عن الأدب العربي بشكل عام وتعريف القاريء الفرنسي باتجاهاته وجذوره وفعل ذلك أيضاً "ألبير سوليه"، الذي يعمل في الجريدة نفسها " لوموند"، أما "ابن معلوف" فقد كتب مقالات عن هذه الروايات في العديد من المجلات والصفحات الثقافية.

هناك ظاهرة في غاية الأهمية وهي أن الأدب العربي المكتوب بالفرنسية لم يقتصر على أبناء طائفة دون غيرها، أو أبناء عقيدة دون غيرها، فهناك أدباء يونانيون اختاروا الكتابة باللغة الفرنسية، وهنك أدباء أرمن كتبوا أيضاً في مصر باللغة الفرنسية، بل هناك من لهم جذور إيطالية، كما كتب هذا الأدب مسيحيون ومسلمون ويهود، وإذا كان بعض الكتاب قد اهتم بشكل عابر، بمسألة العقيدة،خاصة بعض اليهود، فإن الكاتب العربي الذي يبدع باللغة الفرنسية كان همه الأساسي هو الارتباط بالمكان.. حيث كان لدى هذا الكاتب شغف خاص بالمكان، سواء عندما عاش فوقه، أو عندما هجره إلى أرض أخرى للإقامة فيها،فأدباء مثل ألبير قصيري وقوت القلوب وكاتب ياسين وإدريس شرايبي ورشيد بوجدرة قد كتبوا عن بلادهم العربية، واختاروا قاع هذا المجتمع بالذات، وهم يعيشون فوق أرضها، وذلك قبل أن يرحلوا إلى فرنسا، وسوف نرى أن الأدباء المغاربة من اليهود قد ارتبطوا على سبيل المثال بالحركة الوطنية لمناهضة الاستعمار.. وسوف نرى أن هؤلاء الأدباء اليهود من المصريين قد توجهوا إلى فرنسا ولم يفكر أي منهم في الاتجاه إلى تل أبيب، كما لم يشأ أي منهم أن يمارس لعبة السياسة، وكانوا يكتبون دائماً عن أوطانهم التي جاءوا منها خاصة أدمون اليابس، أوجابيس، الذي ترك مصر عام **1957**م وظل يكتب قصائد عن الصحراء المصرية حتى مات عام **1990**م.

وإذا كانت المدارس الفرنسية قد استقبلت في أول الأمر الكثير من المسيحيين في مصر، فإن المسلمين ما لبثوا أن التحقوا بهذه المدارس، وهكذا فإن الأدب العربي المكتوب باللغة الفرنسية كان مرتبطاً في المقام الأول بالمكان قبل الديانة، بل إن الدين كان يأتي دائماً في الخلفية، حيث كان اهتمام هؤلاء

الأدباء هو الاطلاع على الثقافات المعاصرة، والتعريف بها، ومحاولة تحطيم الأشكال التقليدية في الفن، وخاصة في فن الشعر.

هناك سمة غريبة في لغة الكاتب، وخاصة الروائي العربي الذين يكتب باللغة الفرنسية، فعند قراءة أعمال ألبير قصيري أو أندريه شديد، أو عند قراءة الأعمال الأخيرة لكاتب ياسين، أو الطاهر بن جلون، فسوف نلاحظ أن الحوار الفرنسي المكتوب في هذه الروايات مكتوب أساساً في داخل الكاتب باللغة العامية، وأن الكاتب قد قام بترجمته من هذه اللغة المحلية إلى الفرنسية مباشرة، وقد اتضحت هذه الظاهرة في روايات من طراز " نوم الخلاص " و " اليوم السادس " لأندريه شديد، حيث أبطالها يسكنون البيئات الشعبية،ويستخدمون مصطلحات شعبية في المقام الأول،وتبدو هذه الكلمات واضحة لدى متابعتها، ولاشك أن من قام بترجمة مثل هذه الروايات سوف يقع في حيرة أمام ترجمتها إما بالفصحى أو العامية، وقد حدث هذا لمترجم رواية " نوم الخلاص " المنشورة في روايات الهلال عام **1991**م، والغريب أن القارىء لم يستسغ هذه اللغة، باعتبار أنه أمام أدب مترجم ولذا، فإن كاتب هذه السطور قد وقع في نفس الحيرة وهو يترجم روايات " شحاذون ومعتزون "، و "منزل الموت الأكيد" و " العنف والسخرية " و " كسالى الوادي الخصيب " لألبير قصيري إلى اللغة العربية، واختار اللغة العربية البسيطة خاصة عند ترجمة الحوار، رغم أنه يعرف أن في هذا قصوراً واضحاً.

انحصر الإبداع العربي المكتوب باللغة الفرنسية في الشعر في المقام الأول..ثم في ا لرواية وفن القص بشكل عام، وقد جاء الشعر في هذه المكانة لما لهذا الفن من مكانة لدى المبدع العربي في المقام الأول، وقد استفاد الشاعر العربي الذي يكتب بالفرنسية، خاصة في الشرق العربي، من شكل القصيدة

الفرنسية، فراح يسعى بدوره إلى كسر البنية التقليدية للقصيدة العربية، ولم تأتِ الاتجاهات الحديثة في الشعر المعروفة باسم الحداثة إلا من خلال هذا الالتقاء.

وبينما غلب فن الشعر في مصر ولبنان وسوريا إلى جانب الرواية، فإن الروائيين قد تملكوا ساحة الأدب العربي المكتوب باللغة الفرنسية في المغرب العربي، وبشكل عام، فإن هذا يرجع إلى الحركة التاريخية، باعتبار أن الأدب العربي المكتوب بالفرنسية في الشرق العربي كان أ قدم من مثيله في المغرب العربي، وعليه، فقد بدأ بالشعر، ثم لمعت الرواية، أما الأدباء العرب في المغرب فقد ظهروا في منتصف الأربعينيات في زمن ازدهار الرواية.ورغم هذا فإن الكثير من هؤلاء الكتاب كتبوا الشعر والرواية في الوقت نفسه مثل الطاهر بن جلون وأندريه شديد وكاتب ياسين.. وغيرهم.

من الغريب أن هذا الأدب قد احتضنه الفرنسيون وقدموا عنه الكثير من الدراسات، بينما ندرت مثل هذه الدراسات في الوطن العربي، وعلى مدى علمي، فإنه لا يوجد كتاب واحد باللغة العربية عن هذا الأدب، لكن حكومات المغرب العربي تنظر دائماً بعين الارتياح إلى الهجرة الدائمة التي يقوم بها بعض أبنائها إلى أوروبا، حيث أن أغلب المهاجرين يحققون إنجازات بارزة في ميادين الأدب والفن بشكل عام، فقد حظي عرب عديدون بمكانة متميزة في مجال الأدب والسينما، وسعياً وراء تقليل المسافة بين المهاجرين وأوطانهم فإن الجزائر مثلاً، تبث إذاعة لأبنائها في المهجر باللغة العربية وتذيع القرآن الكريم والسنة النبوية، وبعض التعاليم الدينية التي يجب أن يحافظ عليها المسلمون في غربتهم وحثهم على اتباع تعاليم دينهم والارتباط بالتقاليد الشرقية أينما كانوا، ولذا، فإن العربي ما أن يعود إلى بيته حتى يحس أنه عاد إلى بلده.. لأنه مؤسس على

الطراز العربي: الجدران والأساس واللغة. ولذا فإن الحنين أقل حدة، ولاشك أنه قد ظهر نوع ثالث من الأفراد الذين مزجوا بين العربية والفرنسية ليس فقط في اللغة، ولكن أيضاً في العادات المتناقضة بين العالمين.

هناك تجد ذلك ملحوظ، وأجيال لاحقة تكتب بالفرنسية، رغم كل الظروف فلا شك أن الجيل الذي رحل إلى فرنسا من مصر ولبنان كان هو آخر الأجيال التي كتبت باللغة الفرنسية، لكن هناك أجيالاً جديدة في المغرب العربي، وأيضاً أبناء الجيل الثالث من المهاجرين، فالكاتب الفرنسي المصري الأصل، "روبير سوليه" لديه شغف، وولع بمصر، يندر أن يوجد عند الكثير من المصريين،ولم يكتب أحد بالحمية نفسها عن مصر، مثلما رأينا في رواياته، وقد لمعت أسماء الشباب ن في السنوات الأخيرة، أمثال "نينا براوي" التي فازت بجائزة رينودو عام **2005**م، أما التعريب الذي وجد مكانه بقوة في بلاد المغرب العربي، فقد أدى إلى تقلص الأسماء الجيدة داخل البلاد العربية نفسها.

كان السؤال المطروح دوماً هو عن علاقة الكاتب العربي المهاجر بالوطن الذي هاجر إليه، فهل يعد الكاتب العربي المهاجر إلى باريس عبئاً على ثقافتها، أم إضافة إليها، لقد خصصت الحكومة الفرنسية في عام **1977**م مبلغ عشرة آلاف فرنك لكل مهاجر يعود إلى بلده، ففرنسا إذن تسعى إلى التخلص من بعض العمالة المهاجرة إليها وليس كلها، لكن بلا شك، فإن فرنسا مستفيدة من هذه العمالة على المستوى المهني من ناحية، ومن الناحية الثانية على المستوى الفكري والثقافي كما قال عبدالله بوحميدي : "إن ما قدمه المهاجرون إلى الثقافة الفرنسية لم يكن يستهان به في خاتمة المطاف، فبفضل رحلاتهم المتعددة بين شواطيء البحر المتوسط شمالاً وجنوباً أصبحوا يشكلون رابطة عضوية بين

فرنسا والمغرب العربي ويسهمون بذلك في التقاء الثقافتين [1]. كما أنها أصبحت أكثر وعياً بتعدد مقومات هويتها، فقد تعرفت تلك الهويـــة علـــى حقيقتـــها، ووقفت عند مصادر ثرائها، والأدب المكتوب باللغة الفرنسية صـــادر أغلبـــه، خاصة في السنوات الأخيرة، عن دور النشر الفرنسية، وقد كان جزءً كبيراً من هذا الإبداع منشوراً في الـــبلاد العربيـــة خاصـــة المكتـــوب في العشـــرينيات والثلاثينيات والأربعينيات في مصر ولبنـــــان، لكن الأدب العـــربي المكتـــوب بالفرنسية في السنوات الأخيرة صادر داخل فرنسا وبتمويل فرنسي. ومع ذلك فإنه يحمل روحاً جديدة وهوية مختلفة، فبدا كأن بعضه قد تم تطعيمـــه بخـــبرات الهجرة فالازدواج الثقافي أصبح غالباً، وبدت الحركية في الأعمـــال الإبداعيـــة الجديدة، وقد أدى ذلك إلى ازدهار هذا الأدب بشكل ملحوظ يـــدفعنا إلى أن نخصص له كتاباً..

الفصل الثاني :

[1] مجلة رسالة اليونسكو، العدد **292**.

الأدب المصري المكتوب باللغة الفرنسية

لماذا نشطت اللغة الفرنسية كلغة تعبير في مصر، رغم أن فرنسا لم تحتل مصر مثلما فعلت في الجزائر ؟ وكان الاحتلال بريطانياً لأكثر من سبعين عاماً..؟

يرجع الكثيرون من المحللين أن هناك أسباباً عديدة من أبرزها الحملة الفرنسية التي جاءت لمدة ثلاث سنوات في أواخر القرن الثامن عشر، ثم لأن محمد علي قد توجه إلى فرنسا من خلال مشروعه الحضاري وليس إلى إنجلترا، فقد أرسل البعثات الأولى، خاصة ما يرتبط منها بالتعليم والثقافة إلى فرنسا.

ورغم أن الحملة الفرنسية التي انتهت عام **1801**م قد خلفت في قلوب المصريين المرارة والحزن، إلا أن الفرنسيين بعد أن رحلوا تركوا وراءهم أشياء عديدة لم يكن من الممكن تجاهلها، مثل آلات الطباعة ومركز أبحاث علمي، ومعهد للدراسات، ولم يكن أمام المصريين سوى استغلال هذه الأشياء خاصة أن محمد علي الذي صنع النهضة في مصر قد جاء إلى مقعد الحكم بعد رحيل الفرنسيين بأربع سنوات، فقد راح محمد علي يستعين بالخبرات الأجنبية من أجل تحديث بلاده، خاصة في مجال صناعة الأسلحة، وفكر محمد علي في الفرنسيين في المقام الأول، كما فكر في الإيطاليين، وقد كانت فرنسا أكثر تأثيراً وقوة في تلك السنوات من إيطاليا، على الأقل على المستوى الاقتصادي..

وهكذا بدأت اللغة الفرنسية تدخل بصفة رسمية إلى مصر، فلم يكن للخبراء الفرنسيين أن يتعاملوا مع قوم لا يتكلمون لغتهم، وأحس محمد علي أنه من الأهمية بمكان أن يتعلم المصريون اللغة الفرنسية، فأرسل المبعوثين إلى فرنسا،

وكان من بينهم كما هو معروف، رفاعة الطهطاوي وعلي مبارك وجاء الفرنسيون كي يصنعوا صحافة على شاطيء النيل.

وقد ساعد إحساس المصريين بأنهم في حاجة إلى الفرنسيين على تخفيف أجواء التعصب ضد الأجانب، وقد شجع نجاح المشروعات التي يقوم بها الفرنسيون أبناء الجاليات الأخرى على القدوم إلى مصر مثل اليونانيين والأتراك واللبنانيين والأرمن وغيرهم.

وزاد نشاط الأجانب في أوجه الحياة الاجتماعية في مصر، وراجت تجارة الأغذية، وقد جعلت هذه الظاهرة المدن المصرية ساحة جديدة لأبناء الجاليات الذين يتكلمون بلغاتهم الأصلية، على الأقل بشكل شفاهي، ومن هنا بدأ المصريون يتعلمون هذه اللغات، وقد جلب هذا أيضاً إلى المصريين عادات جديدة وشعائر واحتفالات صنعها الأجانب، أو جلبوها من بلادهم.

وشيئاً فشيئاً بدأت هذه الجاليات في النمو عدداً، وبدءوا يفتحون لأبنائهم مدارس خاصة لتعليم اللغات القومية بالإضافة إلى اللغة العامة في البلد. وأصبحت اللغة الفرنسية هي اللغة الأولى، كما أصبح للأجانب دور العلاج الخاصة بهم، ثم نواديهم، وساعد هذا على ارتفاع أهمية رجال الأعمال ودروهم في المجتمع حيث عملوا على جلب عدد آخر من مواطنيهم من أجل مساعدتهم، كما شهدت البلاد ظاهرة الاقتران بين أبناء الجاليات الأوربية والأجنبية.

وفي نهاية حكم محمد علي كان بعض الفرنسيين قد وصلوا إلى مناصب إدارية عليا في البلاد، كما كانت مصر دائماً مصدر جذب بمناخها المعتدل للأجانب.

ويقول جان جاك لوتي Jean Jaques Luthie صاحب أشهر كتـــاب عن " اللغة الفرنسية في مصر "[1]، أن هناك سبباً دينياً كان يحول دون وجود الأجانب في البلاد، حيث أن السلطان العثماني كان يتصرف بصـــفته المـــدافع الأول عن الإسلام، ولكن محمد علي قد شجع تواجد الفرنسيين، ولعب أبناؤه دوراً كبيراً في التعاون مع الفرنسيين.

ويقول الكاتب أن المدارس الأجنبية قد لعبت دوراً سياسياً في تجميع أبناء الجاليات الأجنبية من ديانات مختلفة ليصبحوا تلاميذ فيها،ومن أهم هذه المدارس : "الفرير" للإخوة المسيحيين، و"الآباء اليسوعيون"، كما ظهرت بعــد ذلــك المدارس الإنجليزية مع دخول الاحتلال البريطاني،وبداية القرن الحالي، وكانــت هناك لغات أخرى سائدة مثل اليونانية والإيطالية، فقد تم افتتاح أول مدرسة من "دار الفرير المسيحية" في الإســـكندرية عـــام **1847**م، ثم مدرســـة "الفريـــر اللازاريين" عام **1852**م، " مدرسة "الآباء لصحبة المسيح " في القـــاهرة عـــام **1879**م، " مدرسة الآباء للمهمات الإفريقية " في طنطـــا عـــام **1883**م، ثم مدرسة" الفرير البلومرية " عام **1903**م، كما تم افتتاح مجموعة من المـــدارس لتعليم البنات، مثل "الأخوات سان فانسان بول" في الإسكندرية عام **1884**م، ثم مدارس أخرى في القاهرة، وقد وصل عدد مدارس اللغات الفرنسية للبنـــات التي تم إنشاؤها حتى عام **1935**م اثنتي عشرة مدرسة والتي انتشرت في أنحـــاء البلاد.

وبالإضافة إلى ذلك، تم إنشاء معاهد تعليمية مثـــل " مدرســـة الحقـــوق الفرنسية " التي تأسست عام **1890**م، وفي مجال التعليم فإن الدولة لم تتوقـــف عن إرسال بعثاتها التعليمية إلى الخارج حيث بدأت البعثة الأولى عام **1815**م ثم

---

[1] **Le francais en Egypte، J.J.Luthie، Beyrouth. 1981**

سافرت البعثة الثانية عام 1819م، وقد درس مئات من الطـــلاب المصـــريين دراسات عليا في فرنسا، ونظروا إلى باريس باعتبارها منبعاً للقـــانون والأدب، باعتبار أن مصر في تلك المرحلة كانت تعتمد على نصوص القانون الفرنسي (تم ذلك حتى عام 1950م).

كان نابليون بونابرت قد أنشأ " معهد مصر " في عام 1798م، ولكن تم إغلاقه مع رحيل الفرنسيين في عام 1801م، وفي عام 1859م أعيد فتحه تحت اسم " المعهد المصري " ثم استعاد اسمه الأول عام 1918م، وقد اهتم بدراســة المجتمع المصري جغرافياً سياسياً، وقد آمن العاملون بهذا المعهد أن مصـــر هـــي نافذة العالم، فكانوا يدخلون منه إلى أوروبا، وفي عام 1880م تم إنشاء المعهـــد الفرنسي للآثار الشرقية، والذي كانت مهمته – ولا تزال – دارســة مصـــر القديمة، وأيضاً تاريخ الحضارات الشرقية بشكل عام، وقـــد أصـــدر المعهـــد مطبوعات شبه دورية.

وقد تم إنشاء مجموعة من الإدارات والمؤسسات التي تعاملت مع اللغـــة الفرنسية في المقام الأول، ومن هذه المؤسسات جمعيات أدبية وفنية عديدة، مثل " الاتحاد الفني " الذي تم إنشاؤه عام 1898م، وقد ظل لمدة عشـــرين عامـــاً مسرحاً لعرض أهم الأعمال المسرحية الفرنسية والمصرية، وفي عـــام 1920م تكونت " جماعة أصدقاء الفن " والتي استمر نشاطها اثنى عشر عاماً، وتم إنشاء " أتيليه الفنانين " عام 1933م بواسطة الفنان التشكيلي محمد ناجي، وقد ظل هذا الأتيليه، وما يزال بؤرة للنشاط الفني في الإسكندرية حتى الآن، أما القاهرة فعرفت نشاطاً ثقافياً كبيراً حيث تكونت جماعات مثـــل " المحـــاولون " عـــام 1924م،و" أصدقاء الثقافة الفرنسية في مصر " عام 1926م، ثم " اتحاد كتاب

مصر الذين يكتبون الفرنسية " عام **1929**م، وجماعة " الضيافة "عام **1930**م، ثم جماعة " الفن والحرية " عام **1939**م التي اهتمت بالفن السيريالي.

وقد أوقفت الحرب العالمية الثانية أنشطة أغلب هذه الجمعيات، ثم اهتزت العلاقات الفرنسية المصرية بعد حرب السويس، ولم يبق الآن من مؤسسات لها أنشطة في هذا المضمار سوى مؤسسات قليلة مثل الأتيليه بالإسكندرية، والمركز الثقافي التابع للقنصلية الفرنسية في القاهرة والإسكندرية.

وفي فترة الثلاثينيات والأربعينيات ازدهرت الصالونات الأدبية مثل صالون جريجوار سركسيان في الإسكندرية، وصالون الأميرة نازلي، والكاتبة قوت القلوب الدمرداشية.

ويقول جان جاك لوتي في كتابه الذي اعتمدنا عليه في هذا الجزء من التقديم التاريخي، أن أول صحيفة صدرت في مصر باللغة الفرنسية في نفس العام، اعتمدت الأولى على المعلومات والأخبار، أما الثانية فكانت ذات صبغة علمية، وفي عصر إسماعيل ظهرت مجلات سريعة ولم تتكرر المحاولة، ثم ظهرت جريدة " النيل "التي كانت تصدر كل أسبوعين، وهي تهتم بالأخبار والاقتصاد، وكان يطبع منها **1600** نسخة، وسرعان ما تطورت الصحف الفرنسية، فظهرت جريدة " البسفور المصري " عام **1881**م التي ما لبثت أن توقفت بعد الاحتلال الإنجليزي، وقد ساعد إغلاقها على إعطائها الكثير من الأهمية، وخلقت رأياً عاماً مؤثراً في الأوساط الشعبية، فعادت مرة أخرى إلى الظهور، وكانت تتابع العروض المسرحية والفنية، ثم أغلقت عام **1895**م .

وقد تعددت الصحف، وتخصصت بعضها مثل " البورصة المصرية "عام **1899**م ،وشهدت سنوات العشرينيات نشاطاً ملحوظاً في صدور صحف

يومية مثل " الحرية " عام 1921م، و" الخبر "عام 1925م و" الفنار المصري " عام 1925م ، وكانت تصدر بين القاهرة والإسكندرية، ومـن أهـم هـذه المطبوعات "مصر الجديدة " التي دافعت عن حرية الفتاة المصرية. وهناك أيضاً " المصرية " التي صدرت لمدة عشرين عاماً، أما أهم المجلات فهـي " الأسـبوع المصري " عام1926م، وهي مجلة أدبية وسياسية، وقد اسـتطاعت أن تصـبح مركزاً ثقافياً لأغلب الأدباء الذين كتبوا بالفرنسية، وكان من أشـهر أدبائهـا جورج حنين وأحمد راسم، وفي عام 1938م صدرت مجلة " القـاهرة " الـتي كانت لسان حال المفكرين المصريين.

وقد صدرت مجلة " إيماج " عن دار الهلال عام 1929م، إلا أن كل هذه المطبوعات قد اختفت تماماً بعد عام 1956م، بينما صدرت جريـدتان باللغـة الفرنسية لا تزالان تصدران حتى الآن هما " لوبروجريه إجيبسيان "و "جورنال ديجيبت ".

تركز نشاط الأدباء العرب الذي يكتبون باللغة الفرنسية في ثلاثة مجالات رئيسة : الشعر والرواية، ثم المقالات والفلسفة والنقد، وعندما جـاء الشـعر الفرنسي إلى مصر، وجد نفسه في مواجهة ثقافة فنها الأول على مدى التـاريخ العربي وهو الشعر، ويقول جان جاك لوتي في كتابه السابق الإشـارة إليـه أن الشعر العربي في القرن التاسع عشر بدأ يغير مجـراه بعـد احتكاكـه بالشـعر الفرنسي، وقد تميز الكثير من الشعراء العـرب في تلـك الفتـرة بترعـاهم الرومانسية في جوهرها..

وقد ظهر الشعراء البارنثيون بعد الرومانتيكيين، وكان ذلـك انعكاسـاً للتغيرات الاجتماعية التي شهدها البلاد، ثم ظهرت المدرسة السريالية في عـام 1937م، وقد كثفت هذه المدرسة كل جهودها من أجل تبني كل من يسـعى

لإيجاد أشكال فنية جديدة واختراق الأشكال التقليدية، ووجدت هذه المدرسة من ينضم إليها ممن يكتبون بالعربية والفرنسية على السواء. وضمت بعض الأسماء التي لم تنتم إلى السريالية نفسها ومنهم ألبير قصيري، وأحمد راسم، وقد حاول الأدباء الذين يكتبون بالفرنسية استلهام البيئة المحلية لتكون نسيج أعمالهم الإبداعية، ويرى ج.ج. لوبّي أنه ليس من الغريب أن أهم شعراء هذه المرحلة، كانوا ممن يكتبون عن البيئة المصرية ولم يحاولوا الانفصال عنها مثل راسم جان عراش.

ظل شكل القصيدة يتطور دائماً ويتغير على أيدي الأدباء العرب الذين يكتبون باللغة الفرنسية، وكانت قضية الشاعر دوماً هي الحصول على أكبر قدر من الحرية في التعبير، ووسط هذه الأجواء بدأت العلاقات السياسية تتوتر، ووجد البعض– حتى ما قبل ذلك – أن فرص النشر في باريس ستكون أفضل، علماً بأنها لم تكن أبداً سيئة، لكن بلا شك فإن أشياء كثيرة قد تقلصت، ومن هنا شد بعضهم الرحال إلى باريس مثل جويس منصور وأندريه شديد.

أما في مجال القصص والحكايات، فمن المعروف أن أول كتاب عربي جذب اهتمام الفرنسيين هو " ألف ليلة وليلة"، وقد ظهر القصاصون الذين يكتبون بالفرنسية قبل ظهور الشعراء، فقد كتب جوزيف أجوب كتابه "الحكيم هيكار "عام **1835**م، ورغم أن الكتاب كان بمثابة محاولة ساذجة إلا أن التجارب اللاحقة كانت أفضل، مثل كتاب " اللآلِئ المتناثرة " لواصف بطرس غالي المنشور عام **1923**م، وقد فتح ذلك الباب لظهور مجموعة من المجموعات القصصية القصيرة المنشورة على فترات مختلفة مثلما فعل ألبير قصيري، وأندريه شديد، وميري فانسان.

ولم يكن ميدان الإبداع في القصة القصيرة بخصب لدى هؤلاء الأدباء قدر الإبداع الروائي الذي وجد فرسانه، ولا شك أن نجاح رواية " زينب " المنشورة باللغة العربية عام **1914**م، قد شجع اثنين من الكتاب هما ألبير عدس وألـبير جوزبيوفتش، أن يقدما " كتاب جحا البسيط " في عام **1919**م حـول بعـض نوادر جحا، وفي الفترة بين عامي **1924**م و**1929**م نشر فرانسـوا بوجـان ثلاثيته " منصور " ويقول لوتي في كتابه [1] أن هذه الثلاثيـة محاولـة لتأصـيل التدين لدى الطبقة البرجوازية المصرية المحافظة، وبينما كانت الدولة تتجه نحـو الصناعة قدمت إليان فينين رواية عن حياة الفلاح الذي يرسم الحقول ويهندسها من أجل مد المصانع بما تحتاجه وذلك في رواية " مناضلو النيل " عام **1928**م، وقد قدمت نفس الكاتبة رواية أخرى أرخت فيها لثورة **1919**م تحت عنوان " حسين "، ثم رواية ثالثة عن العلاقة بين اليهودية والإسلام عام **1923**م باسم " عباد الله".

وقد اهتم الكثيرون من الأدباء المصريين الذين كتبوا بالفرنسية بالحياة في الريف، ومنهم أيضاً أندريه شديد التي قدمت روايتها الأولى " نوم الخلاص" عن فتاة ريفية تعاني القهر من زوجها دائماً.

أما ألبير قصيري فيعتبر من أهم الكتاب الذين توغلوا في أروقـة مدينـة القاهرة وأحيائها الشعبية في روايات من طراز " شحاذون ومعتزون "، و "منزل الموت الأكيد "، وقد حاول البعض أن يسير على نفس النهج الذي سار عليـه أقرانهم الذين يكتبون باللغة العربية، بالكتابة عن أجواء الأسرة المصرية وأساليب حياتها، حتى لو كان التمرد في العلاقات واضحاً مثلما في رواية"زنوبة "القـوت

---

(1) المرجع السابق، ص **44**.

القلوب، و " رمزة"، وأيضاً أندريه شديد في أعمالها "نوم الخلاص "، و " اليوم السادس "، وفوزية أسعد في "المصرية "، إلا أن البعض الآخر حاول أن يخرج عن أجواء الأسرة مثلما فعل قصيري في "شحاذون ومعتزون".

وفي مجال الإبداع المسرحي كانت التجارب والمحاولات قليلة للغاية، وأغلب الذين كتبوا عن مصر من مسرحيات كانوا من الفرنسيين المقيمين، وذلك لأن المسرح في المقام الأول ليس نصاً أدبياً بقدر ما هو نص يجب أن يشاهده الجمهور، وكان لابد لهؤلاء المبدعين أن يفرزوا من داخلهم من يكتب نقداً لأعمالهم ويتابعها، ولذا برزت بعض الأسماء في مجال النشر غير الإبداعي مثل راؤول كمال والأمير عمر طوسون وروجيه جوديل وأنورعبد الملك.

يوسف يعقوب (1795- 1832)

إنه أول الشعراء العرب الذين كتبوا باللغة الفرنسية.

حدث ذلك إبان الحملة الفرنسية، حين جاءت حاملة جنودها، وقوادها من العسكر، ومطابعها، وبعض المستشرقين من أجل احتلال الشرق واكتشافه..

اسمه يوسف يعقوب، المولود في مصر القديمة عام **1795**م، يرجح أنه أرمني الأصل، هو ابن العالم يعقوب الذي كان أحد الواقفين إلى جوار الحملة الفرنسية، واضطر للسفر مع الجنرال مينو عائداً معه إلى فرنسا عام**1801**م عقب فشل الحملة الفرنسية، تاركاً أسرته، ومن بينهم الابن يوسف.

علمه أبوه اللغة العربية،وفي عام**1820**م سافر إلى باريس، ونشر ديوانه الأول في " مدح مصر "، الذي جذب إليه الانتباه، كما اشترك في إعداد وضع كتاب " وصف مصر "، ارتبط بصداقة مع الشيخ رفاعة الطهطاوي ثم عمل مدرساً للغة العربية في مدرسة الشباب للغات، استقر في آخر حياته بمدينة مارسيليا إلى أن وافته المنية عن عمر يناهز السابعة والثلاثين عاماً **1832**م.

من أهم مؤلفاته "محاضرات تاريخية عن مصر" عام **1823**م، و "قصص رومانسية عربية فجة "عام **1927**م، وبعد رحيله نشر له بالفرنسية أيضاً كتابه " مزيج الآداب الشرقية والفرنسية ".

وحسب كتاب " مدخل إلى الأدب العربي المكتوب بالفرنسية " من تأليف جان جاك لوتي، فإن يوسف يعقوب وجد نفسه أمام مهمتين متلازمتين هما تعريف الفرنسيين بمصر وثقافتها وتاريخها، وإدخال الفكر الفرنسي إلى مصر.

ورغم الاستقبال الحماسي الذي قوبل به الشاعر في فرنسا، ورغم نجاحه في كتابة التاريخ وقرض الشعر، فإن الإحساس العميق بقسوة المنفى جعله يحن دوماً إلى مصر، أم الدنيا كما كان يكتب، وكم أحس أن من واجبه وهو سليل الفراعنة أن يقدم مصر في أجمل صورها إلى الفرنسيين.

ولعل ما جاء في كتابه " لوتي " ينفي تماماً أنه من أصول أرمينية كما جاء في نفس الكتاب، بل هو مصري المشاعر، والكلمات، وقد انعكست هذه المشاعر دوماً في قصائده الحماسية..

قصيدة :

ومنها : " الزنبقة المحطمة "

مصر، أنتظرك، وشاطئك الثمين
اطلبي من حبي الدفء والصفاء
وبكل إجلال أحيّ شواطئك
وعيت درس مجدك الخالد
أحس بشفافيتي المزدوجة فيك
وأبوح بمشاعري بصوتي العالي.

لقد أراد يعقوب أن يربط بين الثقافتين معاً، ولذا فإنه ظل ينتقل بين البلدين وأن يظل في مصر أطول فترة ممكنة، يعيش بين الناس، ويعاني من عدم مقدرته أن يفعل شيئاً، فهو رجل بلا عمل، لا يريد لأي وظيفة أن تحرمه من الشاعر في داخله، ويبدو ذلك واضحاً في إحساسه بالتيه والغربة في قصيدته " الغريب " التي تنسكب فيها المشاعر الحزينة من خلال مفردات لغوية يرى فيها أن مصر هي : " مسقط الشمس "، وأن الصحراء تنبت الزهور، وأنه يشم عبق الحياة على ضفاف نهر النيل.

ويبدو يوسف يعقوب كأنه في أقصى حالات الهيام، بالأرض، والصحراء، والأديم، وأنه المتيم الأول بكل هذه الأشياء، ومع ذلك فإنه " غريب "عن هذه الأرض، لأنه ليس سوى شخصاً منفياً يعود إلى وطنه من أجل أن يرحل مجدداً.

وتأتي مرادفات "المنفى " في قصائد الشاعر أقرب إلى " الموت "، فالرحيل عن الوطن هو الموت بعينه، فيحس عندما تبتعد به السفينة عن الوطن أنه على وشك الموت، وهو في نفس الوقت عاشق متيم بالحرية، ومواطن في بلد وهمي

يسمى " الحرية " ، لذا فإن الشاعر وجد نفسه في فرنسا، بلاد الثـورة، وقـد أبدى يوسف يعقوب إعجابه بثوار فرنسا، واعتبر أن ما حدث عـام **1789**م كان بمثابة إعادة الروح للإنسان المغبون، ورغم ذلك فإن أشعاره لم تكن تنادي بالتمرد أو الالتزام.

ويقول لويّ أن يوسف يعقوب كان رجلاً تقليـدياً، يحتـرم القواعـد، والأنظمة، وهو في الوقت نفسه مشدود إلى رومانسية المنفـى، والـذكريات، والموت، والحب المغمى عليه (كما يقول التعبير).

وإذا كان كل من مارتين وشاتو بريان قد رصعا كتاباقمما بالعديـد مـن المفردات العربية، والشرقية، فإن يوسف يعقوب قد أضاف بعـض المفـردات الفرنسية إلى لغته الإبداعية مما يعكس أنه صار شخصين في إنسان واحد. شريطة ألا يفقد وجهة نظره فيما يكتب.

لذا، فإن شعر الكاتب كان أقرب إلى الملحمة، منه إلى القصائد التقليدية، وكان حريصاً على أن تكون تعبيراته مغموسة في أديم الوطن، لذا قال عنه أحد النقاد أنه شاعر حمل قلبه في إيشارب.

والغريب أن يوسف يعقوب غير مذكور تقريباً في خريطة الأدب العـربي المكتوب في القرن التاسع عشر، ومن الواضح أن النقاد يحاسبونه على فعلة أبيه الذي ساعد الحملة الفرنسية، وقرر الهرب من مصر في سـفنها العائـدة عـام **1801**م.

يعقوب أرتين باشا

(1842 - 1919)

أديب مصري من أصل أرمني، ويعتبر أول من كتب الحكايات الشعبية المصرية، ودونها وسجلها، ولـد عـام 1842م لأب تولى منصب وزير الخارجية في حكومة محمد علي باشا، درس بين تركيا وفرنسا، واهتم بالقانون والأدب، وفقه اللغة، عندما عاد إلى مصر عام 1870م عينه الخديوى إسماعيل سـكرتيراً أوروبياً للقصر، وبعد ذلك تولى منصب الوزير مرتين.

هو إذن من أوائل من كتبوا الأدب العربي باللغة الفرنسية، من بـين أعمالـه " الممتلكات العقارية في مصر " عـام 1883م، و " حكايـات شـعبية " عـام 1883م، و " 16 حدوتة " عام 1903م، و " حكايات شعبية سودانية "عـام 1909م .

والباحثون في الآداب العربية الناطقة بالفرنسية يرون أن يعقوب أرتين هو باعث الفولكلور في مصر، وليس هذا غريباً على رجل اهتم بعلوم المصـريات، والتاريخ العربي، وتوغل في علوم الاجتماع المتعلقة بالشعوب العربيـة، فـراح يجمع الحواديت الشعبية التي فتنته موضوعاتها كثيراً، وكان يستقيها من أفـواه الناس مباشرة، ويدونها.

لذا، فإن الرحلات الطويلة التي قام بها إلى الصعيد، والنوبة، والسودان، لم تكن من أجل المتعة، بقدر ما كانت من أجل التعرف على ما يورده الناس مـن حواديت توارثوها أباً عن جد.

فإن كتابه" حكايات شعرية في وادي النيل " هو أول ما كتب يعقوب أرتين، وتميزت مقدمة هذا الكتاب المصاغ باللغة الفرنسية مباشرة، فإنها عكست ذكاء الحكاء المصري، وبراعته في الحكي، إلا أن المؤلف لم يسع إلى التدخل من ناحية، حتى ولو بكتابة تعليق واحد، وقام بتقسيم الحواديت إلى أربع مراحل حسب الأصول الجغرافية لكل منها، حيث استطاع أن يميز بين الحدوتة المحلية النابعة من التراث، وبين المنقولة عن أقوام أجانب جاءوا إلى المنطقة، ثم هاجروا عنها، وكان من بين هذه الحواديت ما له أصل سوري، أوعثماني، أو فارسي.

ولاحظ أرتين أن أغلب الحواديت ذات طابع ديني، تحكي قصصاً عن النبي محمد صلى الله عليه وسلم، بالإضافة إلى حكايات خيالية عن الجن، والأرواح الخيرة أو الشريرة، ورأى أنه في هذه المناطق الشعبية كانت النساء، في الحكايات، يتسمن بالحُسن، والبياض، وليس هذا في طابع نساء تلك البيئات.

أما أسماء الأبطال فكانت في الغالب مرتبطة بالوصف، وفي العادة فإن هناك راوية تحكي القصة على لسانه، ويعطيها المعاني المرادة منها، وكان الأجانب دوماً من بين الشخصيات الرئيسة في هذه الحواديت.

أما المجموعة الثانية من الحواديت التي جمعها يعقوب آرتين، فاتسمت بالتأثير اليوناني أو الأوروبي، وشخوص هذه الحكايات من الحيوانات مثل الماعز، والغربان، والكثير من الحيوانات المقدسة التي تنطق بالحكمة، وخاصة الحيوانات الوارد ذكرها في الكتب المقدسة وعلى رأسها القرآن الكريم.

أما المجموعة الثالثة من الحواديت، فهي القصص الوارد ذكرها في الكتب السماوية، مثل قصة أيوب، والنبي يونس، وهي قصص تمتليء بالمواعظ الحسنة، بينما المجموعة الرابعة فهي قادمة من إفريقيا السوداء، وأبطالها دائماً من

الشخصيات الخرافية، مثل الغولة الشريرة، ويقول الكاتب أن هذه الحواديت قد وردت إلى مصر والسودان عبر العبيد الزنوج الذين قاموا بالخدمة لدى الأسر الثرية.

وبالإضافة إلى هذه الأنواع الأربعة من الحواديت الشعبية التي استطاع الكاتب أن يجمعها، فإن هناك حواديت أخرى، منها القصص المستوحاة من " ألف ليلة وليلة "، وقصص بطولات عنترة بن شداد، وأبو زيد الهلالي، وهي قصص تمجد البطولات، وممزوجة بمشاعرعاطفية فياضة، وكم قام الراوية في هذه الحكايات بصبغها بطابع سياسي حسب الفترة التي تتم فيها عملية حكيها.

وقد وجد المؤلف أن هناك حكايات شعبية عربية لها شبيه بالحواديت المعروفة في أوروبا، مثل حكاية " سندريللا " و " الأميرة النائمة " وقام يعقوب أرتين بجمع الحواديت الشعبية ذات الجذور اللاتينية الإغريقية ومنها حدوتة " الحصان الطروب "، وهي قصة أقرب إلى ما نعرفه عن"فيدرا " المرأة اليونانية القديمة التي وقعت في غرام ابن زوجها، ودفع الاثنان حياتهما ثمناً للإثم الذي ارتكباه.

وفي كتابه " **16** حدوته " عكف يعقوب أرتين على جمع حواديته من على ضفاف نهر النيل، وخاصة في مدينة القاهرة في نهاية القرن التاسع عشر ويقول الكاتب أن المدينة تعتبر المركز الفكري للإسلام، ومهد " ألف ليلة وليلة" ولذا قام باختيارها.

وفي كتابه " حكايات شعبية سودانية " استطاع يعقوب آرتين أن يقوم بجمع تسع عشرة حدوتة شعبية سودانية من مختلف أنحاء القطر، ابتداءً من القصص النوبية، وأغلبها تدور حول عبيط القرية الذي يعرف أشياء كثيرة.

ولاحظ أن القصص العربية التي سمعها في الخرطوم هي الأكثر أهمية حيث تقابل الجني الإفريقي والجني العربي معاً لأول مرة.

ويلاحظ في هذه القصص أن الحيوانات تلعب دوراً رئيساً، وأن الكلب يشغل مكانة مهمة أكثر من الأبقار، ويأتي الثعلب في المقام الثالث، يليه الأسـد بقوته والأرنب بغبائه، والغريب أنها نفس المكانة التي حظيت بها الحيوانـات في القصص الأوروبية، الغريب أن أحداً لم يذكر اسم يعقوب أرتين في أبحاثه الحديثة عن أصول الحكاية الشعبية، وبدا أن الكاتب قد تاهت أعماله لأنهـا مكتوبـة بالفرنسية رغم أنها عربية الموضوع، وهى غير مسبوقة بالمرة في آدابنا الشعبية..

ماريوس شُميل
(1956 . 1863)

كان جيلاً بأكمله..

فاللغة تخاطب، والإبداع يحتاج إلى طرف آخر يقرأه بنفس اللغة ويفهم نفس المفردات اللغوية، والمعاني المقصودة منها

وقد شهد النصف الأول من القرن العشرين في مصر أكبر مظاهرة إبداعية عربية للأدباء الذين يكتبون باللغة الفرنسية، ففي هذه الآونة لم يكن قد ظهر الأدباء المغاربة الذين يكتبون بالفرنسية، هؤلاء الذين بدءوا بكل قوة عقب بداية النصف الثاني من القرن.

ومن الوجوه البارزة في هذا النوع من الأدب الروائي اللبناني الأصل ماريوس شُميل، ابن الأديب المعروف أمين شُميل، والذي ولد في مدينة ليفربول عام **1863**م لأب يعشق الشعر، ويكتبه باللغتين الإنجليزية والعربية، وقد عاد الأب إلى لبنان، وفي بيروت درس الابن في مدارس العاصمة، قبل أن يشد رحاله إلى القاهرة عام **1885**م، أسوة بالكثير من عشاق الصحافة والأدب في تلك السنوات.

وفي القاهرة عمل ماريوس شُميل في أحد البنوك الصناعية، لكنه لم ينس الشاعر الذي يسكن أعماقه، فكتب المقال، والقصيدة، بالإضافة إلى ممارسة النقد الأدبي في الصحف المصرية المحلية الصادرة باللغتين الفرنسية والعربية.

وفي عام **1920**م أسس شُميل مجلة "مجلة العالم المصري " التي ظلت تستقطب أفضل الأدباء المصريين طوال ثلاثة أعوام، وقد تأثر الشاعر بفظائع

الحرب العالمية الأولى، وخصص عنها ديواناً بأكمله، وجاء هذا الديوان بمثابة إعلان حقيقي عن موهبة الكاتب وقدرته على التعبير.

وكان ماريوس شُميل هو أول كاتب عربي يقوم بتأليف كتاب عن الوجه الاجتماعي والتاريخي لمدينة القاهرة، وحصل عن الكتاب على جوائز كبرى منحها له الفنان المعروف واصف غالي، وهي جائزة تحمل اسمه.

أما أعمال الشاعر، فقد بدأت في عام **1895**م، حيث بحث الكاتب عن جذوره البريطانية التي انحدرت من مدينة ليفربول، واكتشف أن جده الأكبر يدعي أرثر شُميل، وأنه كان أحد الوجهاء في المدينة، أما في عام **1918**م، فقد نشر مسرحية شعرية من خمسة مشاهد بعنوان " الفيضان الأكبر " قام بالإشراف على ترجمتها إلى اللغة العربية، حيث قام بالترجمة أخوه، الكاتب والمترجم المعروف شبلي شُميل.

أما أول كتاب نشره باللغة الفرنسية خارج مصر، فكان يحمل عنوان " ضد النسيان "، حيث صدر عن الجامعة الفرنسية عام **1920**م، والغريب أن الكاتب توقف عن تأليف الكتب وقرض الشعر إلى نهاية حياته، وانشغل بالصحافة ولم يكن هناك استثناء في حياته إلا من خلال كتابه المعنون "القاهرة، تاريخها وحياتها، وشعبها " والصادر عن دار المعارف عام **1949**م .

يقول شُميل في كتابه هذا عن القاهرة أنه أثناء القرن الخامس عشر الميلادي كانت الحوانيت (أو الخانات) بمثابة أسواق التجار، وكان لأمراء المماليك أفكارهم الواضحة حول قيمة المنازل، فالبيوت تكتسب قوتها وثرواتها ممن يسكنونها فلك أن تقل من يسكن هذا البيت من أجل كشف هوية البناية، ثقافتها تراثها، لذا كان الأمراء المماليك يتنافسون فيما بينهم من أجل تشييد

أجمل البيوت، والوكالات، إذ إن التجار كانوا يعتبرون أن حوانيتهم يجب ألا تقل فخامة عن بيوتهم.

وكان " خان مسرور " هو الأكثر شهرة، في تلك السنوات، إنه يضم العديد من الغرف التي تحولت إلى تحف، ونزهة، تسر الجزائريين.

كان هذا الخان مقسماً إلى قسمين، الأول كبير، والآخر صغير، وهو مقام مكان أحد قصور الفاطميين، السابقة، حيث كان يباع الرقيق، وسرور هو اسم أحد عبيد الناصر صلاح الدين، وكان المبنى الكبير يضم العديد من الحجرات تصل في عددها إلى مائة حجرة، وكان بمثابة الملتقى الرئيسي للتجار القادمين من سوريا، وهو أكبر الخانات في تلك العقود والقرون على السواء.

أما الخان الثاني، فكان يحمل اسم بلال، وهو أحد أرقاء الملك الصالح ابن شقيق الناصر صلاح الدين، وقد اختاره السلطان قلاوون للسكن، وقد صار هذا العبد ثرياً بعد أن تم تحريره، وكان عاشقاً للشعر،وقد حرص أن يكون الخان بمثابة مستقر مريح للتجار الذين يتبادلون البضائع، ويثرون القاهرة بمعاملاتهم، وبضائعهم.

وقد وصف الكاتب القاهرة بأسلوب نثري متميز أقرب إلى الإبداع، لذا فإن هذا الكتاب يعد واحداً من الكتب الأكثر أهمية، باللغة الفرنسية، عن مدينة القاهرة.

رحل ماريوس شُميل عن عالمنا في عام **1956**م تاركاً وراءه أعمالاً قليلة لكنه بهذا الإبداع، يبقى أحد طلائع الأدب العربي المكتوب باللغة الفرنسية.

نية سليمة

(1878م- 1908م)

من يطالع سير حياة الأدباء العرب الذين كتبوا باللغات العالمية يكتشف أن هذه الفترة من التاريخ قد حفلت بأدباء من أصول أجنبية، جاءوا ليكتسبوا الجنسية المصرية، والهوية والثقافة، وكان على أكثرهم أن يتنازل عن اسمه الذى جاء به، وأن تكون له ألقابه الجديدة، ومنهم أدباء من تركيا، وأذربيجان، وفرنسا، وإيطاليا.

ولعل أشهر هذه الأسماء وأبرزها الكاتبة الفرنسية أيوجيني برين، التي جاءت من فرنسا كي تعيش في القاهرة، وتزوجت من أحد الأثرياء المعروفين باسم رشدي باشا، وتبعاً لمركزها الاجتماعي، فقد اختلطت بالمثقفين من كافة الأجناس، وكان زوجها يدعى إلى صالونه الأدباء المصريين، والأتراك والفلاحين، والأجانب، وقد غيرت أيوجيني اسمها إلى " نية سليمة " فكان اسماً وصفة في نفس الوقت، وذلك بعد أن أشهرت إسلامها.

وقد ارتبطت الكاتبة بوالديها الفرنسيين من خلال مجموعة من الرسائل المتبادلة تعتبر في الأدب المكتوب بالفرنسية، أحد الوسائل الأكثر بلاغة في الإبداع المكتوب، وقد وقعت هذه المراسلات بين يدي أحد الناشرين الفرنسيين، فسارع بنشرها.

هذا النجاح الذي قابله الكتاب الأول للكاتبة، دفعها إلى أن تكتب مجموعة من الروايات حول حياتها في القاهرة، وضعت فيها أسماء محددة لحل العديد من القضايا الاجتماعية، مثل تحرير المرأة، أي أنها كانت تقوم بنفس

الأفكار التي نادى بها قاسم أمين، لذا فإنها تعتبر من رائدات الحركات النسائية في مصر، والغريب أنها قد تم إلغاء دورها المهم في تاريخ الحركة النسائية المصرية، ربما من أجل إعطاء الدور الأول لقاسم أمين من ناحية وأيضاً لأنهم اعتبروها أجنبية، ومن المهم إسناد حركة تحرير المرأة إلى شخصية مصرية.

أما السبب الثالث، فهو أن نية سليمة قد توفيت عام **1908**م، عن عمر يناهز الثلاثين عاماً ، وهي السنة نفسها التي مات فيها كل من قاسم أمين، والزعيم مصطفى كامل.

في هذا العام نشر كتابها المهم " حريم مسلمات " باللغة الفرنسية في باريس، وهو رواية لا يكاد أحد يعرف عنها شيئاً، ومن المهم أن نقتبس جزءاً من هذه الرواية تحت عنوان " العمل القائم على الحرية ".

تقدمت امرأتان في حالة حداد وقد تلفعتا بشرائط من الدانتيلا السوداء والمسمى بالحبارات، الأولى تدعى نبوية، والثانية هي شقيقتها، العائدة لتوها من السودان، حامل، ومريضة،وعلى شفا الجنون، رفعتا خمارهما الأبيض، وتأملتهما السيدة نضير بدقة، قالت نبوية :

– صرنا أكثر سعادة، منذ أن تعلمنا كيف نعمل..

تساءلت السيدة نضير، مندهشة : حقاً ؟ فيم تعملان ؟

– نحن نعمل في الحياكة، ولسنا في حاجة إلى مال، لقد اشتريت لتوي ماكينة خياطة، وسوف نكسب حياتنا.

رددت السيدة نضير : أكاد أصدقكما. ألا يوجد أزواج في البلد.

– طبعاً هناك أزواج يتقدم لنا العديد منهم، لكنهم غير مناسبين وأبوانا يفضلان أن يريانا متزوجتين من جديد، لكننا رفضنا، هل تفهميننا ؟ سنظل على هذا الحال، عندما تريدين أن تجعلين خدمك يرتدون ملابس العيد يا سيدتي، فسوف نفصلها لك، بنصف الأسعار العادية.

هذا الحوار الذي يدور بين أرملتين صغيرتين في السن، مصريتين، يعكس الصورة الجديدة للمرأة المصرية في تلك الآونة، فالسيدة نضير، ابنة الحسب والنسب، تندهش أن امرأتين صغيرتين قررتا أن تعملا، حتى وإن كانت المهنة هي الحياكة، وهي ترى أن أفضل وظيفة للمرأة هي أن تكون زوجة، وتتساءل إن كان الوطن قد خلا من الأزواج، لكن المرأتين وجدت في العمل وسيلة شريفة للحياة، دون استناد اقتصادي إلى الزوج، وهذا النوع من السلوك هو الطريق الأول والصحيح نحو النسوية، أي أن الاستقلال الاقتصادي له دوره الرئيسي كي تعرف المرأة طريقها.

إذن، فالكاتبة في روايتها المكتوبة باللغة الفرنسية، تضع أسس تحرير المرأة المصرية واستقلالها، وهذه الرواية نشرت لكاتبة مصرية الإحساس، رغم أصلها الفرنسي، قبل الروايات الكثيرة التي ناصرت الحركة النسائية..

كما أن " مصرية " الكاتبة " نية سليمة " قد انعكست في المفردات اللغوية التي تعكس البيئة المصرية، حتى وإن كانت المفردات مكتوبة باللغة الفرنسية.

يوسف بطرس غالي

(1878م - 1958م)

ولد الأديب يوسف بطرس غالي في القاهرة في السابع عشر من إبريل عام 1878م، والتحق بمدرسة Sante Famille سانت فاميل التي كان يشرف عليها الآباء اليوسوعيين، وبعد أن انتهى من دراسته الأولى، سافر إلى فرنسا، ودرس القانون، أسوة بأبيه بطرس غالي الذي كان رئيساً للوزراء في نهاية القـــرن التاســـع عشر.

وعندما عاد يوسف إلى القاهرة، عمل في البداية في مجال القانون، ثم ما لبث أن حذا حذو أبيه فاشتغل بالسياسة.

وأثناء سنوات الحرب العالمية الأولى، أقام يوسف بطرس غالي في العاصمة الباريسية، واهتم بدراسة الأدب العربي في المدرسة العليا، كما استكمل دراسة أخرى في العلوم الاجتماعية، وكتب العديد من الكتب باللغة الفرنسية.

وبعد عودته إلى مصر، عاود العمل في السياسة، وقد قاده هذا النشاط أن يصبح وزيراً للشئون الخارجية، ويعود إليه فضـــل تأســـيس جمعيـــة الصـــداقة الفرنسية المصرية، الذي أنشأها عام 1936م، وكان هدفها زيـــادة التعـــاون الثقافي والفكري بين الثقافتين العربية والفرنسية، وتعضيد دور الأدبـــاء الـــذين يكتبون باللغة الفرنسية، كما أن الجمعية دعمت أيضاً العلاقات الاقتصادية بين فرنسا ومصر، وقد انضم إليها العديد من المصريين.

وعندما اندلعت الحرب العالمية الثانية، عاد مرة أخرى إلى باريس، وعاش في ظل الاحتلال النازي لفرنسا، دون أن يمارس أي نوع من النشاط السياسي، لكنه اهتم بتحصيل الكثير من الثقافات الفرنسية الأدبية.

وعقب نهاية الحرب عاد إلى مصر، وتم تعيينه قنصلاً إدارياً لمؤسسة قناة السويس ثم حصل على مقعد في البرلمان بعد تعيينه في المنصب، في عام **1950**م، وبدأت صحته تعتل، ففضل الاستقالة من عمله، ومن الحياة السياسية، كي يتفرغ للأدب، حيث ظل يكتب دون انقطاع حتى وافته المنية في **18** يناير عام **1958**م .

نشر يوسف بطرس غالي روايته الأولى " حديقة الزهور " في عام **1913**م، وقدم للرواية الكاتب الفرنسي ا لمعروف جيري لوميتر، وفي عام **1919**م، قدم كتابه " العادات البدوية عند العرب "، ثم نشر روايته "الجواهر اللامعة " عام **1923**م.

في عام **1960**م، وبعد رحيل يوسف بطرس غالي بعامين، صدر كتاب عنه باللغة الفرنسية تحت عنوان " واصف بطرس الكاتب " عن المعهد الفرنسي للدراسات الأثرية الشرقية وهو الكتاب الوحيد عن إبداعه.

وسوف نقوم بترجمة مقطع من روايته الشهيرة " الجواهر اللامعة " للتعرف على عالم الكاتب، وأبعاده.

حمل سكان القصر فوق أكتافهم، وتعدني كي يلقوا بي في حفرة، ثم قاموا بردمي بالتراب واختفوا عن الأنظار، وتركوني وحيداً.

وعادت الروح إلى امتلاك الجسد، ورأيت اثنين من الملائكة يقولان لي : " يا عدو الله، استيقظ مما كنت عليه في بيت الدنيا، دون أعمالك في بيت الدنيا".

قلت : " أين كلامي ؟ أين أوراقي ؟ أين مدادي ؟

قالا : أوراقك، كف يدك، ومدادك زمنك، وريشتك هي أصـــبعك.. ثم راحا يمليان عليّ كل ما فعلته فوق الأرض. بينما لم أكف عن التـــأوه، وأنـــا أ تذكر أخطاء الماضي.

يا للبائس أنا، كم من جريمة، وأسفاه على اليوم الذي تسقط فيه الأقنعة، ويحاكمنا الله المنتقم..

يعبر هذا المقطع عن الحس القوي بالإيمان بالحياة الأخرى لدى الكاتب، فهو يتذكر كافة ما حدث له في الحياة، كما أن الكاتب يحذر البشر من مصيرهم الذي ينتظرهم لو هم أساءوا استخدام الحياة التي منحهم الله إياهـــا. فالروايـــة تتحدث عن مصير الإنسان الخاطيء بعد أن تقوم الملائكة بحســـابه في المقـــبرة وإدانته، حيث يحملونه إلى مصير بائس.

ويروي الكاتب أن الشيطان هو العدو الرئيس للإنسان، وهـــو الـــذي يوسوس له بما يفعل، وهولن يعضده عند الحساب، أو العقاب.

ألبير عدس
(1893م -1921م)

أغلب الأدباء المصريين الذين كتبوا باللغة الفرنسية عاشوا بين مدينتين كبيرتين، وتلقوا تعليمهم في مدارسهما، هما القاهرة وباريس.

ومن هؤلاء الأدباء ألبير عدس المولود في القاهرة عام **1893**م . وفي هذه المدينة تلقى علومه الأولى، حتى إذا حصل على البكالوريا رحل إلى باريس من أجل استكمال الدراسة، وأغلب هؤلاء الذين سافروا من القاهرة إلى باريس كان القانون هو هدفهم، فدراسة القانون في تلك الآونة هي أقصر السُبل نحو المناصب السياسية.

لكن ألبير عدس، ابن أسرة عدس الشهيرة بمحلاتها الكبرى، لم يكن يطمع في العمل السياسي، ولا في ممارسة العمل القانوني، بل اتجه مباشرة إلى الأدب، والفلسفة.

وقد عاش ألبير في باريس طوال الحرب العظمى، وهناك اعتلت صحته، ولم يحتمل الحياة الطويلة، فمات في عام **1921**م وعمره لا يتجاوز الثامنة والعشرين..

وعقب وفاته، قامت أرملته بدور كبير في توزيع أعماله على الناشرين الفرنسيين، ونجحت في أن تنشر بعض هذه الأعمال، بينما بقت أعمال أخرى كمسودات، ومن بين كتبه المنشورة هناك " الملك العاري " عام **1922**م، ثم " عدس في منزل برجسون " عام **1949**م، أما الأعمال التي صدرت ضمن منشورات خاصة فمنها " كتاب جحا البسيط "، الذي صدر ضمن منشورات مجلة المؤتمرات الفرنسية في الشرق، عام **1937**م .

ومن المهم أن نتعرف على نموذج من إبداع ألبير عدس من خلال قصة قصيرة تحمل عنوان " أبو الهول "، لم يسبق نشرها، وظلت حتى الآن ضمن مسودات أعماله، وقد نشرت مرة واحدة في كتاب " الفرنسية في مصر " من تأليف جان جاك لوتي.

"كنت طفلاً تقريباً عندما توجهت لأول مرة إلى سنوبيت، كان رجلاً عجوزاً، قام باستقبالي في ترحاب، قال لي، إذا أردت أن أعلمك الحكمة.. فكن على مقربة مني بعض الوقت، كانت رأسي صغيرة، فأمسك بها، ومنحني سريراً يشبه سريري في بيتي، محفوراً في الرمال.

في اليوم التالي، وعند الفجر، تكلم إليّ قائلاً : لا تطلب مني نظاماً، أو أفكاراً، يمكنك أن تضع عقيدتك بنفسك، أريد فقط أن أعد روحك بالاعتماد على ذاتك.

وخرجنا من الكوخ، كانت الصحراء ممتدة أمامنا على طول اتساعها، قال العجوز لي : هكذا يجب أن تشرق الشمس كما اعتادت، انتظرها، عندما ستراها، اتبعها بناظريك، واترك نفسك، ساكناً، وبلا أي كلمة، إذا أصابك الألم، انظر إليها بلا توقف.

وما لبثت السماء أن سطعت، وماتت كل النجوم، وظهرت الشمس، إنه أمر شديد السحر بالنسبة لي، أتبع الشمس وهي تشرق ببطء، تصعد شيئاً فشيئاً مشرقة، وهي تسكب ضياءها في الكون، وتولد النهار فوق البسيطة وانحنت المدينة في الوادي مطلقة ظلالها في حناياها.

وما لبثت الرأس أن صارت ثقيلة، وامتلأت العيون بالدموع، وأحسست بالألم يتملكني، وارتعشت أوصالي، وأحسست كأن ألسنة اللهب تنهال من السماء، وتمزق الفضاء، وتغوص في رأسي.

وسرعان ما أخفضت رموشي وأنا أتحسس بانهيار وجودي.

وعندما عدت لأفتح عيني، ظللت مفعماً بالدهشة، كانت الشمس تنتشر بين البنايات تضيئها، وتغوص وسط الصافور، لا تكاد تترك مساحة صغيرة إلا وتغشاها".

والكاتب كما نرى من عشاق الطبيعة، أسوة بالعديد من الكتاب الذين كتبوا باللغة الفرنسية في نفس الحقبة، وعلى رأسهم يوسف بطرس غالي.

قوت القلوب

(1892م - 1968م)

قوت القلوب الدمرداشية هي واحدة من شهيرات الكاتبات المصريات اللاتي يكتبن باللغة الفرنسية، كما أنها من أوائل سيدات المجتمع المصري اللاتي آمن بقيمة الكلمة، وفتحت بيتها ليكون صالوناً أدبياً يأتي إليه أبناء المجتمع البارزون من الرجال والنساء.

ولم تكن قوت القلوب امرأة متفرنسة،بل هي امرأة مصرية، سواء في الدور الذي قامت به اجتماعياً، أو في أدبها الذي لم يجد طريقه إلى اللغة العربية، مما ساعد على أن تصبح مجرد شخصية هامشية، بل يكاد لا يكون لها وجود في خريطة هذا الأدب، والسبب بالغ البساطة، أن رواياتها، وقصصها القصيرة لم تترجم حتى الآن إلى اللغة العربية شأنها في ذلك شأن كل أقرانها الذين كانت هناك أيدٍ خفية لوضعهم على الهامش بحجة أن لغة الإبداع عندهم غير عربية.

ولذا، رمت السنون الطويلة، دون أن ينتبه الناس إلى هذا الأدب، وأصبح من الأهمية بمكان إلقاء الضوء على هؤلاء الكتاب، وخاصة أن المراجع التي يمكن للمرء الرجوع إليها لمعرفة المزيد عن هؤلاء الأدباء كثيرة باللغة الفرنسية.

وتكاد تكون قوت القلوب هي الأديبة الوحيدة التي ارتبطت رواياتها بالأجواء الشرقية، وعالم النساء في الحريم، وقد امتزجت أجواؤها أيضاً بالصوفية، وهو ليس أمراً غريباً على امرأة عاشت في أسرة متصوفة شهيرة.

وقوت القلوب المولودة في أواخر عام **1892**م تنتمي إلى أسرة تنحدر من سلالة أحد أمراء المماليك، هذا المملوك بدوره قادم من القوقاز مع العثمانيين الذين أتوا إلى مصر عام **1517**م ، وقد حملت هذه الأسرة اسم "تميور تاش" والذي تحول بمرور الوقت إلى الدمرداشية، وتقول عن أبيها في روايتها "ليلة المصير" المنشورة في باريس عام **1954**م "كان معروفاً بحكمته، ينمي فينا حب عاداتنا، دون أن يعرفنا أهمية التربية الحديثة، فإلى أبي الذي ظل شيخاً طوال سبعين عاماً وأعطاني النموذج الحي للرحمة".. وقد كتب ناصر الدين النشاشيبي فصلاً عنها في كتابه: "نساء من الشرق الأوسط" قال فيه "إنها من عائلة رائدة في التصوف، وكانت الطريقة الدمرداشية في التصوف تمتاز بالتربية الذاتية، والخلوات الفردية، والتعبد الفردي، إنها مجرد واحدة من بين أكثر من ستين طريقة دينية صوفية في مصر، كما استمرت الطريقة الدمرداشية كغيرها من الطرق الصوفية المصرية تحاول أن تجمع في مسلكها وتصرفات أنصارها وخطوات المسئولين فيها شيئاً من مظاهر الاحتفالات الدينية الصاخبة التي يسيطر عليها التطرف في الأداء، والصخب في الصوت، والضجيج في الابتهالات، مع الحرص على المساهمة في خدمة المجتمع، ورعاية الفقير وتعليم الأولاد".

لقد عاشت قوت القلوب الدمرداشية وهي تسبح عكس التيار بالنسبة لانتمائها الصوفي أو مسلكها العام أو تصرفاتها الشخصية.

كانت قوت القلوب هي الابنة الوحيدة للشيخ عبدالرحمن الدمرداش الذي كان يعتبر نفسه شيخ الطريقة الدمرداشية في مصر، وكان على جانب كبير من الثراء، لذا نشأت في جو مليء بالرفاهية وبعيد عن الزهد والتقشف،

فتزوجت من رجل مصري يقل عنها وجاهة وثراء، كما يقـــول النشاشـــيبي، فاحتفظت بحق العصمة في يدها، ورزقت منه بثلاثة أولاد وبنت واحدة.

وعندما مات أبوها ترك لها ميراثاً ضخماً، ومستشفى خيرياً خاصاً يحمـــل اسمه لا يزال يقوم بدوره في المجتمع حتى الآن، مما مكن "قـــوت القلـــوب " أن تتسلح بأرفع ما تتمناه الفتاة من علم وثقافة وإجادة للغات الأجنبية..

وقد تسلحت الكاتبة بأمرين ساعداها على أن تحقق طموحها، الأول هو المال، أما الثاني فهو ثقافتها، وفي كتاب "الأدب الناطق بالفرنســية منـــذ عـــام **1945**م " أن قوت القلوب أقامت صالوناً أدبيـــاً للأدبـــاء الـــذين يكتبـــون بالفرنسية.

دخلت الكاتبة عالم الأدب بعد أن تجاوزت الخامسة والأربعـــين في فتـــرة أصبح فيها دخول المرأة المصرية إلى الشارع والمجتمع قوياً، ونشـــرت روايتـــها الأولى عام **1937**م في دار المعارف باللغة الفرنسية تحت عنـــوان " مصـــادفة الفكر"، وفي نفس العام نشرت روايتها " حريم " في دار جاليمار.

وقد تنوع عطاء الكاتبة بين الرواية والقصة القصيرة واليوميـــات ومـــن رواياتها: زنوبة (جاليمار **1940**م) والخزانة الهندسية (جاليمار **1951**م) والتي كتب مقدمتها الروائي المعروف جان كوكتو.. ثم "ليلة القـــدر" عـــام **1954**م (جاليمار)، وفي نفس دار النشر قدمت "رمزة"عام **1958**م، و"حفناوي الرائع" عام **1961**م، وهو نفس العام الذي كفت فيه عن الكتابة. أما قصصها القصيرة فهناك "ثلاث حكايات عن الحب والموت"عام **1945**م، وعقب مصرعها علـــى يد ابنها باثني عشر عاماً أي عام **1980**م نشرت يوميات الكاتبة المصرية تحت عنوان "ليالي رمضان" بالإضافة إلى مجموعة من القصص التي لم تنشر من قبل.

ولعل المرة الوحيدة التي تعرف فيها القاريء المصري على قوت القلوب هي في عدد شهر ديسمبر عام **1949**م من مجلة " الهلال " حين نشر ملخص لروايتها " زنوبة "..

أما الباحثون المصريون فقد تعرفوا على قوت القلوب في حدود ضيقة من خلال الدراسة التي نشرتها المكتبة الفرنسية المصرية بالقاهرة عام **1985**م تحت عنوان " قوت القلوب أو رؤية مصر الأمس " أعدتها الدكتورة سونيا إبراهيم عقداوي، والتي حللت فيها أدب الكاتبة.

في كتابها " ليلة القدر" تتكلم قوت القلوب عن نفسها قائلة : " لقد ولدت تحت أقدام مئذنة، والتي كانت أول شيء رأيته، فأحسست بها كأنها أصبع يشير إلى السماء، أما أول شيء سمعته فهو اسم الله يتردد خمس مرات يومياً بصوت المؤذن فينشي روحي ".

وكما جاء في مقدمة كتابها " ثلاث قصص عن الحب والموت " التي كتبها أندريه موروا، أن قوت القلوب قد ربت أبناءها تربية دينية حسب الشريعة الإسلامية، كما تلقوا أيضاً أسس العلوم والفنون الغربية، وكان بيتها مزاراً لكل كتاب العالم الذين يأتون إلى القاهرة أمثال فرانسوا مورياك، وأناطول فرانس.

وترى الدكتورة سونيا إبراهيم في دراستها أن قوت القلوب لم تكن كاتبة "واقعية "، ولكنها اختارت من الواقع عناصره الرئيسة، وكانت بطلات رواياتها من نساء المجتمع البرجوازي.

من هؤلاء النساء هناك زنوبة، ورمزة، وغيرهما، وزنوبة امرأة تعيش في بداية القرن العشرين تنتمي إلى أسرة فقدت عائلها، هي فتاة جميلة، كان عليها أن تتزوج رجلاً على عتبة الشيخوخة، ولكنها فوجئت أن هناك نسوة في المترل

يسعين إلى إفساد هذا الزواج، وعندما تم القران أصبح الرجل الذي ارتبطت به مربوطاً ربط الخيط بالمقص، وفي ليلة الزفاف لم يوجه العجوز إلى زوجته كلمة غزل واحدة، وقضى ليلته ممدداً على مقعد طويل.

وعندما أقبل الصباح لم تجده في حجرتها، فقد مات العجوز، وهكذا ظلت عذراء في ليلة عرسها وهي الأرملة الصغيرة، وبعد عدة أشهر تتزوج من رجل يدعى عبدالمجيد، كان كل همه أن تنجب له ولداً، لكنها لم تحمل بالسرعة التي تحدث للنساء في البيوت المجاورة، فراحت تدعي أنها حامل، ولم تكن كذلك، "فلم يتطرق الشك إلى ذهن أحد ممن كانوا يرونها ويراقبون تطور حالتها " إلى أن ذهبت إلى بيت أبيها لتضع مولودها فيه جرياً على العادة المتبعة، فإذا بالمولدة تقدم الطفلة الوليدة لحماتها، فأسرعت زنوبة إلى أسرتها، ثم عادت مرة أخرى إلى منزلها، وعند الميلاد تشعر بمشاعر جديدة "اقتربت الأم الشابة من طفلتها الصغيرة وحملتها بين ذراعيها وضمتها إلى صدرها، وقدمت لها صدرها، وارتفع أصوات النساء بالزغاريد..

لكن الفرحة لم تكتمل، فليس الإنجاب هو المهم في هذا المجتمع، بل أيضاً إنجاب الذكور، فالويل كل الويل لمن ليس له ولد ! والويل ألف مرة للمسكين الذي لم ينجب ذكراً، إن نعشه يحمله الأغراب، ولن يجد المعزون في بيته من يوجهون إليه العزاء..

والحرية هي أحد المسائل البالغة الأهمية في روايات قوت القلوب خاصة حرية المرأة، فالمرأة الشرقية مسورة بقيود تمنعها من حريتها ، وأم "رمزة" على سبيل المثال كانت في سن تسمح لها بالمغامرة، ولكنها سرعان ما دخلت إلى حريم الأمير، ولأنها فتاة ذكية، فقد حصلت على حظوته، وعلى مكانة طيبة داخل الحريم، ولكن ابنتها راحت تتمتع بحريتها، وقد بدا ذلك واضحاً من

خلال ترددها على المكتبة، واستيعاب المعرفة، وهي تعتبر نموذجاً مخالفاً لزنوبة، فهي فتاة ذات استقلال خاص، وطموح، حيث ترفض ألا يراها زوجها قبل الارتباط.

وفي روايتها " الخزانة الهندسية " نرى نموذج عائشة الريفية البسيطة التي كان من حسن حظها أن تربت مع ابنة رضوان بك في القاهرة، ولذا فهي لا تتصرف كخادمة، ولكن كابنة لرضوان، وقد استطاعت أن تجذب انتباه المجتمع من حولها، وهي تهوى الموسيقى وتجيد العزف على العود، مما دفعها أن تصبح مطربة مشهورة، وتجيء أهمية نموذج عائشة ليس فقط من أنها تحررت من القيود الاجتماعية البالية، لكن في أنها أصبحت مثالاً يحتذي به للكثير من الفتيات .

وقد رأت رمزة أن خلع الحجاب ليس أبداً تمرداً على الدين ولكنه حالة من الانفصال عن سطوة الرجل الذي ينظر إليها نظرة جنسية..

زنوبة في بداية الرواية التي تحمل الاسم نفسه، في السادسة عشر من عمرها، فتاة رائعة الجمال، غزاله تعيش مع أسرتها في بداية القرن التاسع عشر، وبراعة الرواية في وصف عالم النساء الخاص، حيث يبدو الرجل شخصاً ثانوياً، فالنساء اللاتي يرتدين الملاءات والأحجبة، سرعان ما يتزاحمن على العروس ويتأملن فستان الزفاف الأحمر ذا الأكمام الواسعة المطرزة بالذهب،.. والحذاء الأحمر الرقيق. وزنوبة تبدأ بالقيام بإدارة شئون المترل، فأجادت مهمتها تماماً.. باعتبار أن إدارة البيت وإنجاب الأطفال وتربيتهم حتى يكبروا ليست سحراً بالتأكيد، وقد تزوجت زنوبة مرتين، وهي في منظور الكاتبة فتاة ذكية وعاقلة وتعلم بداً أن الزواج لا يجلب معه السعادة فقط، بل أيضاً الألم ولم تعلم هي ذلك بنفسها منذ أربعة أشهر فقط.. وهي لا تشعر بأدنى رغبة في مغادرة مترل

العباسية لأنها سعيدة فيه كما يجب، فأخت زوجها سيدة رقيقة وهـــي تطيعهـــا كأمها، وهي وابنتها زخرة متفاهمتان بشدة.

وتعاني زنوبة من العقم، فتذهب إلى المساجد، وتصف قوت القلوب هذه الأجواء بالتفاصيل: "لم يتبق أمام زنوبة شيء غير أن تستسلم وتطيـــع. عندئـــذ سارت متمهلة متراخية خلف الأخريات في أدب، دارت سبع مرات حول قبور الأولياء، وفي كل مرة كانت تضغط ببطنها على الحجر الأمامي عندما تصل إلى الأعمدة القوقازية وتمهم ".

"اللهم ارزقني ذكراً يا رحمن يا رحيم " وتركت الرجل يضـــع القـــرآن، واهتزت على حزام الشيخ، وفي نهاية المطاف استجمعت قواها وأخذت نفســـاً عميقاً، وألقت بنفسها على الأرض، وأخذت تتدحرج إلى الخارج".

أما "رمزة" بطلة الرواية التي تحمل نفس الاسم فهي فتاة في الرابعة عشـــر من العمر عليها ألا تكشف وجهها قط عندما تخرج من المترل، خاصة عنـــدما تدخل سلاملك أبيها، وهي تعيش في مدينة الإسكندرية التي يعيش فيهـــا أبنـــاء جنسيات عديدة، وتتفاوت مسألة الحجاب بالنسبة للفتاة حسب الأمور، فعندما تترل إلى الحديقة، عليها أن ترتدي حجاباً ثقيلاً حتى لا يراهـــا أحـــد، أمـــا إذا ذهبت إلى صديقاتها الفرنسيات فيجب أن ترتدي حجاباً أبيضاً خفيفاً، وهي لا تخفي أنه يسبب لها ضيقاً ويعرقل حركتها.

تقول الكاتبة أن "رمزة" ولدت في حريم عائلة غنيـــة، ترعرعـــت بـــين الجاريات، جاريات من كل نوع.. زوجة أو خادمة.. بيضاء أو سوداء.. صغيرة أو عجوز.. كلهن تم شراؤهن أو كـــن جنـــات جـــوار لأخريـــات، والآن تم تحريرهن، عشن أيضاً مثل الأخريات، في عالم غـــامض ينتـــهي عنـــد أســـوار

الحرملك، ولم تكن أي منهن تعرف شيئاً عم يدور في الخـارج. بـالرغم مـن الساعات الطويلة التي كن يقضينها خلف المشربيات، وكل علاقتـهن بالعـالم الخارجي، تتوقف عند حدود ما يرين من خلف المشربيات، وهو أقل بكثير ممـا يحدث في الحياة اليومية في الحي.. ويصبح الوجه الجديد أو الحركـة العاديـة، أحداثاً مهمة لابد من مناقشتها بجدية.

وتصف الكاتبة هذا العالم قائلة: " كان مجتمع هؤلاء النسوة مغلقاً تمامـاً. وفي كل يوم تتكرر أعمال مترلية معتادة، وإيقاعه يحدوه أذان المؤذن عندما يحين موعد كل صلاة، ولا تتحطم الرقابة إلا حين تصل أنثى جديدة إلى الحـريم.. أو حين تتغير الأحوال بين اثنتين من الصداقة إلى العداوة، أو إذا ما حدثت مشادة، دسيسة، مرض، موت، غيره، إن هذا ما كان يعطي للحياة هنا طعماً ".

وتتحدث البطلة رمزة عن نفسها أنها مولودة في ظهيرة يوم شم النسـيم، شمس ساطعة وزهور جميلة.. طبل وزمر.. لم تستطع أمها أن ترضعها، بحثوا عـن مرضعة، جدها هي أول من فكرت في تعليمها، أحضرت الأستاذ حنفي الشيخ النحيل العجوز لتعليمها، إنه صاحب الكتاب القريب، أحضر لها أبوها كتـاب أساطير تشارلز بيو التي كانت قد سمعتها عن طريق جدها، إنها سـيرة ذاتيـة للكاتبة التي كان دخولها المدرسة حدثاً احتاج نقاشاً عدة شهور، وعندما تكـبر يكون باستطاعتها الزواج دون موافقة الأب، يقول لها الشيخ أن العشاق نادراً ما يكونون أزواجاً سعداء..

وقد وصفت قوت القلوب حالة العبودية التي تعيشها بعض النساء بعـد الزواج في قصصها ورواياها وخاصة في "رمزة"، لكن هذه المـرأة لا تلبـث أن ترفض أن يقوم الرجل بتعريتها حين ينظر إليها، فهي ليست حيواناً ولكنها كائن يفكر ويحس، وسلوك رمزة يثير قلق أمها التي تقـول لهـا: "سـتفعلين مثـل

الأخريات يا ابنتي؟ سيقولون لأنك ذهبت إلى المدرسة.. ولأنك تعلمت، تريدين أن تحطمي تقاليدنا "، لكن الفتاة لا تود أن تعامل كسلعة، فقد مضى عهد استعباد المرأة، وتقرر أن تقوم باختيار زوجها بنفسها، ولأن مسألة اختيار الزوج صعبة في هذا المجتمع فإنها تردد: "عندما تودين حلية فإنك تذهبين إلى الجواهرجي، وعندما تودين مسكناً، تسألين سمساراً، وإذا رغبت في زوج فيجب أن تكوني قادرة وماهرة في الاختيار ".

وأغلب نساء قوت القلوب لا يقفن موقفاً سلبياً في المجتمع، فـ " رمزة " تتعلم القراءة والكتابة أيضاً في "الكتاب " ثم تتطور في تحصيل المعرفة، وتصادق الفرنسيات، وتحب رجلاً يدعى ماهر وتبدو واضحة وهي تعبر له عن مشاعرها، ثم تتزوجه ضد رغبة أبيها، وتكون الصدمة أن زوجها يرفض أفكارها المتحررة.

هذا هو بعض من عالم قوت القلوب والذي كتب عنه أدباء مشاهير من طراز أناطول فرانس، وأندريه موروا الذي رأى أن عالمها أقرب إلى ما قدمته لنا الكاتبة النيوزلندية الشهيرة كاثرين منسفيلد، في طي حديثه عن المجموعة القصصية "ثلاث حكايات عن الحب والموت "نظيرة، زهيرة، ظريفة، هؤلاء البنات البائسات الثلاث قد قمن بتعريفي الكثير عن مصر، أكثر مما أعرفه عن إنجلترا، عن نساء كاثرين مانسفيلد، أو مما تعلمته عن نساء فرنسا كما كتبت كوليت.

أحمد راسم
(1895م - 1958م)

يشكل أحمد راسم ظاهرة تستحق التأمل فيما يتعلق بالأدب العربي المكتوب باللغة الفرنسية، وهي أنه كان متمكناً من اللغة العربية قدر لغته الفرنسية ومع ذلك فقد فضل كتابة قصائده باللغة الفرنسية، وكان ينشر أعماله في أضيق حيز ممكن، حيث لم يكن ينشر أو يطبع أكثر من **500** نسخة فقط من دواوينه،

ولذا فإن مؤلفاته المكتوبة بالفرنسية لم يقرأها إلا نخبة قليلة من أصدقائه الملمين بالفرنسية، ولم يترجم شعره قط إلى اللغة العربية في كتاب، فبدا وكأنه رقص بالفعل على السلم، فلا هو نشر أدبه على مستوى عالٍ في فرنسا مثلما فعل أقرانه من الأدباء الناطقين بالفرنسية، وكذلك لم يسع إلى ترجمة هذا الأدب إلى اللغة العربية.

والجدير بالذكر أن راسم يعد من أوائل الأدباء العرب الذين نالوا جوائز في فرنسا، فقد منحته الأكاديمية الفرنسية جائزة خاصة تقديراً لشعره في عام **1954**م.

نشأ أحمد راسم في مدينة الإسكندرية، حيث كان الثغر مليئاً بأبناء الجاليات الأجنبية الذين يتحدثون لغات عديدة، وقد كان ميلاده في عام **1895**م في أسرة مصرية تصاهرت مع عائلة تركية، وقد نبغ بعض أفراد هذه الأسرة في الفنون والآداب، واشتهر البعض الآخر بالوظائف الإدارية العليا مثلما سيحدث مع راسم نفسه حيث تبوأ، كما سنرى، العديد من المناصب في السلك الإداري.

التحق أحمد راسم بمدارس الإسكندرية الفرنسية، وقد كتب الشاعر السكندري نيقولا يوسف مقالاً عنه في عدد شهر يونيو عام 1969م من " المجلة "قال فيه إنه " أجاد اللغتين العربية والفرنسية ودرس أدبيهما، ثم تلقى العربية على يد أستاذٍ خاص، والتحق بمدرسة رأس التين الثانوية، ثم درس القانون بمدرسة الحقوق ".

وكان منذ عهد التلمذة شغوفاً بمطالعة الكتب، الأدبية والفلسفة والعلمية، في اللغات العربية والفرنسية والإنجليزية، ويبدو أثر هذه المطالعات في كتاب طبعه في الإسكندرية عام 1916م وهو في نحو العشرين من العمر.. وسماه " الدين والإنسان ": الجزء الأول (وضع بالفرنسية ثم ترجم وروجع) وجعله في قالب حوار قصصي أو مناظرة تتخللها صور وأوصاف فكهة بين فيلسوف مادي ملحد، وطالب روحاني مؤمن.. ثم بين الشك واليقين. ووردت في الحوار أسماء وآراء لبرجسون، ومونتاني، وألكسيس كاريل، والعلماء سوس وبسكال وجوستاف لوبون، كما ترد تجارب كيماوية، ونظريات فلكية، وآراء علمية كانت ثابتة فتغير، يستشهد بها الماديون..

فهذا الكتاب على صغر حجمه مع براعة حواره يدل على اهتمام مؤلفه أحمد راسم منذ صباه بالمسائل الفلسفية والنظريات العلمية، ثم بترجيح الإيمان والروحانية على الإلحاد والمادية، في حين كان أمثاله من أبناء الأعيان يعمهون في وديان أخرى [1].

ويقول بشير السباعي أن أحمد راسم قبل أن يتم العشرين من عمره كان قد قرأ وحفظ، عن ظهر قلب، الكثير من أعمال الشعراء الكلاسيكيين العرب

---

[1] أحمد راسم، نيقولا يوسف، المجلة، يونيو 1969م، ص 42.

والفارسيين والهنود واليونانيين واللاتينيين، إلى جانب الكثير من أعمال الشعراء المحدثين الشرقيين والغربيين على حد سواء.

وفي عام 1915م، أحب أحمد راسم فتاة صغيرة اسمها نيسان لكن الموت سرعان ما فرق بينهما، فسافر إلى أوروبا [1].

وقد عشق أحمد راسم الفن التشكيلي وهو في هذه السن، فصادق الفنان المعروف محمود سعيد، ثم بدأ يبدع باللغة الفرنسية، وحسب نيقولا يوسف "كان سبب اتجاه راسم للإبداع باللغة الفرنسية أنه كان يتقنها ويطلع على أدبها، وتعرفه إلى الأوساط الفنية والأدبية بالإسكندرية، فكان أن اتخذها أداة للتعبير في معظم إنتاجه الأدبي الغزير، ونظم بها جل أشعاره المتسمة بالطابع الشرقي، في أسلوب بارع لا يقل روعة عن أسلوب شاعر فرنسي كبير أصيل، وبدأ ينشر شعره في الصحف والمجلات الفرنسية بمصر، ومنها مجلة "مصر الحديثة "، و"الصحف الأسبوعية المصرية" كما في غيرها [2].

أحمد راسم، إذن، كان يكتب بالفرنسية وهو في مصر، وبدا وكأنه يعيش في بلاده بجسده فقط، فلم تشر أي من المراجع التي بين أيدينا أنه كان على صلة بالمثقفين المصريين الذين يكتبون باللغة العربية، بل صادق النقاد الفرنسيين، وتعرف على أبناء الجاليات الأخرى من المثقفين الذين ترجموا أعماله إلى لغاتهم مثلما فعلت الشاعرة اليونانية السكندرية إليزابيث بسارس، كما شارك في تحرير مجلة " الأسبوع المصري " التي كانت تصدر في القاهرة في العشرينات وهي من تمويل كاتب يوناني يدعى ستافروس ستافرينوس، لدرجة أن " المجلة " قد

[1] أحمد راسم، بشير السباعي، مجلة القاهرة، أكتوبر 1990م، ص 35.

[2] أحمد راسم، نيقولا يوسف، مرجع سابق، ص 43.

خصصت عن شعر أحمد راسم عدداً خاصاً في عام 1926م، وقامت نفس المجلة بإصدار ديوان لراسم يحمل عنوان " وجدتي تقول أيضاً " في عام 1930م ويعتبر هذا هو الديوان الثاني للشاعر حيث كان قد أصدر في عام 1927م ديوانه الأول تحت عنوان " كتاب نيسان Le livre de Nyssane " الذي استوحى أشعاره من حبيبة مرحلة الصبا " نيسان "..

في تلك الآونة كان أحمد راسم يتدرج في الوظائف، وقد ساعده في سرعة الترقي إتقانه للغات الأجنبية بالإضافة إلى ثقافته ووسامته، فعمل في السلك الدبلوماسي في العديد من عواصم العالم، في كل من إيطاليا وأسبانيا وتشيكوسلوفاكيا، وساعده ذلك على الاتصال المباشر بثقافات أخرى. وكثيراً ما ارتبط بصداقات مع أبناء هذه البلاد خاصة الأدباء والمثقفين.

وعندما عاد إلى مصر عام 1928م عمل في مناصب إدارية عليا فكان سكرتيراً عاماً لرئاسة مجلس الوزراء، ثم وكيلاً لمحافظة القاهرة، ومحافظ لمدينة السويس في عام 1941م، كما عمل بعد ذلك مديراً لإدارة المطبوعات، وكان آخر هذه الوظائف مدير عام مصلحة السياحة المصرية عام 1952م، ثم ما لبث أن ترك الوظيفة كي يتفرغ لأدبه حتى وفاته في يناير عام 1958م.

ويقول نيقولا يوسف أن أحمد راسم قد " عرف خلال تلك الوظائف المختلفة، في بلاده وخارجها، بوطنيته والاعتزاز بعروبته، فكان يضع دائماً مصلحة وطنه ومواطنيه فوق كل اعتبار. وكان في الوقت نفسه موضع تقدير المواطنين والأجانب معاً " [1].

---

[1] أحمد راسم، نيقولا يوسف، المجلة، 1969، ص 42.

تنوع نشاط راسم الكتابي بين الإبداع الشعري باللغة الفرنسية،وهو نشاطه الغالب، وبين الترجمة والنقد، وفي أشعاره النثرية التي نشرها في دواوين مثل " قصائد العذارى "عام 1925م، و "جدي يقول أيضاً " عام1930م، و " زمبول"ثم "يقول أيضاً " عام 1932م و " أحمد يقول "، وتبدو مدى حميمية الشاعر مع الأشخاص الذين عاش معهم، خاصة أبناء أسرته، فقد كتب من أجل جدته الشركسية الأصل والتي كانت تدعي زنجحيل – أي لون الورد باللغة التركية – بعض الكلمات في ديوانه الأول، " كتاب نيسان " وهو شعر منثور، بينما أطلق اسم مربيته " زمبول " وهي كلمة تعني الهزيلة كسراج على وشك الانطفاء.. فقد أهداها عنوان ديوانه الثاني، وقد تنوعت أعمال راسم فنشر من الدواوين " سقت حماري " عام 1935م، و " مهبول عتاقة " عام1941م، و " الحقيقة العتيقة " عام 1941م، ثم " بائع الكتب الصغير الأستاذ علي " عام 1943م

و" نثر لا جدوى منه " عام 1949م، و " ملك "ثم " حاتم الطائي " عام1951م، و " نوال " عام 1952م، و" نهى " عام 1953م، و " "يوميات مصور خائب " عام 1954م، أما مؤلفاته بالعربية فهناك " الدين والإنسان" عام 1921م، ثم شعره المنثور " الحديقة المهجورة " عام 1932م.

ويقول لوسيان ألبير في حديثه عن إبداع راسم الشعري " وكما أن عناصر الضوء السبعة والتي يضمها إشعاع أبيض من النهار تتحلل على وجه الماسة إلى ألوان قوس قزح، وتنطلق في حزمة من الألوان لا يفصل أحدها عن الآخر غير لون شاحب خفيف.. فإنه هكذا تفتحت الروح السكندرية لأحمد راسم فإن الشعاع الأبيض للبهجة أو ما شابه من العناصر الخالدة لشعر الحب ينثر على الفور روحاً متألقة لضوء مميز..وكان على هذه الروح السكندرية أيضاً

المنبعثة من سلالة ظل نساؤها طويلاً لا يتذوقن الحياة إلا فيما يدور بـــأحلامهن، في أعماق القصور المزدوجة الإغلاق، بالشعريات العربية الطراز " المشربيات " ، وبالسياج الكثيف المرصع بالياسمين المتراخي، وإن هي إلا نافذة تزيد القنـــوط ثقلاً على قلب معتكف. ثم ما يلبث حفيد " زنجحيل " أن يبلغ وقتاً بـــدأ فيـــه الصبايا حوله يستمتعن بالحريات البريئة [1].

ويهمنا أن نشير إلى أن راسم كان من أنصار الشعر الحر والشعر المنثور. لذا فإن الكثير من إبداعه أقرب إلى الشعر المنثور، و" قد تخـــرج القصـــيدة في عمود ــ كل سطر فيه كلمتان أو ثلاثة أو عشرة ــ متصلة في المعنى ولهـــا في النهاية وقفات، وقد يكون هناك وزن أو لا يكون.. ويكتب على غلاف كـــل مجموعة بعد اسمها كلمة " أشعار" ويعدها النقاد الفرنسيون شعراً، ولم يتجـــاوز راسم الحقيقة فهو شعر له مبنى ومعنى، وهو عاطفة منطلقة على الورق لا تحدها قيود وقوافٍ وأوزان، وفي شعره خيال يبدع ويبتكر ولا يشتط ويجمح ــ ورمز لا يغوص في الإبهام، وفيه سخرية أقرب إلى الدعابة، وغزل رقيق لا يتمـــاجن، وصوفية من وحي الروح، ومادية من وحي الجسد، وصـــور شـــعبية للنـــاس، والشارع ودكان البدال والبحر والصحراء، والساقية والنخيل.. وصـــور مـــن الشرق والغرب وثقافة عالية. ولكن القلب البشري هو المحور الذي تدور حوله كل هذه المساحات الأرضية، أن الكثير من قصائده ليذكر بالصور التشـــكيلية التي أبدعها ابن خاله الفنان محمود سعيد، ذات الحيوية النابضة والبعيـــدة عـــن شطحات التجربة ومستغلقات الرمزية.

---

[1] المرجع السابق.

و" إذا كانت اللغة الفرنسية هي الثوب الأنيق الذي ارتدى به شعره، فقد كان هذا الشعر بمثابة الإنسان الشرقي، والروح المصري الطابع الذي تخرج فيه بين آونة وأخرى لفظة عربية تنم عليه " [1].

كنا قد أشرنا أن أحمد راسم قد حصل على جائزة الشرف المدونة باسم فارس، وجائزة خاصة من الأكاديمية الفرنسية عام **1954**م، وقد كتبت مجلة " الإثنين " تحية إلى راسم بهذه المناسبة يهمنا هنا أن ننقلها قالت فيها:

" والجائزة التي منحها المجتمع الأدبي الفرنسي لأحمد راسم هي تحية موجهة لمصر كلها، لا لأحمد راسم وحده ".

"والذي يؤسف له ألا يكون أحمد راسم قد فكر في نقل بعض مؤلفاته أو تكليف أحد أصدقائه بنقلها إلى العربية، ففي هذا إتمام للفائدة، وتفخيم لتقدير الشاعر الملهم، والكاتب اللبق في الأوساط المصرية نفسها، حيث القاريء المصري يجهل الكثير عن مواطنه أحمد راسم، الذي يصوغ منذ نحو أربعين سنة لآلىء عواطفه حيث يمتزج الحب حيناً وبالألم حيناً، وبالفرح أحياناً " [1].

وإذا كان أحمد راسم لم يقم بترجمة أعماله، ولم يطلب من أصدقائه أن يفعلوا ذلك، فإنه بعد أربعة وثلاثين عاماً من هذا التاريخ قام بشير السباعي بترجمة مجموعة من أشعار راسم نشرتها مجلة " القاهرة ".

وكما قال المترجم فإنه اعتمد في ترجمة أغلب القصائد التي نشرتها المجلة على نسخة من مختارات راسم الشعرية مهداة من الشاعر إلى شكري زيدان الصحفي المعروف في دار الهلال.

---

(1) المصدر السابق، ص **45**.

(1) أحمد راسم، مجلة الإثنين ــ **9** أغسطس عام **1954**م.

وقد اخترنا قصيدتين ترجمهما السباعي، الأولى تحت عنوان" دعاء":

إلهي يا من تعلم

نقل الكلمات

أدعوك أن تجعل كل قصائدي أغنيات حب

مطرزة بالصمت كأفئدة اليتامى

لأنه لم يبق في

غير إيقاعات خفية

لأنه لم يبق في

غير سر الكلمات

المتلاطمة حتى الضنى

أدعوك أن يتسنى لي مثلما تسنى للشاعر

تاونسين

أن أتمتم بأغنيات على عود بلا وتر

لا يفهمها سوى حبيبتي

مثلما تفهم نظرتي

حين تستقر خجلي

على عرى

يديها الأنثويتين

ومن قصيدة " كيف يمكن " يقول :

حين تفتشين عن أسرار قلبي

تشبهين الأطفال الذين يهشمون لعبهم بحثاً عن الروح الخفية

التي تحرك قطاراتهم

إن كان حلمي على إيقاع أصابعك يشدو

وإن كان فكري على زورق ضفائرك يهيم

فكيف يمكنك الشك في عاطفتي ؟

حين يتركز على بهاء عينيك

أشعر أن كل شعاع حزمة حية

وهيهات أن أكون في أي وقت آخر أكثر قرباً من الله.

نيللي زنانيري

(1897م - 1975م)

ولدت الشاعرة نيللي فوشيد زنانيري في مدينة الإسكندرية في 27 أكتوبر 1897م في أسرة من أصل سوري، أقامت في مص منذ القرن السابع عشر، ودرست في مـــدارس ومدوســـيون، حيث حصلت على البكالوريا، وكانت أول فتاة مصرية تحصل على هذه الشهادة.

اهتمت نيللي بالمسرح، وسافرت إلى فرنسا لمدة عامين حيث درست فن الدراما تحت قيادة المخرج شارل دولين، وفي نفس الوقت بدأت عملها في الصحافة في العديد من الجرائد الفرنسية.

عادت نيللي زنانيري من فرنسا في عام 1926م، وتزوجت من الصحفي جورج فوشيه، وهو أيضاً واحد من رجال الاقتصاد، وأقامت صالوناً أدبياً تحت عنوان " الضيافة " استمر يتابع نشاطه طوال عامين، حيث كان يتردد عليه كبار الأدباء في مصر، وقد عملت نيللي مساعدة لزوجها الذي تولى منصب المندوب الدولي للصليب الأحمر في الشرق الأوسط بين عامي 1936 م و 1945م.

وفي الفترة الأخيرة من حياهّا، أقامت مكتبة فنية، اهتمت بتحويلـــها إلى قاعة عروض للفن التشكيلي، ثم سافرت إلى سويسرا للإقامة فيها، ولم تكـــف يوماً عن العمل بالأدب والفن إلى أن وافتها المنية في عام 1975م.

نشرت نيليي زنانيري مجموعة من الدواوين باللغة الفرنسية، كان أولهـــا " الحديقة الصباحية "عام 1920م في باريس، وفي عام 1922م صرت روايتها "

عذراء الشرق " وتعتبر العمل الروائي الوحيـــد للكاتبـــة، وفي عـــام **1924**م نشرت ديوانها " الواحة العاطفية "، ثم ديوان " في الظهيرة تحت الشمس الحارقة "، وفي عام **1974**م نشرت ديوانها الأخير" شمس غائبة"

أما الكتابان الوحيدان اللذان نشرتهما نيللي في القاهرة، باللغة الفرنسية، فهما " فنلندا أرض المعاد "، ثم " صوت أمريكا " وهو كتـــاب حـــول الأدب الأمريكي المعاصر، وذلك في عام **1945**م .

وقد عبرت الكاتبة عن حبها للطبيعة في أغلب الشـــعر الـــذي كتبتـــه، مفرداتها اللغوية تصف الطبيعة، والتصاق الجسد الإنساني بها، فلا معـــنى لهـــذا الجسد إذا لم يتوحد مع الطبيعة، ففي قصيدة لها عن المقابر، فإنها ترى أن المدافن ليست أبداً شيئاً كئيباً، بل هى شواهد تنمو جذورها في الرمل، أما الشـــواهد البارزة فوق الأرض، فإنها تعانق الحياة، رغم ما بداخلها من علامـــات المـــوت، وقد نشرت هذه القصيدة على سبيل المثال في ديوانها " الواحة العاطفية "، وفيها تقول :

هذه المقابر الصغيرة

تتناثر تحت السموات المرتبلة

حيث تمتد الحجارة البسيطة

الشاهدة على الماضي

لا اسم ولا نحت

لا شيء سوى حجر بلا زينة

يذكرنا بالطبيعة

ولا شيء يحيا سوى الحياة

وقد انعكست هذه السمات أيضاً في قصيدة أخـــرى للشـــاعرة نيللـــي زنانيري تحمل اسم "حمام شمس" منشورة في ديوانها " في الظهيرة، تحت الشمس الحارقة "، حيث كتبت شعراً منثوراً أقرب إلى الشعر الحديث الذي صار ظاهرة في السنوات الأخيرة، وسوف نرى أن مفردات الكاتبة اللغوية تتكـــرر بـــنفس الصورة، وهي تردد :

في الظهيرة، تحت الشمس الحارقة التي تتنفس الحياة

تمددت فوق الأرض المحترقة مثل عشب يموت.

أنا عارية في الشمس

فكرة الروح الخاوية التي تتموج في الرمال

كل شيء رائع، في الرمال الحارقة، لا شيء سوى بذور الرمل

الرمل الذي أذهبته الشمس

الصمت، المندفع من الضوء، تتأوه مثل آلة الأرب

وفي الأفق، يتسع الصمت، كأنه مقبرة أبدية

حيث تشرق الشمس

وكما نرى فإن الكاتبة المهمومة بالطبيعة تبدو شديدة التصـــوف، وهـــي تعزل الطبيعة عن ساكنيها، فكأنها خاوية من الحياة، لكن كلمات الشاعرة تبدو كأنها منفذ إلى الحياة، فالشمس حية، والحياة تبدو مائلة في درجـــات الحـــرارة المتقدة، وهذه الحرارة لا يحس بها سوى الأحياء، وحدهم.

درية شفيق

(1908م - 1975م)

تمثل درية شفيق حالة خاصة في الثقافة العربية المكتوبة بالفرنسية، فهي لم تكن فقط كاتبة بقدر ما كانت امرأة صاحبة موقف نضالي ــ ضد الاستعمار البريطاني، وضد العديد من الحكومات المتتالية فيما يتعلق بحرية المرأة.

ولدت درية شفيق في مدينة طنطا في عام 1908م، في أسرة إقطاعية ميسورة، ولعل الفوارق الاجتماعية التي كانت تعيشها، وترى الآخرين يعيشونها قد دفعتها للعمل على المناداة بالمساواة الاجتماعية.

سافرت الأسرة إلى مدينة القاهرة، وهناك حصلت درية شفيق على البكالوريا في مدارس الراهبات الكاثوليك، وكانت من أولى النساء اللاتي التحقن بالجامعة المصرية، ومنهن سهير القلماوي، ثم سافرت إلى باريس، وحصلت في جامعة السوربون على الدكتوراه تحت عنوان " المرأة والإسلام منذ الهجرة إلى القرن العشرين ".

وعندما عادت درية شفيق إلى القاهرة، قررت العمل في الصحافة، ولأنها امرأة تعتز برأيها وموقفها، فقد رفضت العمل بشكل حر، وأسست مجلة تحمل عنوان " بنت النيل " عام 1945م، وهي المجلة التي دافعت عن قضايا حقوق المرأة، وأهمية تعليم البنات، والالتحاق بالجامعات، وقد نشرت في هذه المجلة الكثير من قصائدها الشعرية المكتوبة باللغتين العربية والفرنسية، كما أفردت صفحات المجلة لرائدات الحركة النسائية المصرية والعربية.

وفي عام 1948م، أسست درية شفيق " اتحاد بنت النيل " الذي يهدف إلى أن تحصل المرأة على المزيد من المكاسب الديمقراطية، وخاصة حقها في الانتخاب، وهو الحق الذي منحته للمرأة ثورة يوليو عقب قيامها، حيث إن جمال عبدالناصر كان من أشد المتحمسين لمنح المرأة الكثير من حقوقها السياسية.

والغريب أن هذا الحماس من قبل الرئيس عبدالناصر، لم يكن يشبع طموح الشاعرة درية شفيق، ورأت أن ما منحته الثورة للمرأة من حقوق سياسية لا يتناسب مع وضع ومكانة المرأة في المجتمع، وفي عام 1956م، وجهت انتقادات حادة لقيادات ثورة يوليو، ووصلت المواجهة إلى حد أن لجأت إلى مقر سفارة الهند بالقاهرة، وقررت الإضراب عن الطعام، احتجاجاً على قيام حكومة الثورة بوضع جميع المنظمات الأهلية المستقلة تحت إشراف وزارة الشئون الاجتماعية، مما أدى إلى انهيار العمل الأهلى المستقل.

وقد قامت الحكومة آنذاك بتحديد إقامتها في منزلها، ومُنع اسمها من النشر في جميع وسائل الإعلام، وظلت تعيش في عزلة، أدت إلى إصابتها باكتئاب حاد، ما دفعها إلى الانتحار في عام 1975م.

درية شفيق شاعرة، وصاحبة قلم رشيق، وقد اتسمت بثقافة واسعة في مجالات متعددة، ولم تتوقف عن الكتابة باللغتين الفرنسية والعربية، وعن دواوينها للشعر، فإنها منشورة جميعها في باريس، أولها " المغامرة الجميلة " عام1949م، ثم " السلطان العبد "عام 1952م، و " الحب الضائع " عام 1954م.

والملاحظ أن الشاعرة قد توقفت عن الإبداع باللغة الفرنسية عقب اصطدامها سياسياً بحكومة الثورة، ومن الواضح أن قريحتها الشعرية قد أجدبت أمام الضغوط النفسية التي عاشتها وحيدة، بعيدة عن الناس، لا تخرج إليهم، ولا يتصلون بها.

لذا، قام الناشر الفرنسي فان لاك **FANLAC** بتجميع الكثير من أشعارها التي كتبتها في بدايات الخمسينات ولم تتمكن من جمعها في كتاب، وفي عام **1971**م نشر لها ديوانها " دموع إيزيس "، وقد بدا إلى أي حد اكتست تعبيراتها الشعرية بحزن خاص، وانكسار فهي تستخدم مفردات لغوية من طراز " غروب "، " شجن "، " ألم داخلي "، "أبدية "، وتتكلم دائماً عن تجربة أجهضت، لكن مثل هذه الأشعار لم تخل من إحساس درية شفيق بالأمل القادم.

والغريب أن درية شفيق لم تتصالح مع الثورة، ولا مع الحكومات، فقد نادت دوماً بأن تتحرر المؤسسات الأهلية من قيد وزارة الشئون الاجتماعية، وفي عام **1979**م، قام نفس الناشر بتجميع مجموعة جديدة من القصائد التي لم يسبق نشرها للكاتبة في ديوان جديد بعنوان " مع دانتي " وهي قصائد قيل أن الشاعرة كتبتها أثناء سنوات العزلة، وابتعادها عن الناس جبرياً.

تركت درية شفيق وراءها الكثير من المؤلفات حول قضايا المرأة، منها ما كتب باللغة العربية، أشهرها " تطور النهضة النسائية في مصر " عام **1945**م بالاشتراك مع الدكتور إبراهيم عبده، ومنها " الكتاب الأبيض لحقوق المرأة السياسية " عام **1955**م.

وقد صدرت لها ثلاثة كتب باللغة الفرنسية، بعيداً عن عطائها الشعري، والغريب أن هذه الكتب جميعاً قد صدرت عقب عودتها من باريس في عام

1940م ، ومن الواضح أنها قامت بتأليفها أثناء وجودها في فرنسا، ومنها كتاب " المرأة والحقوق الدينية "، وهو بمثابة رسالة الدكتوراه التي حصلت عليها من جامعة السوربون.

ألبير قصيري

(1913- 2008)

لا يزال الكاتب المصري ألبير قصيري مجهولاً في وطنه، قياساً إلى شهرته التي امتدت إلى الآفاق، خاصة في اللغة الفرنسية.. ففي هذه الأشهر، تحتفل فرنسا، مجدداً بالكاتب المصري، الذي خصص قلمه للكتابة عن الوطن الذي ينتمي إليه، رغم أن كل كتاباته كانت باللغة الفرنسية.

ألبير قصيري، الذي تجاوز العقد العاشر من العمر منذ ثلاث سنوات، تحتفل فرنسا به، حيث تصدر أعماله الكاملة (ثماني روايات لا أكثر، لها أهميتها الملحوظة)، وكانت فرنسا قد منحته قبل سنوات قليلة جائزة الأكاديمية الفرنسية عن مجمل أعماله في الوقت الذي يتعثر عرض فيلم "العنف والسخرية "لأسماء البكري، المأخوذ عن رواية له بالاسم نفسه.

لم ينتبه القارىء العربي إلى أهمية الكاتب المصري ألبير قصيري إلا بعد ترجمة روايته " شحاذون ومعتزون " إلى اللغة العربية عام **1987**م وتأكدت مكانته بعد ترجمة روايتي " منزل الموت الأكيد " و" العنف والسخرية "، وهكذا، ظلت اللغة الفرنسية التي يكتب بها قصيري إبداعه حائلاً دون معرفة أبناء وطنه من العرب به.

وقد أثارت هذه الرواية انتباه القراء العرب لأسباب عديدة منها أنها تدور في حي الأزهر والمناطق الشعبية القريبة منه، وهي نفس المنطقة التي دارت فيها أحداث بعض روايات نجيب محفوظ، بالإضافة إلى أن أبطال هذه الرواية كانت

لهم مواقف واضحة من الناس والمجتمع والحياة وخاصة أن أغلب هذه الشخصيات كانت معروفة للناس مثل بطلة الشاعر "يكن" الذي كان يحمل نفس الاسم في الحياة، كما أن الحقيقة الزمنية التي تدور فيها أحداث الرواية – بداية الحرب العالمية الثانية – لم يلق عليها الفن الروائي المصري الضوء بالقدر الكافي.

وأبطاله رواية "شحاذون ومعتزون" **Mendiants et Orgueilleux** وترجمة الرواية الحقيقية هي " ومتكبرون "، لديهم حس وطني عالٍ، لا يتسم بالزعيق مثلما نرى في الكثير من الروايات السياسية، بل هم يتعاملون مع هذه الحكومات المتتابعة بسلبية شديدة لأنها لا تنتبه إلى مشاكل الناس، وخاصة أن هذه السمة موجودة في روايات عديدة للكاتب، حيث تتحول السلبية إلى نوع من السخرية في رواية " العنف والسخرية ".

وبعد ثلاثة أعوام من ترجمة " شحاذون ومعتزون " إلى اللغة العربية، منحت الأكاديمية الفرنسية قصيري جائزتها السنوية الكبرى للأدب المكتوب باللغة الفرنسية، وقد منحت الجائزة لقصيري بصفته كاتباً مصرياً، فحصل على ما قيمته 400 ألف فرنك فرنسى، وفي نفس السنة تم تحويل هذه الرواية إلى فيلم سينمائي مصرى أخرجته أسماء البكري وحصل على جوائز عديدة، فهو كاتب مصري قلباً وقالباً، ليس فقط لأنه لا يزال يحمل الجنسية المصرية منذ أن رحل إ لى فرنسا في عام 1945م. ولكن أيضاً لأنه رغم رحيله، فإنه لم يكتب سوى عن البيئة التي جاء منها بل وعن قا ع المجتمع في مصر، كما فاز عام 1995م بجائزة جاك أوديبرتي في مدية أنتيب الفرنسية تقديراً لأدبه، ولمرور نصف قرن على إقامته في نفس الغرفة بالفندق.

وألبير قصيري من مواليد مدينة القاهرة في الثالث من نوفمبر عام 1913م. من أبوين مصريين، التحق بالمدارس الدينية الفرنسية في القاهرة مثل أغلب أبناء جيله بعد أن عاشت أسرته لفترة بين الإسكندرية ودمياط.

وقد عشق قصيري القراءة في سن مبكرة، وأعجب بالشاعر الفرنسي بودلير الذي كان له تأثير قوي عليه، لدرجة أنه استلهم عنوان كتابه الأول الذي نشره في القاهرة تحت عنوان " اللدغات " من بودلير، كان قصيري قد سافر إلى باريس لأول مرة عام 1930م. وفي العام التالي نشر ديوان شعره الأول الذي ضم عدداً قليلاً من الصفحات.

وفي عام 1939م سافر ألبير إلى الولايات المتحدة، وهناك التقى بالكاتب الإباحي المعروف هنري ميللر الذي أعجب بإبداعاته، وترجمها إلى اللغة الإنجليزية، وكان قصيري ينشر في تلك الفترة قصصه في مجلة " الأسبوع المصري "، ومن هذه القصص : " رجل متفوق ". وهي مجلة كانت تصدر في القاهرة باللغة الفرنسية، ومن الجدير بالذكر أن هذه القصة قد غير عنوانها إلى " ثأر ساعي البريد " التي نشرت في مجموعته القصصية الأولى والوحيدة، " الناس الذين نسيهم الله " Les hommes oublies de dieu عام 1940م، وهو نفس العام الذي صدرت فيه بالقاهرة أيضاً روايته الأولى " منزل الموت الأكيد".

وقد انضم قصيري إلى جماعة أدبية يسارية المنهج والاتجاه عرفت باسم "الفن والحرية " التي كانت تؤمن أن الفن " لا يتكون من صور للحياة. وأبعد من كل التفسيرات المؤقتة والخالدة للأحاسيس، ولكل حالات وأوضاع الوعي، الفن يمثل طريقة وجود وموقف حيوي.. وفي نفس الوقت عاطفي وواع ". وكان من أبرز أعضاء هذه الجماعة جورج حنين وأنور كامل ورمسيس يونان

وفؤاد كامل وكامل التلمساني، وقد أصدرت الجماعة مجلة أدبية مهمة تحمل عنوان " التطور" ترجمت فيها لألبير قصيري ثلاث قصص هي " قتل الحلاق امرأته "، و"مدرسة الشحاذين" و"ساعي البريد رجل مثقف".

ومثلما صادق قصيري الكاتب الأمريكي ميللر قبل الحرب، فإنه تعرف على الكاتب البريطاني لورانس داريل، الذي كان يعيش في مصر في تلك الآونة، وهو صاحب رباعية الإسكندرية.

وفي عام **1945**م عمل قصيري فوق سفينة تجارية، وحول هذه التجربة تحدث إلى كاتب هذه السطور حين زيارته لمصر في عام **1989**م قائلاً : "لم أكن أنوي مغادرة مصر، لكن هي روح المغامرة التي كانت تتلبسني دائماً منذ الطفولة، كنت أحلم بالقيام بجولة حول العالم لأختلط بأجناس بشرية عديدة، فالتحقت عام **1945**م للعمل كبحار مبتدئ في إحدى السفن المصرية التجارية، كان بها جزء مخصص للركاب وتحمل اسم " النيل " ظلت تجوب بي الموانئ شهوراً طويلة، كنا نترك الميناء لنذهب إلى آخر.

في نهاية الرحلة رست السفينة على الساحل الفرنسي، فوجدت أنني عثرت على ضالتي، فهنا يمكنني أن أنشر كتبي باللغة التي أجيد التعبير بها، هنا مركز ثقافي وإشعاعي يمكنني أن أتكيف معه.

كانت فرنسا باباً مفتوحاً بعد الحرب العالمية الثانية، وكانت تشهد حركة ثقافية وفكرية كما ننشدها جميعاً كمثقفين مصريين من أعضاء جماعة الفن والحرية، وذلك في الأدب والفلسفة والفن التشكيلي والسينما.

ومن المعروف أن قصيري قد أقام منذ تلك الآونة في فندق صغير بباريس عقب نزوله المدينة، وظل يسكن به منذ ذلك التاريخ حتى الآن، لا يفكر أن

يغيره، ويقع هذا الفندق في الحي اللاتيني الذي يقع فيه مقهى المونمارتر الـــذى يجلس عليها أشهر أدباء فرنسا، وقد صادق كل من جان بول سارتر وســـيمون دي بوفوار وجان جينيه، أما أقرب أصدقائه إلى نفسه فقد كان الكاتب ألـــبير كامي.

وقد كتب منتصر القفاش على لسان إدوار خراط أن قصـــيري كانـــت حياته "تدور كلها داخل مثلث رؤوسه الثلاثة المقهى والفنـــدق والمطعـــم، ولا يخرج عنها تقريباً، قال لي أنه من دمياط أصلاً، وأنه أوشك أن ينسى التحـــدث بالعربية منذ موت والدته التي كانت تقيم معه في باريس ولم تتعلم حرفاً من اللغة الفرنسية، ولا تعرف القراءة والكتابة إلا باللغة العربية، لاحظت أنـــه يتـــردد أحياناً في العثور على الكلمة باللغة العربية، لاحظت وفضلنا مواصـــلة الحـــوار بالفرنسية.

ورغم أن الكاتب عاش في باريس كل هذه السنوات، إلا أن الصـــحف الفرنسية أطلقت عليه اسم " المنسي من الجميع " أما مجلة " لاكتويـــل " فقـــد قالت في عددها الصادر في إبريل عام **1990**م أنه أشهر كاتـــب كســـول في العالم.

لم يدفعه هذا الكسل إلى الكتابة فقط عن الكســـالى والـــذين لا يحبـــون العمل، بل إنه لم يكتب في حياته سوى ثماني روايات منها " كسالى في الـــوادي الخصـــيب" **Les faineants dans la vallee fertile** ، عـــام **1948**م ، و "شحاذون ومعتزون " عام **1955**م ، و " العنف والسخرية " **La violence et la derision**، عام **1964**م ، و " مؤامرة مشـــعوذ " **Un complot de saltimbanque**، عام **1975**م ، و " طموح في الصـــحراء " **Ambition dans le depert**عام **1984**م، ثم " ألـــوان العـــار " عـــام **1999**م **Les**

وقد اشترك في كتابة مجموعة من سيناريوهات أفـــلام **coleuis d infamie** سينمائية عديدة.

وتقول الدكتورة رجاء ياقوت في محاضراتها المنشورة باللغة الفرنسية عن قصيري " إن إقامته في باريس فتحت آفاقاً جديدة وسمحت لــه أن يســتكمل دراسته وأن يتمكن أكثر من اللغة الفرنسية، بدرجة لا تجعل أحد يضاهيه ".

ومفتاح الدخول إلى أعمال قصيري هي حالة الكسل التي يعيشها أبطاله والسخرية التي يتحدثون بها عن الحكومة، فهذه الشخصيات تعيش في مجتمعات فقيرة، ولا تميل إلى العمل مثل قصيري نفسه، ولعل هــذا المــدخل يمثــل رداً نموذجياً على هؤلاء الذين لم يعجبهم عالم قصيري، فقد تصور البعض أن قصيري يكشف للأجانب الجانب السلبي في مصر بتصويره الأحياء الشعبية، وكأن هناك علاقة بين الإبداع والسياحة، فقد توغل قصيري في هذه الأماكن، كما توغل في الأشخاص الذين عاشوا في هذه الأماكن، فكل من يكن وجوهر والكــردي في رواية " شحاذون ومعتزون ". قد آثروا أن يعيشوا على هامش المجتمع، خاصــة جوهر أستاذ التاريخ الذي قدم استقالته احتجاجاً على تفاهة وزيــف المنــاهج، وقرر أن يعيش كسولاً في غرفة ليس بها من الأثاث سوى ورق الصحف، وهو رجل يعشق الليل لما به من سكون، ويبتعد عن النهار لما به من حركــة وحيــاة صاخبة.

وقد ظهرت نماذج عديدة من الكسالى في روايته " منزل الموت الأكيــد **La maison de la mort certain**" ، خاصة شخصــية عبــدالعال بــائع الشمام، فهو لا يبيع طيلة العام إلا الشمام في موسمه، وهو موسم قصير للغايــة، وفي بقية الشهور يظل بلا عمل يعاني من الفقر والجوع، كما أن الحوذي قد آثر أن يعيش أيضاً في بيت مشروخ الجدران وهو قليلاً ما يعمل، والعجــوز كــاوه

أيضاً رجلاً بلا وظيفة، كما أن أحمد صفا يجيد التحايل على الآخرين من أجل أن يأخذ مبلغاً صغيراً من المال كي يذهب به إلى " الغرزة " المجاورة ليعيش لحظات صفاء.. وهناك رجل آخر يمكنه أن يسرق الماعز كي يذبحه ويلتهمه وهو لا يعمل، رغم أنه وأسرته يعانون من جوع شديد.

أما العاملون في هذه الرواية فهما الزبال ولاعب القرود، والزبال في هذه الرواية يبدو كريهاً، رغم أنه الوحيد الذي يعمل في وظيفة حكومية تميزه عن الآخرين، وهو لا يتوانى عن أن يفخر بهذه الوظيفة أمام سكان العطفة. وهو رجل متقدم في السن، متزوج من فتاة صغيرة مصدورة، شديد الغيرة. ويغلق الأبواب حتى لا ترى العالم من حولها، فإذا خرج بها لزيارة أهلها أحاط الأمر بسرية تامة..وهو في نهاية الرواية يترك البيت الآيل للسقوط بنفس السرية من أجل السكن في مكان آخر، ويصور قصيري هذا الشخص أقرب إلى الجلف الذي لا يجيد التعامل مع البشر، وخاصة زوجته وجيرانه.

وهؤلاء الأشخاص يعيشون دائماً على هامش المجتمع، منسيين من المجتمع ومن السماء، وأيضاً من الحكومة، ولو راجعنا الطريقة التي يتكلم بها أبطال رواية "منزل الموت الأكيد" عن الحكومة، فسوف نراها مليئة بالسخرية وتنم عن مدى انفصال الطرفين، فسكان هذا المنزل يتعاملون مع الحكومة بصفتها شخصاً محدد الهوية، فهم لم يذهبوا مثل البشر إلى المدرسة، وهم لا يعرفون ماذا تكون الحكومة سوى أنها حكومة، ولا يظهر من هذه الحكومة سوى رجل الشرطة الذي يأتى ليستدعي سكان المنزل الآيل للسقوط للإدلاء بشهادتهم في أمر الرسالة التي أرسلوها..

أما الحكومة في الرواية " شحاذون ومعتزون "، فهي غالباً رجل الشرطة. ضابط البوليس المصاب بالشذوذ، والذي يبدي تعاطفاً واضحاً مع هؤلاء البشر

الهامشيين والمنسيين، وهناك أيضاً "مخبر" يراقب الكردي في الترام وكأنه يبلغه أنه يطارده، فضلاً عن المخبر الذي دسه رؤساؤه في بيت الهوى الذي تمت فيه الجريمة.

وهؤلاء البشر منسيون أيضاً من السماء، وخاصة في رواية"منزل الموت الأكيد "، فأحداث الرواية تدور في شتاء قارس بالغ القسوة، وفي مكان عالٍ من القاهرة، قريب من القلعة، وتفتتح الرواية فصولها بطفل دخل إلى البيت الآيل للسقوط وقد تجرد تماماً من ملابسه، وهذا الطفل يبدو كأنه استعذب عريه الإجباري، لأننا سنراه يلعب مع الأطفال في مكان آخر من الرواية وهو مازال عارياً.

وتقول الدكتورة رجاء ياقوت، في البحث المشار إليه، أنه إذا كان أبطال روايات قصيري المكتوبة قبل عام **1964**م منسيين، فإن أبطال الروايات المكتوبة بعد هذه الفترة من القرويين وهم يريدون من خلال نشاطهم الثوري أن يكونوا شهوداً على مواقفهم.

ولكن هذا لا يلغي أن موقف الهامشيين في رواية " شحاذون ومعتزون "، ثم عبدالعال في " منزل الموت الأكيد" وطاهر في " العنف والسخرية " ثوري، وإن كان موقف جوهر الثوري السلبي، الذي ينسحب بسهولة من الميدان كي يتعاطى الأفيون والمخدرات، فإن عبدالعال يعلم السكان المتمرد ويطلب منهم عدم دفع الأجرة لصاحب البيت لأن المنزل بلا سكان لا يعتبر بيتاً، أما طاهر فيؤمن بضرورة اغتيال المحافظ وأن ما يفعله المتمردون الساخرون ليس سوى نوع من لعب الأطفال.

ورغم أن الكثير من هؤلاء البشر منسيون، إلا أنهم أصحاب مباديء، ولا يمارسون الشرور الكبرى، فشرورهم إن وجدت، صغيرة وعابرة، مثل الشخص الذي يمكن أ ن يسرق قطاً من أجل بيعه، وفي رواياته هناك المغني الذي يبحث عن فرصة، والموظف الباحث عن امرأة يمارس معها الهوى، حتى جريمة جوهر في " شحاذون ومعتزون " فهي جريمة مجانية. لم يقصد أن يقوم بها، ولذا لم يكن من السهل اكتشاف فاعلها.

أما عن المكان، فترى د. رجاء ياقوت، أنه قبل عام **1964**م كان أبطال روايات قصيري من الفقراء، ولكن بعد ذلكم بدأ يزحف إلى شارع فؤاد حيث عالم الأثرياء، فهذا الشارع مليء بالمحلات التي تبيع بضائعها للأثرياء، وهؤلاء الأغنياء يتسمون بأنانية ملحوظة، ولا توجد شخصية نموذجية في هذه الروايات من الأغنياء. ومن هؤلاء الأغنياء سي خليل صاحب البيت في رواية " منزل الموت الأكيد ". والحقيقة أن عالم قصيري ظل كما هو. فرواية " العنف والسخرية " تدور في أروقة مدينة الإسكندرية، وفوق سطح منزل يطل على البحر.

وفي بعض روايات قصيري فإن الفقراء يظلون قابعين في أحيائهم، التي يصورها الكاتب قذرة عفنة، أما أحياء الأغنياء فهي نظيفة ومشمسة. وفقراء المدينة لا يفكرون كثيراً في الانتقال إلى حيث يعيش الأغنياء.. فإذا كان " يكن " مغرماً بفتاة تتعلم الموسيقى وتسكن في أحد الأحياء الإفرنجية، فإن أحداً لا يذهب بالمرة إلى هذه الأحياء في رواية" منزل الموت الأكيد"، بينما البشر المنسيون في الرواية التي تحمل نفس العنوان عندما يذهبون إلى الحي الإفرنجي يحسون أنهم تائهون، يمرون قريباً من هذه الأضواء كأنهم ظلال خائفة، ينقلون

معهم حيهم المليء بالطين ومأساهم القذرة، ويجمعون ندمهم، ندم قديم مستغرق في الأرض، ورغم كل شيء فإنهم لا يريدون أن يموتوا.

وهؤلاء الفقراء ليس لهم الحق أن يحلموا. فالأحلام دائماً خطــرة، قــد تجعلهم يتطلعون ويطمحون وهذه هي قمة المأساة، فعندما تطلع جوهر إلى أساور العاهرة أرنبة في رواية " شحاذون ومعتزون " لم يكن يعرف أنها أساور مزيفــة. وارتكب من أجلها جريمة قتل مجانية، وكذلك فإن " يكن " عنــدما تطلــع إلى التلميذة التي تسكن الحي الإفرنجي فإنه لم يأخذ سوى تلك الرسالة التي دسها في يدها وهي عائدة ليلاً إلى مترلها.

ويهمنا أن نصور النساء فلي روايات قصيري. فدائما هناك امرأة تعــيش على الهامش.والرجل في روايات قصيري ينظر إلى المرأة على أنها شيء يمكن أن يجده ويمارسه مثلما يفعل مع المخدرات. والمرأة في رواية "شحاذون ومعتزون " تمارس الهوى في أغلب الحالات ابتداء من أرنبة التي ماتت وهي تغوي جــوهر. ومروراً بالنماذج التي ساقها الكاتب في الرواية. أما في " مترل الموت الأكيــد " فهي في أغلب الحالات زوجة. ولكنها زوجة شرسة، حتى وإن كانت عجــوزاً. وهناك عاهرة سابقة تزوجت من سي خليل صاحب البيت. كما أن هناك فتــاة صغيرة يمكنها أن تغوي العجوز كاوة من أجل ثمرة برتقال مضروبة. والعــاهرة فتاة طيبة في "العنف والسخرية " فهي تصدق كلمات كريم. وتعود إليه دومــاً لأنها تثق فيه، ولا تأخذ منه المال رغم أنها تعرف أنه مفلس. كما أن العــاهرة في "تسالي في الوادي الخصيب " تحب رجلاً وتود أن تتزوج منه لكنه رجل كسول ينام أياماً بلا يقظة.

والمرأة أداة لدى أبطال قصيري. لا يتمردن أبداً. ويمكن للرجل أن يغــير المرأة مثلما فعل في رواية" مترل الموت الأكيــد ". أمــا في روايــة " العنــف

والسخرية " فإن هيكل يعرف من صديق له أنه لا يستطيع أن يغير سيارته كـل سنة. لكن من السهل أن يغير زوجته في كل عام. وهو يستخدم فتاته الصغيرة، كي تحصل على معلومات عن مشاريع المحافظ وتحركاته بصفته صديق أبيها.

ونحن نقف من وصف قصيري لهذا العالم موقف الحياد، فهذه هي رؤيتـه للعالم، وهي رؤية مبدع. ولعل قصيري كان يكتب عن عالم ضيق، مثـل عالمـه القاهري الذي وصفه، وأيضاً عالمه الضيق الذي عاشه في مدينة باريس، فأبطاله كما سبق أن أشرنا، كسالى مثله. أو لعله هو الذي أكسبهم هذا الكسل، فمن الغريب فعلاً، وفي عاصمة فرنسا، أن يعيش شخص لأكثر من خمسين عامـاً في غرفة صغيرة بفندق بسيط. لا يمكن لهذا الشخص، حين يكتب، أن يتكلم عـن أشخاص يملؤهم الطموح، ويسعون للعمل، أو يسدون المنزل الذي يكاد ينـهار فوق رؤوسهم. وذلك بدلاً من إطلاق اللعنات. مرة تجـاه صـاحب البيـت المخادع " سي خليل " في رواية " منزل الموت الأكيد ":، ومرة أخـرى تجـاه الحكومة التي لا يعرفون كيف يخاطبونها. أو كيف يتعاملون معها وهم في النهاية، عدا الزبال، يجلسون في البيت الآيل للسقوط ينتظرون أن يسقط عليهم.

والجدير بالذكر أن هناك سخرية مريرة تتمثل في بعض روايات الكاتـب وهي سخرية منسكبة أيضاً من قصيري نفسه. هو شخص، كما لمسـت حـين التقيت به أكثر من مرة، يتمتع بخفة ظل، وقد بدت هذه السـمة مـن خـلال الحمار " برغوت " في رواية "شحاذون ومعتزون "صاحب النكتـة الشـهيرة. وأيضاً من خلال مواقف عديدة تعرض لها " يكن " الذي تطارده الشرطة. حين ذهب للإقامة في فندق يعطي الأغطية للزبائن.. ثم يسحبها منهم بعد أن يغطـوا في النوم من أجل إعطائها لزبائن جدد. ومثل هذه السمة لم تبد كثيراً في رواية " منزل الموت الكيد ":. إلا من خلال مواقف بالغة المرارة. مثل النساء الـلاتي

ذهبن لمقابلة سي خليل والأطفال الذين ألقوا بدراجة سي خليل في الوحل وأيضاً حكاية المهندس المزعوم الذي جاء يعاين البيت الآيل للسقوط. ولكنها بادية في السخرية من المحافظ في " العنف والسخرية " بتعليق صورة في الميادين والأماكن العامة تمتدحه ويبدو فيها مثيراً للضحك. وكذلك في موقف الخاطبة وهي تدلك قفا الأب في رواية " كسالى في الوادي الخصيب ".

من المهم أن نقدم في ختام حديثنا عن أدب قصيري المكتوب باللغة العربية أنه يرتبط باللغة عند الكاتب. فعند قراءة النص الفرنسي يمكن أن نحس لأول وهلة أنه مكتوب بإحساس عربي أو أنه رواية عربية تمت ترجمتها باللغة الفرنسية، وليس العكس، سواء في اختيار أسماء الأشخاص وكتابتها مثلما هي في النص الفرنسي. فهو حين يكتب سي خليل، أو سليمان العبيط، فإنه يكتب الاسمين كاملين بالحروف اللاتينية. كما حدث ذلك في اسم "الحاجة زهرة " في رواية " كسالى في الوادي الخصيب ".

وتقول الدكتورة رجاء ياقوت أن تعبيرات الكاتب لها أشكال تؤكد أنه لا يزال عربي الهوية والإحساس. ومن الصعب ترجمة هذه التعبيرات إلى اللغة الفرنسية. فيتركها بنفس معناها العربي. ففي رواية " شحاذون ومعتزون "، فإن" أم يكن " تعتبر ابنها جميلاً لأن القرد في عين أمه غزال. وفي رواية " العنف والسخرية " فإنه عندما يطلب طاهر من صديقه القديم كريم أن يقدمه إلى هيكل، فإنه يقدمه بطريقة مصرية :

" باسم العيش والملح الذي أكلناه معاً، أحلف لك أنني لم أتصل بهذا الرجل"

وقد ساقت الدكتورة رجاء العديد من النماذج في روايات أخرى، وأكدت أن هذه المصرية قد وصلت أيضاً إلى أسماء الأماكن مثل شارع فؤاد.ومدخنة عابدين ثم شارع عماد الدين في رواية " كسالى في الوادي الخصيب "، ورغم أن كل مؤشرات المكان تدل على أن " العنف والسخرية " تدور أحداثها في الإسكندرية إلا أنه يجرد الأماكن مثلما يجرد الشخصيات.

وروايات ألبير قصيري صعبة المفردات اللغوية والأدبية، ولكنها في نفس الوقت مكتوبة بلغة جميلة، أما بالنسبة للحوار، وخاصة في هذه البيئة الشعبية فإن المرء يحس أنه مكتوب بلسان هؤلاء الناس. وأغلب الظن أن قصيري لو كان يكتب باللغة العربية، لاختار أن يكون الحوار باللغة العامية المصرية. وقد يكون من السهل على المترجم أن يكتب ترجمته باللغة الفصحى. لكن اللغة العامية التي يقصدها الكاتب من الصعب ترجمتها بدقة. وهناك في الحوار كلمات مثل " بس " و " لسه " وجمل أخرى كثيرة مماثلة، ويمكن لقاريء ألبير قصيري أن يترجم داخل ذاته الجمل الفصحى التي يكتبها سواء أكانت بالفرنسية أم تمت ترجمتها إلى اللغة العربية ثم إلى لغته العامية الدارجة في أحياء مصر الشعبية. وخاصة في أواخر الثلاثينيات التي تدور فيها أغلب أعماله الأدبية.

وقد جاء على لسان إدوار خراط : " ما من شك عندي في أنه كان من الرواد المغامرين الأوائل للعبثية بمعناها الفلسفي مترجمة في مشاهد أو مواقف روائية خالصة، ولم أقرأ حتى الآن ما يقارب حسه المأساوي الكوميدي في وقت واحد بمشهد حضيض مدينة القاهرة. وتظل فاجعة الإملاق ومعاناة المعدمين وشطحات المدمنين والبغايا اللائي لا يضفي عليهن أدنى مسحة من هالة التمجيد والتقديس الذي كان معتاداً في الأربعينيات إذ كانت البغي تصور غالباً باعتبارها ضحية بريئة ومثيرة للعطف والرثاء. وكأن العلاقة بها نوع من انتهاك

المحارم وتدنيس المقدسات، عند قصيري هي ضحية بالفعل لكن من غير أدنى طرطشة عاطفية ولا أدنى هويل قدسي معكوس، بل هي كائن خشن وإنساني جداً بفظاظته وصغاره وحنانه أيضاً. تظل الفاجعة في هذا السياق عنده مضحكة قليلاً ولذلك فهي مؤثرة أكثر. وتظل عبثية قليلاً ولكنها تنطوي على بشارة بمستقبل مشرف وعلى الأخص في آماله التي كتبها بعيداً عن الوطن، كما شجبت معه قوة تصويره للمشاهد القاهرية وللشخصيات المصرية المتميزة التي بدت في نهاية أعماله أقرب إلى التجريدات المتعلقة والتأملات والذكريات الباهتة قليلاً، لا شك أن في ذلك ضربة الغربة المزدوجة. الغربة في اللغة والغربة في أرض الوطن".

ويقول الخراط في نفس حديثه إلى منتصر القفاش أن ألبير قصيري ينحو إلى نوع من الغرائبية وعلى الأخص في تسمية أبطاله الذين يعطيهم أحياناً أسماء يصعب تصديقها. أو لم نسمع عنها قط فكأنها منحوتة من مزيج العامية المصرية والفرنسية، ولا شك أنه أحياناً يطلق العنان لتقريرات مباشرة عن انسحاق الناس ووطأة الفقر والجوع، والعوز الروحي والمادي معاً عليها، مما قد ينحو بالعمل ا لروائي إلى شيء من المباشرة، ولكن إذا كان لنا أن نستخلص موقفاً فكرياً مضمراً عن هذا الكاتب فلعله أقرب إلى مزاج من اليسارية التي تقارب الفوضوية أو العدمية أحياناً.

ولعل من الأسماء التي كتبها قصيري في رواياته بشكل غريب اسم" يكن " بطريقة لا يمكن معرفة مرادفها العربي بسهولة فهي تكتب هكذا **Yeghen** في رواية " شحاذون ومعتزون " وكذلك اسم العجوز كاوة **Kawa** في رواية " منزل الموت الأكيد "، وأغلب الظن أن المقصود به هو اسم " عكاوي " فهو

شائع في تلك الفترة من ناحية، وبين الأوساط التي يـتكلم عنـها الكاتـب في أعماله.

الجدير بالذكر أن هناك محاولات قد سبقت لتقديم أدب قصيري إلى قارئه العربي. ففي عام **1968**م كتب يوسف فرنسيس سيناريو فيلمه " الناس اللـي جوه " عن رواية "منزل الموت الأكيد" وأخرجه جلال الشرقاوي وقام بالبطولة فيه يحيى شاهين وعبدالوراث عسر وناهد شريف وعادل إمام. وقـد اختلـف السيناريو تماماً عن النص الأدبي، ليس فقط في أحداثه، بل في سمـات وسـلوك الأشخاص. والعلاقات القائمة فيما بينهم، فهو فيلم حسي تماماً. حيـث اهـتم بتصوير علاقات حسية وخيانات زوجية وشبق ساخن من الرجال تجاه زوجات الجيران. ومثل هذه العلاقة لم تكن موجودة في الرواية. كما افتقرت الرواية إلى حسها الساخر عندما تحولت إلى فيلم.

وفي عام **1991**م تحولت رواية " شحاذون ومعتزون" إلى فيلم أخرجتـه أسماء البكري من بطولة صلاح السعدني وعبد العزيز مخيون ومحمود الجنـدي. وقد حاولت المخرجة التي كتبت النص، أن تلتزم إلى أقصى حد، بالروايـة. ولم يمكنها الاستثناء إلا في تفصيلات عابرة.. ورغم جودة الفيلم، إلا أنه أيضاً افتقد حسه الساخر لدى أبطاله خاصة المواقف التي تعرض لها يكن في الفندق، ومـن مطاردة رجال الشرطة. ومن التعذيب في قسم البوليس. والجـدير بالـذكر أن نفس الرواية تم إنتاجها لحساب السينما الفرنسية عام **1971**م. وصـورت في تونس في فيلم قام ببطولته المطرب اليوناني الأصل، الذي عاش في مصر فترة من الزمن، جورج موستاكي ولم يلق الفيلم أي نجاح يذكر كما أن المخرجة نفسـها أخرجت فيلمها "العنف والسخرية "عام **2006**م بطولة مجموعة من الوجـوه

الشابة، وقد خصصت مجلة " أدب ونقد" عـــدداً عـــن الكاتـــب في نـــوفمبر **1993**م، ثم أفردت له مجلة " القاهرة " دراسات في يناير**1995**م.

وفي روايته " مؤامرة مشعوذ " يشترك مدحت في مؤامرة ضد الحكومة، مثلما سبق أن قرأنا في " العنف والسخرية "، فهو لديه أسبابه الخاصة، إنـــه لا يهتم بالسياسة مطلقاً، لكنه يعاني من فراغ، وهـــو معجـــب كـــل الإعجـــاب بمجموعة من المشعوذين الذين يعيشون على هامش الحياة، لدرجة أنـــه يقـــدم استقالته احتجاجاً على ما تقوم به الحكومة من إجراءات قمع ضدهم.

جورج حنين
(1914م - 1973م)

قليلة هي المراجع العربية التي تحدثت بشكل متسع عن جورج حنين، ومن أهم هذه المراجع كتاب لسمير غريب يحمل عنوان " السريالية في مصر " فيه تابع المؤلف حركة السيرياليين في مصر من خلال مجموعة من أبرز أبناء هذه المدرسة، مثل رمسيس يونان وأنور كامل وكامل التلمساني وإبراهيم فارس،

ورغم تعدد هذه الأسماء الواردة في الكتاب إلا أنه من الواضح تماماً أن سمير غريب قد كتب كتاباً عن جورج حنين في مصر. فقد خصص صفحات كثيرة من هذه الدراسة عن حياة وعطاء حنين خاصة في فترة حياته في مصر. ونحن نعترف أن المراجع التي بين أيدينا عن الشاعر المصري أقل كثيراً مما توفرت لدى سمير غريب الذي اعترف أن مجموعة من أصدقاء الشاعر وأفراد أسرته قد أمدوه بالمراجع خاصة صديقه عبدالقادر الجنابي، وزوجة الشاعر إقبال العلايلي.

ولذا، فإن أغلب ما سيرد في الحديث عن حنين سيكون مرجعه ما جاء في هذا الكتاب. فحنين مولود في العشرين من نوفمبر عام **1914**م من أب مصري وأم إيطالية، وجورج لم يذهب قط إلى المدرسة ولكن مربياً تولى تعليمه القراءة والكتابة حتى سن الثانية عشرة. وفي عام **1924**م عين والده سفيراً لمصر في مدريد فصحبه جورج ومربيه، وهناك تعلم اللغة العربية وحاول أن يترجم إليها كتاب كارل ماركس " رأس المال ".

إذن، فجورج حنين كان يجيد اللغة العربية لدرجة أنــه كــان يتــرجم إليها.وذلك بعكس أقرانه مثل ألبير قصيري وأندريه شديد.

وقد انتقل جورج مع أبيه إلى روما ثم مع أمه إلى فرنسا والتحق بجامعــة السوربون في باريس، وحصل منها على ثلاث شهادات " ليسانس " في الحقوق والأدب والتاريخ حتى عام **1939**م، خلال تلك الفترة كان يتردد على القاهرة ويشارك في بعض الأنشطة الثقافية [1].

وفي عام **1924**م كتب كوميديا إنسانية بعنوان "تكملة ونهاية " ثم انضم إلى جماعة فنية تسمى جماعة " المحاولين " قبــل التحاقــه بالســوربون، وكــان سكرتيرها جابرييل بقطر. كما صدرت مجلة شهرية باللغة الفرنســية اسمهــا " أنيفور " **Un effort** وتصف نفسها بأنها المجلة الوحيدة النزيهة في مصر ومركز الفكر الحر، وقد تحدث جورج في إحدى ندوات هذه الجماعة

عام **1937**م، عن الشاعر المستقبلي الإيطالي " مارينيتي " وأدان بقــوة تواطؤ الشعراء والإمبريالية الإيطالية في الأعمال الأدبية الفاشية [1].

وقد نشر جورج مقالاته في هذه المجلة، ثم نشر بيانه " ومن اللا واقعيــة" عام **1935**م اتضح فيه كم كان قريباً من السريالية، ثم نشر قصصــاً باللغــة الفرنسية في مجلة " أنيفور " هي قصص تسخر من البرجوازيــة الــتي أسماهــا بالحمقاء، كما نشر قصائد بالفرنسية، وراح يراسل مجلة أدبية فرنسية تحمل اسم " ليزيمبل " **Les humbles** ونشر فيها مقالات مطالباً بســيادة البروليتاريــا، ويقول سمير غريب أن" ابن الباشا ، كان بعيداً عن الاسترخاء في حيــاة أولاد الذوات وأظهر تعاطفاً شديداً مع الفقراء والمضطهدين، وشعر بأنه يجب الإعداد

---

(1) المرجع السابق، ص **13**.

لنهضة جديدة، تفرض الأفكار القادرة على تغيير المجتمع، وأرد أن يكون من بين من يأخذون المبادرة"[1].

وقد أبدى حنين حماسه الشديد في أن يقدم لأبناء وطنه من المثقفين نماذج من الأدباء الفرنسيين المعاصرين. ولذا، قدم إلى قراء العربية كلاً من فرديـــان سيلين وأندريه مالرو وهنري دي مونترلان وآخرين، كان لديه الرغبة لأن يظهر لفناني بلده كيف أن الفنون التشكيلية قادرة على المشاركة مثـــل الكتابـــة، في معرفة الإنسان.

في تلك السنوات كان جورج حنين ينتقل بين القاهرة وباريس، وفي عام **1936**م تعرف على الكاتب والفنان السريالي أندريه بريتون، وفي عام **1937**م قدم محاضرة عن السريالية، ثم بدأ يشكل جماعة من السرياليين المصرين أمثـــال الشاعر أدمون اليابس، والرسامين كامل التلمساني ورمسيس يونان، وقـــرر أن يسمى جماعته " الفن والحرية " تعبيراً عن انتمائه لتروتسكي.

وفي نوفمبر **1938**م أصدر جورج أول دواوينه باللغة الفرنســـية تحـــت عنوان " لا معقولية الوجود " **Deraisonmde l'etre** مزيناً برســـوم كامـــل التلمساني. وفي يناير تكونت جماعة " الفن والحريـــة " **L'art et la liberte** التي أصدرت مجلة " التطور " عام **1940**م والتي كان من أهدافها :

(أ) الدفاع عن حرية الفن والثقافة.

(ب) نشر المؤلفات الحديثة، وإلقاء محاضرات عن كبار المفكـــرين في العصـــر الحديث.

---

[1] المرجع السابق، ص **16**.

(ج) إيقاف الشباب المصري على الحركات الأدبية والفنيـــة والاجتماعيـــة في العالم.

وفي ديسمبر 1939م شارك في تأسيس جريدة باللغة الفرنسية تحمل اسم "دون كيشوت " فكان يكتب ويرسم فيها. ولكن مجلة " التطور" التي صدرت عن الجماعة في عام 1940م باللغة العربية كانت تجمع بين السياســة والأدب والفنون، ولكن المجلة لم يكن لها مورد مالي سوى تبرعات الأعضاء، وبــالأخص جورج حنين وحصيلة بيعها القليلة، وقد نشرت قصصاً وقصائد لأدباء من نفس الجماعة وأدباء آخرين من غير الجماعة مثل ألبير قصيري، وعانت المجلــة مــن مشكلة الاستمرار فلم تصدر سوى سبعة أعداد فقط.

وبعد توقف " التطور " تعاون السرياليون مع سلامة موسى صاحب مجلة " المجلة الجديدة "وفي عام 1942م انتقل امتياز المجلة إلى رمســيس يونــان ثم ظهرت مشاكل تعوق دون استمرارها، ويقول سمير غريب " أدت المجلة الجديدة دوراً عظيماً في مرحلتها. كانت مجلة سياسية ثقافية، أعلنت عن نفسها بأنها مجلة " الكفاح والتجديد الاجتماعي " [1].

كان جورج حنين يمضي إجازاته في باريس، وخلال إقامته هنــاك عــام 1946م، التقى لأول مرة بالشاعر إيف بونفوا الذي كتب عنه مقالاً في مجلة " كنزان ليترير " في العدد 20 عام 1977م متسائلاً : " من كان جورج حنين ؟ : من الخارج كانت حياته، على الأقل من الناحية الأدبية، تبدو للوهلــة الأولى وكأنها ترجع إلى مجموعة من الظروف، فهو مصري قبطــي، ولكنــه فرنســي الثقافة بلغ سن النضج عند عتبة الحرب. وظل لمدة اثنى عشر عاماً الرجل الذي

---

[1] المرجع السابق، ص 27.

يفكر لجيله في مصر، وقد أتى لهم بالسريالية، إلى مجتمع توحدت فيه الروحية بالمجتمع في رباط محكم مثلما حدث بين ماركس ونيتشه، ومثل جوليا لاسيرسا بكافاك، وجاءت دار النشر التي أسسها والتي أطلق عليها اسم " حصة الرمل " La part du sable وقد بدا صوته مسموعاً وهو ينشر أعمال هنري ميشو وجان جرنييه وأدمون اليابس وشعراء شباب في مجلته الجميلة " حصة الرمل " في فرنسا، وفي باريس التي كان يعود إليها بقدر الإمكان كأن ربيع كان يشارك مجموعة أندريه بريتون، دون أن يمس استقلاليته البالغة الحساسية، ولعب دوراً كبيراً في إعادة نشر " مقاطعة مدشنة " أكثر مانفستو أهمية في تاريخ السريالية بعد الحرب، حدث ذلك في ليلة افتتاح معرض عام 1947م، كما شارك أيضاً في " الفرقة الثالثة " المجلة التي أسسها جان ماكييه (1).

ومن الواضح أنه عند الكتابة عن حنين، فإن كلاً من الكاتب العربي والفرنسي قد نظر إليه من منظوره القومي، فسمير غريب قد اهتم بنشاطات جورج حنين في مصر، أما بونفوا فقد كتب عن نشاطه في الثقافة الفرنسية ومن الواضح أنه بعد عام 1947م زاد نشاط حنين في الثقافة الفرنسية ويقول بونفوا أن حنين قد اضطر إلى أن يترك مصر كي يتوجه إلى اليونان، أما سمير غريب فيقول أنه في عام 1953م غادر حنين فيلا والديه في روض الفرج ليقيم في الزمالك مع زوجته وأصبح المحاور الممتاز لكثير من الأدباء الذين يمرون بمصر من كتاب وصحفيين وأساتذة وبخاصة المتخصصين في الإسلام مثل جاك بيرك ولوي ماسينيون، ويقول ألكسندريان أن جورج حنين كان لديه ميل الاعتقاد أن وجود الشرق يعتمد على أهميته بالنسبة للغرب، وفي نفس الوقت، كان يحذر قليلاً من تقدير المثقفين الفرنسيين المبالغ فيه للثقافة العربية، كما يقول

---

(1) **G.Henin Yves Bonnefoy. Le quinzain litteraire،1977**

جورج حنين نفسه: " إن أوروبا بائسة مرتين، حاربت الشرق عندما كان يمثل حالة سطوع، وتبحث عنه اليوم لأسباب عميقة في حين أنه يمثل حالة الانحطاط الأكثر قذارة " [1].

وقد نشر حنين تلك الفترة مجموعة من القصص القصيرة في مجموعة من القصائد النثرية تحت عنوان " العتبة الممنوعة " **Le seuil interdit** التي صدرت عام **1956**م، كما كتب مقالات في صحيفة " لوبروجريه إجيبسيان "

وقد وجد حنين أن عليه أن يغادر مصر بعد أن جاء ضابط من الجيش ليجلس على مكتبه في شركة السجائر التي كان يعمل فيها، فسافر إلى اليونان عام **1960**م، ثم توجه إلى إيطالية وطن أمه، ثم قرر أن يعيش في باريس حيث وجد فرصة عمل ومسكناً للإقامة.

ويقول سمير غريب أن حنين قد انتقل بين بلاد عديدة بعد ذلك، ومن المعروف أنه عمل مع زوجته في هيئة تحرير مجلة " جون أفريك " الأسبوعية وهي مجلة تصدر باللغة الفرنسية وتهتم بثقافة العالم الثالث، وقد عمل فيها عدة سنوات ونقل إدارتها من الغرب إلى باريس، وفي السنوات الأخيرة من حياة الشاعر شهد حنين نشاطاً مكثفاً على المستوى الثقافي فكتب مقدمة كتاب يحمل اسم " مختارات الأدب العربي المعاصر " وشارك في " الموسوعة السياسية الصغيرة " التي أشرف على إصدارها الشاعر جان لاكوتير. وفي **18** يوليو عام **1973** رحل عن عالمنا. وتم دفنه بالقاهرة بناء على وصيته.

وفي كتابه عن " السريالية في مصر " اهتم سمير غريب كثيراً بالجانب التشكيلي لجورج حنين، وبآرائه السياسية وكتاباته النثرية في الفنون والسياسة

---

[1] مصدر سابق، ص **26**.

ولم يهتم به كمبدع وشاعر، إلا من خلال نشره لخمس قصائد سبقت ترجمتـــها إلى اللغة العربية، بينما اهتم الشعراء الذين كتبوا عنه كمبدع خاصة إيف بونفوا في مجلة كانزان السابق الإشارة إليه، وقد اخترنا هنا بعض أشعاره، والحقيقة أن دواوين حنين كانت قليلة رغم عطائه الشعري، ففي عام **1948**م نشر ديوانه " حصة الرمل "، وله ديوان آخر تحت عنوان " العلامة الأكثر ظلاماً "، وبشكل عام فإن جورج حنين يرى أن الشعر هو " الأداة " وكمرادف لتحد أكبر : تحدٍ للقوى الكونية، لمملكة الموت، وللأسرار التي تحاصر حياتنا الدنيوية.. الشـــاعر يتعلم الضحك في المقابر، يستخدم الجنون كسلاح ضد فقر العقل، يســـتخدم الحلم كسلاح ضد إملاق الواقع. ومن سوفوكليس حتى لوتريـــامون مـــروراً بشكسبير، تنتشر السلسلة الشعرية على إيقاع عاطفي دائماً أكثر تشـــجيعاً، في مناخ حاد حيث تتجابه وتمتزج كل التعبيرات الممكنة عن الرغبة، حيث تبـــدع الرغبة من أجل الضرورة الوحيدة للانطباق عليها، لأشياء جديدة جذابة، تخترع الرغبة من أجل الحاجة الوحيدة للاحتراق في لهيبها، لبؤرة تمغنط جديدة " [1]

ومن هذا الشعر نقدم جزءاً من قصيدة " مبدأ هوية " المنشور في ديوانـــه "العلامة الأكثر ظلاماً ".

راح يجمع اسمه

كمياه آسنة

تسقط فيها الحجارة

صانعة نقطة حولها دوائر

---

[1] **Henine، Condition de la poseie، Don quichotte 8-3-1949، P.2.**

اتجه نحو السماوات

خاشعاً وصابراً

يتأمل ليل السماوات

غير مضحٍ بصورته الخاصة

التي تشبهه باليأس

أثناء دخوله المدينة

انغلقت الأبواب مثل

بين الرجل والمرأة

لا توجد أكثر من فتحة

من نصل توليدي

وجحود الندم

سيحل في العالم

بيد ساكنة

ويهمنا هنا أن نقدم نموذجاً آخر من شعره، حيث نقتطف مـــن قصـــيدته "انتحار مؤقت" كما جاءت ترجمتها في كتاب " السريالية في مصر" [1].

شفاه نادرة مختصرة

تتفتح لتدع جاسوساً يمر

وهو متخف في فرقة عازفة

---

(1) السريالية في مصر، سمير غريب، هيئة الكتاب، القاهرة، عام 1986م، ص 202.

لا أعرف ابداً أي لحن

يتشبث بطرق من اللهيب

والآن تقف النافذة

بغير عمد ولا ضوء

شقيقة الشفاه المرة

فمنها تدخل الأعصاب الهائجة

متلبسة أيدي بشرية

تقطع رؤوس النساء

بعد الحب

على مائدة ما

شيء يبتسم خلال نعاسات العالم

إنه وجه

لا يلمح أبداً

ولا ينسى أبداً

وجه يؤرجحه

ثلج الذكر الذي لا ينتهي

"شراعه ليبحر بنا الآن هذا البلد يصيبنا بالملل" كما قال بودلير، ولكنه كاتب يرى في الموت اللحظة الهاربة التي يجب أن تمسك بها كي يتحقق لنا

الاتحاد، والالتئام بالكون الكبير، إنه لا ينظر إلى الملل كما نظـــر إليــــه بودلير، على أنه ذلك الوحش الوديع الذي يبتلع العالم كله إذا تثاءب، ولكنـه يتعامل مع الملل على أنه أحد مكونات المصير البشري التي يجـب أن نحاربهـا بالبحث الجاد والعميق في المناطق التائهة والمعتمة، على أمل فهم اللامعقول وما وراء الطبيعة (1).

شكله جورج حنين كما كتب عادل صبحي تكلا في مجلـة " إبـداع " ديسمبر 1996م الحقيقة تتركز في محاولته تحرير الإنسان من قيوده، ولتحقيـق هذا الهدف لابد من إلغاء الزمن الذي يسجن الإنسان في عصر محدد ولابد من تخليصه من القلق الذي يشعر به تجاه الموت عن طريق إخراجه من حصار الزمن للوصول إلى منطقة اللازمن، وهكذا فإننا نجد أنفسنا أمام شاعر لا يطلب مـن الزمن أن يتوقف عن السريان، ومن الساعات السريعة أن توقف دورالها حـتى يستطيع أن يتذوق رحيق الحب مع الحبيبة، كما قال الشاعر الرومانسي ألفونس لامارتين في قصيدته الشهيرة " البحيرة " ولكننا أمام كاتب يحلم بإلقاء الـزمن كلية والاتحاد مع المكان، حتى يصبح جزءاً من الكون الذي تتحـد عناصـره وتتناسق لتكون كلاً متجانساً لا يمكن فصل الجزء فيه عن الكل، إننا لسنا أمام شاعر يتشبه بالبجعة التي تمزق أحشائها لتطعم صغارها مثلما قال الشاعر ألفريد دونن موسيه، لكننا أمام كاتب يدعونا لكتابة الشعر الجماعي. إن جورج حنين أديب لا يطلب من الموت أن يرفع.

---

(1) جورج حنين، بقلم عادل صبحي تكلا، إبداع، ديسمبر 1996م، ص 38.

أندريه شديد Andree chedid

(1920/3/20م - 2011/2/6م)

في عدد 7 يوليو من مجلة "مدام لوفيجـارو " عـام 1988م أجرت المجلة تحقيقاً مصوراً تحت عنـوان I love Paris وكان عنوانه مفتاحاً لفهمه، فهو عن مدينة باريس في منظـور ثمانية من الأدباء الأجانب الذين يعيشون فيها، ومن بين هؤلاء الكتاب بيتر تاونسند والكاتبة آن هيبير، وأندريه شديد الـتي تقيم في فرنسا منذ عام1946م،

أي أن أكثر من أربعين عاماً لم تشفع للسيدة شديد أن تصبح كاتبة فرنسية. فما زال المجتمع الفرنسي ينظر إليها على أنها كاتبة أجنبية، ولعل هذا يعطي المؤشـر لفهم نوع الازدواجية التي تعانيها الكاتبة، فكما هو معروف فإن أندريه شـديد خصصت صفحات طويلة من أدبها الذي أبدعته وهي في باريس للكتابـة عـن مناطق جذورها وبلادها التي جاءت منها سواء مصر أو لبنان.

وإذا كان ألبير قصيري هو أبرز الأدباء العرب الذين كتبوا الرواية باللغة الفرنسية، فإن أندريه شديد تذكر دائماً أنها على قدم المساواة مع قصيري وهي كاتبة متنوعة الإنتاج والإبداع فهي شاعرة نشرت ثلاثة عشر ديواناً من الشعر، وروائية لها سبع روايات، ومجموعتان قصصيتان وثلاثة مسرحيات، وبحثان عـن لبنان، وثلاثة سيناريوهات للأطفال، وقد حصلت عن هذا الإبداع الغزير على خمس جوائز أدبية، منها جائزة "جونكور" في القصة القصيرة لعام 1979م، هذه الكاتبة تنتمي في جذورها ونشأتها إلى بلدين عربيين : لبنان بحكم أصل الأسـرة (صعب)، ومصر بحكم المولد والنشأة والثقافة.

ولدت أندريه صعب في مدينة القاهرة في عـــام 1920م، ودرســـت في المدارس الفرنسية بالمدينة قبل أن تسافر إلى لبنان وتعــود إليهـــا مـــرة ثانيـــة، لتستكمل دراستها في جامعتها الأمريكية، ثم ما لبثت أن تزوجت من العالم لوي شديد الذي كان عليه أن يرحل إلى بـــاريس عـــام 1946م فســـافرت معـــه واختارت أن تبقى هناك وهو يعمل الآن باحثاً في فلوريدا بالولايات المتحدة.

تقول أندريه شديد في عام 1942م، كانت شابة صغيرة تـــركض وراء فراشات القاهرة في هذه الفترة لم تكن تراودني فكرة الكاتبة، غير أنني أردت أن أصنع شيئاً ما في حياتي، التي كانت مكونة من المســـرح والـــرقص والتمثيـــل بالصدفة وحده، بدأت برسم – ولا أقول كتابة – بعض الأبيات مـــن الشـــعر بالعربية والإنجليزية، عبرت عن العنف والموت وهدف الحيـــاة، اتخـــذت اسمـــاً مستعاراً هو أندريه لايك. منعاً للشبهة.

بقيت على هذه الحال حتى عام 1946م، وذات يوم مشمس من أيـــام باريس، دخلت إلى مكتبة تبيع مطبوعات شرقية، نقلت أسماء المجلات لكي أقيم معها الاتصال، رحب بي الناشر، كان هو أيضاً الناشر الأول لجورج شحاذة.

عام 1948م انعطفت نحو القصص، نشرت حكايات عن مصر في مجلات مختلفة، ثم ظهرت روايتي الأولى " نوم الخلاص " وهي تدور حول مصير المـــرأة الشرقية ومصاعب حياتها في شبكة العلاقات السائدة، البطلة تدعى سامية وهي مسحوقة الشخصية، تفرض عليها عائلتها زوجاً قاسياً يمنعها من التعـــبير عـــن آرائها، بعد سلسلة من المشكلات الحادة تموت ابنتها ، وفي ذروة اليأس تقتـــل زوجها [1].

---

[1] يكفي أنها مصر، يوسف القعيد، مجلة المصور، القاهرة، 24 يونيو 1988م، ص 46.

وقد نشرت هذه الرواية في سلسلة روايات الهلال تحت عنوان " النـــوم الخاطف " وأفضل ترجمة لهذا العنوان **le sommeil delivre** هو " نـــوم الخلاص " ، وسامية في هذه الرواية عبارة عن سلعة يتم التقايض عليها من أجل زواجها، فهي تتزوج من رجل على قدر من يسر الحال بعد أ ن أصاب العـــوز أباها الذى كان ميسوراً يوماً ما..

وبينما هي في المدرسة، تفاجأ بأخيها يأتي إليها ويأخذها كي تتم الصـــفقة باسمها، فهي نفسها الصفقة، وتترك مدينة أسيوط كي تعيش في قرية صغيرة، في منزل يتحكم فيه زوجها الذي يكبرها بسنوات، ثم أخته العانس التي تتحكم في كل شيء، وتفاجأ سامية أنها عبارة عن طفلة صغيرة من بنات القرية تأتي إليهـــا من وقت لآخر، وتكتمل سعادة سامية عندما ترزق بطفلة تحولها من شـــيء في البيت إلى كيان إلى أم تنبض الأمومة المتدفقة في عروقها، لكن الصغيرة، بعد أن كبرت قليلاً، تصاب بنوبة من البرد..ونتيجة لإهمال الأب وسلبيته ولقلة خـــبرة سامية بالحياة، فإن الابنة تموت، ولا تجد أمامها سوى أن تقتل زوجها أمام عيني أخته المستبدة.

وفي وصف الجو والعالم، تحس أن أندريه شديد قد عاشت ردحاً من الزمن في صعيد مصر، فهي تعرف عاداته،وسلوك أبنائه، فسامية نموذج للمرأة المصرية التي يعاملها الرجل غالباً على أنها شيء مكمل في البيت.

وقد عبرت الكاتبة عن هذا العالم في بقية رواياتها بمنظور آخـــر مكمـــل، وخاصة في روايتها " اليوم السادس" **le sixeme jour** المنشورة عام **1960**م ، ونحن هنا في هذه الرواية أمام امرأة أخرى.. أنضج وأكثرخبرة، وأكبر ســـناً وتعيش بين المدينة والريف، المدينة هي القاهرة، والزمن في الرواية عام **1947**م ، حيث انتشر مرض الكوليرا، والمرأة اسمها "صديقة" ، إنها جدة لطفل صـــغير

تركته لها ابنتها وماتت، وصديقة تذهب في أول الرواية إلى قرية بروات للعـزاء في وفاة أحد أقاربها حيث جالت الكوليرا هناك وصالت وحصدت الكثير مـن المرضى. كان على صديقة أن تترك حفيدها حسن ليوم واحد كي تلتقي بأهلها الذين لم ترهم منذ سبع سنوات، وفي القرية يردد صالح – أحد الأقارب – قائلاً لها " بوسعك أن تعودي من حيث أتيت. لقد جئت بعد فوات الأوان. لم يعـد هنا سوى الأموات لاستقبالك، فالكوليرا تحوط العجوز في كل مكـان " تلـك المرأة التي لم تعرف في حياتها سوى الأحزان. فقد ماتت ابنتها الوحيدة قبل فترة قصيرة وتركت حسناً لتربيه.

وتجيء أهمية هذه المرحلة إلى القرية من خلال ما جاء على لسان صـالح أيضاً في الصفحات الأولى من الرواية "إن الكوليرا لا تهم أهل المدن في شـيء، إنها تهمنا نحن فقط ".

وصالح هذا في حد ذاته رمز كبير للعجوز، فهو يحدثها عن أحوال القرية ومرضاها، والأسرة التي مات منها أحد عشر شخصاً وذلك من خلال حـوار طويل دار بين الاثنين، وفي هذه الزيارة أيضاً تعرف أن زوجها سعيد يجـد مـن يتولى أمره في غياب العجوز : تبدو المرأة وقد تحجرت مشاعرها لكثـرة مـا سمعت من أخبار عن موتى الكوليرا. ولا يخفف هذا التحجر سوى مرض سليم المدرس بعد عودتها إلى المدينة. ثم مرض حفيدها، لقد تركت الجدة حفيدها عند الأستاذ سليم من أجل أن تذهب إلى العزاء، وسليم عند أندريه شـديد رمـز الأمل الذي لا يموت.

وسليم المعلم يرتدي ملابسه على النمط الأوروبي، كان كل شـيء في هذا الشاب يوحي لها بالثقة، كانت تجد وجهه جميلاً وسيماً، ونظرته مشرقة، أما

ابتسامته فكانت تصفها بأنها قطر الندى، ولكن عندما يبدي الأستاذ سليم رأيه في الجهل والفقر والعلم، فإن وجهه يتغير فجأة وتتوهج أذناه ويتدفق الـــدم في شرايين صدغه وتتصارع أفكار كثيرة في رأسه، ويتملكه عنف شديد وعندئـــذ تتضارب كلماته، ويختلط بعضها ببعض فتصبح مبهمة.وعندئذ تســـتولي عليـــه موجات من الشهامة والثورة لا يكاد يعي كنهها ولا يستطيع أن يدرك مغزاهـــا أو أن يتحكم فيها.

وسليم المعلم، شخصية ذات أبعاد عميقة كما تقدمه الكاتبة، لذا، فـــإن إصابته بالمرض ترمز إلى تحطيم الأمل. ليس فقط في قلب الجدة، بـــل في قلـــب الصغير حسن الذي انتقلت إليه الكوليرا : " بعد ستة أيام سأكون قد شفيت، لا تنس ما أقوله لك، في اليوم السادس، إما أن نموت أو نبعث من جديد، اليـــوم السادس، وهكذا سيصبح لهذا اليوم معنى كبير، فهو اليوم الذي إذا لم يمت فيه مريض الكوليرا فمعنى هذا أنه قد اجتاز مرحلة الخطر.

وتمر ستة أيام، وينتظر الطفل، ولكن المدرس لا يعود، فينظر مرة أخـــرى بلا أمل، وبعد رحيل المدرس راح حسن يتسكع تائهاً في كل مكان، لا يحضر في وقت تناول الوجبة، فلا تتمكن جدته من رؤيته لأيام بأكملها. فكـــم تســـلل كالقطط بين الحارات مما يعني أنه فقد حبله السري، ما يؤهله للإصـــابة بـــنفس المرض، وقد كان ذلك سبباً لرحلة هروب تقوم بها صديقة من أجـــل الحفيـــد المريض، امرأة طاردها الآلام دوماً، وهاهي تردد : " إن الذي يرقد هنا لـــيس سوى صورة، صورة لطفل الغد. إن اليوم لا يعد شيئاً مادام الغد يتقرب بعـــد أربعة أيام من الآن ".

وتقل صديقة مركب، وفي اليوم السادس يصبح كل من فـــوق المركـــب الذي تعاطف معها، جسداً واحداً وكتلة بشرية تسعى لتوصيل حسن إلى البحر

مهماً كانت المصاعب. منهم مروض القرود الذي ركب معها والـــذي يـــدعى عوكل، وصاحب السفينة والنوبي، وأبو نواس الذي يردد حيـــاة "، ثم يصـــبح النوبي وقد أنار وجهه : إنه حي.

وتكاد تكون رواياتها : "نوم الخلاص " و " اليوم السادس " الوحيـــدتين اللتين تدور أحداثهما في مصر الحديثة، أما بقية أعمالها عن مصر فهي تـــدور في التاريخ الفرعوني، والتاريخ القبطي، مثل روايتها " إخناتون وحلم فرعون " عام 1964م وهي أيضاً مترجمة إلى اللغة العربية، والتي موضوعها الأساســـي هـــو الدفاع عن قدسية الحياة الزوجية، وعن الأمل في وجه قسوة التـــاريخ، فبطلـــة الرواية تموت في النهاية بعد قصة حب كبيرة، وقبل غيابها تؤكد في لحظة أمـــل على أن الموت ليس نهاية الحياة، إنه فقط مجرد نهاية للمصير الأرضي.

أما الرواية الثانية التي تدور في مصر من خلال التاريخ فمنشـــورة عـــام 1982م تحت عنوان "دروب الامل "Les marches du sahle ونحن هنـــاك أمام ثلاث من النساء في القرن السادس الميلادي " ســـير "، و" مـــاري"، و " أتاناسيا "، وهن في أعمار مختلفة، جئن إلى الصحراء القاسية من عوالم متباينـــة، ولأسباب أيضاً تختلف، يلتقين ويقررن أن يذهبن إلى الصحراء مـــن أجـــل أن يعشن معاً في مصير واحد.. ولقد جاءت هؤلاء النسوة من مدينة الإســـكندرية ومن بعض القرى المصرية القريبة منها، إنهن يبحثن عـــن الراحـــة الأبديـــة في الصحراء بعد أن عانين الكثير في المدن والقرى، والرواية تدور على لسان رجل عجوز يدعي " تميس "، فماري امرأة جميلة وذات أصل نبيل، وقد عملت محظية لشخصية بارزة في الثغر، لقد قررت أن تترك الإسكندرية فجـــأة ذات مســـاء عندما أحست أن روحاً تناديها أن تذهب.. وسرعان ما راحت الصحراء تدمر هذا الجمال الحي المتدفق، وتستهلك ذكرياتها حتى تقطع كل علاقة لها بالماضي،

أما " أتاناسيا " فقد كانت زوجة وأماً سعيدة إلى أن جـاء يـوم حكـم فيـه المتطرفون على ابنها الأصغر بالموت، وتم القبض على الطفل الذي وجد نفسـه وسط قوم بالغين يحاكمونـه ويقتلونـه، مما دفـع الـزوج أن يتجـه نحـو الصحراء..وكان على زوجته أن تذهب وراءه للبحث عنه..

أما المرأة الثالثة " سير "، فهى مراهقة، فلاحة صغيرة مليئة بالسحر، وقد هربت من الدير الذي يسيئون فيه معاملتها، وقررت أن تتوه في الصحراء باحثة عن الله من أجل حب صوفي يتم في صمت شديد.

وفي الصحراء تلتقي النسوة الثلاثة بتميس الذي يروي الأحداث، وهـو رجل على مسافة خطوات من الموت، لقد جاء إلى الصحراء بحثاً عن " أتاناسيا" التي جاءت بدورها بحثًا عن زوجها، إنها بالنسبة له حبه القديم الذي لم يـتمكن أبداً من أن يناله، ويقول جورج إيمانويل فلانسيه، أنه بالنسبة لنص تميس فـإن أندريه شديد تقدم لنا فاكهة حكمتها، حكمة وصفاء يرجعان إلى خبرة طويلـة مرتبطة بأحزان التاريخ، في داخلها شعر، مثلما تكلمت المرأة بلغة فواحة، ويبدو ذلك ماثلاً في وجوه النساء المصريات الثلاث اللاتي عشن في الأزمنة القديمـة، فمهمتهن من الروحية حيث تكشف لنا رؤية الروائية، رؤيـة تتناسـب مـع عصرنا..وكل العصور، عندما تتكلم عن "أتاناسيا " تكتب " إنها تكره جنـون الرجال الأقزام من أجل السلام الذي يوحي بالمذابح "، ونفهم أن هذا الحقد هو حقد دفين، ثم هاهي تعبر لتميس عن هذه الفكرة : " العالم الذي فيـه النسـاء أكثر ظلماً لا ينقذنا أبداً من المجاعات.. نحن نفكر في عالم لا يحكمه نداء الشـعر

وتعبر عنه أندريه شديد من خلال شخصياتها : " سير " و " ماري " و " أتاناسيا "، على أنه في النهاية عالم من الجمال والطيبة والعدالة " [1].

وعن تاريخ مصر القديمة قدمت أندريه شديد مسرحيات عديدة مثل مسرحيتها "برنيس مصرية" Berenice d'egypte والتي تعتبر أفضل ما كتبت في مجال الشعر، وتدور الأحداث في مدينة الإسكندرية، بين عامي **58** و **55** قبل الميلاد، إبان حكم " أوليت " أحد ولاة بطليموس الذى ولاه المدينة ثم ذهب يستكمل فتوحاته، وأوليت رجل طيب يحب الشعر والفن. ولذا يطلقون عليه اسم " عازف الناي "، ويتكلم الراوية سترابون عن الحاكم قائلاً : " إنه نموذج للشرف والفضيلة. وهو رجل خيالي، فانتازي. يميل للرقص والصراخ، والعزف على الناي، يرمز للحزن والشجون العميقة"..

ذات يوم يقرر هذا الوالي أن يترك مكانه لابنته الشابة برنيس وهي نموذج مكرر لأبيها وهي، كما تقول الكاتبة، الأخت الكبرى للملكة كيلوباترا السابعة، وكي تستقر على العرش، فإن برنيس تتزوج من كلاوس، ويكون الاثنان ثنائياً بسيطاً لا يتعلق كثيراً بالسلطة، ويتصرف ببساطة مع الشعب، فرسالتهما هي تدمير كل آثار الطغيان الذي كان يمارسه بطليموس، لكن هذا ليس أمراً سهلاً، ولكي ينجحا فعليهما الاستعانة بالشعب.

ولكن، بعد ثلاث سنوات من الفتوحات والحروب التي لا تنتهي يعود بطليموس إلى الإسكندرية، آملاً أن تكون الأمور قد سارت على هواه، لكنه يفاجأ ببرنيس وزوجها في مواجهة عودته بكل ما يملكان. فيقرر بطليموس الاستعانة بالقائد مارك أنطونيوس الذي يدخل المدينة بجيشه ويأمر بإعدام

---

(1) **L'actualite litteraire. G.E.Clancier No.31 Avril 1982، P.3.**

الزوجين. وهنا تقرر الأخت كيلوباترا أن تدخل حلبة الصراع من أجل العرش، وأن تدافع عن الحق بعد موت أختها. وهاهو عازف ناي صغير يطوف بضواحي المدينة، يغني حكاية الملكة برنيس المصرية التي ماتت على أيدي جيوش الطغاة.

وفي الفترة الأخيرة،ومن أجل لبنان، كتبت أندريه شديد روايتين تدور أحداثهما في لبنان الأولى في عام 1985م تحت عنوان "مترل بلا جذور " La maison sans racines والثانية في عام 1980م تحت عنوان " الطفل المتنامي L'enfant multiple " تدور أحداث الرواية الأولى في لبنان عام 1975م أي في بداية الحرب الأهلية، المترل الذي بلا جذور هو بيت أصبح يسكنه رجال مسلحون مثلما سكنوا لبنان، وفي هذا البيت تلتقي لأول مرة الجدة بحفيدهما، أثناء إجازة صيف، إحداهما تسكن باريس والثانية في الولايات المتحدة و ويدور اللقاء في لحظات قصيرة عابرة، وهناك اثنتان من النساء كانتا صديقتين في طفولتهما أصبحتا الآن تنتميان إلى قوتين متضاربتين ولكن عليهما أن يتبادلا الأماكن من أجل أن يسود السلام، وكي يذوب الحقد ويخلع عنه شعره الكثيف.

وبطلة الرواية تدعى "سيسيل" ، إنها في الثانية عشرة من عمرها، تعيش في الولايات المتحدة، أما الجدة فتدعى "كاليا" ، وهناك لقاءات قصيرة عابرة بين الاثنتين، فإذا كان اللقاء الأول قد تم في أغسطس عام 1975م، فإن لقاء آخر تم قبل ذلك، حيث كان هناك لقاء بين الجدة كاليا عندما كانت في نفس السن عام 1922م، وبين جدهما.. وهناك حالات انتقال غير ثابتة بين الحاضر والماضي، وفي اللقاء العابر نرى هناك جثتين لامرأتين. إنهما نفس الصديقتين القديمتين اللتين جاءتا من أجل المصالحة والسلام، لقد أطلق النار عليهما شخص مجهول..

تقول أندريه شديد " جاءتني فكرة هذه الرواية عام 1978م، فكرة هذا اللقاء بين شخصين جاءا من بعيد ويطاردهما التاريخ.. لقد رأيت الصغيرة تقع في الفخ.. ولم أكن أعرف كيف أنقذها فتركتها تهوي "[1].

لقد ماتت الصغيرة في هذا اللقاء العابر مع جدها، هبت عليها الرياح الدموية فغرق الوشاح الأصفر في الدماء.

أما روايتها " الطفل المتنامي " فيه تدور أيضاً في زمن الحرب اللبنانية، والبطل هنا طفل بريء يدعى عمر– جو، وهو ممزق مثلما بلاده ممزقة. كما أن أسرته منقسمة، فهو من أب مسلم وأم مسيحية، وكأنه لبنان كلها، لقد مات الأبوان في أثناء انفجار سيارة مفخخة أسفل عمارتهما في بيروت، وكان على عمر أن يعيش المأساة، هو في الثانية عشرة من العمر، ولكن ذاكرته خصبة ومزدحمة مثل الكبار، ورغم هذا فلديه شهية قوية لأن يبقى على قيد الحياة، ولا يموت غدراً مثلما حدث لأبويه، يقرر الرحيل إلى باريس عند أبناء عمومته، وهناك يلتقي بصديق فرنسي من نفس سنه يدعي ماكسيم، له شعر مجعد، ويحب مداعبة القطط، يلاحظ عمر– جو أن الأطفال الذين يعيشون في مدن مسالمة ليست بها حروب أهلية يحبون مشاهدة التلفاز ومتابعة قصص وأفلام الحرب، يتذكر عمر – جو بلاده التي امتلأت بأشجار الزيتون الأسود، والنعناع، الآن أصبح وطنه أشبه بالليل الدائم.

في باريس أيضاً يتذكر جده يوسف الذي يبلغ الثمانين من العمر. والذي عاش طويلاً في الجبال فيكتب له رسالة طويلة يعبر له فيها عن مدى سعادته بالحياة في باريس، فهو لا يسمع ليلاً أو نهاراً، أصوات المدافع ولكنه يسمع

---

[1] **A.Chedid، Josyan Savigeneau. Le monde 20-1-1985، P.22.**

صوت ماكسيم يلعب، ويقول أن الأشجار هنا لا تجتث من جذورها بسهولة، وهو لا يرى أي حوائط في المدينة وقد اخترقها الرصاص، ولكنه يرى رجلاً وامرأة يتبادلان القبلات دون أن يتساءلا عن ديانة كل منهما.. وتجيء رسالة من الجد يخبره فيها أنه سوف يأتي يوماً لزيارته في هذه البلاد. ولكن هذه البلاد لن تصبح قط وطنه، ويذكره أن المزرعة التي يعيش فيها لا يزال موجوداً بها الديوك والأرانب والماعز.

وفي الليل يحلم يوسف أن روحه تصعد إلى السماء وأنه يطير فوق البحر المتوسط، ثم يصل إلى باريس..

أما عن الروايات القليلة التي كتبتها أندريه شديد ولم تذكر فيها شيئاً عن الشرق، فهناك رواية بعنوان " الآخر" توحي أحداثها بأنها تدور في لبنان حول صداقة تنمو بين شاب ورجل عجوز رأى منزلاً ينهار عليه.

هذا هو بعض من عالم أندريه شديد الروائي.. فماذا عن علاقتها بالشعر ؟ لقد نشرت مجموعة من الدواوين من أبرزها " كلمات عن قصيدة"، و"كلمات عن الأرض الجديدة " ثم " الوجه الأول " ويتسم شعرها بأنه بالغ الخصوبة، مجرداً غالباً من الأزمنة والأماكن، عكس ما حدث في رواياتها، وهي أشعار يصعب ترجمتها إلى أية لغة. فهي تعزف على معاني الكلمات من خلال مقاطعها وكلماتها القصيرة، وتؤمن أن " صمام الشعر " أو مفتاحه هو الغموض. ويجب على الشاعر أن يغوص داخل دهاليز مليئة بالأسرار والألغاز والطلاسم " أحاول قدر الإمكان أن أبين الأشياء واضحة، ولكن هناك أشياء مختلفة في الشعر، ويجب أن تكون لنا فيه مسالك جديدة ".

وعن الشعر أيضاً تقول أندريه شديد " إن العالم الهائج الغامض السري الذي نحمله في داخلنا يفتش عن نوافذ يطل منها نحو الخارج. الشعر هو إحدى

هذه النوافذ، إنه خارج الأعمار والأجناس والألوان والجغرافيا، إنــه مــرادف للحرية أو بديل لها، ولا تحده حدود القسوة أو الدم إنه قصائد أحياناً، وتسقط منها نقاط الدم، دم أسئلة عن الموت والحياة والحب والمرأة والظمأ إلى سعادة لا تكتمل أبداً ".

الشعر جواب عن كل كائن، إنه أيضاً ينطوي على ضروريات لا نعرفها، يجب صقل العجينة الشعرية، تطويع الكلمات للوصول إلى التعبير الأكثر دقــة وإيحاء ، والقبض على أسرار الحياة، وكل هذا يتطلب انتباهاً وعملاً وبحثــاً لا نهاية له [1].

ولقد اخترنا إحدى القصائد السهلة نوعاً ما ، قياساً إلى أشعارها الأخرى تحت عنوان " انتقام " من ديوانها " نزوات وأعياد " :

كي تهرب من السعير

فإن السيدة الفسياء

تبيع قنواتها

كي تبني بيتاً

فوق نهر البورجيز

وكوخاً فوق مرتفعات البحر

لكن الريح مرة

لكن الريح مجنونة

من يفضل الفسياءات

---

(1) يكفي أنها مصر، يوسف القعيد، مجلة المصور، القاهرة **1988/6/24**م .

الوقاويق التي فقدت مناقيرها
قلبت الكوخ على عقبيه
والسيدة الفسياء
نفقت داخل البئر

في عام 1988م نشرت أندريه شديد مجموعة قصصية تحمل عنوان "عوالم مرايا ساحرة " **monde miroirs magiques** وبمناسبة صدور هذه المجموعة أجرت مجلة **arabies** حواراً مع الكاتبة تحت عنوان " أنني أحمل شرقي في داخلي " قالت فيه "إن العوالم هنا هي التجارب الإنسانية التي عاشتها، أما المرايا فهي التي تنعكس عليها ذكرياتها الحقيقية، وأحياناً الملابس التي نلبسها والتحولات التي نمر بها،وتعني الساحرة الحياة اليومية التي يحيا فيها الإنسان داخل خيالات، وترى شديد أنها قد لجأت إلى نشر هذه الأقاصيص لأن الأقصوصة هي فن أقرب إلى الشعر الذي نكتبه كثيراً، وقبل أن أذهب إلى القصة القصيرة ثم إلى الرواية، دون أن أهجر الشعر، أحس أنه يمكن الوصول إلى تشخيص الكتابة في القصة القصيرة، وأنا أحب أن أشخص كتاباتي مثلما في الشعر فنحن نتركه قبل أن نضع كل كلمة في مكانها [1].

وتقول الكاتبة في الحديث إنها قد استلهمت أعمالها من منابعها الشرقية: " أنا سعيدة أنني أعيش في أماكن متعددة، أنا أعيش كالثراء في حرية ولكنني قلت لك أنني ليست لدي النية أن اقتلع جذوري بشكل مأساوي، فهذا ليس أمراً سهلاً بالنسبة لي من أي شيء آخر. أحس أنني أنتمي إلى الشرق والغرب، وقد كتبت كثيراً عن مصر ولبنان، ومصر هي وطني الحقيقي بالنسبة لي، فإن الكثير من

)1(Arabies، Novembre 1988

العناصر تتلاحم، وتتزاوج وتتناطح، وهذا يسبب لي دوماً السعادة أن أسمـــع أن " اليوم السادس "، و " نوم الخلاص "مثلا كتابان عن الواقعية في مصـــر، يجـــب أن تحتفظ دائماً بشيء ما في أعماقك وأنت تعبر بلغات مختلفة" [2].

وعن المزج بين الثقافتين الشرقية والغربية، تحدثت أندريه شديد إلى مجلة " المصور " قائلة " لا أعاني من تمزق في المنفى أو من صعوبات التكيف، أشعر أنني أعثر على نفسي وذاتي في التعددية الثقافية، إن مناخي المفضل هو التناغم بـــين الشرق والغرب، هنا أميز بين نقاط التكامل والاختلاف، إن علاقـــات شـــرقية تسيطر على كتاباتي، من النادر العثور على علاقات غربية، جذوري في مصـــر ولبنان، شعوري شرقي، نبضي هو نبض المرأة الشرقية، الإحساس أقوى بكثير من الأساس الجغرافي.

أفتش عن تواصل ممكن بين الناس وأهتم بالبحث عن أرض تلاقٍ، وعـــن ينبوع مشترك وخبز تتقاسمه كل الشفاه، بسب ذلك، أنا في حاجة إلى التعـــبير والكتابة والقول، وذلك بأشكال الكتابة المختلفة، يجذبني ما هو أساسي وطبيعي عند كل واحد منا : الموت.. الحب.. الحياة [1]..

تقول أندريه شديد، في الحديث المنشور في مقدمة ديوانها " شمل تشـــابه ضائع "، والمنشور مترجماً إلى اللغة العربيـــة في عـــدد ديســـمبر **2001**م "إن القصيدة اندفاعة، رغبة، جوع، انطلاقة، أضعها على الورق ثم أتركها، على أن أعود إليها لاحقاً، أجد كامن الجمل، فأعمل على تبين هندستها الداخليـــة، ثم على بلورتها كعمارة شفافة. كما لو أنني أبسط أو أرخى فوق خشبة عريضة، ثم

---

[2] المرجع السابق.

[1] مجلة المصور، **14** يونيو **1988**م.

أنصرف من بعد إلى تسويتها وتشذيبها وهندستها. مثل هذا الوقت، مثل هـذه المسافة بين الوضع الأول والصياغة اللاحقة ضرورية. ذلك أننا نخرج من كتابة الشعر مفتوتين، قانعين، متوقدين، يحمينا التخيل. في العملية الثانية نصحح وننقح، ونحذف ونعدل. ذلك أن الشعر يبقى أكثر الأنواع الأدبية تطلباً وتشدداً. علينا أن نجد لكل كلمة مكانها، وفي إيقاع ما، أما في الرواية، فإننا نحس بوجود لحظات من " التراخي " إذا جاز القول.

وتقول أن "على القصيدة أن تبقى منتبهة ومتمردة، لا أقول هذا طلباً للرفض، بل حباً، طلباً للحياة الحقة، هذه الحياة التي لا نقوى على قولها، على الرغم من كونها فينا وبيننا، مثل نداء، مثل دعوة متشددة، القصيدة، القصيدة هي حب الكلمات الحية إزاء اللغة السارية، حب الكائن الإنساني عند منبعه، محرراً، من دون قناع، من دون أزياء المجتمع التنكرية، من دون الموضات اللامعة والعابرة، قصيدة مترددة دوماً ن بين الهاوية والسماء، متخلصة من المكامن، مكامنها خصوصاً، ومن التعيينات".

وإذا كان رمز التردد طويلاً أو بطيئاً في الرواية، فإنه قصير وسريع في الشعر، فللقصيدة في حضورها الأول مادة أولية صلصالية معطاءة. وتتضمن على الرغم من فوضاها المؤسسة لها، شكلاً ومبنى تعبيريين، علينا أن نكتشف هذا المبنى من دون ضجيج أو عجلة..

والجدير بالذكر أن شديد كانت قد قالت نفس الكلام في عدد مجلة "مدام لوفيجارو " السابق الإشارة إليه " باريس هي أرض مثل القاهرة من الرائع للكاتب أن يكون مواطناً فيها وأن يخرج أحياناً من جذوره وأماكنه، لم أبدأ في كتابة صفحات وجدانية عن مصر إلا بعد ثلاث أو أربع سنوات في فرنسا.

لم تتوقف أندريه شديد عن الإبداع رغم تقدمها في السن، ففي السنوات الأخيرة نشرت أعمالها مثل " وراء الكلمات " عام **1995**م، و" أراضي النفس " وهي دواوين شعرية، أما أحدث رواياتها فهي " فصول الممر " عام **1996**م، و " لوسي المرأة الأفقية" عام **2000**م، وفي عـــام1992م نشـــرت مجموعـــة قصصية بعنوان " في الموت والحياة ":، وفي نفس السنة نشـــرت مســـرحيتها " كش ملكة ".

وقد حصلت أندريه شديد على مجموعة كبيرة من الجوائز الأدبية نـــذكر منها: جائزة "لوي لابيه" عام **1966**م، وجائزة "النشر الذهبي للشـــعر" عـــام **1972**م، و"الجائزة الكبرى للأدب الفرنسي" التي تمنحها الأكاديميـــة الملكيـــة ببلجيكا عام **1975**م ، ثم جائزة "إفريقيا البحـــر المتوســـط" عـــام **1975**م، وجائزة "جونكور" في القصة القصيرة عام **1979**م، ثم جائزة في الترجمة الأدبية عام **1992**م.

فوزية أسعد

(1929م)

فوزية أسعد تؤلف رواياتها باللغتين الإنجليزية والفرنسية في نفس الوقت. وهي في هذا المضمار مثل الكاتب الأيرلندي صموئيل بيكيت الذي يؤلف رواياته ومسرحياته باللغة الإنجليزية وبحكم إقامته الدائمة في باريس فقد كان يترجم تلك الأعمال بنفسه إلى اللغة الفرنسية.

وفوزية أسعد الآن مقروءة في اللغات التي تكتب بها، خاصة الإنجليزية، والفرنسية، والغريب أننا في مصر لم نكتشف إبداعها إلا منذ فترة قريبة للغاية، عندما ترجمت روايتها المهمة " مصرية " في روايات الهلال، كما صدرت ترجمة روايتها " بيت الأقصر الكبير "عام **2005**م عن المجلس الأعلى للثقافة.

ولدت فوزية أسعد في مدينة القاهرة عام **1929**م لأبوين من الصعيد ينتميان إلى الأسر الموسرة، وقد حكت قصة أسرتها بالتفصيل فى "مصرية"، و " أطفال وقطط " ، واللتان سنتوقف عندهما، درست في مدارس المير دي ديو في القاهرة حيث عاشت الأسرة إلى جوار نهر النيل في حي المنيل، ذلك المكان الذي ترك أثره التام على الكاتبة.

وفي جامعة عين شمس حصلت على ليسانس الآداب قسم الفلسفة، وقد سافرت إلى العديد من البلاد مع زوجها الدبلوماسي الدكتور فخري أسعد، واستقرت معه في مدينة جنيف عام **1964**م، وعانت الكثير من هزيمة يونيو، وقررت أن تكتب رواية للقاريء العالمي في سويسرا أو خارجها لمعرفة الجانب

الحقيقي لوطنها، وقد شجعتها في ذلك كاتبة فرنسية شهيرة هي سوزان برو التي كتبت لها مقدمة روايتها الأولى " مصرية " المنشورة عام1975م .

في هذه الرواية تتحدث الكاتبة عن قصة حب ربطت بين اثنين من المفكرين وأصحاب الرأي في مصر إبان الستينيات، هي فتاة في مقتبل العمر، وهو اقتصادي بارز، فآمنا بمرحلة التحول الوطني. كما أن الرجل عانى الكثير من موقفه المعارض. فتم إلقاء القبض عليه، وإدخاله السجن، لكنه لم يكف عن النضال، وفيما بعد صار من الوزراء في إحدى حكومات جمال عبدالناصر.

وأهم ما في الرواية تلك المشاعر البيتية المصرية التي تفوح من البيت، فهناك تلاحم قوي بين الأسر المسلمة والمسيحية، والطرفان يقفان بنفس القوة معاً إزاء الأحداث السياسية الكبرى، ومنها العدوان الإسرائيلي على مصر عام 1967م.

أما روايتها الثانية " رجال وقطط " المنشورة عام 1987م في فرنسا، فهي أكثر نضجاً، وفيها تستجمع أجيالاً متعاقبة من أسرة مصرية كانت تمتلك الأطيان في الصعيد، من خلال الأبناء، والأحفاد الذين شهدوا أحداث ثورة 1919م، حيث وقف رجال الكنيسة في الأزهر ينددون إلى جوار أقرانهم المسلمين بالاستعمار البريطاني، ومن بين أبناء هذه الأسرة نرى يحيى الوطني الذي تلقى التعليم في الجامعة لكنه لم يحب الوظيفة. وهاجر في الستينيات إلى أوروبا، لكنه لم يتحمل الغربة عن الوطن فعاد إليه مع الانفتاح الاقتصادي.

ويروي البطل كيف تغير الوطن في سنوات قليلة. وهناك في الرواية العديد من الأبطال، منهم المناضل السياسي الذي تم اعتقاله مع العديد من أصحاب التيارات السياسية في سبتمبر عام1981م. وتمزج الكاتبة بين عدة

تواريخ في حياة المصريين، فالقطط حيوانات أساسية في بعض البيوت كما ترى فوزية أسعد، وهذه القطط مسكونة بأرواح أشخاص رحلوا عن الحياة في أزمنة متعددة، لذا فإن المصريين يتعاملون مع القطط على أنها ذوات سبعة أرواح.

ولسنا أمام رواية عن الطبقة البرجوازية المصرية التي عانى بعضها من قيام الثورة، ولكننا أمام نماذج للبسطاء، فهنا امرأة ضبطت في وضع مشين، وكان على زوجها أن يتعامل معها بإهانة شديدة، وقد ظلت خطيئة المرأة تطارد أبناءها من جيل إلى آخر باعتبار أن الخطيئة لا تموت في داخل الأسر المصرية.

وقد اتخذت إحدى النساء القريبات من تلك المرأة قضيتها كي تكرس كل حياتها للدفاع عن حق المرأة في أن تتساوى بالرجل، وقد تعرضت هذه الكاتبة الصحفية للكثير من المتاعب تبعاً لمواقفها النضالية في قضايا المرأة.

وهناك من النساء الفقيرات مثل " أم عبده " التي عاشت بعيداً عن أبنائها، ولم يطلقها زوجها، وظل يتعامل معها دوماً على أنها جسد يقترب منه بين وقت بعيد وآخر. وهي تعيش في ظروف صعبة، تقوم بغسل الملابس في البيوت، وهي امرأة لم تنل شيئاً ذا قيمة من الدنيا.

ورغم أن فوزية أسعد قد أدانت الوضعية الاقتصادية لبعض النساء المصريات إلا أنها، في روايتها، شنت هجوماً على قوانين الأحوال الشخصية التي صدرت في مصر في أواخر عهد الرئيس الراحل أنور السادات.

وقد حصلت هذه الرواية " رجال وقطط " للكاتبة فوزية أسعد على جائزة الرواية الأفضل في سويسرا عام صدورها، ورغم أننا أمام أستاذة فلسفة قامت بتدريسها لسنوات طويلة في جامعة جنيف، فإنها روائية من الطراز الأول،

وقد نشرت رواية جديدة عن الأسر نفسها عام 1992م، تحمل عنوان " بيت الأقصر الكبير ".

سوسن هي الشخصية الرئيسة في رواية " بيت الأقصر الكبير "، ولدت في البيت المطل على ضفاف نيل الأقصر، بجوار المعبد، حيث يتكرر على الدوام زواج إله وإلهة، وتولد شمس جديدة. لم تكن في نظر أمها سوى فتاة، أما والدها، فطموحاته لها ضخمة، يتخيلها المرأة الفرعون، يرى فيها صورة لحتشبسوت ابنة الآلهة، شمس أنثوية، كانت في قديم الزمان، هي الحاكمة.

أما الأب جرجس، الذي يرى في ابنته حتشبسوت، فهو السيد المطلق لمدينة الأقصر، وهو من عائلة يتأصل فيها اسم جرجس، لم يكن يرغب في جرح مشاعر أسرته وناسه، وهو الذي يتكرر اسمه بلا نهاية، بالتبادل مع ميخائيل، إنه يرجع شجرة عائلته في الخيال إلى قدماء المصريين، كان يضيف في حياء عتقاداً أن سلسلة من الأحبال السرية كانت تربط ابنته بحتشبسوت، مثلما كانت تربط الشمس السائدة بالشموس الراحلة.

وقد توغلت الكاتبة في الفصول الأولى من الرواية التي ترجمت عام 2004م إلى اللغة العربية، من إصدارات المجلس الأعلى للثقافة، وتتحدث عن الأقصر حين كانت ضيعة صغيرة متجمعة حول المعبد، لا يتجاوز عدد سكانها الألفين، كالقرية التي تضاعف حجمها، والمكونة من ألواح مبنية بالطين المجفف بأشعة الشمس..

وعلى جانب هناك، تروي الكاتبة حكاية أسرة مسلمة، هي أسرة أبي الحجاج التي عاشت بجوار الجامع داخل المعبد، أما تاريخ الأسرة العريقة، فإنه

يبدأ منذ إنشاء البيت الكبير الذي كان بمثابة القلب الذي خرجت منه شـــجرة العائلة، في البداية جذب البيت كل العائلة إلى الأقصر.

وتحكي الكاتبة عن علاقة الأشخاص بالأماكن، فميخائيـــل الجـــد تـــرك قوص، واتجه إلى الأقصر في عهد الخديو إسماعيل، كانت النساء الجمـــيلات في ذلك الحين تملأن الشوارع كما الحال في القاهرة والإسكندرية، لم تكن الأقصر قد عرفت الكهرباء بعد، وكانت الأرض لا تدر ربحاً لارتفاع نسبة الضـــرائب عليها، وتتساءل الكاتبة في سخرية ، ألم يكن الخديو يريد أن تصبح مصر قطعة من أوروبا إذن كان لابد أن يدفع الثمن باهظاً..

وتتتبع الرواية مسيرة جرجس بن ميخائيل، منذ أن تزوج من وردة، التي أنجبت له سوسن كان عمره أربعة عشر عاماً عندما قـــرروا زواجـــه في المـــرة الأولى، كان يذهب إلى مدرسة الخديو في القاهرة، ويقضي إجازته في الأقصـــر، وقد عاصر جرجس سنوات الحرب العالمية الأولى، وهـــو أرمـــل في الســـابعة والثلاثين من العمر، محاطاً بالثروات والألقاب، وقد ربطت الكاتبة بين مســـيرة حياة بطلها، وبين ما حدث في مصر، من تغيرات سياسية، وقد تزوج جرجس مرة ثانية فكان اسم العروس وردة بشرى، وهي من عائلة ويصا، وهـــي الـــتي تعلمت في معهد برسلي التذكاري الأمريكي، أول معهد للبنـــات في المنطقـــة، وترى الكاتبة أن بطلتها تمتعت بميزة أنها قاومت تأثير المبشرين،فقد كانت تلميذة فلي معهد بروتستانتي، لكنها كانت شديدة التمســـك بقبضـــتها المنشـــقة، لا تستسلم للاستعمار التبشيري، فتمسك بمذهب الطبيعة الواحد المنشـــق الـــذي يدل على روح وطنية متأججة.

وبزواج وردة صار البيت الكبير في فترة بهائه، كما أن فتـــرة الازدهـــار للأقصر هي عام **1923**م، حين تم اكتشاف مقبرة توت عـــنخ آمـــون وســـط

الكنوز المتراكمة في حيز صغير، وسرعان ما اكتسب الزوجان سلوك الأسلاف، يستقبل هو مدعويه في صالونه الكبير، وهي إلى جواره، وقد أنجب الزواج الثاني خمسة أطفالٍ، ولدان، وثلاث بنات علمهم كيف يرسمون الحروف الهيروغليفية، أكبرهن سوسن، التي رأت كم أن أمها تفضل شقيقها الأكبر عليها. كان على سوسن أن تتفهم الأمور، أما جرجس فقد استأجر مترلاً في القاهرة، بينما استمر الأبناء في تعلم الهيروغليفية، ففي الأقصر يشيح إله الشمس كل يوم في المساء، ويدخل مدينة الأموات، وفي البيت الكبير، تستقبلهن الحياة بشمسها، كانت تدخل عبر زجاج القبة الملون بأشعتها الحمراء والزرقاء والصفراء والفيروزية.

وقد تتبعت الكاتبة مسيرة الأسرة إلى أن مات جرجس ودفن في القاهرة، وقد ذهب كل من الأبناء إلى حيث اختار أن يعيش أو يعمل، وتبقى سوسن فخورة باسمها الذي يعني زهرة اللوتس، وأن أمها تسمى وردة.

وفي مقدمة الطبيعة العربية لروايتها " مصرية "، أو **Egyptiene**، كتبت فوزية اسعد باللغة العربية، ربما لأول مرة عن مسيرتها، "روايات الهلال" يناير **1997**م، قالت فيه " إن الكاتبة الفرنسية سوزان برو، هي التي طلبت منها أن تكتب" رواية حول امرأة مصرية تصف تقاليد مجتمعها ". فتلقيت هذا الاقتراح بسخرية، وقلت في نفسي بنوع من الكبرياء " أنا أستاذة فلسفة، ولا أريد كتابة مثل هذا الكلام الفارغ "، وكنت على وشك أن أرسل لها اعتذاري، ولكن بعد ثلاثة أيام تجلى لي كل ما أستطيع قوله في رواية، ولا يمكن التعبير عنه في بحث فلسفي، إنه الشيء نفسه الذي كنت أرويه في المجتمعات السويسرية والفرنسية، حياة مصرية ضمن المصريات، كل واحدة تختلف عن الأخرى، وكل منهن وريثة حضارات عديدة وعريقة، فالأساطير المصرية القديمة تعبر عن ما يحدث في التاريخ المعاصر، مثل أسطورة " ست " و" أوزوريس "، فلا يزال ا

لأخ يقتل أخاه رغم الحروب المتتالية التي لا تحل المشاكل بالمرة، وروح السخرية المتأصلة في كل مصري هي موهبة تمكنه أن يتعايش مع كـــل الطغـــاة الـــذين حكموه على مر الأزمنة..

المرأة المصرية هنا، قبطية، تعتبر امتداداً من الماضي، قطعة أثرية يمكنها أن تكون مادة دراسية في محاضرة عن الإنثربولوجي، أبلغها بعض الأصدقاء، إنهـــا تشبه زوجة سنوحي التي عاشت في زمن سيتروستوريس الأول، أو بـــالأحرى تشبه زوجة رمسيس الثاني، لقد نبهها البعض إلى أن طـــرفيّ عينيهـــا اللـــوزتين مسحوبتان إلى أسفل كعيني زوجة سنوحي، وأن حاجبيها أفقيين مثل حاجـــب زوجة سنوحي، تشعر أنها ذات أصول عريقة، ويوحي ذلك بشيء مـــن العـــزة الممزوجة بقشعريرة الموت من الناحية العاطفية.

هي مصرية، وأجدادها مصريون، وأجداد أجدادها أيضاً، ومهما رجعنـــا إلى الوراء في شجرة العائلة، فإننا لن نجد إلا زيجات الأقارب، ولو بحثنا من ناحية أمها فسنجد جدها، وهي زنجية بيضاء، يونانية، ضرب من الترف..

لقد كبرت تلك المرأة، وسط نسوة متشحات بالسواد، والدها ترتـــدي ثياب الحداد لوفاة والدها، تربت وسط حبيبة يكبرونها سناً، على الأقل، بأربعة أعوام، ووسط أولاد أعمام أحاطوها بالفظاظة،والغيرة.

سميت ليلى، عمدت بلا احتفال، ودون دموات، غطست عارية ثـــلاث مرات في ماء المعمودية، مات أبوها وهي في الثانية من العمر، تربطها بالمسلمين علاقة حميمة، خاصة الخادمة زينب.

وتصف الكاتبة أحوال المصرية في أسرة عادية، تسكن حي منيل الروضة، فهناك زينب، وزبيدة، وكوثر، كما تتحدث عن المراســـم الدينيـــة في حيـــاة

المصريين، ففي كل الأحوال كان الكبش موجوداً في مصر في جميع الاحتفالات، يوم شم النسيم، أو عيد القيامة عند المسيحيين أو عيد الأضحى عند المسلمين، رائحة اللحم المشوي تملأ حي الروضة كله، بقى لحم الخراف بالزبد السائل في الأسياخ، يدور ببطء على نار الفحم الزرقاء في كل حديقة.

وهناك توأمة بين ليلى، وبين الكاتبة، التي تعلمت في مدرسة قبطية، حيث تعلمت العربية ونسيت الفرنسية، لقد أجبرتها أمها أن تتحدث بالفرنسية، غير أن ليلى لم تكن سعيدة كما أن الكاتبة تتحدث عن رئيس الوزراء يوسف وهبه، جدها، دون أن تشير إلى اسمه، لقد كان رئيس وزراء حين كان الوفد يناضل للاستقلال، وتم نفي الرفاق إلى جزر سيشل، كما تتحدث عن رئيس الوزراء بطرس غالي الذي اغتيل، في زمن المحاكم المختلطة..

وقد تعلمت ليلى تاريخ فرنسا مثل الكاتبة، حفظت عن ظهر قلب في محافظات ومراكز فرنسا ونمت جاهلة بالتاريخ والجغرافيا والأدب المصري، مثل الفتيات الفرنسيات اللاتي نشأن في الدير، تعلمت أنه حينما يمشي اثنان معاً، فإن الشيطان ثالثهما، كما أن الكاتبة وصفت عادات المصرين، مثل صنع المسلى في بيوت المدينة، فالزبد يأتي من الريف في شكل أسطواني أبيض اللون مملح، وتقوم العملية بتحويل الزبد إلى " سمن" بتركه على نار هادئة يعني طوال نهار كامل في آنية كبيرة، الملح ينفصل عن الزبد، ويترسب في القاع مشكلاً " المورتة " التي تطعم خبز الفقراء، وفطائر الأغنياء، السمن الطيب لا غنى عنه في مطبخ المصريات، تضعه مدام مرقص، أم ليلى، في صفائح مربعة، في هذه الصفائح " خزين " السمن لأيام السنة حيث تغترف منه حسب احتياجاتها.

وهذا الوصف الدقيق لعادات مصرية قديمة، يتذكرها كافة من عاشوا هذه المرحلة من السنوات، ونحن نذكرها كمثال لما ملأت به فوزية أسعد كتابها

فهناك مراسم الجنازات، والأفراح، والأعياد، والأحداث السياســية، ومنــها حرب فلسطين عام 1948م، والضباط الشباب الــذين صــارت الســلطة في أيديهم، وتصفهم الكاتبة بأنهم رجال أذكياء،وهناك يحى شقيق ليلى، الذي تمت ترقيته إلى رتبة صاغ، وتقول إن التأميم كان فكرة " عبقرية "، فإنــه لم يفعــل سوى استرداد رأس مال قومي يستثمره الأجانب.

وقد توقفت الكاتبة عند ربيع عام 1972م، لــذكريات خاصــة بهــا، وتتحدث عن حسين الذي صار وزيراً، وعن أكتوبر 1973م قالت إن الجيش المصري اتخذ زمام المبادرة، وأثر المفاجأة نجح، فالعدو غاب عنــه أن يضــع في حُسبانه القوة المتفجرة الناتجة عن اليأس، في صمت عبر المهندسون القناة علــى الجسور، ساجروا الأرض المتموجة حتى تتمكن الدبابات من العبور، بينما على الضفة الأخرى يثبتون الجسور، الطيران لا يتوقف، يقصــف مراكــز الــدفاع الإسرائيلية وفي المساء عبر المصريون خط بارليف.

جان مُسقطلي

(1905م . 1965م)

ترى إلى أي هوية يمكن أن ينتمي كاتب من طراز جان مُسقطلي Jean moscatelli هو من أصل إيطالي، لكنه مولود في مصر في القاهرة، عام 1905م ، والتحق بالمدارس الفرنسية والألمانية بالعاصمة، خاصة مدرسة سان شارل بروميه، ثم في مدرسة الأخوة اليوسوعية، فأتقن اللغات الفرنسية والألمانية، والإنجليزية،والإيطالية، بالإضافة إلى اللغة العربية.

وعندما أنهى دراسته، عمل جان مُسقطلي في الصحافة الفرنسية، وأصبح واحداً من النشطاء البارزين في الحركة الأدبية بالعاصمة، وكتب العديد من المقالات في جريدة " الأسبوع المصري " التي كانت تصدر بالفرنسية، كما كتب في الصحف الأجنبية التي كانت تصدر أيضاً باللغة الإيطالية.

في عام 1935م، نشر الكاتب احتجاجاً ثقافياً في جريدة " الشرق الأدبي" مع صديقه راؤول بارم وهي الجريدة التي قاما بتأسيسها وأطلق عنوان "شعر من البلاستيك بكلمات عارية " حول الشعر التقليدي السائد في تلك الآونة، ولعله بذلك كان يشارك مدرسة الديوان، التي تتكون من الثالوث عباس العقاد، وإبراهيم المازني، وعبدالرحمن شكري، موقفهم من الشعر المتعارف عليه، خاصة ما كان يكتبه أحمد شوقي الذي كان قد لقى ربه قبل هذا البيان الاحتجاجي بثلاث سنوات..

لكن جان مُسقطلي لم يكن يقصد فقط الشعر العربي، بل رأى أن الشعر الفرنسي المكتوب في تلك الحقبة كان أيضاً جامداً، خاصة الذي كان يؤلفه الشعراء المصريون الناطقون بالفرنسية في تلك الآونة سافر العديد من الشعراء إلى فرنسا لإصدار دواوينهم هناك، ومنهم أحمد راسم، فأطلق عليهم الشاعر مُسقطلي مدافعه الأدبية.

كان الشاعر قد نشر كتابه الأول " نورستانيا " في فرنسا عام 192م، وفي العام التالي أصدر ديوانه الأول " أنا برونك " بباريس أيضاً ن وتتابعت دواوينه الصادرة بين العاصمتين الفرنسية، والمصرية، ومنها " أشعار ممنوعة " عام 1929م، ثم " أشعار تم العثور عليها فوق مقعد طويل " في العام نفسه، وفي سنة1930م نشرت له جريدة " الأسبوع المصري " ديوان " أربع عشرة ورقة في مهب الريح "، وفي عام 1935م صدر عن نفس الجريدة ديوان " ست سوناتات "، ثم " أشعار "..

وتعتبر هذه الفترة هي الأكثر خصوبة في حياة الشاعر جان مُسقطلي، ففي عام 1936م قدم كتاباً تاريخياً باسم " إخناتون أو الدين الأفضل "..

وقد توقف الشاعر عن الكتابة لفترة طويلة بسبب اندلاع الحرب العالمية الثانية، حيث صارت إيطاليا دولة معادية للاستعمار البريطاني في مصر، ورغم أن جان مُسقطلي كان يحمل الهوية المصرية فإنه قدتم القبض عليه، وراح يكتب مذكراته في معسكرات الاعتقال، وبعد انتهاء الحرب، عُين رئيس تحرير مجلة " إيماج " الفرنسية، التي كانت تصدر عن دار الهلال، وفي عام 1962م كتب " رباعيات المحبوبة "، وكان الاسم مكتوب بحروف لاتينية لكنها باللغة العربية نطقت.. وقد حاز على جائزة أدبية تمنح للأدب العربي المكتوب بالفرنسية باسم " جائزة واصف غالي".

وفي عام 1953م نشر ديوانه النثري " سوداء في معسـكر الاعتقـال"، وعكف على جمع كافة الشعر المكتوب باللغة الفرنسية، للشعراء المصـريين ن وأصدره في ديوان مختارات شعرية يحمل اسم " شعراء من مصر " نشره آتيليـه القاهرة عام 1955م .

وقد ظل جان مُسقطلي في القاهرة، يقرض الشعر، فلا يجد من ينشـره، باعتبار أن أغلب المطبوعات المكتوبة بالفرنسية قد تقلصـت في مصـر عقـب العدوان الثلاثي من ناحية، وأيضاً عقب حرب التحرير الجزائريـة، لـذا فـإن الشاعر عندما رحل عن عالمنا في الثاني من يناير عام 1965م وكان قـد تـرك خلفه الكثيرمن القصائد غير المنشورة، ومسودات رواية لم تعرف النشر حـتى الآن..

في ديوانه " رباعيات المحبوبة" يقول :

زهرية يديها تتزهر فيها الورود.
يانعة، تملأها الأشواك.
تخلب نظرتي دون أن تجعلني عاشقاً
والهاتم بلا سبب

وفي قصيدته " الهرم " يقول :

هندسة متقدمة

في الفضاء والزمن

أنتم يا من صرتم جزء

من اللحظات والثواني

أفضل من النظريات

أن تصعدوا إلى الروح

فالخط مستقيم

يحرث إلى الأمام

منى لطيف غطاس

(1946م)

الكثير من الكاتبات، والكتاب العرب الذين يكتبون باللغة الفرنسية، ذهبوا إلى فرنسا، للإقامة هناك، والنشر لدى الناشرين الفرنسيين خاصة عقب استقلال بلاد المغرب عن فرنسا في منتصف الخمسينيات، وعقب حرب السويس في عام1956م .

لكن النماذج بالغة الندرة فيما يتعلق بالأدباء الذين يكتبون بالفرنسية، قرروا الهجرة إلى كندا للإقامة بها، ونشر أعمالهم هناك، والسبب بالغ البساطة، أن أدباء كندا الذين يكتبون باللغة الفرنسية أنفسهم يرحلون إلى باريس من أجل اكتساب المزيد من التواجد الأدبي والشهرة.

لذا، يمكن اعتبار أن الكاتبة المصرية منى لطيف غطاس بمثابة حالة خاصة جداً في مسألة الهجرة الثقافية، والكتابة باللغة الفرنسية خاصة أنها متعددة العطاء، فهي روائية، وشاعرة، ومخرجة مسرح شعري، ومؤلفة موسيقى شعبية مصرية، ولدت في مدينة القاهرة عام1946م، سافرت وهي في العشرين من عمرها. وهناك التحقت بجامعة كيبيك في مونتريال، وحصلت على الليسانس في فنون الدراما عام 1976م، ثم حصلت على الماجستير في الدراسات الفرنسية في جامعة مونتريال عام 1980م .

عملت منى لطيف غطاس كأستاذة للتعبير الدرامي في مدرسة سلووين التابعة لمنشأة برنامج تعليم الفرنسية عبر المسرح من عام 1976م إلى عام

1978م، وأستاذة للمسرح عام **1977**م، كما ألقت العديد من المحاضرات في قسم المسرح التابع لجامعة كيبك في مونتريال عام **1978**م .

وكما أشرنا، فإننا أمام كاتبة جمعت بين أ كثر من موهبة، في الشعر، والرواية،والمسرح، والموسيقى، فقد أتقنت العزف الكلاسيكي على البيانو، بالإضافة إلى الغناء، ورقص البالية، وعشقت موسيقى الجاز الأمريكية، والرقص الشرقي، وقامت بإعداد الموسيقى لعدد من المطربين في كندا، وأيضاً لفريق " آمبريال " الكندي الشهير.

والغريب أن الكاتبة التي بدأت نشر أعمالها الأدبية في منتصف الثمانينيات، أي وهي في التاسعة والثلاثين من عمرها، قد أصدرت روايتها الأولى في القاهرة، لدى دار إلياس المعروفة، وكانت الرواية تحت اسم " نيقولا ابن النيل "، كما أن نفس الناشر قد أصدر لها ديوانها الشعري الأول في نفس السنة، **1985**م، باسم " أغنيات الكروان "، وهو نفس الاسم تقريباً لديوان أصدره عباس العقاد في الثلاثينات.

ودت الكاتبة منى لطيف غطاس أن تبدأ حياتها الأدبية في مصر، ولو باللغة الفرنسية وكما هو ظاهر، فإن دواوينها ورواياتها الأولى مستوحاة من طفولتها التي عاشتها على ضفاف النيل.

أما أعمالها التالية، فقد نشرتها بين كندا وبلجيكا، أولها ديوان شعري، ومجموعة نصوص نثرية حملت عنوان " أربعون حجاب للمنفى" عام **1986**م. ثم روايتها " طريق النهار والليل " عام **1988**م، و" الحكاية المزدوجة للمنفى " عام **1933**م ، و" جمال العالم الحزين ".

وكما نرى، فإن الروائية في هذه الأعمال الثلاثة تجتر ذكرياتها القديمة فوق ضفاف النيل، وهي تؤكد أنها لم تنقطع قط عن زيارة وطنها، وقد اكتسبت كتابتها قيمة وسط المهاجرين العرب المصريين المقيمين في كندا، فليس في مونتريال أديب له نفس الصيت، وقد أحس القاريء العربي المهاجر أنه لم يرحل طويلاً عن الوطن.

في عام **1990**م، قدمت الشاعرة ديوانها "غرفتي البلجيكية "إلى ناشر بلجيكي يدعى " آموك " ومن الواضح أن منى لطيف غطاس عاشت لفترة في بلجيكا، داخل غرفة صغيرة لم تشر إذا كانت غرفة فندق، أو غرفة في إحدى البنايات في بلجيكا، لكن من الواضح أن تجربتها العابرة في بلجيكا قد دفعتها إلى إصدار هذا الديوان.

في عام **1994**م، قدمت الشاعرة تجربة غريبة، حين تعاونت في إصدار ديوانها الجديد " قصائد مرسلة عبر الفاكس "مع اثنين من الشعراء الكنديين، بدت التجربة جديدة، فالقصائد هنا قصيرة، مختصرة، بما يتناسب مع عصر الفاكس، كما أن الشاعرين اللذين شاركا في الكتابة، ليسا من المهاجرين الكنديين، مما يعني أن القصائد الخاصة بسنوات الحنين قد اكتسبت هوية مختلفة..وأننا أمام شاعرة مصرية،صارت عضواً في اتحاد الكتاب بمقاطعة الكيبك، وجمعية الكتاب الكنديين.

روبير سوليه Robert Sole

(1946/9/14م)

ولد روبيرسوليه Robert sole في القاهرة من أسرة من الشوام، هاجرت إلى مصر منذ فترة طويلة، وتعلم في مدرسة الليسيه الفرنسية المصرية بمصر الجديدة، ثم التحق بمدرسة الجيزويت، وفي سن الثامنة عشرة، ترك مصر كي يستكمل تعليمه في فرنسا، حيث عاش وعمل صحفياً في جريدة "لوموند " الفرنسية لأكثر من عشرين عاماً،

قبل أن يفكر في العودة إلى مصر مرة أخرى، حيث عاد عام 1984م، بعد عشرين سنة من الغياب، وكان يتخلل هذه المدة زيارات مختلفة لمصر، حيث طلب من إدارة صحيفة لوموند تغطية افتتاح مستشفى عين شمس التخصصي الذي ساهم الفرنسيون في بنائه.

ومنذ تلك اللحظة، بدأت مرحلة جديدة في حياة سوليه، حيث قام بجولة مع منظمة اليونسيف في أنحاء البلاد التي كان يعرفها، حيث بدأ بالدلتا وقراها، التي كان يذهب إليها في طفولته، وصباه عندما كان عضواً في الكشافة، وكان يتجول في البلاد بالدراجة، ثم بدأ روبير في كتابة الرواية، حيث كتب أربع روايات هي " الطربوش " Le tarbouche عام 1992م، و " فنار الإسكندرية " d'alexandrie Le symaphor عام 1994م، و " المملوكة " La memlouka عام 1996م، ثم " مزاج " Mazag عام 2000م، ثم خرج سوليه من عباءة الرواية لينطلق إلى رحاب أكبر، وينشر العديد من الدراسات الأخرى من الكتب التاريخية إلى دراسات اجتماعية وسياسية كلها عن مصر،

ولكنها كانت كلها حقيقية وأحداثها موثقة،ولا تحمل أي رؤية من الخيال، ومع مرور السنوات أصبحت مصر، ليست فقط حب الطفولة، ولكنها أيضاً هدف للدراسة فنشر كتابه المهم " مصـــر ولــع فرنســي " **L'EgyptePassion Francoise**، الذي ترجم إلى اللغة العربية، وطبع أكثر من مرة منها في مكتبــة الأسرة عام **2002**م ، و "الولع بمصر" مع آخرين عام **2005**م ، و"بونـــابرت يغزو مصر" **2006**م ، و"مصر الأمس بالألوان" **2008** م و"أمسية فى القاهرة" **2010**م ، و"الحياة الأبدية لرمسيس الثانى" **2011**م و"الفرعون المنقلب عليه" **2011**م ، و"حول **18** يوماً غيرت مصر" و"تذاكر"، و"شـــامبليون" **2012**م و"السادات" **2013**م.

من كتبه الأخرى " علماء بونابرت " و" الرحلـــة الكـــبرى للمســـلة " وتشارك في كتب أخرى مثل " حجر رشيد" ، ولكن كانت أهم نقطـــة والـــتي جمعت كل هذه الكتب هي ولعه بمصر، فكتب" قاموس الحـــب عـــن مصـــر " **Dictionnaire amoureux de l'Egypte** عام **2002**م حيث اختـــار في قاموسه كل ما ربطه بمصر حتى تلك الأشياء التي لم يحبها، بل وكانت تثير غضبه مثل التطرف، والفوضى المرورية، والقذارة، حيث إنه محب لمصر ويريد أن يراها دائماً في أفضل حال، وقد كتب سوليه كتاباته باللغة الفرنسية لأنها لغته الأولى، وقد ترجمت كتبه إلى العديد من اللغات المختلفة، ومنها اللغة العربيـــة، حيـــث صدرت روايته " الطربوش "، ثم "مزاج "في سوريا،وهي أعمـــال لم تطبـــع في مصر باللغة العربية، حتى الآن.

يقول الكاتب " أنه حب الطفولة، الذي أخذ مع الزمن بعداً آخر، هـــذا البلد الذي أصبح بالنسبة لي مادة للدراسة، لغز غريب قضى رقية كـــل قطعـــة جديدة قصة ستين قرناً ومجتمع من ثمانية وستين مليون نسمة ".

الجدير بالذكر أن أول كتاب نشره سوليه كان عــام **1985**م بعنــوان "المسيحيون الجدد " عن أوضاع المسيحية في العالم، لكن أحداً لم يهتم به.

وفي روايته " الطربوش " يتحدث سوليه "إن إبراهيم باشا هو الذي أدخل الطربوش إلى مصر" لقد كان رائد الحداثة، فهو الذي بدّل الأرائك في المحــاكم بالكراسي، وهو الذي حطم عصى العسكر، وأمر بتنظيف الشوارع مــرتين في النهار".

وفي هذه الرواية، راح يتتبع عائلة بطرخاني التي سوف تظهــر مجــدداً في رواية لاحقة. إنها عائلة سورية الأصل، هاجرت إلى مصر في القرن التاسع عشر، كانت تتكلم اللغة الفرنسية،وهي تمثل الأقلية التي كانت تعيش في مصر، إبــان الاحتلال البريطاني، لقد تخصصت هذه العائلة في تصنيع الطرابيش ابتداءً مــن القرن التاسع عشر، ذلك الغطاء الذي يوضع فوق الرأس، والذي فقد صولجانه عندما قامت ثورة يوليو، حيث اعتبر رمزاً لعصر بائد..

والرواية تدور على لسان ميشيل بطرخاني الذي يقول : "حقاً، يا حبــيبي فإن أحداً لم يجبرنا على مغادرة مصر، فقد كان بإمكاننا أن نصبح خارجهــا، لم أكن متأكداً إن كان قد فهمني، وهل كنت راضياً عن إجابتي".

فالجدة ليندا، ظلت تحكي، حتى آخر لحظة من حياتها قصة المذبحــة الــتي أودت بذويها في دمشق عام **1860**م، لقد ودت العمة ماجي في أيامها الأخيرة أن تهاجر دون رغبة في العودة.

ويحكي الكاتب عن الأسر السورية التي هاجرت إلى أمريكــا الجنوبيــة، وعاشت بعض الوقت في مصر يمارس أبناؤها التجارة، ويصــدرون الصــحف،

مثلما يقول جورج بطرخاني " بدون السوربون، ما كان للمصرين أن يصـــدروا صحفاً بذات أهمية ".

وينتقل الكاتب بين أزمنة متعددة مثل الفلاشباك في السينما، ففـــي عـــام 1914م، التقت الجدة ميما بخليل يارد، الذي ستصبح زوجتـــه، هنـــا يرجـــع الكاتب إلى مشكلة عام 1907م، ثم يتحدث عن أول وصول للبارون إمبـــان عام 1905م إلى القاهرة، وقيامه بشراء عشرة آلاف فدان في الشمال الشرقي للقاهرة.

ويحكي الكاتب أيضاً عن مصاهرة جورج بطرخاني لأسرة توتا القادمة من حلب، صاحبة التاريخ الطويل في الاتجار بالحرير الإيراني، كان جـــورج يريـــد الزواج من الحسناء ماجي، أو مرجريت " إنها حيوان جميل، مخلوق للحب، ذات صدر ناهد يبرز أمامها، لكنه يتزوج من بولاندا، الأقل جمالاً، والأكبر منه سناً، لأنه لا يمكن أن تتزوج الأخت الصغرى، قبل شقيقتها الكبرى ".

وتكشف لنا الرواية، أن جورج لم يضع وقته، فقد عاشر الأختين معـــاً، خليل هذا، صار تاجراً، وحمل لقب البيه، وتغيرت مشاعره نحو مصر، وهـــو ذو الأصل المتواضع، الذي طلب منه ابنه الأكـــبر أندريـــه أن يلتحـــق بمـــدارس الجيزويت، فصاح : عائلتنا ليست مؤهلة لتخريج قساوسة في الكنيسة، ولكـــن ثلى تدير الكنيسة، ويسافر أندريه إلى ليون لاستكمال دراسته اللاهوتية، ويحس الأب أنه قد خسر ابنه.

الجدير بالذكر أن الدراسات، والمقالات التي بين يدينا، حول هذه الرواية الأولى، التي اهتمت بالرواية، قد كتبها أدباء عرب يكتبون بالفرنســـية، منـــها المقال الذي كتبه أمين معلوف في جريدة لوموند تحت عنوان " حنين النيل " في

6 مارس عام 1992م ، والمقال الذي كتبه الطاهر بن جلون في مجلة" نوفيــل أوبسرفاتور " تحت عنوان " رواية مهمة".

الرواية الثانية جاءت عام 1994م بعنوان " فنار الإســكندرية "، الــتي تدور في الأجواء نفسها وفي أسرة أخرى، هي أسرة توتا التي تمت مصاهرتها في الرواية السابقة، والتي وقفت عند قمة تجارة الحرير الإيراني في المنطقة، والبطــل هنا مكسيم توتا، كان في الثالثة عشر من عمره عام 1863م، عنــدما كــان موجوداً في ميدان مقاصل الإسكندرية، حين تم عزل رتبة ضابط شاب في ميدان عام، هذا الحدث يترك أثره في ذاكرة الصغير. والذي يتحدث عن عصر الأمير الشاب إسماعيل الذي صار خديو في العقد السابع من القرن التاسع عشر.

لقد كان مبهوراً بأووربا، وأراد أن يفتح بلاده نحو الغــرب، وحلــم أن يحول القاهرة إلى باريس الشرق، إنه واحد من كبار صــناع التــاريخ، وتم في عهده حفر قناة السويس، في مصر هذه، إبــان الحكــم العثمــاني، والمنافســة الاستعمارية بين الفرنسيين والإنجليز، كانت هناك رؤى ثورية لتطوير مصر، لذا، فإن مكسيم بدا مندهشاً بالتجربة، خاصة صــدور صــحيفة تســمى " فنــار الإسكندرية " التى يعمل بها الشاب ندا، الذي يقف ضد الاحتلال.

والرواية مليئة بالشخصيات، خاصة النساء، مثل العمــة إنجلــين، الــتي تزوجت عديداً من المرات إلى الجواهرجي الفريد فلكي، ملك السوق مــروراً بالطبيب الذي يغامر بحياته وسط المرضى المصابين بالعدوى، وتستمر الأحداث حتى عام 1885م، على أحد شواطيء الإسكندرية..

وفي روايته الثالثة " المملوكة"، فإن سوليه يتوقف أيضاً عن العالم نفســه، فالمملوكة هي دوريس صوايا، مسيحية مصرية من أصل سوري، تمارس الرسم،

لكنها لم تلبث أن هجرت الرسم كي تمارس التصوير الفوتوغرافي، الذي جاء إلى الشرق لتوه، في منتصف القرن التاسع عشر، وهي تراه وسيلة مليئة بالإحساس والفعالية للتعرف على الحقائق.

وإذا كان الكاتب قد اختار لبطلته أن يسميها المملوكة، فإن دوريس امرأة حرة، ترفض تماماً أن تكون مملوكة، ومن خلال مسيرة الشخصية، فإن الكاتب يحكي كيف تطور فن التصوير في مصر عقب افتتاح قناة السويس، من خلال رغبة المرأة في المشاركة في قضايا المجتمع، فقد تعلمت التصوير على يد زوجها، أما الزوجان بوبيتو، فهما اللذان علماها كيف تستخدم التصوير في تطوير المجتمع. ليصل إلى قمة هذا الفن، وحسب الكاتب، فإن المرأة صارت المصورة الخاصة للخديو واللورد كرومر، وقد وقعت في غرام ضابط إنجليزي يعمل من خلال الجيش المصري في السودان، وتترك كل هذا المجد الذي حققته،والأشخاص الذين يدورون في فلكها، كي تذهب وراء هذا الضابط وتصبح مملوكة له تتبعه في أدغال إفريقيا.

تعكس هذه الرواية المحاولات الأولى للنساء إلى التحرر، والعيش بعيداً عن سطوة الرجل، ولاشك أن هذه رواية ضد التحرر، فدوريس هذه نموذج مضاد لنورا في مسرحية إبسن، فهي تترك البيت بهدف، وكعادته فإن الكاتب يستخدم راوية كي يحيك القصة من وجهة نظره، فمكسيم هذا صحفي لامع، أما ابن عمه ميلو، فهو الرجل المستنير الذي تزوج من دوريس، وعلمها فن التصوير.

إذن، فالصحفي مكسيم توتا، ابن القاهرة، الذي حكى رواية " فنار الإسكندرية " يعاود الظهور من جديد، فهو في الرواية السابقة كان في الثالثة عشر عندما وصل إلى الإسكندرية لأول مرة مصاحباً لأبيه، الدكتور بطرس

الذي كان أحد مساعدى الخديو سعيد باشا، فإنه هنا قد صار أكبر سناً، وهاهو يعمل صحفياً أيضاً، باعتبار أن " فنار الإسكندرية " هو اسم الجريدة التي يعمل بها. وكما تعرف، فإن اسم الجريدة متخيل، لكنه الكاتب، كما صرح، كان يقصد جريدة البوجريه إيجبسيان.

تبدأ رواية " مزاج " بهذه الفقرة..

يقولون في القاهرة " عريض المنكبين، بهتة مهيبة".

في بداية الستينيات كان ابن عمنا باسل بطرفاني يعيش كواحد من أهم الأساطين في باريس لكن، لم يكن أحد يعرف بالضبط، ماذا يعمل، كان البعض يراه، والبعض الآخر يراه مفاوضاً أو رجل مال، أو رجل أعمال على كل حال، لكن له سلطنة، فبعد عشر سنوات من مغادرته مصر، أطلقوا عليه " ب ب " كنوع من الأسطورة "..

تحكي رواية "مزاج " عن شاب ولد في مصر، يروي تلك الوقائع، إنه من أصول فرنسية، يسافر إلى فرنسا بعد العدوان الثلاثي، يبحث هناك عن فرصة عمل، كل من أخبرهم بنيته للسفر أوصوه بأن يتصل بمصري مقيم في فرنسا منذ فترة طويلة ويدعى باسل بطرفاني.. وعندما يحل الصبي بباريس يفاجأ أن هذا الرجل يقيم في حي شديد الفقر، ولا يوجد على مظهره أي دلالة على أنه رجل ذو حيثية، أو حتى أية مكانة في المجتمع، يزوره في مكتبه فيلحظ أن حذاءه مقطوع من أسفل، ولا يملك في مكتبه أي شيء سوى مجموعة من دفاتر الهواتف، يطلب منه الشاب مكاناً رخيصاً للإقامة، وعمل إن أمكن، ويعده باسل بأن يدبر له هذه الأمور في أقرب وقت، يذهب الصبي وكله ثقة بأن هناك لغزاً ما حول باسل وتدور دهشته حول هؤلاء الذين أوصوه بالاتصال به،

والأجواء الأسطورية التي أحاطوه بها، ويستقر في نفسه بأن باسل هذا لن يكون مفيداً على الإطلاق..

تمر الأيام، يتصل باسل بالشاب لكي يخبره بأن لديه عمل مؤقت، وعليه أن يمر على مكتبه ليعرف التفاصيل، يثق الشاب بأن العمل ما هو إلا الإقامة في إحدى الشقق، يبلغه باسل بأنها مملوكة لأحد الأساتذة في الجامعة، وسيتحتم على الشاب الإقامة بها أثناء سفر الأستاذ إلى مؤتمر علمي خارج فرنسا، وهنا تساور الشاب الشكوك في هذا الأمر، ولكن الأمور تمر بسلام، وتكون بداية التعرف الحقيقي بين الشاب وبين باسل، بعد فترة يرسل باسل إلى الشاب تذكرتين لإحدى المباريات النهائية في بطولة رولان جاروس، لأنه لا ينوي الذهاب، فيفاجأ الشاب بأن التذكرتين في مكان مميز تماماً، وتمر الأيام ويقترب الشاب من باسل الذي يدعوه على العشاء في أحد المطاعم الراقية في باريس، وكعادته يفاجأ الشاب بأن المطعم بكامله من مديره إلى أصغر العاملين به يعاملون الرجل معاملة خاصة جداً.. معاملة كلها حب واهتمام، وهو أيضاً يعاملهم كأب، وهنا تبدأ التساؤلات التي لا تنتهي، لماذا كل هذا الاهتمام، ولماذا يحظى الرجل بكل هذا الاهتمام. فبطرفاني، هو سليل الأسرة التي قرأنا عنها في رواية " الطربوش "، إنه من أصل سوري..

حيث نكتشف أن باسل، رجل وهب نفسه لخدمة الآخرين، إنه قدر ما يقوم من خدمات فإن الناس تحبه، وتحاول أن ترد له الجميل، فهو ليس مديوناً لأحد، لأنه لا يطلب أموالاً مقابل خدماته، ولكن خدمات مقابل مثيلتها، "أطلب خدمات مجانية لبعض الوقت لمصلحة أشخاص يجتازون اللحظة"..

ويكشف الكاتب عن أهمية أن يفهمنا الناس، لأن الكثير من البشر في حاجة إلينا، مثلما نحتاج نحن أيضاً إليهم.

في حديث، على شبكة المعلومات حول هذه الرواية منشـــور أيضـــاً في جريدة بروجريه إجيبسيان – 14 يونيو 203م اعترف سوليه أنها بمثابة ســـيرة ذاتية، لكنه ابتدع شخصية باسل، من الخيال، وأنه كان يمكنه أن يأتي بشخصية حقيقية، لكن كان من المهم أن يكون هناك دافع ما لمهاجر إلى فرنسا أن يقابـــل شخصاً لا يعرفه، يتولى مساعدته، وباسل هذا في رأي الكاتب ينتمي إلى الأقلية المسيحية في الشرق الأوسط، ولكن أصوله المصرية لا تفســـر كـــل ســـلوكه، فأهميته في الخدمات التي يقدمها إلى الناس من غير عمـــد، ممـــا يجـــذب انتبـــاه الآخرين، وقد سهلت له جذوره الشرقية كل شيء أمامه.

ورغم ذلك فإن باسل، يرى أن فرنسا هي وطنه، وأن اللغة الفرنسية هي لغته الأساسية، ويعلق الكاتب على هذا في الحديث المنشور حول الرواية قائلاً " لقد تربيت في القاهرة في أوساط الفرانكوفونيين والفرانكوفونية. كنت أحـــب فرنسا عن بعد، ولم يكن لدي أي قطرة من الدم الفرنسي في عروقـــي، ولكـــن كان هناك قانون الدم، وقانون القلب، أنا الآن فرنسي القلب، وليس الدم ؟..

في عام 1999م صدر كتاب " مصر ولع فرنسي " وهو عمل حاول فيه الكاتب أن يستجمع كافة ما لديه من معلومات تاريخية وأدبية وفنية حول مـــا ربط بين فرنسا ومصر من ولع خاص، حيث يتناول سوليه الشخصيات البارزة التي لعبت دوراً مهماً في إحياء تلك العلاقة، سواء من الجانب المصـــري، مثـــل محمد علي باشا، أو الشيخ رفاعة رافع الطهطاوي، أو من الجانب الفرنســـي، ابتداء من نابليون بونابرت، أدميريت الذي أسس المتحف المصري، كما توقف عند الشخصيات المشهورة ذوات الأصل المصري، أو التي ولـــدت في مصـــر، ومنها داليدا، والمطرب كلود فرانشوار. وقد توقف عنـــد ظـــاهرة خاصـــة في أوروبا، ولا سيما في فرنسا اسمها الولـــع بمصـــر، أو الهـــوس بمصـــر، وهـــي

Egyptomania، كما قام بحصر أسماء الأدباء الذين تمت ترجمت أعمـــالهم إلى اللغة الفرنسية، مثل توفيق الحكيم، طه حسين، ومن المحدثين جمـــال الغيطـــاني، وصنع الله إبراهيم، وإبراهيم عبدالمجيد، ومحمد البساطي، وغيرهم..

وقد أشار الكاتب إلى التواجد القوي للأوروبيين في مصر في القرن التاسع عشر، ثم القرن العشرين، حيث أكدت الإحصاءات عـــام 1860م أن تعـــداد مصر كان خمسة ملايين نسمة في ذلك الوقت، وكان من بينهم خمسة عشر ألف فرنسي، وصل عددهم إلى 125 ألف قبل بدايـــة الحـــرب العالميـــة الثانيـــة، الفرنسيون هم الذين ولعوا بالحضارة المصرية، وعكفوا على دراستها ابتداءً من شامبليون وميريت، وماسبيرو،وهم الذين فكروا في حفر قناة السويس، وقدموا المشروع، وعكفوا على تنفيذه، وأسسوا المتحف المصري..

وفي حوار أجرته ميرفت ميلاد حول هذا الكتاب، نشـــرته مجلـــة آخـــر ساعة، قال الكاتب " التزمت بالحقائق بعيداً عن الحساسيات، ولم أشد ببونابرت أو ديليسبس، كان بونابرت قائد قوات طموحاً وقتل الكثيرين في سوريا، وأنـــا لا أخفي ذلك، ولكنه في الوقت نفسه عبقري، وانبهر بمصر، ذلـــك الـــذي استغله، ولكن لم يكن في استطاعتي تقليص نابليون بوصفه مجرد قائد عسكري. أما عن ديليسبس، فقد أوضحت أن قناة السويس لم تكن فكرته، كمـــا يطلـــق الكثيرون، إنما تعود الفكرة لعصر الفراعنة، عندما حفروا قناة تربط بين مدينـــة السويس والنيل. ولكن إن لم يكن ديليسبس لما تحقق المشروع في ذلك الوقت.

وعن مظاهر تعطش الفرنسيين للحضارة المصرية، قال سوليه أنه لم ير من قبل كل " هذا العدد من الفرنسيين الذين يتعلمون اللغة الهيروغليفيـــة، كمـــا يظهر هذا التعطش في عدد السياح الفرنسيين المتزايد. وكذلك فإن الكتب التي تسجل أعلى نسبة مبيعات في الأسواق الفرنسية هي الكتـــب الـــتي تتنـــاول

الحضارة المصرية القديمة، هذا بالإضافة إلى أن كل المعارض التي يدور موضوعها عن الحضارة المصرية القديمة تقابل نجاحاً منقطع النظير..

أما كتاب " حجر رشيد " عام **1999**م، فقد شاركته الكتابة درمتيك فالبيل رئيسة الجمعية الفرنسية للمصريات، وقد صدر الكتاب بمناسبة مرور قرنين على اكتشاف حجر رشيد، وفيه يتحدث الكاتبان عن قصة اكتشاف حجر رشيد حيث قامت القوات البريطانية بالاستيلاء على الحجر إبان انسحاب القوات الفرنسية من مصر عام **1801**م، هذا الحجر، الذي يعود إلى نهاية القرن الثاني قبل الميلاد، والذي وجد طريقه إلى متحف لندن،وقد تضمن الكتاب مجموع الرسائل التي تبادلها شامبليون مع العالم الأثري السويدي ديفيد أكير بلاد، والبريطاني توماس يونج، رغم الخلافات والمشاكل السياسية بين كل من إنجلترا وفرنسا.

ويقول الكاتب أن حجر رشيد هو في المقام الأول حجر مصري، اكتشفه الفرنسيون، وملكته بريطانيا، والغريب أنه حجر غير متكامل، ومع هذا له قيمة فائقة التصور، وهو من الجرانيت، ويقول الكاتب في حديث إلى ميرفت ميلاد، أيضاً، في مجلة آخر ساعة – **17** نوفمبر **1999**م حول عجز المصريين عن فك لغز اللغة الهيروغليفية أن الإمبراطور تيودور حرم في القرن الرابع الميلادي استخدام اللغة الهيروغليفية، لأنه كان يعتبرهم أوثاناً، فكان من الطبيعي أن لا يعرف أحد في مصر أي شيء عن هذه اللغة حتى القرن التاسع عشر ".

وفي قاموس العشق لمصر عام **2002**م، فإن الكاتب يتحدث عن الحي الذي تربى فيه، وهو حي العباسية، وأيضاً يتحدث عن سعد زغلول، وبين حرفي A وz يتحدث الكاتب عن كل ما يحبه في مصر، قديماً وحديثاً، مثل

الإسكندرية، ومصر الجديدة، وكل المدن التي زارها، والأشخاص الذين اقتربوا منه .. وعرفهم ..

جيلبيرسنوحي Gilbert Sinome

(2/18/ 1947م)

هو كاتب مصري رغم الاسم المستعار الذي اختاره لنفسه.

اسمه كما ينشره فوق كتبه جيلبير سنوحي GILBERTSINOUE، من الواضح أنه قد استعاره لنفسه من اسم الرواية الفنلندية الشهيرة " سنوحي " التي كتبها ميكافالتاري، وتحولت إلى فيلم شهير قام ببطولته فيكتورماتيور عام 1954م.

سنوحي المعاصر مولود في مدينة القاهرة عام 1947م في أسرة مسيحية اختلطت بالأجانب وتزاوجت معهم، تلقى علومه في مدارس الجزويت، ويعتبره النقاد كاتباً مزج بمهارة بين حضارتي الشرق والغرب معاً، سافرت أسرته إلى فرنسا عقب العدوان الثلاثي على مصر، فلم يتمكن قط من اللغة العربية، لكنه لم يتوقف عن العودة إلى القاهرة. حيث يعمل كمدرس للجيتار في باريس.

بدأ حياته الأدبية عام 1987م بروايته " الأرجواني والزيتون " ثم قدم مجموعة من الكتب والروايات منها " ابن سينا أو طريق أصفهان " عام 1988م، و " المصرية " عام 1993م، ثم " بنت النيل " عام 1993م، وفي عام 1995م نشر روايته "كتاب الزبرجد " والتي تدور أحداثها في غرناطة والأندلس في عام 1487م أي قبل خروج العرب من الأندلس مباشرة، وقد حازت هذه الرواية على جائزة المكتبات، وهي إحدى الجوائز المهمة في الأدب الفرنسية المعاصر. أما أعماله التالية فهي " فرعون الأخير " عام 1997م، و "

إلى ابنتي في الألفية الثالثة "، و " كتاب حكمة الشرق " عام 2000م ، و " أيام وليالٍ " عام 2001م (رواية)، و "السفيرة "، وهي سيرة ذاتية عام 2002م، ثم "صمت الله "عام 2003م، و " سفينة إلى جهنم " عام2005م ، و"الملكــة المصلوبة" 2005م و"الكولونيل والملك الطفل" 2006م ، و"أنـــا اليســـوع" 2007م و"السيدة فى الصباح" 2008م و"إن شـــاء الله" 2009م و"نســـمة الياسمين" و"صرخة الأحجار" 2010م و"مشاعر مصر" و"12 امرأة مطرفيـــة غيرن التاريخ" 2011م و"الرجل الذى كان ينظر الى الليل" 2012م و"ليالى القاهرة" 2013م و"النسر المصرى" 2015م.

في عام 1997م نشر جيلبير سنوحي كتابه الضخم " آخر الفراعنة محمد علي " يجمع بين الدراسة التاريخية والصياغة الروائية، وهي تكاد تكون الروايـــة الوحيد المكتوبة عن محمد علي باشا وتعيد له بعض الإنصاف باعتبار أن الرواية الوحيدة المكتوبة باللغة العربية عن" مذبحة المماليك " لجورجي زيدان قد أدانت محمد علي وهو يتخلص من خصومه المماليك.

لم يكن لمحمد علي أي صفة حين وصل نابليون إلى مصـــر عـــام 1798م لكنه وضع عينيه على تجربة الالتحام بالثقافة الأوروبية خاصة فرنسا، ومـــا أن تولى الحكم عام 1805م حتى فكر في استحضار الفرنسيين، فأنشأ المدارس التي تجذب المستشرقين، وفتح المعاهد، وأرسل إلى فرنسا من يتلقى تعليمـــه، ويـــأتي ليتولى المناصب الكبرى في الوطن، وعلى رأسهم المفكر رفاعة رافع الطهطـــاوي صاحب كتاب " تخليص الإبريز في تلخيص باريز".

ويقول جيلبير سنوحي أن محمد علي لم ينظر إلى مصر وحدها، بل تطلـــع إلى ما حولها، وفكر في أن يرسل جنوده إلى البلاد الأخرى، وبالفعل فإن جيوش ابنه إبراهيم باشا قد وصلت إلى الحجاز، وبلاد فارس، ومرت بالشام، ووصلت

إلى تركيا، كان همه هو أن توصم هذه البلاد بالحداثة، فاستجلب من فرنسا المهندسين، والمعماريين، والعلماء، وسعى إلى شق الترع، وإنشاء الخزانات الصغيرة.

ومن أجل تشجيع إحضار العلماء، راح ينعم على القادمين منهم إلى مصر بالألقاب الشرقية، وكانت عيناه دائماً مركزتين على تطوير البلاد، فأخرجها من إقطاعيتها، وتخلص من المماليك، ليصنع سادة جدد كل همهم هو تحديث البلاد..

ويعتبر محمد علي باشا هو الحاكم الأطول باعاً في تاريخ مصر الحديث، فلم يهدأ عن المشاريع منذ أن تولى الحكم إلى وفاته عام **1838**م، وقد تكالبت ضده قوى عديدة لإجهاض مشروعه الحضاري، وكان الاتفاق بين بريطانيا، وتركيا سبباً في عودة الجيش المصري مرة أخرى إلى الثكنات، وبموت محمد علي انتهى الحلم.. وبدا العبء ثقيلاً فيما يخص ابنه الخديو عباس الأول الذي لم يستمر طويلاً في الحكم.

ويعترف جيلبير سنوحي أن محمد علي هو باعث النهضة العربية الحديثة، فبدونه لم يكن للمنطقة أن تقفز بسرعة، وقد اتسم بالعديد من سمات الفراعنة،رغم أصوله غير العربية،فهو يعرف طريقه، ولديه مشروعه الحضاري الذي لم يتوان لحظة عن تحقيقه مهما كانت الصعوبات.

أما رواية " المصرية " المنشورة عام **1993**م فهي تدور عام **1790**م ، من خلال الفتاة المصرية شهرزاد، إنها فتاة حالمة، في الثالثة عشر من عمرها، تعيش في وطن يحكمه العثمانيون الذين بدءوا في التمزق منذ سنوات من خلال مجموعة الباشاوات الأتراك الباحثين عن السلطة، والبهوات المماليك، وفي عام

1798م ، يترل بونابرت، الذي أصابه الحلم بالشرق حيث يصل إلى الإسكندرية على رأس 40 ألف رجل، ومنذ تلك اللحظة، تجد شهر زاد وأسرتها أنفسهم وسط العديد من المتاعب ضد الحملة الفرنسية، وسط حمامات الدم تملأ رمال الصحراء، وصفحة النيل.

أما رواية " ابن سينا أو طريق أصفهان "، فإنها تدور في القرن الحادي عشر، حول حياة العالم ابن سينا الذي استوعب أغلب علوم عصره، وقام برحلات في العالم الإسلامي في تلك الحقبة، حيث كان الإسلام في قمة ازدهاره العرقي، وتحكي الرواية قصة الصداقة التي ربطت بين ابن سينا، وصديقه أبو عبيد الجوزجاني، ويتبع الكاتب شخصيات عديدة، كي يحول حياة ابن سينا إلى عمل إبداعي، ويرى سنوحي أن ابن سينا كان عالماً، ورجلاً مؤمناً، وشغوفاً بكل العلوم.

قائمة بأسماء الكتاب المصريين الذين يكتبون بالفرنسية

أرتين، يعقوب (1842م - 1919م):

من أصل أرمني، كان أبوه وزيراً للخارجية في حكومة محمد علي، درس في تركيا وفرنسا، واهتم بالقانون والأدب واللغة، عندما عاد إلى مصر عام 1870م عينه الخديو إسماعيل سكرتيراً أوروبياً للقصر وبعد ذلك عين وزيراً مرتين، واهتم بالأدب المصري، من أهم أعماله : " الممتلكات العقارية في مصر " عام 1883م، و " حكايات شعبية " عام1985م، و" 16 حدوته " عام 1903م، و " حكايات شعبية سودانية " عام 1909م، (انظر الفصل الثاني).

أركاش، جان (1902م- 1961م):

ولدت في الإسكندرية لأب من أصل سوري لبناني وأم فرنسية، درست في " الليسيه فرانسيه " ثم درست الأدب والموسيقى، تزوجت عام 1945م، وانتقلت لتعيش في القاهرة، وماتت عام 1961م، ودفنت في الإسكندرية، لم تنشر أعمالاً أدبية، لكن أغلب ما تركته مسودات " الإسكندرية في مرآتي " عام 1931م ، " الفرقة العالمية " عام 1933م، " أمير الصليب " عام 1937م، " شفا أبو سليمان " عام 1953م ، نشر في دار المعارف.

أسعد، فوزية (1929م):

ولدت في القاهرة لأبوين صعيديين، درست في مدرسة " مير دي ديو " ورحلت إلى فرنسا، وحصلت على دكتوراه في الفلسفة، وعادت لتدرس

الأدب في جامعة عين شمس، تزوجت من د. فخري أسعد الذي سافر إلى جنيف، من أعمالها " المصرية "رواية **1975**م ، وكتاب باللغة العربية عن سورن كيركجارد عام **1965**م، ورواية " أطفال وقطط " عام **1987**م ، و " بيت الأقصر الكبير " عام **1992**م، ثم كتاب عن حتشبسوت عام **1999**م

<u>أكساوس، سيلين (1903م - 1979م):</u>

ولدت في الإسكندرية من أبوين لبنانيين عاشا طويلاً في مصر، درست في المدارس الفرنسية، كان أخوها رينيه ناسو شاعراً موهوباً، اختلطت بالأوساط الأدبية، وساهمت في الحركة الأدبية الناطقة بالفرنسية في مصر ولبنان، من أعمالها " الكنيستان " عام **1943**م، و " السلم العاجي " عام **1952**م ، وتاريخ وفاتها غير معروف.

<u>بارم، راءول (1904م - 1978م):</u>

من أصل مالطي، ولد في بور سعيد، ودرس في القاهرة في المدرسة الألمانية، ثم في مدارس الجزويت بالإسكندرية، نشر أشعاره الأولى وهو في سن الرابعة عشرة بالقاهرة في الصحف، ثم نشر أول ديوان له عام **1926**م ، اشترك في تأسيس ست مجلات أدبية باللغة الفرنسية، عمل في الترجمة، ومدرساً، وعمل في إحدى دور النشر، ترك مصر عام **1956**م إلى إيطاليا، من دواوينه : " الملاحق الأولى " ديوان شعر عام **1926**م ، " مفتون بشفتيك " عام **1928**م ، " ارفع الستار " عام **1929**م، " جناح قديم " عام **1930**م ، " الصلاة الراقصة "عام **1969**م ، " مجداف من ذهب " عام **1971**م .

بلوم، روبير (1901 م - 1958م):

ولد في تونس، ثم تركت الأسرة تونس إلى القاهرة عام 1904م ، عمل مفتشاً في المدارس الإسرائيلية ثم رحل إلى فرنسا ليؤدي الخدمة العسكرية عام 1922م ، وعاد إلى مصر ليعمل بالصحافة في الإسكندرية ثم في القاهرة، روائي وكاتب قصة قصيرة وشاعر، وكاتب مسرحي، من أعماله " أشياء صغيرة " عام 1925م ، و " الظلال على الحائط " عام 1928م ، و "خمسة مشاعل " عام 1930م ، و " قصص أطفال للكبار " عام 1942م ، و" قوس قزح " ديوان شعر عام 1951م ، " علامة عربية " رواية عام 1955م.

بونجان، فرانسوا (1884م - 1963م):

ولد في ليون، ودرس في المدينة، وهناك كتب روايته الأولى " قصة اثنتي عشرة ساعة " كتب لها المقدمة رومان رولان، وصل عام 1919م إلى مصر وأقام بها 5 سنوات وشغف بها كثيراً، وصادق مثقفاً مصرياً هو أحمد نصيف الذي فتح له مجال الإسلام والأزهر، عاد إلى فرنسا وطلب العودة إلى مصر، وعاش سنوات بين المغرب وسوريا والجزائر ومات في الرباط، من أعماله : " منصور، قصة طفل مصري " 1924، " منصور في الأزهر " عام1927م ، " الشيخ عبده المصري " عام 1929م ، " الثقة في فتاة ليل " عام 1939م.

أدمون جابيس (1912م - 1991م):

(انظر الفصل السابع)

جوزبوفيشي، ألبير (1892م -1932م):

ولد في اسطانبول ودرس بها، أبوه من أصل روماني، جاء إلى مصر عـــام **1904**م مع أسرته، تعرف على الكاتب ألبير عدس واهتم بـــالأدب، كتـــب الرواية، سافر إلى مصر، ثم قرر الإقامة بها، ترك عند موته الكثير من الروايات غير المنشورة، من أعماله : " بالتعاون مـــع ألـــبير عـــدس"، و " القلقـــون " عام**1914**م، و" كتاب جحا " عـــام**1919**م، و " ســـعيد الجميـــل " عـــام **1928**م.

جون سيانيفو، آجوستينو (1876م - 195م):

ولد في القاهرة من أصل إيطالي، كان أبوه يعمل لمصلحة الخديو إسماعيل، عاش في الإسكندرية واهتم بالشعر، وكان ينتقل بـــين مصـــر وأوربا،وكانـــت أشعاره عن مصر، وفي أواخر حياته استقر في إيطاليا، وهناك ذاع صيته كشاعر، اهتم به أندريه جيد، من أهم أعماله : " أشعار" عام **1925**م، "الحضور الخفي " باللغة الإيطالية، ومنشور بالإسكندرية عام **1899**م، "اليد " عـــام **1900**م، باللغة الإيطالية.

حنين، جورج (1914م- 1973م):

(انظر الفصل الثاني)

ديبو، سيريل :

اسم مستعار لشخص يدعى محمد صديق، ابن صديق المفتش وزير مالية الخديو إسماعيل، درس في سويسرا، عاد إلى مصر وصادق العديد من الأدباء الفرنسيين مثل أندريه جيد، وجان كوكتو، عاش في مصر أثناء الحرب العالمية الأولى، واستقر في الإسكندرية، من أعماله :" البكاشين " مسرحية عام **1944**، و " دون جوان أو النرجس " عام **1944**.

راسم، أحمد (1895- 1958):

(راجع الفصل الثاني)

سكوفي، أليك (1886- 1932):

شاعر يوناني يكتب بالفرنسية عاش في الإسكندرية، وكان يعيش بين مصر وفرنسا، اشترك في تحرير مجلة " الأسبوع المصري "، من أعماله : " الأشعار الأولى " عام **1909**، " أغنيات الشعارات " عام **1909**، " الإغراءات " عام **1924**م، " الكمان الآلي " عام **1932**م، و " سفينة بالهلب " رواية عام **1932**م.

جيلبير سنوحي (1947م):

(انظر الفصل الثاني).

روبير سولير (1946م):

(انظر الفصل الثاني).

شديد، أندريه (1928م - 2011م):

(انظر الفصل الثاني).

شميل، ماربوس (1863م - 1956م):

ولد في ليفربول بإنجلترا، ودرس في بيروت، وجاء إلى مصر ليعمل في البنوك والصناعة، ابن أمين شميل الذي كان شاعراً، اهتم مثل أبيه بالشعر، وراح يكتب مقالات في النقد الفني في الصحف المحلية، وفي عام **1920**م ، أسس " مجلة العالم المصري "، وحصل على جائزة واصف غالي، يعتبر واحداً من طلائع الأدب المكتوب بالفرنسية في مصر، من أعماله : " الطوفان الكبير " مسرحية ترجمت إلى العربية عام **1918**م، و " ضد النسيان " عام **1920**م.

العقاد، توفيق (1889م -1956م):

ولد في الإسكندرية ودرس في المدارس الثانوية الفرنسية ثم في القدس، تنقل بين الإسكندرية وفرنسا، وحصل على الدكتوراه وعمل في البنوك والصحافة والمسرح، أقام في لبنان فترة، ثم عاد إلى الإسكندرية، من أعماله : " ليلة في وادي الملوك " عام **1925**م ، و " ليلةعند سفح الهرم "عام **1937**م ، و " ليلة تحت قوس النصر " عام **1937**م .

عدس، ألبير (1893م - 1921م):

ولد في القاهرة ودرس الحقوق في باريس، ارتبط عطاؤه بجـوبيزفيش وفي نهاية الحرب العالمية قرر أن يستقر في فرنسا، وبعد وفاته عملت زوجتـه علـى نشر أغلب أعماله، من أعماله " ملك عار "عام 1922م ، و " عـدس عنـد برجسون " عام 1949م .

غالي، واصف بطرس (1978م - 1958م):

ولد في القاهرة، ودرس في المدارس الفرنسية، ثم سافر إلى فرنسا، عنـد عودته اهتم بالسياسة، من أهم أعماله "حديقـة الزهـور " عـام 1913م، " اللآلئ اللامعة " عام 1923م .. (انظر الفصل الثاني).

فراوي، جيهان (1861م - 1940م):

اسمها الحقيقي جان بوش داليس، جاءت مع زوجها سـليم فهمـي إلى الإسكندرية عام 1879م ، ثم عاشا في طنطا، درست اللغة العربية بناء علـى نصيحة زوجها، وأرسلت مقالات إلى الصحف المحليـة والأجنبيـة، وحققـت رواياتها الاجتماعية والتاريخية التي تصف مصر الحديثة والقديمة نجاحاً وشـهرة، عادت إلى فرنسا عام 1919م بعد وفاة زوجها، وظلت تهتم بالأدب، وكـان أصدقاؤها من المصريين هناك، من أعمالها : " الأمير مراد " عام 1898م ، " في قلب الحريم "عام 1910م ، " وردة الفيوم "عام 1912م ، "الغريب " عـام 1921م ، و " المصري الخالد "عام 1921م و"مصير الآنسة عيسى الغريب " عام 1935م.

فوشيه زنانيري، نيللي (1897م):

ولدت في الإسكندرية من أسرة سورية تقيم في مصر منذ القرن السابع عشر، درست في دمشق وأقامت في مصر، اهتمت بالمسرح ودرسته لمدة عامين في فرنسا، تزوجت من الصحفي جورج فوشيه، وبعد زواجها الثاني افتتحت مكتبة، ثم سافرت إلى سويسرا، من أعمالها : دواوين " حديقة الصباح " عام **1920**م، و " الواحة العاطفية " عام **1929**م، " في الظهيرة تحت الشمس الحارقة " عام **1936**م ، و " الشمس الغائمة " عام **1974**م.

قصيري، ألبير (1913 م - 2008م):

(انظر الفصل الثاني).

القلوب، قوت (1892م - 1968م):

(انظر الفصل الثاني).

منصور، جويس (1928م - 1986م):

(انظر الفصل الثامن).

موسكانيللي، جان (1905م - 1956م):

من أصل إيطالي، ولد في القاهرة ودرس في المدارس الألمانيـــة، ثم اهـــتم بالصحافة والحركة الأدبية، عمل في " الأسبوع المصري "، تولى رئاســـة تحريـــر مجلة "إيماج "كتب الشعر، ظل في مصر حتى وفاته، من أعماله : " هذيان " عام 1926م، " أنا بدونك "عام 1927م، " أشعار ملقـــاة فـــوق مقعـــد " عـــام 1929م، " أشعار " عام 1935م، " رباعيات للحب " عام 1952م، " زنجية في معسكر الاعتقال" عام 1953م ، و " أشعار في مصر " عام 1955م.

نية سليمة (1878م- 1908م):

اسمها الحقيقي أوجيني يرين، تزوجت من رشـــدي باشـــا وعاشـــت في القاهرة، واختلطت بالمصريين، من أصل تركي، راسلت أهلها الذين يعيشون في فرنسا، اهتمت بالحركة النسائية، وقد تتلمذت هدى شعراوي على يديها، مـــن أعمالها : " حريم ومسلمون " عام 1908م ، (انظر الفصل الثاني).

يعقوب، يوسف (1795م - 1832م):

ولد في مصر القديمة، يرجح أنه أرمني، أغلب أبناء أسرة يعقوب الـــذين عادوا مع الحملة الفرنسية إلى فرنسا، علمه أبوه اللغة العربية، سافر إلى باريس عام 1820م، ونشر ديوانه الأول في " مدح مصر "ا لذي جذب إليه الانتبـــاه عام 1820م، كما اشترك في إعداد وضع " وصف مصر "، ارتبط بصداقة مع الشيخ الطهطاوي، ثم عين مدرساً للغة العربية في (مدرسة الشباب للغـــات)، اهتم بالشعر، سافر وأسرته إلى مارسيليا، وهناك مات.

من أعماله : " محاضرات تاريخية عن مصر " عـــام 1823، " قصـــص رومانسية عربية فجة "عام 1827م، " مزيج الآداب الشرقية والفرنسية " عام 1837م ، (انظر الفصل الثاني).

إشارة : تم الرجوع في هذه المعلومات إلى كتاب جان جاك لوتي، وأضيف عليها كل ما توصلنا إليه من خلال البحث.

الفصل الثالث

الأدب اللبناني المكتوب باللغة الفرنسية

تختلف ملامح الاحتلال الفرنسي لكل من سوريا ولبنان عن نفس الملامح في المغرب العربي، فلا شك أن تجربة الفرنسية في بلاد المغرب العربي قد تأصلت لدرجة أنه كان على هذه البلاد أن تستهلك عشرات السنوات من أجل أن يتم تعريب أوجه الحياة في شمال المغرب.

ورغم ذلك، فإن ظهور أدباء يكتبون باللغة الفرنسية قد بدا في لبنان قبل المغرب بسنوات طويلة.فإذا كان الجيل الأول من الكتاب الجزائريين العرب الذين يكتبون بالفرنسية قد ظهر بعد الحرب العالمية الثانية مباشرة، فإن مسرحية "عنتر" التي كتبها شكري غانم عام **1910**م قد سبقت مثليتها في " المغرب العربي، وقد حققت هذه المسرحية نجاحًا عند عرضها في فرنسا على مسرح الأوديون في هذه السنوات، وقد تناولت المسرحية صورة من كفاح العرب ضد الاحتلال العثماني، ساعد هذا النجاح الكثير من اللبنانيين الشباب في تلك الآونة أن يمشوا في نفس الطريق مثل ميشيل شيحة ، وهكتور قلات وشارل فورم.

ورغم ذلك، فإن التجربة لم تتضح إلا بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية ، حيث ظهرت مجموعة من الشعراء الرومانسيين، وظهر روائيون من أمثال فرج الله حايك الذي بدأ ينشر رواياته الرومانسية منذ عام **1940**م خاصة ثلاثيته المعروفة تحت اسم (أبناء الأرض) أو (أبو نصيف) عام **1948**م. ثم " ابنة

الله " عام 1949م. و " سجن الوحدة " عام 1951م. ويقــول كتــاب les literatures francophones depuis 1945 أن حايــك أشــبه بالفنــان التشكيلي حيث راح يرسم القرى اللبنانية، وسكب مشاعره الفياضة في أدبه ، عن الممنوعات، وعاداتها وتقاليدها، وقد ظهر عنف الحرب الأهلية اللبنانيــة في رواية " يوميات آن " عام 1947م من تأليف أوريس شحاده. كما كتبت عنها باللغة الفرنسية أيضا إيفلين العقاد في رواية " المستأصلة " حيث نرى كيف تتأثر النسوة بأفكار الأباء التسلطية ، كما أن الكاتبة أندريه شديد كتبت روايتين عن الحرب الأهلية اللبنانية " منزل بلا جذور " عام 1985م و " الطفل المتنــامي " عام 1989م.

ومن الأدباء اللبنانيين الذين كتبوا بالفرنسية هنــاك ديــوان " وصــف الإنسان " لفؤاد جابرييل نايف، ثم هناك الشاعرة نادية تويني صاحبة ديــوان " أشعار للتاريخ " عام 1972م ، ومروان الحص، وفينوس خوري غاتا، صــاحبة ديوان " أرض دامية " عام 1968م. ولها أعمال شعرية أخرى مثل "جنــوب الصمت " 1975م و " الظلال وصرخاتها " 1980م ، ثم رواية "ضجة مــن أجل قمر ميت " عام 1963م ، أما الشاعر والناقد صلاح ستيتة فقد قــدم " النحلة الميتة " عام 1972م و " المياه الباردة المحفوظــة " عــام 1973، ثم " أشعار " عام 1978.

ومن بين هذه النماذج الأدبية المتميزة اخترنا نماذجاً من أجيال متلاحقــة مختلفة الأول شاعر وكاتب مسرحي هو جورج شحادة ثم الروائي صلاح ستيتة ، وفرج الله حايك ، والرابع روائي معاصر لا يزال في حالة عطاء وقد أبــدى تميزًا منذ أعماله الأولى وهو أمين معلوف.

جورج شحادة
(1907 – 1989)

يعتبر شحادة أبرز أديب لبناني يكتب بالفرنسية، وتجيء أهميته أيضاً ليس فقط لأنه كاتب مسرحي متميز، ولكن لأنه انضم إلى السرياليين المصريين، وشحادة مولود في مدينة الإسكندرية لأبوين لبنانيين يتكلمان اللغة الفرنسية، وقد عادت الأسرة إلى لبنان، وهناك درس الحقوق، ثم عين سكرتيرا عاماً في مدرسة الآداب العليا في بيروت، ثم كلف بالاهتمام بالشئون الفنية لدى البعثة الثقافية الفرنسية في لبنان.

ورغم أن شحادة قد بدأ يكتب قصائده الأولى في الثلاثينيات، ورغم فرص الحياة أمامه في باريس، إلا أنه ظل مقيماً في بيروت طيلة عمره حتى اندلعت الحرب الأهلية اللبنانية فلم يجد بداً من الانتقال إلى العاصمة الفرنسية هناك حتى وافاه الأجل.

نشر شحادة مجموعته الشعرية الأولى " شرارة " في عام 1928م وقد بدت فيها نبرته السريالية بكل وضوح، كما نشر في تلك الفترة روايته الوحيدة "رود وجون سين " وفي عام 1938م استلم رسالة من الشاعر بول ايلوار الذي كان يسكن مدينة أنتيب في جنوب فرنسا الذي كتب رأيه عن ديوانه "شرارة " فقال " أشعارك تحمل لي نظرة عميقة، لحناً متناغماً كدت أنساه. كتابك يترك في أثراً إيجابياً لا يمكنك تصوره "[1].

---

(1) رحيل جورج شحاده. بيار أبي صعب. اليوم السابع 3– يناير 1989 ، ص 40.

وهكذا صدرت ثلاثية أشعاره التي تحمل عنوان " أشعار **1** " عام **1938**م. ثم " أشعار **2** " عام **1948**م ، و " أشعار **3** " عام **1949**م .

بعدها انقطع عن كتابة الشعر وتفرغ للمسرح، وكتب مسرحيات طليعية في الزمن الذي راح فيه كتاب المسرح الطليعي يقدمون أحسن ما لديهم أمثال يوجين يونسكو، وأداموف، وبيكيت، وأرتو، الذين حاولوا تحطيم اللغة للوصول إلى شكل جديد، إلا أنه خلافاً لمسارهم راح جورج شحادة يهتم بالمسرح الشعري فقدم أعمالاً مثل " مستر بويل " عام **1951**م، و " سهرة الأمثال " عام **1945**م، و " قصة فاسكو " و " زهرات البنفسج " عام **1960**م ، وفي العام التالي نشر مسرحية " الرحلة " ثم جاءت مسرحيته الشهيرة " مهاجر برسبيان " عام **1965**م ، وفي عام **1973**م نشر ديوانه " الثوب هو الأمير"، وفي تلك الفترة انشغل بإعداد كتابه عن " مختارات البيت الشعري الواحد "، وفي عام **1985**م عاد مرة أخرى إلى الشعر فنشر ديوانه " سباح الحب الواحد ".

تميز جورج شحادة كشاعر باهتمامه بالعبارة والكلمة والمعنى، وقد كان يمتلك سرد الكلمة، مثلما كتب الطاهر بن جلون، فهو يستخرج كلماته من منبع نقي بعيد، ومن حديقة داخلية، بها المراعي ، وتتولد فيها الصورة مارة بالمياه العذبة قبل أن تصبح ظلاً، لقد خلطت كتاباته الأولى بين تأمل الحياة اليومية والرؤى الخيالية والسريالية وعلى سبيل المثال ما جاء في السطور من قصيدته تلميذ السلطان :

" في الربيع. هنا حذاء أزرق يطير من قرية لأخرى، وتنهق الحمير في بيت أختي وتبدو النافورات هادئة، آه يا ملح بلادي " [1]

كما أن اهتمامه بالكلمة يتجلى في إحاطته إياها بـــالتكريم والاحتــــرام، وليس من خلال ثباتها وجمودها بل من خلال اعتبارها وجوداً مستقلًا قابلًا بذاته للحياة والوجود بخلاف الأشعار التي كانت سائدة في عصره وبين أبنـــاء جيلــه الذين أرادوا إرجاع الكلمة إلى وجودها الحسي، وفي مواجهـــة رأي شــحادة للكلمة وجوداً مستقلاً، وكأنه من خلالها يعوض كل الخســـارات والخيبـــات، وبهذا المعنى يمكن ربط اللغة لديه بالمنفى..

وقد اعتبر جورج شحادة أن علاقته باللغة تنطوي على نوع من التحدي. وفي الأخص لأنها لغة غريبة عنه، لقد حاول بسبب عدم تمكنه من اللغة العربيـــة أن يصل عبر هذا التحدي من اللغة الجديدة إلى نوع من الزمان يعوض له مـــرة خسارته للغة العربية ومرات أخرى خسارته لفقده للأرض التي سافر بعيدًا عنها أثناء الحرب الأهلية :

أمي كانت تضيء المصابيح لتبعد عنا الظلال

كانت تعد عمرنا على الأصابع عندما تدق دقاتها ساعة الحائط

أمي كانت تتكلم عن الوقت الذي يمر وهي تبتسم

والرجال الذين تبعوها كانوا ملائكة

الآن. وقد مات القمر أين القمر أين أنت أيتها الأفكار الرائعة

الحب ذو الأسنان من الملبس

---

[1] نفس المصدر

الطفولة التي كنت تبكين على خدودي
إنها ولادة المساء
النضارة الأولى للأعشاش
تحلم الصبية قليلا
وهي تتلفت حولها
الآن الليل يكرر نفسه إلى ما لا نهاية
والأشجار تختبئ في أوراقها
والصمت يصل من بعيد
عين ماء بكت كانت تروى
عندما ستغادر وطن المصابيح
ذات ليلة كطل البرد
رب ملاك
سيأتيك بالمداد
كي تدون ما تراه :
المياه الحية التي تصبح ظلًا
الشجرة التي تضل طريقها
كطفل من ذلك الزمان تضيع صرخته
في حديقة التفاح الأبيض

حين القمر يغطي كل شيء بحبه

أرى مجددًا في مرآة مهجورة

ذكريات بعكازات بيضاء

و لا أعود أعرف من منا هي أو أنا

يرثي لحاله أكثر

لفرط شراسة السنين

أيها القمر الخفيف يا مرآة الغياب

(سباح الحب الواحد – **1985**م) [1].

وقد لاحظ نقاد شحادة أن له تعبيرات محددة يستعملها في قصائده منها " الوردة " و " الياسمين " و " النساء " و " المياه " و " العيون " و " النظرات " و " القمر " وأيضا " الموت ". فقد كان يؤمن أن الشعر يومض في مركز الكون " أنا مصنوع من أجل المطلق " ، ففي قصيدة من مجموعة مقــاطع نشــرها في " الأشعار " تحت عنوان " وفي الأحلام يحكي طفل قصته حياته " يقول :

في كنيسة القربة وعند اقتراب الليل

يخرج المصلون من مخائبهم

ويغير طفل ملاك الجدار

ويكسب البخور غطاءه للظل

والسحرة النائمين

الزنابق إلى أقدامهم المعتمة

---

(1) هذه القصيدة من ترجمة بيار أبي صعب كما نشرت في اليوم السابع – **30** يناير **1989**م، ص **41**.

وبعيداً في سماء من شموع
تسافر الأيقونات
قبل النوم
تتكلم أخوات أمي بصوت خفيض
جاء كل شيء من الظل
الوجوه والأصوات
حتى الساعة في القفص
التي لم تعد تغني
يومض عود ثقاب
كي يمكن أن نرى
خالاتي المنحنيات
في نقطة من ذهب
في كل نافذة تبدو السماء والمراعي
في هذا المنزل المنسي
هناك أيضا الطيور القادمة بالأخبار
وفي الأحلام طفل يحكي قصة حياته
حب
حيث ليالي الشتاء
والمصباح الرقيق في ثوبه الزجاجي
والساعة تدق وترن
وينام الطفل وحده

أما عن مسرح جورج شحادة فقد انزلق الفنان " من الشعر إلى المسرح بطبيعة مدهشة ، يبقى شاعراً قبل كل شيء، ويبقى للخضرة نفسها، والشفافية والنضارة عينهما، ولتداعي الصور والحالات، الدور الأساسي في بناء مسرحياته، ولعل ما يميزه أساساً عن كتاب المسرح الطليعي الآخرين الذين غالباً ما يرد اسمه إلى جانبهم (وهم مثله كتاب فرانكفون من أصل غير فرنسي) أعني يونسكو وبيكيت خاصة، وربما أحيانا أدموف وأرابال، فإذا كان شحادة أبحر مثل هؤلاء في الاتجاه المعاكس للمسرح الذهني والفلسفي وإرثه الثقيل، فقد وصل إلى جزيرة له وحده، دون الآخرين، تمثل فيها الحساسية الشعرية ، على مستوى اللغة طبعا، إنما أيضاً على مستوى المناخات والأجواء، الأهمية الأولى، ذات يوم انتفض شحادة على أثر سؤال أحد الصحفيين له : أمسرح شعري هذا الذي تكتب ؟ " بل مسرح يفسح لفوضى الكلمات والصور، بدأت كل مسرحياتي، ودون نموذج مسبق، تاركاً المبادرة للغة، لقد ساعدني المسرح على الخروج من القصيدة، لكن في العمق إنها المسألة نفسها "[1].

وحسبما جاء في جريدة لوموند [2] فإن المسرحيات السبع التي كتبها شحادة قد أهملت عن غير عمد، كان عليه أن ينتظر اثني عشر عاما كي تمثل مسرحية " مستر بويل " على مسرح الهوشيت بباريس. في عام **1951**م اقترح عليه الممثل والمخرج جان لوى باروو إن كانت لديه الشجاعة أن يقدم مسرحه.. وقد عرضت مسرحياته من وقت لآخر.

وفي نفس الجريدة يقول شحادة : عندما أسمع عبارة " مسرح شعري " أرغب في الهرب، لا، فالمسرح يترك لكاتبه أن يرتب الكلمات والصور. انظر

---

(1) رحيل جورج شحادة. بيار صعب. **30** يناير **1989** ، ص **41**.

(2) **Le Monde 8-3-1985, p. 15.**

إلى ماتيو، إنه يرسم أمام عيني، وأحياناً أخشى لو أصبحت فناناً تشكيلياً، ولكن خلف اللوحة هناك نقاط من الألوان، هناك نظام وتقارب.

" أبدأ مسرحياتي دائما دون أن يكون هناك هيكل خاص، واترك المبادرة للغة، لقد ساعدني المسرح على الخروج من الشعر، ولكن في الأعماق فالشعر قد فعل نفس الشيء، إنني أسمع نقاط الماء تتساقط محدثة : توك. توك. توك، راسين يثير في الملل، وأفضل كورني، انه يأتي بكلمات غامضة وساحرة ".

يهمنا الإشارة أن جورج شحادة لم يكن يفكر قط في مغادرة لبنان إلا بعد اندلاع الحرب الأهلية، ويقول في جريدة لوموند – **20** يناير **1989** م – إنه فوجئ يوماً بأحد رجال الميليشيا يشهر بندقيته أمامه وراح يسأله لماذا يطلق عليه الناس اسم " العصفور ". وقد كان شحادة معروفا بهذا الاسم نتيجة لرقة جسمه والذي كان نحيلا كالعصفور، يومها ضحك شحادة بمرارة وقرر أن يغادر البلاد، وقد نجح الصحفي اللبناني " ميرزا عكار "

في أن يجعله يكتب عن تجربته في الإقامة بباريس التي مات فيها في السابع عشر من يناير **1989**م، فقال : " أحس كأنني في بيتي وأنا في باريس. ولكن أوضاع الوطن تجعلني أحس أنني في منفى، كم أشتاق إلى الجبال اللبنانية ! ".

الجدير بالذكر أن جورج شحادة كان أول من حصل على جائزة الأدب الفرانكفوني في عام **1986**م، وهي جائزة مستحدثة تبلغ قيمتها **400** ألف فرنك فرنسي وتمنحها الأكاديمية الفرنسية كل عام. وقد حصل عليها أيضاً الروائي المصري ألبير قصيرى.

وقد كتب الشاعر أدونيس عن مسرح شحادة في مقدمة أعماله المختارة المنشورة في العدد **73** من سلسلة المسرح العالمي بالكويت إنه : يكتب تاريخ

الإنسان لا تاريخ الفرد ، ذلك أن عالمه عالم طفولة وحب وموت ، عالم الحلـــم واللاشعوري، عالم الأخوة البشرية ، الإنسان هنا يتفاهم مع الإنسان في مستوى الحلم لا مستوى العقل، في اللاشعوري وما لا يستطيع أن يعبر عنه، لا في الوعي وما يعبر عنه، إنه يفجر المختبئ، إن إبراز المكشوف يفرق البشر، لكن تفجـــير المختبئ يوحدهم، إنه يكتب تاريخ اللاوعي لا تاريخ الوعي ، وفي هذا ما يفسد الصلات الغامضة، وشبه السحرية التي يقيمها مسرحه بين البشر والأشياء ".

وحضور الجنون في هذا المسرح هو حضور الموت، فالموت ليس دافعاً بل مشهداً آخر من مشاهد كل مسرحية، إنه لعب آخر، والموت في هذا المسرح لا يخيف ، لا يغلق الأفق ، بل هو محاولة لاحتضان الفرح ، وفتح الأفق.

حايك فرج الله
(1909م – 1994م)

حايك فرج الله هو أبرز كاتب لبناني من الرعيل الأول الـــذي يكتب باللغة الفرنسية، وهو شاعر، وقصاص، كما أنه واحـــد من أبرز اليسوعيين العرب الذين مزجوا بين الشعر والتـــاريخ، والفن التشكيلي والصوفية.

ولد حايك فرج الله في مدينة صباب بجبل لبنان لأبوين لبنانيين يتكلمان اللغـــة الفرنسية، وبعد أن انتهى من دراسته الثانوية درس الحقوق، ثم عين ســـكرتيراً عاماً في مدرسة الآداب العليا، قبل أن يتفرغ للشعر والرواية وكتابة المقال.

ورغم أن حايك فرج الله بدأ يكتب قصائده الأولى في نهاية العشـــرينيات ورغم فرص الحياة أمامه إلا أنه ظل مقيماً في بيروت طيلة عمره، حيث تفـــرغ تماماً للشعر ، كما كتب العديد من المسرحيات.

نشر حايك فرج الله مجموعته الشعرية الأولى " دموع وابتســـامات " في عام **1929**م ، وقد بدت فيها نبرة الإيمان بالغة الوضوح، كما نشر في تلـــك الفترة ديوانه الثاني " جنة إبليس "، ثم نشر روايته الأولى " برغوت " في عـــام **1938**م ، بعدها جاءته رسالة من الكاتب الفرنسي أندريه جيد الذي كان يقيم بين فرنسا وتونس، وجاء في الرسالة : " أشعارك تحمل لي نظرة عميقة للحيـــاة، ولحناً متناغماً كدت أنساه في خضم الأيام، تركت قصائدك في أعماقي أثـــراً لا يمكنك تصوره ".

وهكذا صدرت الأعمال الشعرية والروائية للكاتب، ومنها دراسته المهمة "السيد المسيح " عام **1946**م، وفي العام نفسه نشرت له دراسة دينية تحمل عنوان " الذات العليا لبناني " بعدها انقطع حايك فرج الله عن كتابة الشعر وتفرغ للرواية، وكتب ثلاثيات روائية منها " هيلينا " عام **1948**م ، و " الغربية " عام **1949** م، و " جورفيل الساحر " في نفس العام، ثم جاءت روايته " أبو سيف " في السنة التالية.

وبعد أن انتهى من هذه الأعمال شرع في كتابة الثلاثية الروائية التي حققت له الشهرة ، وتحمل عنوان " أبناء الأرض " ومن بينها عناوينها " ابنة الله" و " سجن الوحدة ".

كان حايك فرج الله يكتب المسرح الشعري على خلاف رفاقه من الشعراء العرب الذين يكتبون بالفرنسية في تلك الآونة ومنهم : جاك ثابت، وجومانة الأحدب، وفؤاد زايد، وغيرهم.

وفي عام **1955**م عاد مرة أخرى إلى الشعر فنشر ديوانه " جناح صغير لمجنون ميت ".

تميز حايك فرج الله كشاعر وروائي متصوف باهتمامه بالعبارة والكلمة والمعنى، وقد كان يمتلك سرد الكلمة، فهو يستخرج كلماته من منبع نقي بعيد ، ومن حديقة داخلية ، ممزوجة بروائح المراعي، وتتولد فيها الصورة مرطبة بالمياه العذبة قبل أن تصبح ظلا.

لقد خلطت كتاباته بين تأمل الحياة اليومية، والرؤى الخيالية، والسريالية ، وعلى سبيل المثال ما جاء في السطور الأولى من قصيدته " تلميذ السلطان"

حيث يثول "في الربيع، هناك حذاء أزرق يطير من قرية لأخرى، وتنهق الحمـــير في بيت أختي، وتبدو النافورات هادئة. آه.. يا ملح بلادي".

كما أن اهتمامه بالمفرد اللغوي يتجلى في إحاطته إياه بالتكريم، والاحترام ليس من خلال ثباته وجموده، بل من خلال اعتباره وجوداً مستقلًا ، مقبلًا علـــى الحياة والوجود بخلاف الأشعار التي كانت سائدة في عصره، وبين أبناء جيلـــه الذين أرادوا إرجاع الكلمة إلى مدلولها الحسي.

وقد لاحظ النقاد أن حايك فرج الله له مفرداته البالغة الخصوصية. إنهـــا مفردات فرنسية لكنها عربية الأصول، لغة محددة يستعملها في قصائده. " فقـــد كان يؤمن أن الإبداع يومض في مركز الكون. ففي قصيدته " في الأحلام يحكي طفل قصة حياته " يقول :

في كنيسة القرية وعند اقتراب الليل

يخرج المصلون من مخابئهم

ويغير الطفل الملاك الجدار

ويكسب غطاءه للظل

أما عن روايات حايك فرج الله فهي ذات بناء روائـــي خـــاص، تتـــرك المبادرة للغة خصبة، ولتجربة أقل بالحياة ، لكنها أكثر وعياً بالإيمان ، وبالتاريخ والأشخاص الذين صنعوه، فهناك في تاريخ لبنان أسماء مـــرت عنـــد التـــاريخ فصارت تاريخاً ، ففي روايته " أبناء الأرض " يروي تاريخ قريته التي جاء منها، فهذه القرية كانت ممراً مهماً للجيوش التي مرت بلبنان، من قبل أبحر الفينيقيون الذين تاجروا مع قرطاجنة، إلى الإسكندر الأكبر الذي مر من هناك إلى آســـيا ، كما جاء المسيحيون الأوائل في طريقهم إلى بقاع عديدة للتبشير بوصول السيد

المسيح، كما أن المسلمين الأوائل مروا من هنا في طريقهم إلى سوريا، واتخـــذوا من الشام موطنا للدولة الأموية.

ومن هذه القرية أيضاً قام صلاح الدين الأيوبي بتجنيد الشباب من أجـــل محاربة الصليبيين، لذا فأبناء الأرض جاءوا من هنا، حتى في العصر الحديث فـــإن الكثير من الذين هاجروا إلى أمريكا اللاتينية قد خرجوا من هذا البلد : بيـــت صباب ، في جبل لبنان.

صلاح ستيتة

Salah Stetie (1929/9/28م)

" أنا لبناني ، أكتب باللغة الفرنسية، عشت حياتي في بيروت، وأقيم لبعض الوقت في فرنسا ".

هكذا قام الشاعر اللبناني صلاح ستيتة بالتعبير عن هويته ككاتب عربي يؤلف باللغة الفرنسية في كلمات سريعة مختصرة.

صلاح ستيتة مولود في بيروت لأب شاعر دفعه لتعلم اللغة العربية حصل على الدكتوراه في القانون في جامعة السوربون، وفي عام **1956**م قام بتدريس الأدب المقارن بأكاديمية الفنون الجميلة، في لبنان ، وتولى رئاسة تحرير مجلة " الشرق " الصادرة بالفرنسية بين عامي **1956**م و **1961**م كما تولى منصب المحرر الأدبي بجريدة الشرق الأدبي " الأسبوعية ، وعمل سفيراً لبلاده في هولندا ، ثم عمل سفيراً أيضاً في المغرب فيما بين عامي **1985**م ، **1987**م ، وحصل على العديد من الجوائز الأدبية منها الجائزة الكبرى الممنوحة من الأكاديمية الفرنسية عام **1995**م، كما حصل على الدكتوراه الفخرية من جامعات بوردر، بيروت.

نشر صلاح ستيتة العديد من الدواوين الشعرية باللغتين العربية والفرنسية منها " أرباب الجرزان " عام **1962**م و " سحابة ذات أصوات " **1984** م و "عمر بن الفارض " **1998** م، وقام بترجمة كتاب " النبي " لجبران خليل جبران إلى اللغة الفرنسية ، كما قام بترجمة العديد من إبداعات الشاعر العراقي بدر

شاكر السباب إلى اللغة الفرنسية، وأعماله الصادرة هي حسب تاريخ صدورها: " حامل النيران " **1972** م، الذي حصل على جائزة الصداقة العربية الفرنسية ، ثم " موت النحل " في نفس العام " ، و " أشعار " **1978** م، " ظلام المصابيح " **1979** م ، " الليلة المائة " **1980**م ، " رحلة حلب " **1991**م ، الجانب الآخر يحترق وبالغ النقاء " **1992** م ، " ضوء فوق ضوء " **1992** م، و " الأرض مع النسيان " **1995**م، " **16** كلمة مسروقة " **1995** م، " علامات وقرود " **1996** م، " محمد " ، والعديد من المقالات، يقول صلاح ستيتة في أحد الحوارات الصحفية معه " أنا شاعر عربي يكتب باللغة الفرنسية، وكلتا اللغتين تجذبانِي إليها، وتلحان عليّ أن أقرض بهما قصائدي المهم في الأمر هو التخيل ، فليس للتخيل أي لغة، وإنما هو صفة إنسانية، بصرف النظر عن اللغة التي يكتب بها المرء ".

واللغة عن الشاعر هي " بوابة " للتعبير عن أحاسيس المرء ، من أجل الوصول إلى الهدف المراد من الإبداع ، وهو التواصل ، أما اللغة فإن الشاعر لا يقلل من قيمتها، ويراها " حاملًا للقيم ، الإنسانية وللهوية وللمخيلة ، واللغة أيضاً هي بناء وتكوين يريد من خلالها المرء أن يعبر بها عن فلسفته وأفكاره، أو كما يقال " إنها وجودي في العالم ".

ويرى الشاعر أنه ابن ثقافة البحر المتوسط ، وهي ثقافة متشابهة بين السكان القاطنين على ضفاف هذا البحر، لذا فإنه واقع بين ضفتي هذا البحر.

والهوية عند الشاعر تتمثل في ما يكتبه من شعر، ومفردات هذا الشعر وليست اللغة ، لكن هذا لا يمنع أنه يشعر بوجود ثقافتين في أعماقه الأولى شرقية، والثانية غربية، وما يتبعها من تناقضات، فكأنه يمتطي جوادين ينطلقان في نفس اللحظة " أنا مسكون بالثقافة العربية لأن لبنان بلد عربي ، كما تسكنني

عائلتي العربية المسلمة حيث ولدت وتربيت ، ولم يكن لي الخيار في اختيار اللغة الفرنسية، فهذه اللغة هي التي اختارتني عندما تعلمت بالمدارس اللبنانية المهتمة باللغة الفرنسي، فوجدت نفسي محاصراً بين هويتين ثقافتين ".

ولم يكن هذا سبباً في إصابة الشاعر بالتناقض، بل حاول الاستفادة قدر الإمكان من الثقافتين معاً، بعد أن وعى أن اللغة في حد ذاتها وطن يسكنه المرء، وهو يتعامل مع هذه اللغة من خلال " القيمة التي يشعر بها".

وعن وطن الشاعر الذي يسكنه يرى صلاح ستيتة أن الشعر يوحد بين الإنسان والعالم كما أن اللغة تؤدي المهمة نفسها ، لكن الأمر يتعقد عندما يجد المرء نفسه بين لغتين بالغتي الاختلاف، فالشعر يوحد المرء مع نفسه ، ومع الكون، كما أن الشاعر أقرب إلى البحار الذي يبحر عبر الكون.

ويغبط صلاح ستيتة نفسه بأنه صار شاهداً على ثقافتين معاً، الشرق الذي ولد فيه، والغرب الذي عرف هويته، " أنا شاعر ملتزم ، ولست شاعرًا ينظر إلى الأشياء من الخارج، فأنا مبدع بين ضفتي عالمين أنتمي إليهما ".

وقد عاش صلاح ستيتة في فرنسا، خاصة أثناء سنوات الحرب الأهلية في لبنان، واعتبر أن الحياة هناك بمثابة منفى صغير، وكتب أن بيروت هي عتبة العالم بالنسبة له، وأن الرحيل عنها يولد الحنين إليها.

وقد تميزت أغلب أشعار صلاح ستيتة بأنها قصيرة المقاطع ، خاصة في دواوينه " موت النحل " عام 1972م، و " المياه الباردة " 1973م و "فضاءات " 1978م، وفي قصائده هناك حس عالٍ بالعائلة ، ودفء الأسرة وجمال العالم، وحرارة الجسد، والرغبة الأولى في النقاء، وفي ديوانه " فضاءات " يقول :

منزلي المزدوج في سماء ممتعة

مع منزل آخر في عمق الضباب

وتنزل المياه من الضباب بلا دار

منزلان مزدوجان بسيطان بلا جذور

من السماء الخاوية ، والأفكار النقية

باحثا عن ضباب كثيف وفضاءات

ويقول صلاح ستيتة أن الشاعر ليس رجل ثقافة، ولكنه يعبر عن مشاعره التي تتسرب إلى الآخر، أنا أحب شعراء الثقافة، لا يعني هذا أن الشاعر عليه ألا يكون منتمياً ، فأنا أنتمي إلى جذوري العربية والمسلمة واللبنانية والمتوسـطية، كل هذا شكل في أعماقي جسداً للرحيل بين ضفتي نهر وقد جعلني هذا أثـق في نفسي أنني لم أكن أبداً شاعراً فرنسياً ، بل أنا شاعر عربي يكتب بلغة أخرى ".

أمين معلوف (1949/2/25م)

أغلب الروائيين العرب الذين يكتبون باللغة الفرنسية مهمومون بواقعهم الذي عاشوا فيه، وكيف تحرك هذا الواقع بين أيديهم ولم يستطيعوا الإمساك به، فحاولوا التعبير عنه ورصده في أدبهم، حدث هذا بشكل واضح عند أدباء المغرب العربي، وفي مصر عند ألبير قصيري وأندريه شديد،

أما الكاتب اللبناني أمين معلوف فقد ترك هذا الواقع بصراعاته الدامية، وانتقل إلى التاريخ العربي القديم يصور عالماً وردياً حالماً في روايات من طراز " ليون الإفريقي " و " سمرقند "، بل راح إلى ما هو أبعد من ذلك في روايته الثالثة " حدائق النور " ، وعليه فإن لمعلوف مذاقاً مختلفاً، فهو من الكتاب الذين اهتموا بكتابة الرواية التي تتحدث عن التراث العربي، كما أنه استمد أحداث هذه الروايات من تراث تاريخي، فأبطال رواياته مثل حسن الوزان وعمر الخيام، والقديس، ماني عاشوا بالفعل في التاريخ.

إذن ، جاءت أهمية معلوف في أنه شغف بالتاريخ العربي القديم، وتوغل فيه ، وقرأ الكثير منه ، حيث راح يفتش في حناياه ، ويجلو صدأ النسيان عن شخصيات وأحداث كاد التاريخ أن يمحوها، ثم هو ينسج حول هذه الشخصيات والأحداث روايات متخيلة، وإذا كان كتاب معلوف الأول الذي نشره عام 1983م " الحروب الصليبية كما رأها العرب " ، عبارة عن دراسة تحليلية موثقة لموضوع مهم في تاريخ العرب، فإن الكاتب قد راح يصوغ هذا التاريخ في إطار روائي جذاب من خلال رواياته المنشورة.

وأمين معلوف من مواليد بيروت في عام **1949**م من عائلة ذات أصـــل يوناني، وهو ابن لصحفي لكبير، لذا وجد نفسه قريباً من والده وهـــو طفـــل. وعمل في الصحافة على مدى اثنى عشر عاما، حيث تولى إدارة جريدة "النهار" ، لغته الأولى هي العربية ثم الإنجليزية التي أتقنها وهو في الثامنة. ثم ســـافر إلى فرنسا ليعمل رئيسا لتحرير مجلة " جون أفريك ". إذن فهو يجيد الكتابة باللغـــة العربية، ولكنه عندما اختار أن يكتب إبداعاً وجد أن اللغـــة الفرنســـية هـــي الأفضل لعدة أسباب " تضافرت عوامل عديـــدة لتـــدفعني إلى اختيـــار اللغـــة الفرنسية، فأنا أقيم في فرنسا منذ سنوات عديدة، ومن الطبيعي أن أتوجـــه إلى المجتمع الذي أعيش وسطه، كما أن حركة الكتاب في العالم العربي معاقة بعوامل متعددة ، توزيعية. سياسية. واقتصادية ، مما يجعل من المتعذر على الكاتـــب أن يحيا من أعماله، فأنا أعيش هنا من حقوقي كمؤلف وأســـتطيع الانصـــراف إلى الكتابة دون أن يعوقني عائق، ولا مشكلة لدي مع اللغة العربية. فأنا أكتب بهـــا وأحبها. وأتمنى حقاً أن يتمكن الكاتب أن يعمل فيها بجدية وأن يتمتع بوضـــعية كاتب فعلي ".

" هناك عامل آخر أكثر التصاقاً بالكتابة، فقد رأيت أنه من الأفضـــل لي، كعربي، أن أعبر عن موضوعاتي بلغة أجنبية، فأنا أفرض على الفرنســـية بعـــض الكلمات والمعاني العربية، وهذا ما يمنحها " نكهة " أخرى إذا صح التعبير لـــو كتب بالعربية – لبدا ذلك سطحياً إلى حد ما، أخيراً أعتقد أن على الكاتب أن يكتب باللغة التي يرى أنها تعبر عن أفكاره، ســـواء العربيـــة أو الفرنســـية أو البرتغالية أو الروسية، هناك اعتبار قومي أو وطني للغة تتحول فيه اللغة إلى رمز

وشعار، وأنا لا يهمني هذا الاعتبار، ليست اللغة في النهاية أكثر من حامل للأفكار ووسيلة تعبيرية " [1].

نشر في كتابه الأول " الصليبيون من وجهة نظر العرب " عام **1983**م بباريس ، ثم جاءت روايته " ليون الإفريقي " عام **1986**م، التي حصلت على جائزة الصداقة الفرنسية العربية ، ثم " سمرقند " عام **1988**م، و " أول قرن يعد ميلاد بياترس " عام **1991**م، و "صخرة طانيوس " **1993**م، التي حصلت على جائزة جونكور ، ثم " "موانئ المشرق " عام **1996**م، و " الهويات القاتلة " عام **1998**م، و "رحلة بلاد سار البحرية " عام **2000**م، و " الحب عن بعد " عام **2001**م ، وهو كتاب عن الأوبرا في خمسة فصول ، ثم " أصول " عام **2004**م.

في كتابه الأول – وهو غير روائي – المعنون " الحروب الصليبية كما رأها العرب " يحاول أمين معلوف أن يقدم وجهة نظر إلى الغرب أهملت الآن.. ليست هذه المحاولة الأولى من نوعها، وينقسم الكتاب إلى قسمين، يعرض الأول واقع الوطن العربي في زمن الحروب الصليبية حيث احتدمت الخلافات حول الخلافة والسلطة، ثم هناك قسم يعرض أشهر بانوراما لزحف الصليبيين وانتصارهم برغم العقبات إلى أنهم استطاعوا أن يؤسسوا مملكة القدس والإمارات، ورغم أن الكتاب أقرب إلى البحث، إلا أن معلوف قد صاغه بشكل أقرب إلى السرد، ويقول ميخائيل خوري أن " أول ما يلفت النظر في هذا العرض الروائي الذي لا يخلو من التشويق، أن القارئ لا بد أن يتأثر بما ارتكبه الصليبيون من أعمال وحشية وجرائم في إنطاكية والقدس، وفي أماكن

---

(1) مجلة اليوم السابع – **3** نوفمبر **1986**م ، ص **37**.

أخرى استطاعوا الدخول إليها، كذلك يتأثر القارئ، بما هنالك من انقسام وتفتت في الوطن العربي والإسلامي، ليعجب بعد ذلك بعرض عملية جمع الجهود بين الموصل ودمشق، للتصدي لهذه الغزوات، ثم الجمع بين جهود دمشق والقاهرة بقيادة صلاح الدين لتوجيه الضربة القاضية إلى الصليبيين، بحيث عادت بهذه الفتوح جميع بلاد الساحل برمتها إلى المسلمين " [1].

أما القسم الثاني من الكتاب فهو يتناول تأثير الحروب الصليبية على الشرق والوطن العربي، وكذلك أثرها على الغربيين أنفسهم ولو بشكل هامشي، وقد بين معلوف أن هذه الحروب كانت ذات تأثير إيجابي على الغرب، أما تأثيرها على الشرق فكان بالسلب، ويطرح معلوف سؤالًا هو :

هل تبرر هذه الأحداث اللاحقة الدعوة إلى اعتبار الماضي في خبر كان ؟ وهل يحقق ذلك أية غاية إيجابية للعرب ؟ أم أن الدعوة يجب أن تكون إلى حسن الإفادة، واعتماد المواجهة بشكل موازٍ نحو رأي أمين معلوف أن العرب قد ابتلوا بعاهتين، قياساً إلى ما حققه الغربيون، فقد عجز مسئولو القيادة العربية عن بناء مؤسسات ثابتة، في حين نجح الغربيون منذ وصولهم إلى الشرق في خلق وتكوين دول حقيقية، يتم فيها انتقال السلطة بشكل عام ، دون حدوث أي صدامات، أما كل انتقال في الحكم لدى العرب فكان يشكل تهديداً بقيام حرب أهلية.

أما النقطة الثانية فهي أن الغربيين قد أقبلوا على المدرسة العربية في جميع الميادين سواء في بلاد الشام أو في أسبانيا أو في صقلية.. وكان من غير الممكن الاستغناء عما تعلموه منها لتوسعهم وانتشارهم فيما بعد، فتراث الحضارة

---

[1] الحروب الصليبية كما رأها العرب. ميخائيل الخوري. مجلة الشاهد ، أكتوبر 1990م – ص 100.

الإغريقية ما كان لينتقل إلى أوروبا الغربية إلا عن طريق العرب مترجمين ومكملين، بيد أنه لا بد من لفت نظر الكاتب إلى أن هذا الانتقال كان قد بدأ قبل بدء الحروب الصليبية بقرن على الأقل " [1].

في روايته الأولى " ليون الإفريقي " تناول الكاتب سيرة إحدى الشخصيات العربية التي عاشت في القرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلادي، أو بالضبط بين عامي **1483**م و **1554**م وهو كما يرى المؤلف، الشخصية العربية الوحيدة التي شاركت مشاركة فعالة في عصر النهضة الأوروبي. كما كان أول من وضع كتاباً ذا أهمية عن إفريقيا، وليون الإفريقي هو الرحالة ، هوالعالم العربي حسن الوزان، وتدور أحداث الرواية على لسانه فيقول : " أنا حسن الوزان، جان ليون دي مدسيس، ختنت على يد الحلاق. وعمدت على يد " بابا " ، يسمونني بالإفريقي. إلا أنني لست من إفريقيا. ولا من أوروبا. ولا من " حاضرة " العرب، يسمونني كذلك بالغرناطي ، والفارسي ، والزياتي. ولكني لم آت من أي بلاد، ولا من أية مدينة. أو قبيلة. أنا ابن الطريق، وطني قافلة. وحياتي مسيرة بعيدة عن الواقع بعداً تاماً ". ولا شك أن هناك تقارباً من ناحية علاقة الوزان بالأشياء مع الكاتب، أو فلنقل أغلب الأدباء العرب الذين يبدعون بالفرنسية، فحسن حائر بين الأماكن والهويات وهو رجل يحب الانتقال والترحال يبحث لنفسه عن أرض يستقر عليها، إنه رجل له نفس أهمية ابن بطوطة في التاريخ العربي، عشق الأماكن وعرف البشر، وتذوق أطعمة عديدة في بيوت تمت استضافته فيها وكانت مصر إحدى المحطات التي نزل فيها، فخصص لزيارته لها فصلًا من يومياته التي دونت على يد أمين معلوف :

---

[1] المرجع السابق.

"عندما وصلت إلى القاهرة، يا بني، كانت هذه المدينة قد أضحت ومنـــذ عهود طويلة، حاضرة إمبراطورية زاهرة، وقصراً للخليفة، أما حين تركتها فقد باتت مجرد عاصمة لإقليم، ولا ريب أنه لن يقيض لها أبداً أن تســتعيد مجـــدها التليد".

لقد شاء الله عز وجل، أن أكون شاهداً على ذلك الســقوط، وأن أرى المآسي التي عرفتها، فقد كنت لا أزال أمخر عباب النيل، أحلم بالمغامرات

وبالثروات الجزلة حين حل النذير بالبلاد، غير أني لم أكن قد تعلمت بعد كيف أحترم القول، وكيف أفسد المراسيل " [1].

وقد اعترف معلوف في حديثه إلى مجلــة اليــوم الســابع – 3 نــوفمبر 1986م – أنه قد اكتشف شخصية حسن الوزان قبل فترة قريبة، حين كـــان يقرأ حول الرحالة العربي ابن بطوطة، فراح يبحث عن مصادر لمعرفة الرجـــل. واكتشف أنه عاش حياة شائقة ومثيرة، و " بدلًا من الاكتفاء بالوقائع التاريخية " المحققة " كان يجدر بي أن أحاول إعادة تصور الفترة، نعم إن ما وصلنا من أخبار حسن الوزان لهو ضئيل جداً ومتناثر في مقدمـــة هـــذا الكتـــاب أو ذاك، وفي المناسبات القليلة التي يلمح فيها هو نفسه إلى سيرته، ولادته، وأشعاره في عمله، هذا هو ما دفعني إلى الحسم لصالح الرواية بالإضافة إلى رغبتي الشخصية لمحاولة الكتابة الروائية، لا يمكن بالطبع اعتبار الكتاب رواية محضًا. ومع ذلك فجانب التخيل فيها كبير جداً ".

ومن المعروف أن هذه الرواية قد تركت صدى على الصعيدين الفرنسي والعربي، ففي فرنسا، وفي عام نشرها، ظلت على قائمة مبيعات الروايات لعدة

---

(1) Leon l،africain ، A. Maalouf. Lattes، Paris، 1986.

أسابيع طويلة، واستطاعت بذلك أن تتفوق على روايات كتبها أدباء لهم أسماؤهم الرنانة سواء من فرنسا، أو من الرواية المترجمة مثل رواية " الإمبراطورة " لبول أوسوليترز المعروف أن رواياته تبيع أرقاما خياليا ، ثم جان دارمسون عضو الأكاديمية الفرنسية، والطبعة الحديثة من " جان لافارويت " لمارسيل بانيول وطبعة حديثة أخرى من رواية " خارج إفريقيا " للكاتبة الدانمركية كارين بلكسن، علما بأن فيلمين كبيرين كانا يعرضان مأخوذتين عن الروايتين الأخيرتين في نفس الفترة في أوروبا.

وقد اهتم النقاد العرب بمتابعة هذه الرواية، سواء قبل ترجمتها إلى اللغة العربية، عام **1990**م أو بعد ذلك، فقد نشرت مجلة الهلال مقالين الأول كتبته سيزا قاسم قالت فيه أنه " من الواضح أن اختيار مثل هذه الحقبة التي تضع حضارتين وجهاً لوجه بكل دوافعها وقيمها ، وعلى مختلف المستويات كان أحد أسباب نجاح الرواية، وقد أتاحت الرواية للكاتب حرية أن يجمع التاريخ والتخيل، فالأسد الإفريقي شخصية من تلك الشخصيات " الجسور " ، التي تربط بين الحضارات، وكيف يمكن الربط بين الساحات الجغرافية والحضارية المختلفة إلا من خلال شخصية ترحل – وتقيم – وتنتقل من مكان إلى آخر حاملة معها اللقاح مثل الطيور المهاجرة ؟ هذا ما فطن إليه أمين معلوف ووظفه في روايته التي قسمها إلى كتب مستقلة تحمل كل منها اسم مدينة " كتاب غرناطة – كتاب فارس – كتاب القاهرة – كتاب روما" ..

"المكان بطبيعته ساكن لا يتحرك إلا من خلال انتقال البشر، ولا يتغير إلا بفعل الزمن، والزمن في هذه الرواية زمن تاريخي وليس زمناً "طبيعياً " إذ إن التغير الذي اجتاح المكان كان تغيرًا جذريًا حول وجه المنطقة والتاريخ "سقوط

الأندلس" ونشوء دولة الملوك الكاثوليك بصعود فردينان وايزابيللا ، انشقاق الكنيسة البروتاستنتية وصعود نجم العثمانيين"[1].

أما أمين العيوطي فقد كتب في عدد آخر من المجلة نفسها، مستنداً إلى الطبعة العربية من الرواية أن " الخلفية الجغرافية والتاريخية لا تدخل بنية الرواية كمجرد خلفية للزينة.. بل ترتبط ارتباطاً وثيقاً بتجربة الشتات والتمزق والغربة التي يعيشها حسن بن محمد الوزان، التي يعيشها كثير من العرب اليوم في شتاقم المعاصر".

" ومع هذا النسيج الثري يجدل معلوف خيوط المعاصرة، فوسط هذه الفوضى الشاملة لا بد أن يرفع قطاع الطرق والمتآمرون والمغامرون. هناك الزروالى اللص، قاطع الطريق. القاتل الذي اكتنز ثروة خلال ربع قرن من السلب والنهب. والذي يتآمر مع شيخ المجذوبين ليلقي بأخت حسن في حي المجذوبين حين ترفض الأسرة زواجه منها " [1].

ويقول العيوطي إن واقعية الشخصية قد ارتبطت بواقعية الأسلوب فالوزان نفسه، يعكس ظروف عصره وأحواله والقيم التي كان ذلك العصر يعيش بها، فالرواية في نهاية الأمر تهدف إلى تصوير موضوعي لعالم محدد.

ومن أعماق التاريخ العربي والإسلامي اختار أمين معلوف شخصية عمر الخيام (**1048 – 1131** م) ليكتب عنه رواية لا تقل جاذبية وأهمية عن الرواية الأولى، إن لم تكن قد زادت، وهي رواية " سمرقند ". ومن المعروف أن الخيام شخصية ذات جاذبية خاصة تثير شهية المبدعين للكتابة عنها، فقد عاش

---

(1) ليون الإفريقي ، د. سيزا قاسم ، مجلة الهلال ، سنة **1990**م ، ص **180**.

(1) أمين معلوف ، د. أمين العيوطي – الهلال – سبتمبر **1991**م.

حياة خاصة مثيرة، وكتب شعرًا بليغًا يعكس فلسفة الشاعر فيما يتعلق بعلاقته بالوجود والكون، وقد جاءت لمعلوف فكرة الكتابة عن عمر الخيام وهو يقرأ رواية " مذكرات أدريان " للكاتبة البلجيكية مرجريت يورسنار (**1903**م – **1987**م) وخاصة العبارة التي تقول فيها الكاتبة : " هناك فقط وجه تاريخي واحد يغريني بنفس الإلحاح الذي يغريني به وجه أدريان، إنه عمر الخيام الشاعر والفلكي ".

إذن ، ففي حياة عمر الخيام ما يصنع رواية مثيرة يمكنها، من خلال كاتب مثل أمين معلوف، أن تحقق كل هذا النجاح الذي حققته رواية " سمرقند " ، فقد كان الخيام رجلًا شغوفًا بالرحيل عبر الأماكن والأزمنة مثلما فعل حسن الوزان، فارتحل إلى بلاد الشرق المجاورة لفارس، من سمرقند إلى أصفهان واسطنبول وتبعًا لطبيعة الرحيل، فقد عرف الخيام أثناء رحلاته السرمدية الكثير من الشخصيات المهمة، وأيضا من بسطاء الناس، فاقترب منهم.. ورغم كل هذه الشخصيات العديدة، فإن أقرب الناس إليه كان حسن الصباح، الرجل الذي وقف ضد السلطة ومعها " جعلت القسم الأول من الرواية يتمحور حول ثلاث شخصيات مثلت وجوهًا مختلفة في ذلك التاريخ نظام الملك فهو رجل دولة من طراز رفيع ، ومفكر سياسي، إنه رجل حكم إمبراطورية، ودون نظراته في الحكم، كان مصلحًا، وفي بعض الأحيان ذو جبروت. وقد صنعت هذه الأشياء من حسن الصباح ثائرًا من خلال مفهوم ديني "[1].

لقد كان حسن قائدًا أسس أهم منظمة عسكرية عرفها التاريخ الإسلامي كما يرى ابن معلوف.

---

[1] الشاعر والحاكم. حوار إبراهيم العريس. اليوم السابع ، **4** أبريل **1988**م ص **37**.

لقد دار صراع بين نظام الملك وبين حسن الصباح، صراع، أدى إلى تدمير الإمبراطورية السلجوقية، إمبراطورية ملك شاه، التي كانت تمتد عبر آلاف الأميال، من الصين شرقًا وحتى حدود البحر المتوسط غربًا.

وتدور أحداث الرواية، بقسميها، على لسان شخص أمريكي من أصل عربي اختار لنفسه أسماء عديدة لكنه يفضل أن يناديه الآخرون بـ " عمر أي بنفس اسم الخيام، وهو يندمج داخل الشاعر من خلال عبوره الأثيري نحو التاريخ، فيتحدث في القسم الأول عن الخيام وعن أسراره وصداقاته. أما في القسم الثاني فيتكلم عن علاقته بالمخطوط الذي به أدق أسرار الخيام.

وتنتمي شخصية الرواية إلى القرن التاسع عشر، وإن كان قد عاش بضع سنوات من القرن العشرين، ويقول أنه سافر إلى باريس كي يتعرف على الشيخ جمال الدين الأفغاني وهو في المنفى، وأنه حدثه عن رغبته في البحث عن مخطوط مهم يتعلق بـ " عمر الخيام " لذا ، فقد سافر إلى بلاد فارس، واشترك هناك في الأحداث السياسية التي شهدها فارس في تلك الآونة، وهي أحداث أشبه بما يحدث الآن في إيران، ووسط مواقف ساخنة يتعرف على أميرة فارسية حسناء تخبره أن لديها نسخة نادرة من مخطوط حول الشاعر عمر الخيام، ويحس الاثنان أن مصيرهما قد ارتبط بصاحب الرباعيات، فيتزوجان، ويسافران معًا إلى أوروبا فوق إحدى السفن الضخمة، حدث ذلك في عام **1912**م ، وفي إحدى الليالي المظلمة تحدث الأميرة شيرين زوجها عن مخاوفها الكامنة، فيحاول أن يسري عنها، ويقرأ عليها بعضًا من رباعيات الخيام. ولكن البحر يبدو غاضبًا فاشتد ساعده على السفينة المعروفة في التاريخ باسم " تيتانك " وتنقلب السفينة وتغوص في أعماق البحر حاملة معها الكثير من الأسرار، ومخطوط عمر الخيام

وحياته وتموت الزوجة في هذا الحادث، ولكن الله ينقذ عمر الذي يحـاول أن يحكي كل ما دار في سمرقند أيام عمر الخيام.

ويقول معلوف في تعليق له حول مزج الحاضر بالماضي في هذه الرواية : " لم أحاول عمدًا أن أقحم الحاضر في أحداث الماضي، طبعًا لم يغب عن بـالي أن هناك تشابهًا وتلاقيًا بين الماضي والحاضر، لكنني بـروايتي لأحـداث الماضـي حاولت أن أفهم تلك الأحداث من الداخل وأفهم شخصـياتها. أيضـا مـن الداخل، قد يجد البعض، وقد أجد شبهًا متعدد الجوانب بين ضحية نظام الملك، وشاه إيران الراحل، لكن الشبه محدود بين حسن الصباح ، الثائر الإسمـاعيلي، وبين الذين يقودون " حركات ذات قناع " ديني ".. يكفي أن حسن الصـباح ثار، أولًا ، على معتقدات جاهلة أي معتقدات الشيعة الاثنى عشرية، وبالتالي لا يمكن أن تكون هناك مقارنة كلية بينه وبين شخصيات عاشت في بلاد فـارس، المرحلة التي باتت فيها الشيعة الاثنى عشرية المذهب المهيمن، هناك شبه ، لكنـه محدود للغاية، لكني لن أفاجأ إزاء مقارنات سيوردها البعض، بيد أن الحقيقة هي أكثر تعقيدًا مما تبدو للوهلة الأولى، حتى لو كان بإمكان المرء أن يسـتفيد مـن دروس الماضي لا بد له من رؤية الماضي كما كان، ومن تفادي إدخاله طرفًا في صراعات الحاضر " [1].

إذا كان التاريخ الإسلامي قد بهر معلوف بصفة خاصة، فهو كما يبـدو من اهتماماته، مبهور بتاريخ الشرق الأوسط والمنطقة بصفة عامة.

---

[1] المصدر السابق

ولعل معلوف لم يود أن يأسر نفسه في مرحلة بعينها، وقــد بــدا ذلــك واضحًا في رواياته التالية، ففي روايته " حدائق النور " يتحدث عن نبي ، غــير سماوي ، يدعى ماني عاش في القرن الثالث الميلادي، وقد أقض هــذا الرجــل مضاجع رجال الكنيسة في عصره بأفكاره الجريئة، فقد قامت دعوته على أساس " دين الجمال ". وهذا الرجل أيضًا مدفون في التاريخ ، وكان على المؤلــف أن يخرجه من مقبرته، كي يعيد إليه الحياة في روايته. ويطلق عليه أحيانًــا اســم " المسكين ماني " ، إنه رجل قادم من بلاد بابل كي يصرخ صرخة تنطلق إلى كل أرجاء المعمورة، وقد انطلق صداه في حياته من الصين وحــتى الجزائــر وظــل معروفًا لأكثر من ألف عام ، ثم بدأت أستار النسيان تسدل عليه، وتقول مجلــة لوبوان [2] أن ماني قد خرج من جعبة عمر الخيام رغم الفــارق الــزمني بــين الاثنين، فقد تولد ماني من الظل. وبدا كأنه جاء من عالم الإسلام، وكأنه يــرد على أكثر الأسئلة عمقًا التي يرددها البشر، لقد عاش ماني عمرًا قصيرًا، فمات وهو في السابعة والعشرين من العمر، وكان ضحية لصراعات دينية اندلعت بين رجال الدين المسيحي، ولا شك أن مثل هذا الموت في تلك السن المبكرة بذلك الأسلوب، قد يثير أسئلة حول أساليب الناس في ممارســة ديانــاتهم في منطقــة الشرق الأوسط.. لقد أراد ماني أن يوحد هذه الأديان وأن يصبح البشر تحــت لواء ديني واحد، من بوذيين وكونفوشيين ويهود ومسيحيين، عماد هذا الــدين هو البساطة، لقد رأى ماني أن الإنسان هو صورة العالم مطبوعة، وهو يمشي في درب النور والظلام، وعليه أن يختار، ولا شك أن مصيره مرتبط بسلوكه، فهو إما إلى طريق النور، أو طريق الظلام.

---

(2) **Maalouf et son prphet ، Le point 18-3-1991،p.48.**

ويرى ماني أن الوجود الإنساني قد أصبح مميزًا بمواجهة مع القوى الكونية، ولذا فإن على الإنسان أن يتحلى بالحب ويمارس الصلاة.

ويتتبع معلوف سيرة الحياة القصيرة التي عاشها ماني منذ ولادته ولقاءه الأول مع المجموعة الدينية المعمدانية، ثم رسالته الكونية، وقد عاش ماني طفولته وصباه في واحة مليئة بالنخيل، وكان يسمع هاتفًا أن عليه أن يرحل في المستقبل، وفي سن الرابعة والعشرين أصبح له تلاميذ من بينهم والد ماني الذي أرسله هذا الأخير في مهمة إلى أحد البلاد، وقد توجه ماني نفسه إلى الهند، ولم يتوقف عن بث دعواه، وكان ينادي تلاميذه أن يذهبوا إلى الميدان، وقد التقى في رحلاته بالكثير من البشر والناس.

وكما هو ملاحظ ، فإن ماني صورة مشابهة لحسن الوزان وعمر الخيام. فهو وإن لم يرحل من أجل الرحيل مثلما فعل الوزان، إلا أنه عاش تجربة الرحلة، والالتقاء بالناس، وقد كان الإمبراطور فاليرين معجبًا به كثيرًا ، لكن بعد أن مات طرده ابن الإمبراطور بهرام من البلاط، ثم تم القبض عليه وظل في السجن ستة وعشرين يومًا ولم تتحمل روحه التي اعتادت الانطلاق السجن، فأسلم روحه صباح اليوم الثاني من مارس عام 274 م.

وقد أجرت مجلة " لوبوان " حديثًا مع الكاتب بمناسبة صدور روايته قال فيه : إن ماني كان يرى أن أصل العالم ينقسم إلى قسمين منفصلين، عالم النور وعالم الظلام، وذات يوم حدث صدام هائل بين هذين العالمين فاختلط النور بالظلام بألف طريقة مختلفة، وهكذا تولدت الكائنات من إنسان وحيوان وطبيعة، وأجسام غير مرئية، لقد تولد هذا العالم كله ممزوجًا من النور والظلمة معًا، وكان يطالب أن يعمل كل منا على سيادة النور على الظلام، وقد راح رجال الدين يتعاملون مع ماني على أنه هرطقي.

ويقول معلوف [1] : أن ماني قد مس منطقة المحرمات الدينية والسلطات. كما أن أفكاره تقوم على مبدأ الصفوة، فالصفوة تشغل مكانة مهمة في المجتمع، وتأثيرها المعنوي يؤخذ دائمًا بعين الاعتبار، لذا أخذ الصراع بين ماني ورجـال السلطة شكلا حادًا.. ففي ذلك العصر كان يحكم العالم أربع إمبراطوريـات : إمبراطورية أكسوم (الحبشة) والصين ، وروما ، وفارس.. التي كانت قريبة من المنطقة العربية، وفي فارس كان شهبور هو أقوى الحكام في تلك الحقبة، وهـو رجل مصاب بهوس لدرجة أنه يمكنه أن ينافس نفسـه، وكـان يـرى أن الإمبراطورية الرومـانية تشكل عليه خطورة ملحوظة، وفي عهد شهبور ظهر رجلان كبيران تعارضا فيما بينهما، إنهما الساحر الأكبر كردير، وماني، وكـان الساحر هذا يسعى لبناء كنيسة حقيقية، ذات طابع رسمي، أما ماني فقد كـان ينادي بأن تتوحـد الأديان الثلاثة الكبرى في تلك الآونة، فقد كانت البوذيـة سائدة في الهند وشرق أسيا، ثم المسيحية واليهودية، وقد كاد شهبور أن يمتثـل لماني، إلا أن " كردير " وقف له بالمرصاد، واضطر ماني أن يخضع للضغوط التي يواجهها.

وفي نفس الحديث عقد معلوف مقارنة بين القرن الثالث والقرن العشرين فقال أن القرن الثالث عرف صراعات الإمبراطوريات، وصراعات اقتصـادية وسياسية ومشاكل روحية، ودينية، وبعد إعدام ماني بعشرة أعـوام أصـبحت المسيحية هي الديانة الرسمية في روما، وأحس الناس أن حيواتهم لم تعـد كافيـة بالقدر المطلوب.. فراحوا يبحثون عن شيء آخر ".

---

[1] المصدر السابق.

في عام 1992م نشر الكاتب رواية تحت عنوان " القــرن الأول بعــد بياتريس " وهي تنتمي إلى الخيال العلمي، وكأنه قد نفض يديه، ولو مؤقتًا مــن التاريخ كي يتجه نحو المستقبل، فيحكي لنا قصة غريبة، تبدو واقعية وكأنها تمس كلًا منا، وتقوم الفكرة على أنه طالما أن العلم قد استطاع معرفة نوع الجنين قبل ميلاده، فهل يمكن ذات يوم معرفة عادات وسمات ومستقبل هذا الطفل ؟. وهل يمكن أن نتحكم في الأجنة القادمة حتى يصبح العالم كله بلا نساء. ويمتلئ فقــط بالرجال؟: " منذ عشر سنوات انتابتني فكرة عن عالم بلا نساء، فــلا شــك أن علم الوراثة سيتقدم بشكل خيالي، كما أن الروحانية ستتخلف في أنحاء العالم ".

وفي الرواية يصبح من المفضل أن يولد الغلمان عن البنات، في البدايــة لا أحد يصدق الأمر حتى الراوية نفسه المشغول بالسعادة التي حلت عليــه، إنــه يحب صحفية تدعى كلارنس وهبته بنتًا، فيمارس عليها كل مشاعر الأبوة الــتي كان ينشدها " ولدت بياتريس في الليلة الأخيرة من أغسطس، قبــل موعــدها بقليل مثلما كانت تفعل وهي تذهب إلى المدرسة ". وبعد ميلاد بياتريس تقــوم مشاكل سكانية، وتطرح أسئلة حول علاقة مولد كلارنس بما حــدث، يظهــر شعب جديد لديه الخيار للانتحار، لقد أصبحت النساء عملة نادرة، لــذا يــتم إخفاؤهن عن الأعين ويتم بيعهن بأغلى الأثمان، وفي بلاد الجنوب تنفجر ثــورة من أجل اضطراب الأحوال السكانية، وتندلع الصراعات وينقسم العالم ويسود الحزن، ويمر قرن، إنه القرن الأول على ميلاد بياتريس أنه قرن مظلم. ويشــعر الراوية أن عليه أن ينسحب مع أسرته إلى مخبأ من الرخام كي يجد فيه الأمان.

ويقول معلوف : " لا شك أنني بالغ الحساسية. كرجل شرقي لهذه اللعنة القديمة التي تثقل على النساء. في بلادنا ، مثلما في الكثير من بلاد العالم الثالث ، فإن مولد فتاة يستدعي الحداد في باكستان. وفي الصين يقومون بقتلها " [1].

كلمات قليلة تعمد الكاتب اللبناني أمين معلوف أن يضـــعها في صـــفحة منفردة في نهاية روايته " صخرة طانيوس " التي فازت بجائزة جونكور في الأدب لعام **1993**م .. وهي أن وقائع هذا الكتاب مأخوذة تقريبًا بالكامل من حادثة حقيقية. حين قتل البطريرك في القرن التاسع تقريبا عشر على يدي أبو كشيش معلوف الذي هرب إلى قبرص مع ابنه. أما بقية الشخصيات فمن وحي الخيال.

ومثل هذه العبارة تعتبر مدخلًا أساسيًا إلى عالم أمين معلـــوف. فالكاتـــب يعود من جديد إلى أحداث حقيقية دارت في الماضي، ويستلهم مـــن وثائقهـــا روايته. ثم يضيف من خيالاته ما يتناسب مع روح روايته. حدث هذا حين رجع إلى ما كتبه الرحالة حسن الوزان في روايته الأولى " ليون الإفريقي " ثم إلى جزء من سيرة الشاعر عمر الخيام في رواية " سمرقند " وأيضًا إلى ما توفر لديه عـــن حياة النبي ماني في روايته " حدائق النور " وأخيرا في " صخرة طانيوس ".

لقد سعى معلوف دوما أن يضفر الخيال بـــالواقع. وأن يجعـــل الأول في خدمة الثاني، بمحاولة لإحيائه بأي ثمن. فبدت هذه الضفيرة ذات شكل خـــاص بالكاتب، مهما اختلف الزمان أو المكان الذي تدور فيه أحداث كل رواياته.

وفي روايته، سعى معلوف من ناحيته إلى اتباع نفس الشكل الأدبي الذي سبق أن استخدمه في رواية " سمرقند " حيث أتى في البداية إلى العصر الحديث، مشيرًا أن هناك وثائق يمكن أن تلقي الضوء على المرحلة الزمنية التي يود التوغل

---

(1) **L‹homme qui aimait les. Femmes‹ le Nouvel observatur‹ 23-4-1992‹ p.131.**

فيها. فإذا كان هناك باحث أمريكي من أصل عربي قد تمكن من العثـور علـى أوراق تخص الخيام ، فإن المؤلف – كراوية – في " صخرة طـانيوس " يؤكـد عثوره على وثائق مهمة تلقي الضوء أيضًا على جريمة القتل الـتي حـدثت في الرواية عام 1938م بإحدى الضيعات اللبنانية والتي انتهت باختفاء شـخص يسمى " طانيوس " أطلق اسمه فيما بعد على الصخرة البرية المجاورة لضـيعته " كفر عبيدة ".

يقول الكاتب في الصفحات الأولى من روايته عـن هـذه الصـخرة : "تأملت كثيرًا هذه الكتلة من الحجارة دون أن أجرؤ على الاقتراب منها. ليس بسبب الخوف من الخطر ، فالصخرة بالنسبة لقريتنا هي لعبتنا المفضلة خاصـة بالنسبة للأطفال. فقد اعتدت أن أرى الصغار الذين يكبرونني يتسلقونها. وفيما بعد لم يكن لدينا أية لعبة سوى أن تلتصق جلودنا بالصخرة ونحن لا نسـتطيع مقاومة سحرها ".

والكاتب الذي سوف يحكي لنا ما شهدته هذه الصخرة طوال ردح مـن الزمن ، عليه في البداية أن يعرفنا على أبطال هذه الحكاية الرئيسـيين قبـل أن يروي لنا وقائعها ، وقبل أن يحدثنا بالتفصيل عن الضيعة كمكان أشـبه بحصن في حشاياه كل هؤلاء البشر، الذين إذا ابتعدوا عنها أحسوا كـأنهم السـمك الذي خرج من الماء.

فأبطال هذه الحكاية هم : لمياء. والشيخ فرنسيس. ثم جريبوس. والمـرأة هي محور الأحداث هنا ، ويسمى الفصل الأول كله باسمها. " إغواء لمياء" إنهـا تحمل جمالها كأنه عقيدتها، هي زوجة للقروي البسيط جريبوس. وتعمل في مـنزل عمدة الضيعة وشيخها فرانسيس.

وفي هذا البيت طلب جريوس يدها للزواج. فهي بمثابة ابنة لفرانسيس الرجل الذي يمزج بين الطيبة والقسوة. وبين متناقضات عديدة مثل أغلب الذين يمتلكون مقدرات الأماكن والبشر.

والشيخ فرانسيس هو سيد الضيعة ، ولذا فكم يتمنى الجميع الحصول على مضائه ، وحيث يردد أحدهم مثلًا : " لقد رأيت الشيخ اليوم" بشيء من الغمز. بينما يردد الآخر : " اليوم قبلت يد الشيخ " كأنه حصل على رضاء الزمن. فهذه اليد كما يقول معلوف قد تأتي بالسعادة ، أو التعاسة لأبناء الضيعة. وهي من القوة بحيث أنها تمثل مهابة خاصة لهؤلاء الذين ذاقوا قسوتها حتى انهالت عليهم مصائبها. يجب أن يحترمه الآخرون. وأن يطلبوا حمايته. وربما أشياء أخرى خاصة النساء.

تلك كانت ملامح عابرة عن الشخصيات الرئيسة التي ستكون ذات علاقة فيما بعد بالوليد طانيوس ابن لمياء. أما المكان فهو ضيعة غير موجودة على الخريطة اللبنانية تسمى " كفر عبيدة " ، ولكنها تمزج بين سمات العديد من الضيعات في ذلك العصر. إنها واقعة هناك في الجبال. تخضع للنظام الإقطاعي. حيث يملك الشيخ الكثير رغم أن النظام الإداري في ذلك العصر سيفرض عليه حاكما وبطريرك. والناس في هذا السهل المنخفض لا يتطلعون إلى أعلى. فهم يرون أن العمدة لا يمكن أبدًا تجاوزه ولذا ، فإن معلوف يفرد له عددًا من الصفحات للحديث عن ما يتمتع به من سمات متناقضة.

أما الزوج جريوس ، فهو رجل قليل الكلام ، والابتسام. ولم تكن لمياء تطمح في أن يكون لها زوج خلافه. رغم أنه يكبرها سنًا " بين الزوج وامرأته كانت هناك مسافة زمنية. فقد كانت في ربيعها الخامس عشر ، أما هو فكان في خريفه الثلاثيني. ومع ذلك فهي سعيدة. بل إن الكثير من نساء القرية يحسدنها

على مكانتها ، فهي ذات حظوة خاصة بالنسبة للشيخ الذي يناديها أمام الناس بـ " بنتي ". وهي حين تسمع هذا النداء تشعر بسعادة غامرة. ولكن يقال أن حدود هذه العلاقة قد اقتربت من مرحلة الخطر. لذا فعندما ولد " الصغير " طانيوس أثيرت الأقاويل عن هوية الأب الحقيقي : هل هو فرانسيس أم جريوس؟.

لقد ظل هذا الأمر الموضوع الرئيس "لأهل الضيعة " رغم أنهم يتكلمون أقل إنهم يأكلون ما يكفيهم ويتعاملون مع الشيخة زوجة فرانسيس بنوع من الازدراء ، عكس نظرتهم إلى زوجها. وليست هناك إشارة من سكان القرية إلى حقيقة أبوة مانيوس. ولكن الكاتب أشار إلى ذلك تلميحًا في البداية. ثم ما لبث الأمر أن تأكد فيما بعد.

فليست لمياء مجرد خادمة في البيت ، ولكنها عندما تدخل على الشيخ تقدم له الفاكهة ، تشاركه التقاط بعض الثمار رغم أنها أعلنت لزوجها ، خفية، عن مخاوفها من الدخول إلى الشيخ لأنه يطلب منها في بعض الأحيان أشياء أخرى لا تلبث أن تتهرب من الحديث عنها ، حتى لا تثير شكوك زوجها.

وقد أشار أن لمياء ظلت بعد زواجها من جريوس مسطحة البطن طوال عامين. وأنها قد حملت بعد أن تناولت من ثمار تلك الفاكهة. ولذا ولد طانيوس في يوم صيفي ولكنه ملبد بالغيوم. وقد احتار أبوه في اختيار اسم له فكان " عباس " أولًا ، ثم استقر المقام على طانيوس وهو اسم غريب بالنسبة للضيعة التي اعتادت أن تطلق أسماء أخرى لأبنائها.

وقد حاول أن يعطي العديد من التفسيرات للتسميات اللبنانية فاسم عباس كان تيمنا بعم الرسول (ﷺ) الذي سمي باسمه اثنا عشر خليفة حكموا

المنطقة العربية ردحًا طويلًا من الزمن. أما اسم فرانسيس فقد استمد من القديس فرانسوا داسيس الزاهد المعروف.

وهناك فصل بأكمله حول الخلاف الذي دار إلى أن استقر على اختيارهم اسم الوليد الجديد. ولكن المثير حقًا هو ذلك الفضول الذي استبد بإحدى النساء لمعرفة الاسم الحقيقي الذي على الوليد أن ينتمي إليه. هل هو الزوج جريوس ، أم الشيخ فرانسيس ؟ فذات يوم أتت زوجة القس إلى بيت الرجل. يدور بينهما حوار مثير :

- آخر مرة ، طلبت يد " بونا " بطرس وأعطيتها لك. فماذا تريد هذه المرة؟
- هذه المرة أريد يدك ، يا شيخ.

ويرتبك الرجل ، ولكن المرأة ، التي هي أيضًا شقيقة لمياء ، تطلب منه أن يعترف لها ، حتى وإن كانت امرأة ، إذا وددت أن تعرفي.. فهذا الطفل ليس من صلبي " ، وهو يعلم تماما أنه كاذب.

ورغم أن الشيخ يكذب فإنه يذهب إلى بيت لحم من أجل إقامة مراسم الحج. أما جريوس الزوج ، فإنه يتلقى التهاني وعليه أن يصدق جيدًا، داخل نفسه، أن طانيوس ابنه. فهو إذا لم يصدق ذلك فسوف تتحول حياته إلى جحيم.

وينتقل الكاتب من الهم الخاص ، إلى الهم العام ، فالبلاد في تلك السنوات تعتبر طريق مرور للجيوش المصرية إلى الشام ، والعاصمة العثمانية ، بينما يعم إحساس بأن هناك نهضة قادمة. كأن لبنان تستعد لدخول العصر الحديث.

والجدير بالذكر أن معلوف هنا قد استخدم ثلاثة مستويات من الأزمنة ، فهو يعود من عام 1938م إلى 1821م حين لد طانيوس. ثم هناك زمن المؤلف

نفسه. الذي يروي في إطاره وقائع الرواية باعتبار أن أحداثها قد انتهت ، ولعله يذكرنا بنفس الكيفية التي تناول بها الكاتب الكولومبي جابريل جارثيا ماركيث روايته " وقائع موت معلن عنه " فنحن سلفًا نعرف ما ستسفر عنه الأحـــداث. لكن من أجل معرفة المزيد ، وحكى التفاصيل مثير دائمًا للمتعة ، يجب علينا أن نقرأ الرواية.

وإذا كان المؤلف قد انتقل بين هذه الأزمنة ، بكل سهولة ، فإنه فيما بعد يختار أن يتتبع ملفولة طانيوس الذي ينتظر مصيرًا قدريًا مليئًا بالمعاناة، فهو مولود ومعه " ثأره " الخاص. تحوطه تلك الصخرة الرابضة في التاريخ التي عليهـــا أن تتسمى فيما بعد باسمه. وهناك أيضًا أبوان : أحدهما حقيقي والآخر يحمل اسمه.. ومجموعة من الأشخاص الذين سيلعبون دورًا مؤثرًا في مصيره مثل البطريـــرك ، وهو رجل أشد قسوة وظلمًا من فرانسيس. وأيضًا حاكم البلاد الذي يصـــدر الفرمانات الواجبة الطاعة.

الجدير بالذكر أن هناك تقاربًا واضحًا بين بعض وقائع هـــذه الروايـــة، ورواية ماركيث السابق الإشارة إليها. ليس فقط في الصياغة الأدبية ، ولكـــن أيضًا في أن أحداث كلتا الروايتين مأخوذة عن وقـــائع حقيقيـــة ذات علاقـــة بالمؤلف نفسه.

وقد اختار معلوف أن يجري بالسنوات ، حتى بلغ سن الصـــبا. فمـــا أن أصبح في الخامسة عشرة ، حتى انقلب فرانسيس فجأة على معاونـــة القـــديم " رافوز " بعد أن رفع حصة الضرائب " الميري " فلم يكن أمام الرجـــل ســـوى الهروب. وما لبث الإقطاعي أن أصدر أمره بمنع دخوله الضيعة. ويشير المؤلـــف أن السبب الحقيقي لهذا الغضب والطرد ليس أبـــدًا الضـــرائب ، وإنمـــا لأن الإقطاعي حاول أن يغرر بامرأته مثلما فعل مع لمياء. ولكنه تصدى له. وما لبث

جريوس أن حصل على وظيفته. ولكن " رفواز " ما يلبث أن يعود ومعه شفاعة من نائب الحاكم المصري للعفو عنه. ثم يلتقي بطانيوس الصغير ذات يوم فيحدثه أنه ليس مطلوبًا منه أن يقبل يد الشيخ يوميًا. مثلما يفعل أبوه. ولكن عليــه أن يدرس ويتثقف. ويصبح بذلك أباه الروحي.

ويقبل طانيوس على التعليم. ويعرف أن هناك فرقًا بين ما يتلقاه من معرفة وبين ما يدور من حوله من عادات وتقاليد. ويزامله في الدراسة "رعد" الابــن الشرعي للشيخ فرانسيس. وتتوطد العلاقة بالبطريرك ، ويتردد الرجلان علــى بيت الحاكم العام للجبل.

وفي الضيعة هناك شخص آخر يدخل في خضم الأحداث يــدعى"القس شتولتون".والذي يروي في مذكراته أنه فوجئ بأن السنوات تقــدمت فجــأة بطانيوس.وأنه رغم سنوات عمره الخمسة عشر فإن بعض الشعيرات البيضاء قد بزغت في رأسه :" تصورت أن هناك أسطورة في هذا الركن من الجبــل تتعلــق بالشيب الذي يصيب الصغار. وبالفعل يحدث هناك شيء مرعب ".

وتشاع الأقاويل عن علاقة ما بين زوجة القس وبين " رعد ". وفي مجتمع صغير مغلق مثل هذا لا تلبث أن تتسرب الحكايات ، الحقيقي منها والمزيــف ، فلا شيء يختبئ بما فيها حكاية بنوة طانيوس. فإن قصة رعد تنتشر على ألســنة النساء ، وتعود إلى الأذهان قصص الأب القديمة. ويغلق الصبي طانيوس علــى نفسه أبواب المكتبة من أجل الاستزادة من المعرفة ، ربما رفضًا لهذا العالم ، وربما بحثًا عن وسيلة أفضل لفهم الحياة. ثم يحس أن هناك مشاعر ما تنتاب المرء حــين يرى فتاة جميلة ، مثل " أسماء " التي يحبها ذلك الحــب الطفــولي الجميــل ، " ويحاول في البداية أن يحفظ سره في داخله. إنها ابنة معلمة الكبير " رافوز " الذي

يناديه دائما بـــ "ابني". وهي لم تتجاوز الثالثة عشرة بعد ، لكنها أيقظت فيـــه مشاعر رائعة مقدسة.

لكن هذا الحب النقي في حياة طانيوس لا يلبث أن يختفـــي. ففـــي عـــام 1838م، تتعرض الضيعة لهزة أرضية عنيفة تصدع قصر فرانسيس الضـــخم ، والذي يعيش فيه أغلب أبطال الرواية. كما تتصدع المنازل القروية. وينتج عن ذلك سلسة من المآسي. فبالإضافة إلى الموت. هناك القحط. ويقـــرر الحـــاكم مضاعفة الضرائب. أما البطريرك فيحس أن عليه أن يمارس ســـلطاته لمصـــلحته الخاصة. إنه رجل لا يهمه أن يكون هناك شرف ، بل أن تأتي إليه العوائد بـــأي ثمن ، وهو لا يكن للمشاعر النبيلة أي تقدير. حيث يسعى لتـــزويج " أسمـــاء " بابن أخيه.

ويصاب طانيوس بألم عظيم ويهرب من حبه إلى امرأة أخرى " لقد عرفت امرأة ، لم أكن أتكلم لغتها، ولم تكن تعرف لغتي، لكنها كانت تنتظـــرني علـــى السلم. وذات يوم طرقت بابها لأخبرها أن سفينة تنتظرنا من أجل الرحيل ".

ويرحل طانيوس بعد أن مات البطريرك صريعًا برصاصـــة أصـــابته بـــين حاجبيه. كما يموت جريوس مقتولًا. وتندلع حرب طائفية في الضـــيعة ، بالغـــة القسوة مثل حرب الأمس القريب في لبنان. وكما يقول " شولتون " في أوراقه الخاصة : لقد رجوت طانيوس أن يرحل. كان هذا هو واجبي نحوه. وأنا أقـــول له: فكر ، فأنت لست صاحب مصلحة في هذه الحرب. لـــيحكم المصـــريون جيلك ، أو العثمانيون وليعلن الفرنسيون الإنجليز "، لكنه ردد : لكنهم قتلـــوا أبي.

بعد أن يرحل طانيوس إلى قبرص ، تنقطع صلته بالضيعة. فلا أخبار تأتيه من هناك ، كما أن أخباره لا تصل إلى أهله ، وخاصة أمه لمياء. إنه واحد من كثيرين سافروا بسبب هذه الحرب إلى لندن وباريس وفيينا والقاهرة. ولكن قلوبهم ظلت معلقة بالوطن. يرغبون في عبور البحر للعودة حتى لو تعرضوا للنيران. ويفكر في العودة من أجل الثأر. الأول مرتبط بدماء أبيه ، والثاني يتعلق بالازدراء الذي يحسه داخل نفسه ، وتنسكب الأحزان والهموم داخل قلب الشاعر الذي أصبح شعره أبيض تمامًا. رغم براءة وجهه " أنت يا طانيوس يا ذا الوجه الطفولي. والرأس المتسعة لستة آلاف عام. لقد عبرت أنهار الدم والوحل وخرجت كالشعرة من العجين. لقد مزجت جسدك بجسد امرأة. وألقيت بعذريتك فوق الأرض ، اليوم أصبح مصيرك معلقًا وبدأت حياة أخرى. فانزل من فوق صخرتك. وانغمس في البحر. واجعل جسمك يلعق نقطة واحدة من الملح".

لكن طانيوس لا يعود لينتقم على طريقة الثأر العربية. بل ليرى أمه. فيكون اللقاء حارًا للغاية وهي تصرخ باكية : " أنا في حاجة إليك. فلا تبتعد مرة أخرى". ولكن الغريب أن طانيوس عاد ليختفي من جديد. ويكون الاختفاء هنا أقرب إلى عبثية مصائر أبطال الأساطير الذين لا يعودون قط ، فقد فشل طانيوس الشاب الأشيب في الاندماج داخل هذا العالم الضيق ، المليء بالقسوة. ولذا لا يجد أمامه سوى حل واحد هو الخروج من الوطن. وقد تحدث الكاتب عن هذا الخروج في حديثه إلى إبراهيم العريس في مجلة الوسط (العدد 94) قائلًا : " لا يهمنا أين ذهب. وكيف ذهب. يهمنا قراره كرد فعل على ما يحدث. النهاية هي خروجه من عالم الرواية. اختفاؤه. هذه هي فكرة الكاتب.

حكاية الهجرة ما قبل الهجرة. فإذا كان على أن أواصل فسيكون من الضروري أن أحكي قصة أخرى لا علاقة لها بالأولى ".

تلك كانت وقائع رواية " صخرة طانيوس " لأمين معلوف ، وقد حاولنا سردها قدر الإمكان. فمعلوف ليس فقط روائيًا موهوبًا ، ولكنه لا ينسى في داخله المؤرخ والصحفي. فهو لا يحدثنا عن قصة " ثأر " امتلأ التاريخ بالملايين من أمثالها. ولكنه يؤرخ للبنان، في تلك الآونة ، وينقل صورة صادقة وحية لكل ما كان يحدث في ضيعة لبنانية في النصف الأول من القرن التاسع عشر. وقد وقع معلوف في حيرة لترجمة الأسماء والألفاظ إلى الفرنسية التي يكتب بها فتركها في أغلب الأحيان عربية بلا دلالات. وكأنه كتب " صخرة طانيوس " لأبناء وطنه الذين يعرفون الفرنسية وليس فقط لقراء اللغة الفرنسية ، أيضًا ، وليس للقارئ العربي الذي لا يعرف الفرنسية وتلك واضحة لدى الأدباء العرب الذين يكتبون عادة باللغة الفرنسية.

في روايته " موانئ المشرق " يتحدث عن "عصيان" ، إنه شخص ينتمي إلى عائلة السلاطين العثمانيين ، التقاه معلوف في السبعينيات ، جدته ايفيت هي ابنة السلطان العثماني الذي تم خلعه وتنصيب ابن أخيه مكانة ، والذي قتل بعد ذلك وقد أصيب الجد بلوسة عقلية بعد وفاة أبيها ، أما والد عصيان فهو على صلة صداقة مع فوبار أستاذ العلوم الأرضي ، الذي رحل مع زوجته إلى لبنان أثناء الحرب العالمية الأولى ، وقد تزوج الأب من ابنة فوبار ، وأنجبا عصيان ، وأخته ايفيت ، التي سماها على اسم الجدة ، ثم الصغير سالم.

يرى الأب أن في إمكان ابنة أن يغير العالم ، وأن يكون ثوري ، ورغم ذلك فعصيان ، واسمه يدل على المعنى يود أن يكون طبيبًا. فهو يود أن يغير

العالم على طريقته، بالطب والعلم ، يقع عصيان في غرام كلارا اليهودية الـتي اعتقل النازيون أهلها.

ويرى الكاتب أن إقامة الأرمن في لبنان لم تغير طبيعتها ، أما اليهود فقد غيروا تكوين فلسطين ، ويرى على لسان بطلته أن زرع إسرائيل فوق أرض فلسطين ومقاومة الشعب الفلسطيني ، إنها مجرد سوء تفاهم مأساوي ، ويساوي بين الشعب الفلسطيني صاحب الأرض ، والمستوطنين المستجلبين من أنحاء أوروبا ، ويقول إنهما شعبان كان هتلر يصخر لهما العداء.

ويقول إبراهيم جاد الله في محيط عرضه للرواية جريدة القاهرة 15 أغسطس 2006م، إنه تبلغ سذاجة أمين معلوف أو رومانسية حضور الخيال حين يصر على أن ما يدور في أرض فلسطين في تلك الأيام إنما دافعه هو الحق العنصري أو الدين.

أما كلارا فقد حاول الكاتب إظهارها كمفاضلة ، تحمل أفكار يسارية وتؤمن بالتعايش ، لكنها لم تكن متأكدة أنها تريد العيش في فلسطين ، فهي تتزوج من عصيان وتقيم في حيفا ، بعد أن مزقت بينهما الحدود ، حيث كان هو في بيروت أثناء التقسيم لحضور جنازة أبيه. وهي لم توافق على السفر لفرنسا للحاق بزوجها ، الذي أصابه اضطراب عقلي أسوة بجدته ، وذلك بعد رحيل أبيه. أما أخوه سالم فقد انتهى به الأمر إلى أن أصبح مهربًا ، ثم صار رجل أعمال سعى لإدخال أخيه إلى المصحة ، وثار عليه ، ومن بعد صار وزيرًا..

وفي نهاية الرواية تسافر نادية ابنة عصيان ، تاركة إسرائيل للإقامة في فرنسا وتحاول إخراج أبيها من المصحة ليعيش معها في فرنسا ، ربما تلحق به كلارا بعد غياب 28 عامًا.

في رواية ، رحلة بالداسار " تدور رحلة عربية في التاريخ مثلما حدث في " ليون الإفريقي " في عام 1966م ، يفترض الكاتب أن العالم سوف يفنى ويزول ، إما بفيضان أو بزلزال ، أو حريق ، كما حدث في لندن عندما احترقت كل البيوت ليظن الناس أنها بوادر عام ألا لوحش ، وبما أن الداسار شاب مثقف يمتلك محلًا يبيع القطع الثمينة والنادرة ومن بينها الكتب ، فإنه لم يكن يؤمن بما يقال ، لكن حوادث مهمة طرأت عليه جعلته يغير مسيرة حياته معتمدًا على هذه النبوة الغريبة ، فالنبوة ترى أن الحصول على كتاب يدعى " الاسم مائة " تأليف المازندراني هو حل وحيد من العام المرعب.

لذا فإن بالداسار يقضي وقته في البحث عن الكتاب الذي يتزامن وجوده مع العديد من الحوادث الغريبة التي يسجلها في شكل يوميات ويقول سعداء الدعاس في جريدة الوطن " 17 مايو 2002 م – إن معلوف في هذه الرواية أكثر غموضًا مما عرف عنه في رواياته السابقة ، بل إنه ينتهج مبدأ اللغزية الذي يصل بالمتلقي للاشيء ، فاللغزية كمصطلح تعني الإبهام والمسار المسدود.. ، فالكاتب في نهاية الرواية يجعل القارئ يبحث مع البطل عن الكتابة دون أن يصل إليه ، فالكتاب لم يكن سوى ذريعة يتحجج بها لذاته التي أنهكها الترحال.

أما كتابة " أصول " عام 2004م ، فهو يدور في القرن العشرين حول قصة الجد بطرس والعم جابرييل ، رجلان عاشا المصير نفسه. تراسلا وتصادقا ، إنهما شاهدان على القرن العشرين.

فينوس خورى غطاس
(1937م)

كاتبة لبنانية مولودة فى بشرد، حصلت على لقب مس لبنان عام **1959**م ، سافرت إلى فرنسا وتعيش فى باريس منذ عام **1973**م، نشرت الكثير من الروايات والدواوين الشعرية، وهى عضو عامل فى العديد من الأكاديميات الأدبية فى فرنسا، وكندا، حصلت على العديد من الجوائز الأدبية، منها جائزة جونكور فى الشعر عام **2011**م ،

عن مجمل أعمالها وجائزة الشعر بيريت عن ديوان "أين تذهب الأشجار" عام **2012**م، من أعمالها الروائية، "وجوه لا تنتهى" **1966**م، و"حديث حول المسيح" **1975**م، و"زوبعة من أجل قمر ميت" **1983**م، و"ليس للموتى ظلال" **1984**م، و"عشيقة النبيل" **1992**م، و"بيت على ضفاف الدموع" **1998**م، و"تميز الموت" **2001**م، و"العثمان والأمل" و"زوجة بائع العقنة" **2003**م، و"سبعة أحجار من أجل امرأة شريرة" **2007**م، و"الخطيبة فوق ظهر الحمار" **2013**م، و"المرأة التى لا تجيد الاحتفاظ بالرجال" **2015**م، كما أنها تكتب للأطفال خاصة القصائد، ولها العديد من الدواوين الشعرية، مثل: "الظلال والصدمات" **1979**م، و"خطوة كاذبة نحو الشمس" **1982**م، و"اختيارات شخصية" **1997**م، و"هم" **1993**م، و"كتاب التوسل" **2015**م.

قائمة الأدباء اللبنانيين الذين كتبوا باللغة الفرنسية

أبو زيد ، فؤاد (1924 م – 1958م)

ولد في ساحل علما (مرتفعات لبنان). شاعر. وقصاص. نشر ديوانه الأول " أشعار الصيف " في عام **1936**م ببيروت. والذي لاقى ترحيبًا من الأكاديمية الفرنسية. ثم جاء ديوانه الثاني " أشعار جديدة " المنشور في باريس عام **1942**م، نشر ديوانه الثالث " فكرة " عام **1945**م، ونشرت أعماله الكاملة في دار النهار عام **1996**م.

أبو سليمان ، ألفريد (1912م – 1935م)

عاش بين عامي **1912**م و **1935**م حيث مات وهو في الثالثة والعشرين من العمر بعد إصابته بمرض عضال لا برء منه، كان يحس دومًا أن نهايته قريبة. وقد اكتسبت نغمة قصائده بحزن عميق مكسو باليأس. ونداءات مليئة بالتمرد، لم ينشر له سوى ديوان واحد هو " رماد ساخن " الذي صدر عقب وفاته بعشر سنوات، والذي طبع في بيروت باللغة الفرنسية.

أحدب ، جومانة (1921م)

ولدت في بيروت، نشرت أشعارها الأولى وهي في الرابعة عشرة من عمرها، تعاونت مع صحف ومجلات عديدة لنشر قصائدها، عملت في جريدة "النهار" و "مجلة لبنان" اللتين تصدران بالفرنسية ، ثم " أكسيون" **action** و "كراسات الشرق". كما عملت في بعض الصحف والمجلات في مصر، ونشرت

قصائدها، نشرت أول ديوان لها في عام **1959**م باللغة الفرنسية في باريس باسم " عش"

<u>أديب ، هدى (1943م)</u>

أركاش ، جان : ولدت في الإسكندرية، لأب لبناني وأم ريفية فرنسية، درست الأدب والموسيقى وقامت بالعديد من الرحلات بين أوروبا والشرق، نشرت كتابها الأول " مصر في مرآتي " عام **1931**م في باريس ثم " الغرفة العليا " المنشور بباريس عام **1933**م، ثم " الأمير ذو الصليب " بباريس عام **1938**م.

<u>آمون ، بلانش :</u>

فرنسية من أصل لبناني، بدأت حياتها كفنانة تشيكلية، وعرضت لوحاتها في باريس وبيروت، روائية تكتب قصصًا قصيرة ، ومقالات، نشرت كتابها الأول " قصة لبنان " عام **1937**م، كما كتبت في صحيفة " النهار" التي تصدر بالفرنسية.

<u>بطرس ، إيفلين :</u>

ولدت في بيروت في عائلة تويني، واشتركت في النشاط الاجتماعي والحركة النسائية، تكتب الرواية ، نشرت روايتها الأولى " يد الله " عام **1926**م التي كتب لها المقدمة كل من جيروم وجان تورو. ثم رواية " تحت

قضيب آلة الحياكة " عام **1958**م ببيروت ثم نشرت أعمالها كاملة في دار النهار عام **1959**م.

<u>تويني نادية (1935م – 1983م)</u>

مولودة في باكلين، شاعرة وصحفية نشرت أعمال بالفرنسية في بيروت، وباريس، ومنها " نصوص شعراء" **1963** م ، "زمن الزبد" **1965** م ، " أشعار عن تاريخ" **1972**م ، و "نافذتي بلا منزل" **1996**م، نشرت أعمالها الشعرية الكاملة عام **1986**م ، وفي نفس السنة أعمالها النثرية الكاملة.

<u>حايك ، فرج الله (1909م – 1994م)</u>

ولد في بيت صباب بجبل لبنان، بدأ حياته بديوانين هما : " دموع وابتسامات" و "جنة إبليس" **1929**م، نشر روايته الأولى " برغوت " عام **1939**م، ثم نشر دراسات عن "يسوع " عام **1946**م، و "الله لبناني" عام **1946**م ببيروت، ثم ثلاث روايات هي "هيلينا" ببيروت عام **1941**م و "الغريبة" عام **1947**م، و " جورفيل الساحر " عام **1947**م، و " أبو سيف" **1948**م، ثم ثلاثية روائية تحمل عنوان "أبناء الأرض" عام **1950**م، "ابنة الله" **1949**م، "سجن الوحدة" **1950**م. ومن أعماله الأخرى "جومانة" رواية عام **1957**م، و " السيرك " **1964**م ، و "من الجسد إلى الروح" **1968** م، و"عمى الكاتدراتية " **1995** م، حصل عام **1967**م على جائزة مونسو عن مجموع أعماله (انظر الفصل الثالث).

ستيتة ، صلاح (1929م)

مولود في بيروت، هو واحد من أبرز أدباء لبنان الذين يكتبون بالفرنسية ، حصل على جائزة الأكاديمية الفرنسية عام **1995**م، هو شاعر وكاتب مقال (انظر الفصل الثالث).

حكيم ، فيكتور (1907م)

ولد في الإسكندرية، وقد نشر العديد من القصائد والمقالات في صحف مصرية ولبنانية وفرنسية، نشر ديوانه الأول " فريناز " عام **1945**م، ثم دراسة عن الشعر اللبناني عام **1948**م.

سعد ، أدمون : (1902 م – 1974م)

ولد في بيروت، شاعر، نشر منذ عام **1938**م مجموعة من القصائد في صحف ومجلات بيروت، وفي عام صدر ديوانه الأول في بيروت بعنوان مصابيح النرجيلة.

شحادة ، جورج : (1907م – 1989م)

(انظر الفصل الثاني).

شديد ، أندريه :

(انظر الفصل الخاص بالأدب المصري)

شيحة ، ميشيل (1891 م)

ولد في بيروت عام **1891**م، مؤسس ومدير صحيفة " النهار " التي كانت تصدر باللغة الفرنسية، في عام **1934**م نشر ديوان شعر يحمل عنوان منزل الحقول "وساهم في إصدار العديد من المجلات منها"المجلة الفينيقية" و "فينيقيا" و "مجلة لبنان" و "كراسات الشرق" باللغة الفرنسية.

ديزيريه ، عزيز (1958م)

روائية وصحفية ، رئيس تحرير مجلة الصحة حصلت على جائزة فيليكس التي تخصصها أكاديمية العلوم السياسية، نشرت روايات مثل " عطر السعادة " **1994**م و " صمت الأرز " **1995**م ، و " رحيل النورس " **1997**م.

غانم ، خليل (1877م – 1903 م)

ولد في بيروت، وسافر إلى باريس وعمل في جريدة " لوفيجاور " ثم في صحيفة " الحوادث " نشر شعر يحمل عنوان " المسيح " عام **1899**م، ثم دراسة تاريخية مهمة من جزئين عام **1901**م تحت عنوان " السلاطين العثمانيون ".

غريب ، ميشيل (1912م)

ولد ميشيل فريد غريب في دامور بجبل لبنان. وقام بتدريس الأدب الفرنسي في كلية البطريركية ببيروت. نشر ديوانه الأول " أرومات في الظل " عام **1936**. ثم نشر الكثير من القصائد في الصحف اللبنانية التي كانت تصدر بالفرنسية و " بعض القصائد إلى دامور " عام **1986**م.

قرداحي ، شكري (1890م)

ولد في بيروت، تولى وزارة العدل، ورئاسة شرفية للبلاط كما عمل مدرسًا في الأكاديمية القانونية الدولية بلاهاى وفي كلية الحقوق ببيروت، ثم حصل على دكتوراه شرفية من جامعة الجزائر، ونشر مجموعة من الدراسات القانونية باللغة الفرنسية منها على سبيل المثال: " مفاهيم وممارسة القانون الدولي الخاص في الإعلام " عام 1938م وفي عام ؟؟؟ نشر كتابًا عن فرانسوا مورياك وبول كلودين.

قلت ، هكتور (1888م – 1976م)

ولد في الإسكندرية، صار شاعرًا في مصر ونشر أشعارًا في أهم المجـــلات بالقاهرة والإسكندرية، عاد إلى لبنان 1920م وعمل في الصـــحف والمجـــلات المحلية، وتولى مسئولية المكتبة القومية في بيروت ثم عمل قنصلًا عامًـــا في ســـاو باولو عام 1948م ومن أهم دواوينه " السرو والخروع" عـــام 1934م و "في الرياح القادمة" 1937م، و "القديسة ماما" 1944 وشـــعر"بهجتي الوحيـــدة" 1966م ، ثم رواية "عودة المعجزة" 1973م.

كورم ، شارل (1894م – 1963م)

ولد في بيروت، وأصدر أول مجلة ثقافية لبنانية باللغة الفرنســـية باســـم" "المجلة الفينيقية " ثم أسس دار نشر تحمل نفس الاسم، شاعر من أهم دواوينه " الإنسانية والجبل " 1935م، و " طفل الجبل " (مقالات) عام 1938م، ثم "

الفن الفينيقي " **1939**م، و " غرض الحب " **1948**م، و " سيمفونية النــور " **1948**م، ثم معجزة العذراء في سبع الأم " حكايات عام **1949**م.

<u>كوري ، شارل (1910م)</u>

ولد في باريس من أصل لبناني، طبيب وشاعر، نشر ديوانــه الأول عــام **1933**م بعنوان " ساعات ضائعة " ثم ديوانه الثاني " من شاطيء لآخر " عــام **1941**م، والذي أهدته الأكاديمية الفرنسية جائزة خاصة.

<u>لطيف ، نادين (1991م)</u>

مولود في القاهرة ، من أصل لبناني ثم هاجرت إلى كندا ، وأقامت في مقاطعة كيبك، نشرت أعمالها في مونتريال ومنها "مسخ عشتار" **1987**م و "بين الأنهار" **1991**م "كتاب التلال" **1999**م.

<u>معلوف ، أمين :</u>

(انظر الفصل الثالث)*

(*) تم رصد هذه الأسماء من كتاب : **Anthologie des auteurs libananais** الصادر في بيروت عام **1948**. ثم من شبكة الإنترنت عام **2006**م.

الفصل الرابع

الأدب الفلسطيني المكتوب باللغة الفرنسية

> اختلفت تجربة الكاتب الفلسطيني الذي يعيش في الشتات، من حيث علاقته باللغة التي يكتب بها أدبه، عن أقرانه من الأدباء العرب الآخرين الذين يكتبون باللغة الفرنسية. فرغم أن هذا الكاتب وجد نفسه في شتات، إلا أنه لم يشأ أن يغير من لغته التعبيرية، لإحساسه أنها شيء أساسي ورئيسي يربطه بوطنه الذي تشتت عنه.

ونقصد بذلك الفلسطينيين الذين اختاروا أن يعيشوا خارج حدود الأرض العربية. وقد حاول السينمائيون من هؤلاء الفلسطينيين أن يقدموا أفلاماً ناطقة بلغات غير عربية، وذلك لأن على المخرج أن يمتثل لشروط المنتج، ولما كان المنتج في أغلب هذه الأحيان أوروبياً فإن الأفلام الروائية والقصيرة التي قدمها الفلسطينيون ناطقة بلغات أوروبية. مثل أعمال ميشيل خليفي التي أنتجت في بلجيكا.

لكن الفلسطينيين لم يشاءوا أن يكتبوا إلا بالعربية، مهماً عاشوا خارج حدود الوطن العربي، وا لأسماء كثيرة في هذا المضمار ومنهم على سبيل المثال الروائي أفنان القاسم.

إبراهيم الصوص (1943م)

هو كاتب تشكل حالته كمبدع لوناً فريداً في الأدب العربي المكتوب باللغة الفرنسية، فهو دبلوماسي فلسطيني عمل سكرتيراً عاماً لمنظمة التحرير الفلسطينية في باريس طوال سنوات طويلة. إذن فقد كان موجوداً هناك بحكم منصبه الدبلوماسي وليس مفروضاً عليه أن يكتب باللغة الفرنسية.

لكن إبراهيم الصوص وجد نفسه في المدينة اليهودية الأولى في غرب أوروبا، باريس، التي تضم أكثر من تجمع يهودي، واليهود هم الذين يسيطرون على الكثير من صحافة المدينة، وهم الذين يطلقون على الأشياء مسمياتهم الخاصة كأن نقول " أدب يهودي" و " فلسفة يهودية "، و" فن تشكيلي يهودي " وما إلى ذلك. إذن، فكل من يحاول الخروج على هذا الناموس الذي يضعه اليهود متهم بمعاداة السامية، وقد يكون نازياً يريد أن يعيد للعالم صورة هتلر الذي عذب اليهود ووضعهم في معسكرات الاعتقال الشهيرة.

ولد إبراهيم في القدس، ودرس في معهد الدراسات السياسية بباريس وعمل ممثلاً لمنظمة التحرير الفلسطينية بباريس بين عامي **1980**م و **1992**م وكان قد عمل في منظمة اليونسكو بين عامي **1975**م إلى عام **1980**م ، ثم سفيراً في السنغال منذ عام **1980**م، هذه الوظائف لم تمنعه عن يمارس الأدب وعزف البيانو، كما أنه مؤلف موسيقى حيث درس الموسيقى في باريس ولندن، ونشر دواوينه الشعرية " زهور شجرة الزيتون " عام **1985**م ، و" جوليات " عام **1989**م ، وأربع روايات هي : " بعيداً عن القدس " عام **1986** م و "زهور الظل " عام**1989**م ، و " في البدء كان الحجر " عام **1993**م، ثم "

طوف أريحا " عام **1994**م ، و"عودة العصافير" **1997**م ، و"بعيدا عن القدس" **1998**م ، وفى عام **2007** م ترجم كتابه "رسالة الى صديق يهودى".

أدرك إبراهيم الصوص أنه من أجل أن يفهم الفرنسيون قضيته التي يدافع عنها فيجب أن يمارس لوناً من الكتابة أقرب إلى هذه العقلية، يبعد صورة الشخص الزاعق الذي يدافع عن أرضه، فلا شك أن الكتابات التي تتفق مع عقلية الفرنسيين سوف تمر من خلال مرشح خاص. لدرجةأن بعض اليهود أنفسهم لم يمانعوا في المساعدة لنشر مثل هذه الأفكار إلى القاريء في كل أنحاء أوروبا. طالما أن أهداف هذا الإبداع، لا تتعارض مع ما ينادون به.

إذن، كان على إبراهيم الصوص أن يتغلغل من خلال أفكاره الخاصة ككاتب مبدع. حتى وإن كانت هذه الأفكار لم تكن تناسب في البداية أهداف منظمة التحرير الفلسطينية التي عمل ممثلاً لها في باريس. إلا أن أشخاصاً من طراز الصوص ساعدوا في تغيير أفكار المنظمة.

لقد اختار الصوص أن يتحاور مع اليهود على الطريقة الأوروبية. أن يذهب إليهم في عقر دارهم. فيناقش ويبدع كما يشاء، ككاتب متمكن يفهم ما يدور حوله، فقد دفع في أواخر عام **1986**م بروايته الأولى " بعيداً عن القدس **Loin de Jerusalem** " إلى ناشرة باريسية تدعى ليانا ليفي.وغير خفي اسمها اليهودي، وانتهزت الناشرة الفرصة كي تدفع بكتاب الصوص إلى السوق مصحوباً بكتاب آخر من تأليف الكاتب الإسرائيلي يورى آفينري يحلم اسم " أخي العدو "، ولم تكن مصادفة أن تقوم دور نشر فرنسية أخرى بدفع كتب مماثلة من طراز " أشقاء إسرائيل الثلاثة " لشالوم كوهين، و" أنا يهودي عربي في إسرائيل " لمردخاي شوشان، وغيرها من أعمال الكتاب الإسرائيليين الذين تترجم أعمالهم مباشرة إلى اللغة الفرنسية.

أما رواية الصوص فهي مكتوبة مباشرة باللغة الفرنسية، وتروي قصة شاب فلسطيني يدعى نبيل وفتاة يهودية مراهقة تسمى جابريللا. إنهما يعيشان في المترل نفسه بمدينة القدس، تربيا معاً، واقتربا من بعضهما البعض طوال سنوات الطفولة والصبا حتى ترعرعا، وتحابا ثم تزوجا، تبدأ أحداث الرواية عام **1935**م ، قبل أن يتم نفي نبيل بثلاثة عشر عاماً بعيداً عن مدينة القدس، والرواية أقرب إلى السيرة الذاتية، فإبراهيم الصوص لم يكن قد ولد في عام**1935**م الذي تدور فيه الأحداث، أما جابريللا فقد كان الصوص في الثالثة من عمره عندما شاهدها لآخر مرة. حين تم نفيه خارج " القدس " عام **1949**م مع أبيه الذي ظل محتفظاً بمفتاح البيت الذي أقامت فيه، فيما بعد، أسرة يهودية جاءت من رومانيا، وعندما تركت أسرة الكاتب مدينة القدس عثر الصغير على بيانو قديم تعلم عليه عزف المقطوعات الموسيقية، وقد دفعه هذا إلى دراسة الموسيقى في باريس ثم لندن التي ألف بها أولى مقطوعاته الموسيقية، ثم عمل ممثلاً للمنظمة.

لقد حول الصوص مهنة بطله من شاعر إلى موسيقار، فمن المعروف أن الصوص بدأ حياته شاعراً ونشر ديواناً بالفرنسية يحمل عنوان " دافيد وجوليات " ثم جاءت روايته باللغة الفرنسية التي اجتر فيها ذكريات الطفولة عن أبيه، حيث يروي تاريخ أسرته منذ عام **1935**م وحتى الآن، وقد أبدى الصوص إعجابه بأدب مرجريت دوراس، وباتريك موديانو، وهو كاتب فرنسي يهودي من أصل تونسي، وفي الرواية تحدث عن مذبحة دير ياسين،وحرب عام **1948**م ، وكما يقول ألكسندر بوساجون أن الصوص : " يكتب بلا حقد، ولكن هذا يكفي لتسوية الصراع الذي يسمم الشرق الأوسط والعالم منذ ثلاثة أجيال،

ولكنه حسبما يقول لست مسالماً، ولكن شعبينا لا يمكنهما أن يمارسا الحرب إلى الأبد " [1].

وجابريللا في الرواية يهودية جاءت من ألمانيا بعد أن تعرضت أسرتها لمضايقات النازية التي كانت قد استولت على الحكم لتوها، وقد اختار الكاتب فترة الثلاثينات لروايته لأنها، كما يقول، لم يكن فيها " رجال مسلحون جاءوا من بلادهم من أجل البقاء في إسرائيل ويحولونها إلى مستعمرة متعجرفة ".

أما الكتاب الثاني لإبراهيم الصوص فقد نشر في إبريل عام **1988**م تحت عنوان " رسالة إلى صديق يهودي " **Lettre a un ami juif** وليس خافياً أن الكاتب قد استعار هذا العنوان من كتيب صغير كتبه ألبير كامي عام **1942**م .

تحت عنوان " رسالة إلى صديق ألماني " إبان الاحتلال النازي لفرنسا، والكتاب ليس إبداعياً، ولكنه نص سياسي في المقام الأول، وقد اختار الصوص أن يكون ناشره هذه المرة هو دار غير يهودية، وتقول مجلة " لونوفيل أوبسرفاتور " أن الكتاب جاء كرسالة خالصة من الكراهية قبل الاحتفال بأربعين عاماً على قيام الدولة العبرية، وبعد فترة من مقتل المناضل الفلسطيني أبو نضال في تونس، وتقول المجلة أن الكاتب قد دعا هنا يهود الشتات أن يبرهنوا على حُسن نواياهم بإقناع إسرائيل بالتفاوض مع المنظمة، ويهمنا أن نترجم جزءاً من الحديث الذي نشرته المجلة مع الكاتب بهذه المناسبة لإلقاء الضوء على أراء الكاتب :

---

[1] **L'evenement de Jeudi. 23-1-1987، p.87.**

- **<u>لونوفيل أوبسرفاتور</u> : لماذا تكتب الرسالة إلى صديق يهودي وليس إلى صديق إسرائيلي ؟**

- **<u>إبراهيم الصوص :</u> في الواقع. لقد ترددت طويلاً. فإذا كتبت رسالة إلى صديق إسرائيلي، فإن علي أن أوجهها إلى صديق إسرائيلي حقيقي،وعلى أن أكتب إلى الإسرائيليين في معسكر السلام الذين يتظاهرون في الشارع ضد قهر الجيش الإسرائيلي في الأراضي العربية المحتلة، ولقد قلت لهم : حاولوا أن تذهبوا بعيداً، وأن تحموا الفلسطينيين، في كل مرة ترون فيها الجنود أو المعسكر يهاجمون قرية، ضعوا أنفسكم بين الجيش والفلاحين، في كل مرة ترون الجيش يفجر مترلاً بالديناميت ادخلوا المترل مع الأسرة الفلسطينية، لأنكم سوف تمنعون الانفجار.**

- **" ولكنني أعرف أن حركة السلام تشكل أقلية. وأنها كانت أقل قوة أثناء حرب لبنان، وعندما تظاهر أربعمائة ألف إسرائيلي في تل أبيب ضد مذبحتي صابرا وشاتيلا كانت نسبة الإسرائيليين الذين يفضلون سياسة الضغط ويقبلون سياسة أكثر تشدداً قد ارتفعت، إذا لم تكن حركة السلام قد فرضت نفسها على التجمعات اليهودية في الخارج، فإنها خنقت. ولذا، وجهت رسالتي إلى كل اليهود عبر هذا الصديق الذي تخيلته.**
- **ألا تخشى أن يخرج الصديق من جيبه ميثاق منظمة التحرير الفلسطينية ويخبرك أنكم تريدون تدمير دولة إسرائيل ؟**

- **لا. فعندما سألت هذا الشخص أن يكون شجاعاً مثل الإسرائيليين الذين يترلون إلى شوارع تل أبيب بنداء حركة السلام، عندما أتكلم عن الشعب الإسرائيلي أقول أن هذا الشعب له حق الوجود، وياسر عرفات نفسه لا يكف عن ترديد هذا، نحن لا نحارب أشباحاً، وأنا أدعو الإسرائيليين أن يخرجوا**

ميثاقهم بدورهم، وألا يتجاهلوا وجود الشعب الفلسطيني، أقول للصديق اليهودي : إذا أرت أن تلغي ميراث الهولوكست فيجب أن تعرف أيضاً من ناحيتك، وتعي ماضينا، أعرف أنك يجب أن تعيش في سلام وأمن، وأعرف مدى ارتباطك الروحي بهذه الأرض، ولكنني لا أعرف أن لليهود الحق في أرض الفلسطينيين، الحق التوراتي غير موجود، فحقي يأتي من أنني قد ولدت هناك ويجب أن أعيش هناك، ولا أرى، أخذاً في الاعتبار الارتباط الروحي، ان حق اليهود يمكن أن يكون على أرضي، ومع هذا فأنا بوصفي فلسطينياً أقول لهم : طالما أن ارتباطكم الروحي موجود. فأنا مستعد للمعايشة معكم، تعالوا معي للعيش على مقربة. لكن الزمن يمر بسرعة، منذ اندلاع الانتفاضة في الأرض المحتلة، لم يعد يوجد سوى مائة وخمسين قتيلاً وآلاف الجرحى، والمبتوري الأعضاء، والمطرودين، والمساجين، القتلى والجرحى لديهم أسر وأصدقاء، وعلاقات، حتى تتخيلوا درجة الحقد، ورغبة الانتقام التي يمكن أن توجد في الشعب الفلسطيني، لقد سمعتم تصريح رئيس الوزراء الإسرائيلي الذي يشبه الفلسطينيين بالجراد، لقد سمعتم عن عنصرية المستوطنين، فالفلسطينيون يشمون من هذه النغمة من العنصرية ضدهم، إنهم لا يمكن أن يكونوا سعداء بتشبيههم بالجراد فلا يجب أن نعاملهم كالحشرات، ندهسهم ويموتون.

- هل قرأ ياسر عرفات مسودة كتابك..؟
- لا، ولكن ليس في هذا الكتاب ما يستحق أن يوقع عليه بنفسه.

الجدير بالذكر أن مجلة " لوبوان " الفرنسية قد نشرت في عددها الصادر في 3 أكتوبر **1988**م أن ياسر عرفات أكد أمام رولان ديماس وزير الخارجية الفرنسية آنذاك : " لن أكون رئيس الحكومة الفلسطينية المؤقتة " ثم استدار، كما تؤكد المجلة، ناحية إبراهيم الصوص وهو يقدمه مردداً : ربما سوف يكون

إبراهيم الصوص، والغريب أن الكاتب قد طلب بعد هذا التصريح بشهور من السلطات الفرنسيةأن تمنحه الجنسية الفرنسية، وقد كان.

لم يتأخر الرد الإسرائيلي كثيراً على كتاب إبراهيم الصوص، فرغم أن الكاتب الفلسطيني لم يوجه رسالة إلى كاتب بعينه، فإن الكاتب الإسرائيلي إيلي بارنافي قد رد على إبراهيم الصوص في كتيب صغير يقع في ثمانين صفحة تحت عنوان " رسالة من صديق إسرائيلي إلى الصديق الفلسطيني " بالتعاون بين مجلة الإكسبريس ودار نشر فلاماريون، وهو مدرس في جامعة تل أبيب، وأعتقد أنه ليس مجالنا ونحن نتحدث عن الأدب العربي المكتوب بالفرنسية أن نرصد ما جاء في هذا الكتاب، لكن يمكن أن نقدم بعض أفكاره، لأن ذلك كله قد جاء من مبدع بدأ يتعامل في الصراع العربي الإسرائيلي بمفهوم جديد، حيث يقول ا لكاتب : " علينا أن نتحاور مع منظمة التحرير الفلسطينية، لأن الكثير من الدلائل قد تغيرت، فعندما جرؤت حنا سنيورا الصحفية وإحدى المتحدثات باسم عرب الداخل أن تقول في القدس أنكم لن تجرءوا على الكتابة في باريس أن الصهيونية هي الحركة الثرية للشعب اليهودي، لاشك أن هذا يعني، رغم كل ذلك، أن كل شيء يتحرك في ملعب الفلسطينيين..

ومن الواضح الدور الذي لعبه أدب الصوص في التمهيد للتحاور بين الفلسطينيين، واليهود، وقد حدث ذلك إبان محادثات أوسلو السرية، واختفى االصوص، وصار عرفات رئيساً للحكم الذاتي الفلسطيني وبدا الصوص كأنما أصابه الصمت السياسي والإبداعي بعد تصاعد دور حماس، في المجتمع الفلسطيني، ووسط التغيرات الحادة التي شهدتها الأراضي المحتلة في الفترة الأخيرة، تولى منصب نائب رئيس جامعة القدس عام **2003**، وهو استاذ العلوم السياسية فى العديد من جامعات أوروبا.

إلياس صنبار (1947م)

الكاتب الفلسطيني الثاني هو إلياس صنبار، المولـود في مدينـة حيفا الفلسطينية، وبعد عام وعندما تم إعلان دولة إسـرائيل، اضطرت أسرته أن تهرب إلى بيروت، ثم إلى الولايات المتحدة، وباريس، حيث يعيش حتى الآن، ثم صارت باريس بالنسبة لـه المنفى غير المحتمل، انضم إلياس في فترة مبكرة لحركة المقاومـة الوطنية،

وصار واحداً من أهم المؤرخين في جيله، في عـام **1981**م ، أسـس " مجلـة الدراسات الفلسطينية "التي أصدرتها دار نشر " مينـوي "بالفرنسـية، ومـن المعروف لأبيه وديع صنبار هو أحد كبار المسئولين عن اللجنة العربية العليـا في حيفا، حلم صنبار دوماً أن يصبح كاتباً، لكنه صار مؤرخاً، وصـحفياً، وممـثلاً سياسياً، وهو يكتب الشعر أحياناً، ففي عـام **1992**م شـارك في مباحثـات السلام، وقد صار بعد التوقيع على اتفاقات أوسلو المتحـدث الرسمـي عـن اللاجئين، قرر في يناير **1996**م أن يركب طائرة واتجه إلى تل أبيب، ثم القدس، وحيفا، والجليل، وغزة، ونابلس.. حيث رأى مناظر طبيعية لم يسبق له أن رآها في حياته لكنها بالغة الحيوية بالنسبة له، كان ينتظر هذه اللحظـة، لحظـة أول انتخابات فلسطينية، إنها الأولى في التاريخ، وبالنسبة لرجل في المنفى، ومناضـل سياسي، ومؤرخ،فإن هذه الرحلة تعني " راحة العناصر في الفضاء"، كي يـردد بعد انتهاء الرحلة " كلي لفلسطين ".

هذا النص الأدبي الذي كتبه صنبار يربط الحرية الشخصية، بالسياسـة، وهو يتحدث عن الأماكن، والوجوه، والأحاسيس التي تقال مـرة واحـدة في

جملتين، في حيفا ذهب لزيارة بيت أسرته العتيق، لكنه لم يتمكن من الوصول إلى مقابر أجداده، التي رمى عليها الإسرائيليين القاذورات.

وفي الحي الغربي بالمدينة، بدا إلياس كأنه قوي الذاكرة، حي يشكو يلفت الانتباه، فقد تذكرته إحدى النساء التي لم يرها منذ عام 1948م ، وقالت له : "لقد رأيتك في مكان ما"، وراحت تحكي له الكثير من الذكريات، " منذ عشر سنوات فقط، فإن مناضلو معسكر السلام اعتبروا مثل الحمائم الرقيقة، وهي فكرة متواضعة، تنتصر رغم كل شيء "..

في عام 2001م نشر صنبار كتابه " فضائل الغياب " امتلأ بالذكريات الشخصية، والوطنية، ويقول أن أبناء جيله وجدوا أنفسهم في مجابهة منذ سن مبكرة، ثم جاء الوقت ليقفوا في الصفوف الأمامية، ولتأكيد الرحلة، فقد ترك حيفا في إبريل عام 1948م ، وهو في الشهر الخامس عشر،تحمله أمه، التي ركبت شاحنة جاء بها الجنود الإنجليز، كان أبوه مناضلاً يدافع عن بلاده المغتصبة، وفي لبنان عاش في الشتات، الذي صاحبه وهو يعيش في العديد من المدن حول العالم، أثرت فيه رسالة أبيه التي تركها له : " لا تحزن. لا يمكن لأحد أن يتخلص منا، ففلسطين مزروعة في حنجرة العالم، ولن يستطيع أحد أن يبتلعها، فلا تقلق "..

وقد حمل الكاتب فلسطين بداخله أينما ذهب، فهي أرض طفولته، لقد ظلت تسكنه دوماً بجاذبيتها المختلط بالحقد: " منفاي بدأ بثقب أسود.. أحببت أرضي وكرهتها. وهكذا، نسيت أنني نفسي رحلت، وأنني قد تركته "..

يقول صنبار عن هذا الكتاب، في حديث منشور على الإنترنت، أنه كان عليه أ ن يكتب خمس آلاف صفحة، دون أي مبالغة، وقد روى صنبار صداقته بالكاتب المسرحي جان جينيه الذي تعاطف كثيراً مع القضية الفلسطينية، وقال

له : " عملك كفلسطيني هو الثورة وليس الأدب " لقد نطق جينيه بالجملة كأنها تتفجر، وهكذا فإنه تحول إلى شخص مخلص أكثر للقضية..

وقد تحدث عن أسرته في الكتاب قائلاً : " كانت أسرتي متميزة، ليس من ناحية المكانة الاجتماعية، البرجوازية الصغيرة، ولكن لنوع الليبرالية التي اتسم به أبي. إنه شخص فريد لقد كنت شديد الإيمان، وضد الحكم الواحد، وهو الذي قال : " فيما بعد، لا تحترم أبداً الذين يصدرون لك الأوامر، ولكن احترم دائماً من يمكنك أن تعطيهم ".. فقد كان جياشاً نحو الفقراء، كريم القلب.

من الأدباء الفلسطينيون الذين يكتبون أيضاً بالفرنسية ليلى نابلسي، المولودة عام **1961**م من أب فلسطيني، وأم بلجيكية، درست المسرح في بروكسل، وساهمت في إخراج العديد من النصوص والعروض المسرحية، نشرت مسرحيتها الأولى " أرض الموج "عام **1990**م، ثم جاءت مسرحيتها الثانية عام **1994**م بعنوان " قوموا أيها الموتى "وفيها تحاول شخصيات الهرب من عنف الحروب.

الفصل الخامس :

الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية

ولدت الحرب العالمية الثانية في الجزائر حياة أدبية أكثر ثراءً وأكثر انفتاحاً وتنوعاً، وقد جاء ذلك من صدمة الحرب، وبداية الاتصال بثقافات أخرى. وأصبح الأدباء الجزائريون، خاصة الشباب، مطلوبين لدى القراء والناشرين.، وقد ساعد ذلك على ظهور ما يسمى بالمدرسة الجزائرية [1].

ففي بداية القرن الماضي، كان الفرنسيون يعملون على أن تنطق شمال إفريقيا اللاتينية، وتحمس لهذه الفكرة أدباء فرنسيون مثل لوي برتران، وروبير راندل، ثم مع بداية الثلاثينات كانت الفكرة هي صناعة إفريقيا على المنوال المتوسطي، وظهر جيل من الأدباء في السنوات عرفوا تحت اسم " شباب البحر المتوسط " كان أغلبهم من الفرنسيين، وفي الأربعينيات لمع الأديب الشاب ألبير كامي باعتباره فرنسياً يعيش ويكتب عن الجزائر، وسمى هذا الجيل الذي عاصر الحرب في الجزائر من الفرنسيين بالجيل الاستعماري الثالث، ومن أبرز أبنائه " إيمانويل روبليس " صاحب مسرحية " ثمن الحرية ".

وقد شكل هذا الجيل مدرسة الجزائر، والذي ظهر إبداعه في مجلات مهمة مثل : مجلة "فونتان" **Fontaine** و "لارش" **L'arche**، و"لانف" **Lanef** وما لبث هذه المجلات أن انتقلت إلى باريس عقب انتهاء الحرب.

وقبل أن تنتهي سنوات الأربعينيات بدأت الأسماء الجزائرية الحقيقية تلمع في الأفق، ولأول مرة يظهر تعبير الأدب العربي المكتوب بالفرنسية (فرانكفون) في الجزائر، وفي تلك السنوات كان الاستعمار الفرنسي يتعامل مع اللغة العربية الفصحى باعتبارها من التراث، وكان يتم تعليمها في أضيق الحدود في فرنسا،

)1(**Les litteratures Rancophonas depuls 1945، j.j. joulent.**

وهكذا وجد الجيل الأول من الأدباء الجزائريين أنفسهم أمام اختيار واحد هـو الكتابة باللغة الفرنسية التي يتقنوها، ومن أبناء هذا الجيل هناك جان عمـروش، ومولود معمري، ومولود فرعون، ونبيل فارس، وهم جميعاً من البربر. ولغتـهم الأصلية هي اللغة البربرية.أما الأدباء الذين لغتهم الأصلية هي العربيـة فهنـاك مالك حداد، ومحمد ديب، وكاتب ياسين.

وقد فاصل هذا الكاتب الجزائري أن يستخدم اللغة التي يمتلك ناصـيتها أكثر من غيرها. وهي أيضاً في تلك الآونة لغة بني وطنه.

ويقول كتاب " الأدب الفرانكفوني " منذ عام 1945[1]، أن مسألة اللغة المكتوبة لم تكن تهم كثيراً في مجتمع ترتفع فيه نسبة الأمية أكثر من 90% قبـل عام 1960م، ولذا، فإن الكاتب العربي في تلك الآونة كان يكتب لقاريء آخر وهو القاريء الفرنسي، أو الأوروبي بشكل عام، وقد أحدثت هذه الظاهرة مـا يسمى بالمأساة اللغوية للمستعمر، فالكاتب يمتلك لغتين لا يستطيع أن يستخدم أدوات واحدة منهما في التعبير. وكان الكاتب يحس أن الفرنسية هي اللغة الأم طالما أنه يحس بها، ويحلم ويفكر، أما اللغة العربية فهي لغة غريبة في تلك الآونة، لذا، اختار الكتابة بها دون أن يشعر بأي ندم، لأنه لم يكن يملك سوى أن يفعل ذلك.

وقد شكلت هذه الظاهرة خطورة على الكاتب الذي يجب أن ينـاهض هذا الاستعمار. فأحس أن عليه أن يهاجر إلى لغته العربية، لكن هذا لم يحـدث بسهولة، ولعله لم يحدث لمن كانت جذورهم أشد في اللغة الفرنسية، وقد كتب

---

(1) المصدر السابق.

كاتب ياسين أكثر من مرة أن " موقف الكاتب الجزائري الذي يعبر بالفرنسية هو أنه بين خطين من النيران يجبرانه أن يبدع، وأن يرتجل ".

وقد كان الجيل الذي ظهر في عام 1952م أكثر شهرة في البلاد العربية، حيث أن أغلب أعماله قد ترجم إلى اللغة العربية وخاصة في مصر. فمن المعروف أن ثلاثية محمد ديب" البيت الكبير"La grande maiso " الحريق " L'incendie و " النول " Le metier a tissu ترجمت في مصر في أواخر الستينات ونشرتها روايات الهلال، ومن أبناء هذا الجيل هناك جان عمروش، ثم مولود فرعون، وهؤلاء الأدباء ما لبثوا أن دخلوا في المعركة مع الشباب الذين جاءوا من بعدهم مثل كاتب ياسين، وبشير حاج، علي مالك حداد، منهم الشعراء ومنهم كتاب الرواية كما هو معروف.

كاتب ياسين (1929/8/6 - 28/10/ 1989م)

تجيء أهمية الكتابة عن كاتب ياسين ضمن الأدباء العرب الذين يكتبون باللغة الفرنسية، ليس فقط من أنه يمثل الجيلين الأول والثاني من هؤلاء الأدباء، ولكن أيضاً لأن علاقته باللغات التي ينتمي إليها قد تشكل بالنسبة له بلبلة خاصة جعلته يدافع في فترة من حياته فترة عن اللهجات المحلية الجزائرية، وينادي بها لغة للكتابة وخاصة الإبداع الأدبي.

فقد تربى في مجتمع به العديد من اللهجات واللغات، فبالإضافة إلى اللغة المحلية الجزائرية، هناك اللغة البربرية والعربية الفصحى، والفرنسية. ولذا، سنجد أن مشكلة اللغة تؤرقه بشكل ملحوظ، وقد بدا هذا كثيرا في الأحاديث الصحفية التي أدلى بها في السنوات الأخيرة من حياته.

ولا يمكن الكتابة عن السيرة الذاتية لكاتب يايسن دون الرجوع إلى الأحاديث الصحفية التي أدلى بها للعديد من المجلات العربية. خاصة التي تصدر من باريس مثل " اليوم السابع" و " الوطن العربي"، فضلا عما كانت تنشره صحيفة لوموند من وقت لآخر كلما صدر كتاب جديد للأديب، خاصة في السنوات الثلاث الأخيرة من حياته، ففيما قبل لم يكن يكتب عن سيرة الكاتب سوى القليل من السطور، وفي فترة من حياته، كان قد توقف عن الإبداع لأكثر من خمسة عشر عاماً، ولذا راح يجتر حياته وشهرته بشكل ما، واستفاض البوح بما يتعلق بذاته للصحافة.

ولد كاتب ياسين في السادس والعشرين من أغسطس عام **1929**م ، بالقرب من مدينة قسطنطينة. " كانت أمي عبقرية، وكانت لديها سعادة في التعبير الغريب بالعربية، كان أبوها رجل أدب. موهوباً مثل أخوته في اللغة

العربية، نسى ابنته، لكن أمي كانت تنصت إليه من خلف البـــاب، وتعلمـــت العربية الفصحى من مخبئها، وانتهى الأمر بأن ساعدها أبوها في الدراسة"[1].

أما أبوه فقد أدخله كتاب القرية ليتعلم اللغة العربية، ويحفـــظ القـــرآن الكريم، ولكنه ما لبث أن نقله إلى المدرسة الفرنسية التي ظل بها حـــتى عامـــه الخامس عشر..

ويعتبر عام 1945م ، نقطة تحول ملحوظة في حياة " كاتـــب "، ففـــي الثامن من مايو قامت المظاهرات الجزائرية ضد الاحتلال الفرنسي، وتم القـــبض على كاتب ياسين، وطلبوا منه أن يخون وطنه، إلا أنه رفض، فبقى في الســـجن فترة من الوقت، وراح يمارس الكتابة والإبداع " بدأ كـــل شـــيء بالنســـبة لي بالشعر، ربما أنني كتبت قصائدي الأولى في سن التاسعة والعاشرة، في التاســـعة قرأت بودلير، هذه العلاقة المبكرة بالشعر إنما أدين بها إلى أبوي، كانا يتمتعـــان بفطرية شعرية عالية، تصور أهما حتى عندما كانا يتشاجران كانـــا يتناجيـــان شعراً، إلا أن البداية الحقيقية تعود إلى عام 1845م، تعرف ولاشك ما حـــدث في ذلك العام، لقد أطلقت الشرطة الفرنسية النار على الطلبة الجزائـــريين مـــن المتظاهرين، ولما كنت أنا واحداً

فقد أودعت السجن، كنت يومها طالباً في المدرسة الثانوية في ســـطيف، دام حبسي شهوراً عدة، وحالما خرجت بدأت بكتابة مجموعتي الشعرية الأولى، تنقسم المجموعة إلى قسمين، ذلك أنني لدى خروجي من السجن، تعرفت على " نجمة " ابنة عم لي، متزوجة، همت في الحال بهذه المرأة، وسأظل كذلك، هكـــذا

---

[1] Kateb، Le premier des lieurs، le monde 20/12/1996، P.10.

ضمت المجموعة قسمين : قصائد في النضال وأخرى في الحب، منذ البداية كان الشعر بالنسبة لي هو : " الشعب ونجمة ".

لقد حالفني الحظ بعد فترة، كنت جالساً في مقهى، وكان يجلس إلى طاولة مجاورة رجل فرنسي أبيض، يشرب نبيذاً أبيض، قا م بيننا حديث، سألني عن عملي، فقلت له أنني، مبدئياً، طالب ولكنني أمارس هواية الشعر، فقال لي أنني كنت محظوظاً، لأنه هو نفسه ناشر، وطلب إلى أن آتيه بمخطوطاتي، وحال قراءته لها قرر أن ينشرها، وهكذا كان، وجدت نفسي في سن السادسة عشر ومعي مجموعة مطبوعة، إلا أن المسألة لم تنته عند هذا الحد، كانت هذه هي المناسبة لأن أكتشف أن شعراً كشعري لا يتمتع في الجزائر المستعمرة بحق الإقامة في المدينة، نحن في عام **1946**م، ما أن اطلع الفرنسيون على قصائدي حتى حالوا دون توزيعها في المكتبات، فراح أصدقائي والمتضامنون معي من الزملاء يوزعونها جماهيرياً، تصور (يضحك) أن المجموعة راحت تباع في الحوانيت وصالونات الحلاقة، أدركت حينها أنني، إذا كنت أريد الاستمرار في الكتابة، فيجب أن أعتمد على هؤلاء البسطاء من أبناء شعبي، أدركت كذلك أن الشعر والنضال السياسي سيظلان إلى الأبد، متلازمين لدي، متكافئين ".

للخروج من هذا العزل القسري الموضوع علي الكلام الشعري اتصلت بعناصر المقاومة ورحت ألقي في الجمهور محاضرات أدبية، سياسية، ولكن سرعان ما، اكتشفت أنه لإيصال صوتي إلى أكبر عدد ممكن من الناس، جزائريين وفرنسيين كان علي أن أتجه إلى باريس " فم الذئب " كما يقال[1].

---

(1) لم أنته بعد من تكوين الجزائر، حوار كاظم جهاد، اليوم السابع 13 إبريل، عام 1987م، ص 36.

ومن خلال السيرة الذاتية التي رواها كاتب ياسين للصحافة، نـــرى أنـــه كتب روايته، ودرته " نجمة " **Nedjma** في الفترة بين عامي **1994**و**1950**م ، ثم نشر مجموعة من المسرحيات التي جلبت له الشهرة، ومنها "الجثة المطوقة" **La Cadrave encercle**، و "دائرة القمع" **Le cercle de repenailles** عـــام **1959**م ، و "المرأة المتوحشة " **La femme sauvage** عـــام **1963**م ، و " الأسلاف يتميزون غضباً " **Les ancetres redoublent de ferocite** عـــام **1965**، ثم " الرجل ذو الصندل الكاوتشـــوك " **L'homme au sandales de caoutchouc** عام **1970**م، و"عمل متناثر" **L'oeuvre en fragment** عام **1977**م، وهي كلها أعمال مكتوبة باللغة الفرنسية، ونتيجة للصراع الذي يدور بداخله فيما يتعلق بمسألة الكتابة باللغة العربية، وجد أنه من الأســـهل أن يكتب باللغة العامية الجزائرية، وهي نفس التجربة التي سبقته إليها آسيا جبار.

وقد عاش كاتب ياسين بين عامي **1945**م و **1961**م هائماً بين المـــدن الأوروبية، وبين باريس وبلجيكا ويوغوسلافيا وألمانيا والاتحاد السوفيتي، وهذه السنوات تمثل الخصوبة الإبداعية للكاتب، قام خلالها بكتابة ثلاثيته المســـرحية المعروفة " عهدت إلى البلاد بعد الاستقلال، واســـتأنفت العمـــل في جريـــدة الجمهورية الجزائرية التي عاودت الظهور من جديد، ولكن بعد فتـــرة قامـــت السلطات بمنعها من الصدور، دفعني هذا إلى القيام بجولات جديدة في الخـــارج، وبعد كل عودة كنت أبحث عبثاً عن شيء أقوم به [1].

في هذه الفترة، مارس كاتب ياسين العمل الصـــحفي، بعـــد أن التقـــى بالسفير بن يحيى، سفير الجزائر في موسكو، فعمل في جريدة " المجاهـــد"، كـــان

---

[1] المرجع السابق

الرئيس بومدين ووفد من الحكومة يتهيئون لزيارة مدينة ورد لــه في الجنــوب، فسبقت الوفد وذهبت إلى المدينة في عشية الزيارة الرسمية لتكوين فكــرة عــن حياة المواطنين، واستطلاع شكواهم، طلبت إلى أحد موظفي وزارة الإعــلام أن يرافقني في جولة عبر المدينة، ركبت سيارة الوزراء السوداء الضــخمة ورحنــا نقطع شوارع المدينة الصغيرة، لا نقابــل فيها قدم إنسان تسعى، وفي مشارف المدينة، فحسب، لحنا أربعة جدران هيكل مبني لم يكتمل، عندما توقفنا ودخلنــا فيه وجدنا بين الجدران الأربعة خيمة، ماذا تفعل خيمة بين جدران أربعة ؟ أليس هذا شكلاً سيريالياً بحق؟[2].

في هذا الحادث، اكتشف كاتب ياسين أن الشرطة تبعد فقراء المدينة إذا جاء رئيس الدولة لزيارة المدينة، وطالب بإعادة السكان إلى مناطقهم الأصــلية كي تتمكن الحكومة من مشاهدتهم :" ولما لم يسمعني أ حد، قفلت راجعاً، ولقد دفعني شعوري إلى مغادرة البلاد من جديد. جئت إلى باريس وبقيت فيها هــذه المرة حتى **1970**م ، ولم أعد إلى الجزائر من جديد إلا بعدما سمح لي وزير العمل بإقامة مسرح عمالي، وقد استطعنا خصوصاً في السنوات الخمس الأولى أن نقدم أعمالاً جيدة أغلبها بالعربية المحلية في الجزائر ".

وقد تحدث كاتب ياسين أيضاً حول هذه المرحلة قائلاً : " بدأت الكتابــة بالعامية منذ خمس عشرة سنة، وانقطعت عن الكتابة بالفرنسية. هذا، بالرغم من أن صديقة فرنسية لي، هي جاكلين آرنو التي قامت بجمع أعمالي مؤخراً، كانت

---

(2) المرجع السابق.

تحثني على الكتابة بالفرنسية، كانت تقول أنه يجب علي هذا، إلا أنني لم أكــن أستطيع ذلك. لذا، عملت على لملمة النصوص التي أهملتها خلال سنوات "[1]

وجاكلين آرنو هي باحثة فرنسية أو كما يراها كاتب : " امــرأة نبيلــة، امرأة رائعة فوق العادة، كانت صاحبة قلب كبير بالرغم من أنها فقدت حظــوة الطبيعة وعطفها عليها، كانت مصابة بالقلب ومريضــة بالســرطان وتعــب الأعصاب، مع ذلك فقد تابعت رسالتها الثقافية و الجامعية وقامت بما قامت به تجاه الآداب المغربية وأعمالي، إن امرأة مثلها لأمر خيالي ".

وما دمنا بصدد الحديث عن كاتب ياسين كروائي عربي يكتب بالفرنسية. فيمكن أن نرصد دأبه في اللغة العربية، فهو يتحدث عن هذا الموضوع في مجلــة اليوم السابع – العدد السابق الإشارة إليه – قائلاً : " الجزائر بلد هو بلا شك إسلامي، لقد أسلمنا، نحن الجزائريين، إلا أننا لم نستعرب جميعاً، ثم ما هي هــذه العربية التي يقدمونها لنا في الجزائر ؟ اذهب يا صديقي واســتمع إلى نشــرات الأنباء في المذياع والتلفاز : عربية عتيقة، مبالغ في تعتيقها.. إلى درجة بعيــدة، وهي أنأى ما تكون عن الوضوح الملمــوس في عربيــة العــراقين والمصــريين واللبنانيين .. الخ.

لغة بلاغية بائدة، لا يفهمها حتى المثقفون، عملي المسرحي أنــا قدمتــه بالعربية، ولكنها عربية حية متداولة يفهمها المثقف والعامل، فيها عالجت مشكلة المهاجر ومأساة فلسطين، ومن قبلهما حرب فيتنام، أليست هذه لغة عربية ؟ من يرفع عنها هذه الصفة ؟ اللغة خصوصاً في المسرح، تشحذ على مبادرة الواقع.. الشعب هو من يصنع اللغة، حتى في أخطائه، وهفواته، حتى عندما يكسر اللغة

---

(1) المغربي المتشرد يعود ــ المجلة ــ 27 مايو عام 1987م.

أو يلويها فهو إنما يحييها. أنا ضد الأكاديميات، الأكاديميون هم محافظو اللغات لا محيوها، لأنهم يدافعون عن لغة لا وجود لها في الحياة، فرنسيتي، في الرواية على " فصاحتها " مشتغلة هي الأخرى بكلمات الحياة اليومية وبناها، ولست وحـــدي في هذا، بل سبقني إليه كثيرون، في مسرحي العمالي، العمل الجماعي هو القاعدة "[1].

ولسنا هنا بصدد التعقيب على رأي الكاتب، لكن، كما رأينـــا، فهـــو لم يكن له الخيار حين نقله أبوه من مدرسة تعليم القرآن وهو صغير إلى المدرســـة الفرنسية، فإنه عندما أصبح كبيراً وجد نفسه عاجزاً تماماً عن إيجاد لغة عربيـــة مناسبة للإبداع، فاختار اللغة العامية الجزائرية في مسرحياته الأخيرة، ولاشك أن موضوع اللغة معقد تماماً للكاتب، كما كتب عنه كامل زهيري – مجلة الهـــلال – أكتوبر **1965**م – " إن أسلوب كاتب ياسين الفرنسي متميزًا حـــتى بـــين الكتاب الفرنسيين، وهذا ما جعله يصيب شهرة بين القراء وتأثيراً عليهم ".

أما اللغة الجزائرية، التي يقصدها الكاتب، فهـــي مـــزيج غريـــب بـــين الفصحى، والجزائرية، والفرنسية، والبربرية، وقد بدا هذا على سبيل المثـــال في عنوان مسرحيته " محمد خذ فاليزتك " **Mohammed Prend Ton Valise** فمن المعروف أن " فاليزتك " هي إضـــافة " ك " الملكيـــة إلى كلمـــة **Valise** الفرنسية التي تعني حقيبة، وقد حلت الـــ " ك " هنا بدلاً من الملكية الفرنسية.

جاءت أهمية أن نلقى بعض الضوء على السيرة الذاتية لحياة كاتب ياسين من أنها مرتبطة بإبداعه خاصة روايته " نجمة ".

---

[1] لم أنته بعد من تكوين الجزائر، حوار جهاد فاضل، اليوم السابع، **13** إبريل، عام **1987**.

فلا شك أن حبه لابنة عمه نجمة قد تأصل وجدانياً في أعماقه، وجعله يتفرغ تسع سنوات كاملة لكتابتها، كأنه يجتر الحروف، يسترجعها، ويستعيدها فخرجت الرواية من قطرات دمه، ووجد أنه : "رافقتني نجمة في جميع أسفاري، في الدول الأوروبية التي زرتها، كنت في أواخر الأربعينيات عاملاً مهاجراً في باريس، وكنت في نفس الوقت مناضلاً في الثورة الجزائرية، عبر رواية " نجمة " كنت أعمل لأعيش، وكنت أكتب نجمة لاحيا انتفاضة ثوار وطني "..

لم تكن كتابة " نجمة " **Nedjma** سهلة أبداً، أرقتني طويلاً قبل أن تصبح أثراً ناجزاً، كنت أمام اختيار صعب، كيف أضع الجزائر في كتاب، الجزائر القوية والحية، الثورة الحالمة، الجزائر التي كان الآخرون لا يعرفون عنها شيئاً سوى الاستقلال وسفك دماء، شبابها، كان علي أن أقنع الفرنسيين، بأن الجزائر، جزائر نجمة، ليست كما يتوهمون [1].

ونجمة هي فتاة جزائرية، يدور من حولها أربعة شباب يحبونها، ومنهم كاتب ياسين، يحاول كل منهم أن يحبها بأسلوبه الخاص، وقد اتبع الكاتب، مثلما كتب كامل زهيري، إيقاعين : إيقاع الجمل القصيرة، وصف بها المدن والشوارع والجدران،والحياة، وجعل هذه الجمل القصيرة محكمة أشد الإحكام لاذعة الملاحظة خارقة الذكاء.

وإيقاع الجمل الطويلة، يصف بها الشخصيات، حتى أنك تجد الجملة عنده تتخللها جمل اعتراضيه كثيرة يكاد طولها يبتلع صفحة كاملة من الكتاب.

وأقدر ما في هذه الجمل تلك الأوصاف أو التشبيهات دون تصنع[2].

---

[1] نجمة " تجربة لا أستطيع تكرارها "، مجلة الوطن العربي، العدد **354**.

[2] قراءات في الأدب الجزائري ــ كامل زهيري ــ مجلة الهلال ــ أكتوبر عام **1965**م.

تزدحم رواية " نجمة " بالعديد من الشخصيات، خاصة الرجال، ابتداء من الأخضر، الذي فرض زنزانته، والسيد ريكاردو العائد إلى القرية، وهو رجل ماتت أمه وهي تضعه، أثناء تنقلها بين مستوطنتين، ثم لحق بها زوجها، فورث ريكاردو مصيراً معذباً قلقاً، دون أن يكون له الخيار وليس له من المال شيء، لذا فإن ريكاردو يتزوج دون هرج، ثم هناك العامل الشاب مصطفى، ثم هناك شخصيات أخرى، يقدمها الكاتب من سكان القرية الواحدة تلو الآخر، منهم مزيان الذي يعرف الكثير، وأيضاً رشيد، إنهم مجموعة من العمال الهاربين.

أما نجمة، محور هذا الكون، فهي تسكن داراً تشرف على فناء منزل تسكنه الجن والأشباح، منزل انتحرت فيه أسرة قبل الحرب انتحاراً جماعياً. ونجمة فتاة جميلة تعيش في جو خانق، يملأه الذباب يقول الكاتب أنها تزوجت من كمال لأن أمها ألحت عليها في ذلك، أما كمال، ذلك الزوج السعيد، فقد كان أبوه تبيرا دون ما شك في ذلك، ولما أصبح كمال يتيماً، باع نصيبه من الأراضي التي ورثها، ثم استقر في عنابه.

والرواية تدور في نهاية **1945**م ، إنه العام الحاسم الدموي في الجزائر، وفي هذا العام، كان مراد في الثامنة عشر من عمره، فقد أمه وهو في السادسة، فكفلته عمته " للا فاطمة " ولم تكن لها غير ابنة واحدة هي نجمة بعد أن فقدت أربعة أولاد تباعاً.

وقد تضمنت الرواية ما أسماه الكاتب بمذكرات مصطفى التي حكى فيها " مات من عائلتي– منذ يوم **8** مايو **1945**م ، أربعة عشر شخصاً، فضلاً عن الذين أعدموا رمياً بالرصاص ".

" لباس الصيف وزينته : نجمة "..

لا شيء يحمل على الاعتقاد بأن نجمة ومراد يحب أحـــدهما الآخـــر، ولا شيء يثبت عكس ذلك، لقد تزوج كمال نجمة سنة 1942م.

والأحداث التي تدور في مدينة عنابة، يرويها أكثر من شخص، ومع كل حكاية يدخل أشخاص إلى الرواية، ويصبحون بمثابة ركيزة، مثل رشيد، الـــذي هرب من الجندية، وتم القبض عليه، ثم صار سياسياً مرموقاً فيم بعـــد، والـــذي يتكلم عن نفسه : أن الواجب يحتم عليّ، أنا رشيد البدوي المكره على الإقامة، أن أستشف الصورة ا لتي لا يقاوم إغراؤها، صورة العذراء ضيق عليها الخناق، صورة دمي ووطني، أنا اليتيم منذ أمد بعيد، علي أن انبعث حياً مـــن أجـــل " صالبو " من سلالتي، من أجل أن يضحي بما تضحية غامضة ".

ويرى كامل زهيري في نهاية مقاله عن " نجمة " : فإذا قـــرأت " نجمـــة " كاتب ياسين، فلسوف تأخذك هذه الشاعرية المتدفقة العنيفة الـــتي تتـــدفق في أوصالها وعروقها لأن قصة نجمة ليست قصة على ورق، ولكنها قصة حية، هي قصة الجزائر والجزائريين والشخصية الجزائرية، وقد تأخـــذك هـــذه الواقعيـــة السليطة اللسان التي تجرح وتدمي لك مظاهر الحياة تحت الاحتلال، فهي حالـــة من انفضاض الجزائريين عن الفرنسيين، لا يحبونهم ولا يقبلـــونهم ويرفضـــونهم رفضاً باتاً، ولكنهم إذ يذعنون لهم أحياناً، فهم يكشفون بعد ذلك عن عواطفهم الحقيقية بهذا الصدام الجسدي العنيف، وهذه السرقات، وهذا القرار المســـتمر، وهذه السجون التي لا تفرغ من استقبال وتوديع ضيوفها حـــتى مـــن تلاميـــذ المدارس وعمال المصانع وشغيلة المدن [1].

---

[1] المرجع السابق.

وقد طلت نجمة من جديد في أعماله المسرحية الأخرى مثل ثلاثيته الــتي تتكون من " الأسلاف يتميزن غيظاً " و" مسحوق الذكاء "، و " حلقة الثأر "، هناك مجموعة من الرجال حول نجمة أيضاً، منهم الأخضر ومصــطفى وحســن وزوج أمه ظهار، ونجمة حزينة تنشد حبها الضائع وهي تبكي، لقــد اختفــى حبيبها الأخضر، أما ظهار فهو عجوز يقف إلى جانب الفرنســيين ويســتنكر موقف الأخضر ضدهم، وهناك أم الأخضر التي تنتظر عودة ابنها، فتجف يوماً بعد يوم، حتى تصبح عوداً يابساً لا حياة فيه، تردد نجمــة في أســى : " كــل نداءاتي لا أسمع لها جواباً سوى وقع أقدام الجنود الثقيلة ولا أرى حولي ســوى الجثث والدماء "، وعندما تعثر عليه بعد إحدى الغارات الفرنسية على الفدائيين لا تلبث أن تفقده مرة أخرى..

وتنضم نجمة إلى جيش التحرير مع زميلاتها المجاهدات، ويأخذ الحب مجراه في وسط المعركة، وإن كان هنا قد غير شكله، ووسط المعركة يتطاحن رجــلان من أجل الفوز بقلب نجمة. وينتهي الأمر بأن يقتل أحدهما الآخر. وتموت نجمة..

ومادمنا بصدد الحديث أيضاً عن لغة الكاتب، فإننا نورد مرة أخرى مــن أحاديث الكاتب عن لغته، فمن المعروف – كما سبقت الإشارة – أن كاتــب ياسين قد حاول في أواخر حياته – مات عــام **1989**م – أن يكتــب باللغــة العربية، وتعثر كثيراً في التعامل مع الفصحى خاصــة في مســرحياته : " أرغب بتصحيح فكرة عني حول اللغة العربية وهي تتعلق بكوني أفضل مــدافع عنها، أرغب بخدمتها ، لا بقتلها ".

ويتحدث الكاتب في جريدة لوموند أن مسرحية " محمد خذ فاليزتــك " قد حققت نجاحاً كبيراً عند عرضها في فرنسا حيث شــاهدها **70** ألفــاً مــن المهاجرين.. " كتب المشهد الأول باللغة الفرنسية، أما الباقي فقد كتبتــه بلغــة

العامة، ثمانية عشر شهراً من العمل ليل نهار. ثم عرضت المســـرحية في الجزائـــر طوال خمس سنوات تحت رعاية وزير العمل، وجدت نفسي مع تسعة ممـــثلين في مسرحيتي، وابتعدنا إلى مسافة 550 كم من مدينة الجزائر، إلى مدينة سيدي بن عباس، لم تكن معنا سيارة، وفشل مشروعنا، كان الصمت يرين حولنا، فهذه مدن لم تعرف التلفاز، ولم يكن من السهل علينا أن نستمر ".

عندما تصنع مسرحاً، خاصة باللهجة العامية، فيجب أن تضع أصابعك في المكان الأصح، هناك هجوم يشن عليك بادعاء أن محمداً (ﷺ) كان نبياً فقط ولم يكن عاملاً، لقد منعنا الإخوان المسلمون من التمثيـــل في الجزائـــر وهـــددونا، ومنعونا من التمثيل في عام 1977م ، ولم نستطع التمثيل.

عندما تمنع قوى التقدم من التعبير والعمل، فإن المتعصبين يشغلون هـــذا الفراغ ويتلون المكان، إنه خطر يتولد من هؤلاء الذين يمنعون الناس من ممارسة عملهم، فأولى خطوات للإخوان المسلمين بالمسلمين جاءت من البنـــات، مـــن طالبات المدينة الجامعية في " بن أكثر "، فلم تكن مصادفة أن تفاضل البنات نحو الأفضل [1].

وقد شهدت السنوات الأخيرة من حياة الكاتب تغيراً ملحوظاً، ففيما قبل كان يرى أن عليه أن يكتب إلى المهاجرين الذين يعيشـــون في فرنســـا، أو أن يكتب إلى الفرنسيين أنفسهم، ولكن في السنوات الأخيرة بدأ يفكر في الكتابة الإبداعية للجزائريين باللغة الفرنسية " هناك بعض الأمل أن أنشـــر أعمـــالي في الجزائر لأنني إذا كتبت كتاباً فلكي ألمس نقطة ساخنة، محددة، كـــي أضـــع النقاط فوق الحروف، فإذا نشرته في فرنسا، فهو فشل بالنسبة لي وللجزائـــر،

---

[1] Kateb Yacine et ses reculese، le monde، 11-8-1985، P.12.

يجب أن ننظر إلى الجزائر اليوم، فهناك حالة من تفجر المواهب خاصة في الشعر .[2]

وإذا كنا قد ألقينا بعض الضوء على ياسين كروائي، ومسرحي، فإ ننا قبل أن نختتم الحديث عنه يهمنا أن نقدم بعضاً من شعره الذي كتبه في مطلع حياته، ففي عام **1987** نشرت دار سندباد كتاباً أعدته الباحثة جاكلين أرنـــو تحـــت عنوان " العمل مجزأ " تضمن مجموعة من أشعاره نقتطف منها قصيدته المشهورة " صباح الخير " :

صباح الخير يا حياتي

وأنت يا بأسي أيضاً

هاأنذا في الحفرة

التي ولد فيها شقائي

لك يا نحسي العتيق

أحمل الآن بعض قلب

صباح الخير، صباح الخير للجميع

صباح الخير يا أصدقائي القدامى

هاأنذا أعود بفني

وأجد نفسي وحيداً

أعرف أنه في هذا المساء

---

[2] المصدر السابق

سوف نصعد جميعاً لنغني بحماس.

يعتبر مولود معمري أبرز أبناء الجيل الأول للحركة الأدبية الجزائرية التي كتبت باللغة الفرنسية، ومن أبناء هذه المرحلة كما سبقت الإشارة.

مولود معمري (1971/12/28م - 1989/2م)

هناك محمد ديب ومولود فرعون، ويتسمون بأنهم قد انتموا إلى المدرسة الواقعية التي تهتم بإلقاء الأضواء على مشاكل المجتمع الحقيقية التي يعاني منها البسطاء كالتعليم والفقر والطموح والتطلع إلى الأثرياء وكيف يعيشون، ويقول فاروق يوسف إسكندر أنه في " كل أعمل هذه المدرسة الأدبية نلمس رقة

الرواية الشاعرية الممتزجة بالعنف، والوعي القـومي العميـق بتقديس نضال الشعوب..

والتنديد بالحروب من الزاوية الإنسانية، لقد أضافت هذه المدرسـة وخاصـة أعمال مولود معمري الأدبية التي تقارب في غنائيتها النثرية وصفائها ونقائها إلى الأدب الفرنسي المعاصر نغمة جديدة ورعشة أدبية جزائرية جديدة، لقد أغـنى أدباء الجزائر – مثل إخوانهم من الروائيين الذين يكتبون بالإنجليزية – عن طريق إيقاع لغتهم وموسيقاهم الخاصة، تلك اللغة الجديدة التي توسلوا بها للتعبير عن ذواتهم وعن بيئتهم الجزائرية التي انطلقوا منها [1].

ومولود ولد في قرية تعوريت ميمون التي تنتمي إلى ما يسـمى بالقبيلـة الكبرى في الثامن والعشرين من ديسمبر 1917م وذلك في أسرة غنية، فتلقـى تعليمه في مدرسة القرية، عندما بلغ الحادية عشرة سافر إلى مدينة الرباط عنـد عمه، ودخل مدرسة الليسيه جورو، ثم عاد إلى الجزائر بعـد أربـع سـنوات واستكمل دراسته، ثم سافر إلى باريس كي يكمل دراسته من جديد في مدرسـة لوي لوجران، وفي عام 1940م التحق بكلية الآداب بـالجزائر، ثم شـارك في الفرقة الأجنبية التي كانت تضم إيطاليين وفرنسيين وألماناً ووجد نفسه مساقاً إلى الجبهة في أثناء الحرب العالمية الثانية، وبعد الحرب عمـل مدرسـاً لـلأدب في الجزائر، وفي بعض المدن القريبة من العاصمة، ثم سافر للإقامة في المغرب حـتى عام 1957م ، وعاد إليها مرة أخرى ليعمل مدرساً في جامعة الجزائر، ثم مديراً لمركز الأبحاث الأنتروبولوجية حتى عام 1980م.

---

(1) مولود معمري وصراع الجيلين، فاروق يوسف إسكندر، مجلة الفكر المعاصر، يناير 1968م ، ص 86.

نشر مولود روايته الأولى " الربوة المنسية " La colline oubliteo عام 1952م ، ثم جاءت روايته الثانية " نوم العـــادل " Le sommeil du juste عام 1955، وبعد عشر سنوات جاءت روايته الثالثـــة " الأفيـــون والعصـــا "L'opium et le baton، وفي عام 1973م نشر كتاباً تحت عنوان " موظف البنك " Le banquiet يتضمن مجموعة من المسرحيات والمقالات، كما نشـــر كتاباً عن قواعد اللغة البربرية عام 1976م ، وفي السبعينات شهد نشاطاً متعلقاً بالثقافة البربرية– كما يسميها – مثل كتاب " ماشـــاهو " Machaho الـــذي يتضمن مجموعة من القصص البربرية، كما نشر ديوان شعر يحمل اسم " أشـــعار قبيلة " عام 1980م ، ولم يعد مولود معمري إلى الرواية سوى في عام 1982م من خلال " العبور "، وله مجموعة قصصية باســـــم " محطات "، كما كتـــب المسرحية، والدراسات.

وجميع كتابات مولود معمري منشورة باللغة الفرنســـية، ومطبوعـــة في فرنسا، وتدور أغلب حوادث رواياته في القرى والريف بالجزائر، مثل روايتـــه الأولى " التل المنسي " التي تدور أحداثها في إحدى قبائل البربر، وفي هذه القرية عاش قبل سنوات الحرب العالمية الثانية مجموعة من الجزائريين البربر في عزلة عن العالم من حولهم، لا يكادون يعرفون شيئاً عما يحدث في العالم، وهذا النوع مـــن الحياة يجعل أبناءه يمشون على وتيرة واحدة، وإيقاعهم غالباً ما يكون ســـاكناً، ولا جديد فيه. لذا، فإن البطالة تنتشر والناس يتسمون بخمول ملحوظ.

وعندما تندلع الحرب، تتكسر العزلة، ويجـــد أبنـــاء القبيلـــة ــــ مثلمـــا سيحدث بعد ذلك في رواية لرشيد ميمـــوني ــــ أن علـــيهم أن يغـــيروا مـــن إيقاعهم، فالمآسي لا تجيء فرادى، حيث أن الحرب تأتي حاملة معها الكـــوارث، ونحن نرى هنا جيلين مختلفين يعيشان في القرية، الجيل الأول عتيق، وتقليدي في

أفكاره ن اعتاد على العزلة، وهو راض بما قسمته لهم السماء، لذا فهو مـؤمن أشد الإيمان بالقضاء والقدر، أما الجيل الجديد فهو الذي ظهر مـع الحـرب، وكسر العزلة،وهذا الجيل احتك بالوافدين مع الحرب، ويعرف أن هناك نوعـاً آخر من الحياة، لذا يتولد لديه التمرد، ولكل من أبناء هـذا الجيـل أفكـاره وتطلعاته، فالمعلم " مدور " الذي تخرج من مدرسة المعلمين يتطلع نحو مسـتقبل آخر، ويواجه الأفكار التقليدية لمجتمعه ويحاول أن يتمرد عليها، وهناك حوار بين شخصين في الرواية حين يسأل أحدهما الآخر :

- هل أنت في السجن ؟

فيرد الآخر : أنا في الجزائر.. فكلا الحالين سواء !!

ويقول فاروق يوسف اسكندر : " إن قرية تاسكا التي تجري فيها حوادث الرواية في جبال البربر ـــ حجرة صغيرة ضمن السجن الكبير تبدو فيها الحقيقة الاستعمارية في شكلها السافر ووضعها الأليم، كما تبدو الحقيقة الإنسـانية في حالات الكآبة والقلق النفسي والنضال : المال والخضوع لوطأة العادات القبلية والتقاليد، فالقرية مع صغر حجمها الجغرافي وبعدها عن حيـاة المدينـة تعـج بالحيوية والمفاجآت، وتناحر الشخصيات، وفي طريقة مؤثرة تحمل القاريء على الاستجابة العاطفية السريعة بالمشاركة الوجدانية مـع الحـوادث، والصـداقة العميقة مع أبطال الرواية ".

ولا أحد يعرف أيهما أفضل، هل العزلة حيث يكون السكون والـوتيرة الواحدة، الصفاء الدائم أم الحرب وما تأتي به من عذاب ودمار، ففي الحـرب تعاني القرية من صنوف الحرمان أضعاف ما كانت تعانيه قبل زمن كسر العزلة، ففي الحرب زادت المجاعات، ويمكن لشخص يحمل بعض الطعام إلى أسـرته أن

يفاجأ بشخص آخر يرفع عليه بندقيته ويستأذنه أن يقتسم معه بعـــض الطعـــام الذي معه.

فالموضوع الجوهري في كل هذه الأعمال هو المواجهـــة بـــين ا لمجتمـــع التقليدي والنظام الاستعماري، وتتجسد هذه المواجهة في قصة بضـــعة مصـــائر فردية بطبيعة الحال، في التفاصيل كل التنوع الذي يعزي إلى اخـــتلاف طبـــائع الكتاب وحساسيتهم، أو يعزي إلى اللبس والغموض الذي يقـــوم في ا لحيـــاة نفسها ولكننا لا نستطيع القول أن أساس التخطيط الأدبي للقصة، عند هؤلاء الكتاب جميعاً، أساس واحد، ويمكن أن نرجعه إلى تسلسل زمني [1].

وتجيء أهمية روايات مولود معمري من أنها روايات سياســـية في المقـــام الأول، ليس فقط لأنها تقف ضد الاستعمار، بل لأنها تهاجم الأفكار الغربية التي يعتقدها أبناء القرية في روايته " التل المنسي "إزاء الكارثة التي أصـــابتهم فهـــم يتصورون أن هذا البلاء ما هو إلا غضب من أولياء الله وبدلاً من الخروج مـــن المأساة زادت نسبة التقاليد البالية، ولم يعد أحد يسير على هدى الله الحقيقـــي، فزاد ضلالهم،ويقول فاروق يوسف اسكندر أن شباب هذه الرواية يسخرون من الشيخ ومن التقاليد وعالم الغيبيات والقضاء

والقدر، ولكن أحداً منهم لا يقدم حلاً لمشكلات قومه، إنهـــم يعلنـــون السخط والثورة تملأ قلوبهم ولكنهم لا يقدمون حلولاً " جيل ضـــائع " وهـــوة عميقة تفصل بين الجيلين : القديم والجديد.. ولوحات أجيد صنعها تجمـــع بـــين

(1) المصدر السابق.

روعة الفن التصويري والوثيقة الاجتماعية.. والوصف البارع للتنديد بالحروب من الناحية الإنسانية في أسلوب يمتزج بالعنف والشاعرية[2].

وفي رواية" الأفيون والعصا " تدور الأحداث أثناء حرب الاستقلال من خلال إحدى القرى البربرية التي شهدت بعض وقائع هذه الحرب، ونمو الوعي لدى طبيب كان من المصابين باللامبالاة، فالدكتور بشير الأزرق يترك حياة الترف في الجزائر العاصمة متوجهاً نحو الجبل حيث توجد قرية " تاله "مسقط رأسه التي تعيش في حالة حرب، إنها دائماً نفس القرية التي تحاصرها الجبال ولكن هذه القرية غير سلبية، فهي تشترك في حرب التحرير إنها تباد تماماً في هذه الحرب.

مشاعر نفسيه مضطربة مؤلمة كانت الحرب تثقل بوطأتها على الأشياء فتجعلها أكثر اختصاراً أكثر كآبة، حتى إذا انتهت الحرب، وعاد من الشبان من كتبت لهم السلامة، وراحوا يحملون سخطهم وقلقهم على مستقبلهم، فعادوا إلى الهجرة إلى أوروبا بحثاً عن لقمة العيش، ففرغت الأسواق من صخبهم القوي العنيف، ولم يعودوا يتربصون للفتيات حينما كن يرحن ويجئن في الماضي يفرغن جرارهن في أوعية مثقوبة ولما حرت العين والدروب من ضحكات الفتيات وعبثهن أضحت كئيبة هادئة كمحاكاة الشيوخ [1].

والجدير بالذكر أن معمري كان مهتماً كثيراً، كباحث، بدراسة ظاهرة الأدب المكتوب باللغة الفرنسية، وهو يرى أن هذا الأدب قد أسهم إسهاماً عظيماً في قضية التحرر الأفريقي، وله وجهة نظر غريبة في هذا المضمار حين قال

---

[2] مولود معمري وصراع الجيلين، فاروق يوسف إسكندر، الفكر المعاصر، العدد35 ــ ص 88.

[1] المرجع السابق، ص 87.

: أن اللغة المستخدمة في ذلك الأدب كانت لغة المستعمرين " حتى يمكن منازلة النظام الاستعماري في ميدانه، وإن كانت قد وجدت، مع ذلك بضع صحف باللغة العربية تتجه إلى عدد محدود نسبياً من القراء. ولكن الجمهور الذي كانت تصله هذه الصحف، في الواقع، كان جمهوراً أكبر بكثير من جمهور القراء، بل كان يمتد حقيقة إلى الشعب المغربي كله، فقد كان أولئك الذين يعرفون القراءة يشرحون الأمور لمن لا يعرفون وعلى أسلوب الارتشاح الغذائي، إن صحت هذه العبارة، كان الناس جميعاً ينتهون إلى المشاركة في تلقي الأخبار، بل في تلقي المذاهب الفكرية والسياسية [1].

وقد تعامل معمري مع الأدب على أنه موجه أساساً إلى جمهور مختلف عن الجمهور الذي يعبر عنه وموجه إليه، وكأن الأدب بمثابة سلاح دعائي لمناهضة الاستعمار، أو منشور كي يعرض على أبناء الوطن الاستعماري ما يرتكبه الأبناء من بائع في المستعمرات.

ويرى مولود معمري في مقاله عن الأدب الأفريقي باللغة الفرنسية أن أعمال المبدعين من الجيل الأول في الجزائر قد تركزت أساساً حول حركات التحرر.

مات مولود في حادث مروري قرب سيدي الأخضر بعين الدفلى، بعد عودته من ملتقى ثقافي في المغرب.

---

(1) الأدب الإفريقي باللغة الفرنسية مولود معمري ـ الأدب الإفريقي الأسبوعي ـ مارس 1968م، ص71.

محمد ديب (1920/7/21م - 2003/3/2م)

لا يكاد يمر عام، إلا ويفوز أحد الأدباء العرب الذين يكتبون بالفرنسية بجائزة أدبية كبرى في فرنسا، ومنذ عام **1986**م وحتى الآن ألقيت الأضواء حول أدباء عرب ينتمون إلى جيلين فازوا بجائزة الأكاديمية الفرنسية للناطقين باللغة الفرنسية، أو إلى أدباء شباب تجاوزوا الأربعين بسنوات قليلة مثل الطاهر بن جلون، وأمين معلوف.

أما جائزة الأكاديمية فهي بمثابة تقدير لأدباء من طراز كاتب ياسين، وألبيرقصيري، ومحمد ديب الذي فائز بها عام 1994م، وهي جائزة عالمية، تبلغ قيمتها نصف القيمة التي تمنح للفائز بجائزة نوبل.

ومحمد ديب المولود في 21 يوليو عام 1920م في مدينة تلمسان، هو روائي، وشاعر، وكاتب مقال، وله مسرحية واحدة،ومجموعة من كتب الأطفال، وقد درس ديب في مدينته، وقرض الشعر وهو في الرابعة عشرة من عمره، ورغم أن أباه كان موسيقياً بارعاً، فإن الصغير لم يتلق منه أي تعليم، حيث توفي الأب في سن مبكرة، وتولت أمه مسئولية أبنائها الأربعة، وهذه الأم ستكون الشخصية الرئيسية في ثلاثيته الشهيرة التي بدأ نشرها في عام 1952.

وقد حمل ديب المسئولية الأسرية وهو صغير السن، فمارس العديد من المهن، كعامل نسيج، ومدرس، ثم عمل صحفياً بجريدة " الجزائر جمهورية "بين عامي 1949م و 1951م، ومارس العمل النقابي، وفي عام 1946م بدأ بنشر قصائده، ومقالاته، وقد أثرت مهنته كعامل نسيج. في إبداعه الشعري والروائي، فهو يتعامل مع الكلمة باعتبارها خيطاً يمكن غزله مع كلمات أخرى ليصنع جملة أدبية، أو عملاً إبداعياً متميزاً، ولذا فقد راح يعايش شخصيته المتخيلة " عمر " قرابة أربعة عشر عاماً، حتى انتهى من تأليف الثلاثية وربما لسنوات طويلة بعد ذلك.

في عام 1948م، زار محمد ديب فرنسا لأول مرة من خلال وفد أدباء جزائريين، وبعد ثلاث سنوات تزوج من زوجته الفرنسية، وسافر إلى فرنسا عام 1952م كي يحضر صدور روايته الأولى " المترل الكبير "، وأقام هناك حتى عام 1954م حيث نشر الجزء الثاني تحت عنوان " الحريق " وفي عام 1957م نشر مجموعته القصصية" في المقهى "، ثم نشر الجزء الثالث والأخير من

الثلاثية عام 1957م تحت عنوان " النول "، وفي عام 1959م تم طرده من الجزائر لمواقفه المناهضة للاحتلال الفرنسي فاختار أن يقيم في منطقة جبال الألب، وفي السنة نفسها نشر أول كتاب للأطفال تحت عنوان " بابا فكران "، وروايته "صيف أفريقي ".

وبداية من عقد الستينات، عرف محمد ديب الرحيل بلا توقف، فسافر أولاً إلى دول المعسكر الشرقي ثم استقر في المغرب بضع سنوات، وفي السبعينات أقام بالولايات المتحدة من اجل إلقاء محاضرات في جامعة كاليفورنيا، وفي عام 1975م سافر إلى فنلندا، ثم عاد ثانية إلى الولايات المتحدة، وعاد من جديد إلى فنلندا.

ومع بداية الستينات أيضاً تحول ديب إلى الشعر فنشر ديوانه الأول "الظل ا لحارس "، أما ديوانه التالي فقد نشره عام 1975م تحت عنوان " تشكيلات "، ثم جاء ديوانه الثالث " أومنيروس " عام 1975م، و "نيران جميلة "عام 1979م، و " أيتها الحياة "عام 1987م، أما رواياته فكان يكتبها بشكل منتظم، ولم يتوقف أبداً عن كتابة الجديد منها، ولم يقف عند نجاح ثلاثيته التي ترجمها الدكتور سامي الدروبي إلى اللغة العربية، ونشرت في روايات الهلال عام 1970م، ففي عام 1962م نشر ديب روايته " من يذكر البحر "، وبعد سنتين جاءت روايته " الجري فوق الشاطيء البري " وفي عام 1968م جاءت " رقصة الملك "، وبعد عامين آخرين صدرت روايته " الله عند البربر "، ثم نشر " سيد الصيد " عام 1973م، و" هابيل " عام 1977م ، وفي عام 1985م نشر " شرفات أورسول ".

ومن أشهر المجموعات القصصية لمحمد ديب " الطلسم "عام 1966م أما مسرحيته الوحيدة " ألف صرخة لامرأة محاربة " فقد نشرت عام 1980م.

ورغم كل هذا الإبداع الغزير في حياة كاتب لم يتوقف عن الرحيل، فإنه عندما يذكر اسم محمد ديب نذكر على التو ثلاثيته الشهيرة، ولا يمكن الوقوف عند هذا العمل الإبداعي دون أن نذكر المصادر التي تأثر بها الكاتب، فلا شك أننا أمام سيرة أقرب إلى تجربة الروائي، حياته التي عاشتها أسرته، فهناك الكثير من التشابه بين تجربة الكاتب، وبين عمر الشخصية الرئيسية في الرواية.

ويقول الكاتب حول تجربة تأليف الجزء الأول من هذه الثلاثية : "رحت أنظر حولي، وبدأت أكتب قصصاً درامية منمنمة، وشيئاً فشيئاً بدأت أستجمع كتابي الأول " المترل الكبير الذي كتبته على الأقل في خمس أو ست سنوات قبل نشره في عام **1952**م، وقد وضعته جانباً لأن الأدباء الجزائريين الشباب في تلك الآونة كانوا يرون استحالة نشر الكتب".

وهذا الجزء الأول من الثلاثية مكتوب قبل أن تندلع ثورة الجزائر وتدور أحداثه عام **1939**م، من خلال أسرة بسيطة، وعمر ابن هذه الأسرة يلتقي بأطفال أشقى منه. أطفال كأنهم الجراد من فرط هزالهم ونحولهم، ملابسهم لا تعدو أن تكون خرقاً مجمعة، أما أقدامهم فتحميها نعال من جلود الشياه مربوطة بحبال من الحلفاء.. وربما ركضوا حفاة بغير شيء في الأقدام أكثر الأحيان، إن أعينهم الكبيرة التي يمتزج في حدقتها الأشهب والأخضر تبحلق بحلقة غريبة في هذه الأراضي المجدبة التي تركت لهم، أما ما يلوح فيهم من جد وصرامة، فقد بدا لمعمر شيئاً غريباً عجيباً، ألعابهم ليست هي الألعاب المألوفة عند أطفال تلمسان، الحيوانات هي رفاقهم، لا رفاق لهم سواها، وهم مغلقون، يحسنون الصمت، ويحتقرون كل ما ليس من الريف [1].

---

[1] محمد ديب، الحريق، ترجمة سامي الدروبي، روايات الهلال، نوفمبر **1970**م، ص **8**.

وهؤلاء الأطفال الذين يمثلهم عمر، يبدون مبكرين في نموهم كما يـرى محمد ديب، وإحساسهم بالشقاء يلمع في أعينهم. ولذا فإن عمر يشعر بينهم أنه طفل صغير، وهم يسببون له الرعب باندفاعهم العارم الذي يظهر فـيهم عنـد ملاحقة هدف من الأهداف، مثل قتل الطيور، أو قيادة القطعـان، أو تحـدي الفرنسيين.

وعمر لديه من المعلومات ما يفوق هؤلاء الرفاق، فهو يؤكـد لهـم أن الأرض كروية. وأن الشمس ثابتة، وإنهم هم الأطفال، يدورون حولها مـع الأرض، كما أنه يتكلم اللغة الفرنسية، ويجيد العمليات الحسابية، لذا فإنه يبدو طفلاً غير مألوف أمام الآخرين، حتى الكبار.

ورغم تميز عمر، فإنه طفل يتيم، يعرف معنى الجوع الحقيقـي، والجـار بالنسبة له دار جوع، وحاجة إلى الطعام، ولذا فإن حجارة هذا البيت أفضـل لأنها لا تجوع مثل ساكنيها، وهنا يتساءل عمر..

– لماذا نحن فقراء ؟ هل صحيح أن هذه قسمتنا وأن لا أحد يعلم ؟ لكن هنـاك أغنياء.

وهو يلتقي هؤلاء الأغنياء ممثلين في بعض زملائه بالفصل، ولـذا فهـو يرفض أن يسرق، أو يتسول، ووسط هذا الفقر الشديد، والحاجة فـإن عمـر يحس بالإعجاب الشديد بالمناضل حميد سراج، فهو يردد أن على المسـتعمر أن ينتهي، ولذا فإن عمر يثق به، ولا يتردد أن يبوح له بكافة مكنوناته، كمـا أن هناك شخصاً آخر يثق عمر في كلماته، هو العجوز " بن ساري "..

وعندما يكبر عمر في رواية " الحريق " يكتشف الأسـباب الـتي تـدفع مجتمعة للشعور بالخزي، وهي الاستعمار والأوربيون، " إنه يعرف الآن أين تبدأ

الأشياء وعلى وجه الدقة، يعرف الآن أين يقع ذلك الخط الذي بعده لا يجوع الإنسان، والذي قبله يشعر بحرقة في دمه وبشدة لا تفارقه، ذلك الخط إنما ترسمه وتغطيه في آن واحد أمواج المزارع، وأوراق الشجر، ونبضات الينابيع، وسمط المراعي.

وتدور وقائع الثلاثية بين صيف عام **1939**م، وشهر نوفمبر **1942**م، وهي فترة ساخنة من حياة الشعب الجزائري، فهي الفترة التي بدأ فيها حزب الشعب الجزائري يمارس أنشطته السياسية، بعد أن تأسس عام **1937**م، كما أنها فترة الحرب العالمية الثانية التي أوقعت بفرنسا تحت الاحتلال النازي، وتبقى الدار الكبيرة شاهدة على عصره ووصله، إنها دار عتيقة، وكبيرة. إنها تبدو أحياناً أقرب إلى سجن كبير، ويطلق عليها الكاتب اسم " دار مسبيطار " أو المستشفى حسب ترجمتها من اللغة البربرية..

هذه ا لحياة، هذه الأرض، كما لا يعرفهما عمر إلا قليلاً. وذلك منذ كشف له عنهما ذلك الرجل الذي يسمى كومندار، وإلى هذا الرجل انصرف ذهن الصبي حين وصل هذه المرة، متسائلاً عما حل به، ولولا أن الغسق قد شمل الأرض لهرع إلى حيث يقوم كوخه..

وأم عمر المسماة " عيني " هي أرملة لنجار، وهي تتولى مسئولية معقدة لأسرة. فهي امرأة، وأم، وعاملة، وربة أسرة، فهي مضطرة إلى العمل كي توفر الخبز لأبنائها الأربعة : عيوشة ومريم، وجيلالي، وعمر. وقد مات جيلالي من المرض مثل أبيه، وبعد عامين من رحيله، يبدو الحمل ثقيلاً عليها، فرغم الآلام، فإن عليها أن ترعى أمها. ولذا، فإن الشيخوخة تبدو على ملامحها قبل الأوان، كما أنها تبدو حازمة، بل وقاسية مع أبنائها..

وتعيش "عيني" وسط جو اجتماعي مشابه، فكم من الجارات أرامل مثلها، مثل "يمنة"، و "زينة"وهناك فتاة على وشك الزواج هي "زهر"، و "عتيقة" التي تصاب بحالات من الجنون. كما أن هناك العجائز، وبنات العمل اللاتي يجئن من وقت لآخر للزيارة..

ويروي ديب في الجزء الثاني من الثلاثية كيف وصل رجال المستعمر إلى القرية، ووضعوا قوانينهم لانتزاع بعض الأراضي من الفلاحين، وتحويلهم إلى إجراء لديهم. ويشتعل في القرية حريق كان وراءه " كارا علي " أحد أتباع السلطة، ويكون هذا الحدث فرصة للاحتجاج من أجل القبض على العناصر النشطة من الفلاحين " لقد شب حريق، ولن ينطفيء أبداً. سيظل هذا الحريق يزحف في عماية، خفياً مستتراً. ولن تنقطع لهيبه الدامي إلا بعد أن يغرق البلاد بلألائه ".

وكان هذا الحادث سبباً في أن ينتبه عمر أن الجزائر أرض غنية بثرواتها. ويجد نفسه يسرق لأول مرة من أصحاب الثروة، وتتغير الحياة بعد أن تفشل الأم في اجتياز الحدود نحو المغرب، وذلك بسبب الحرب، ويتم القبض على الفلاحين المناضلين..

ويدور الجزء الثالث من الرواية في يناير عام **1942**م، فقد أصاب القرية كساد اقتصادي بسبب الحرب. مما يدفع بعمر أن يعمل في ورشة نسيج، إنها ورشة ترجع إلى القرون الوسطى، والناس فيها يمارسون أعمالاً قديمة منذ سنوات، وصاحب العمل ماحي بوعنان يحتقر عماله، وهو يعرف أنهم لا يحبونه. ويعيش عمر في حالة من الملل، ويسمع زميله عباس يردد في حالة جنون استبدت به : " وجودنا ضيق في هذا العالم " بما يثير الصخب من حول الأثرياء،

فيرد شخص : هؤلاء الناس ليسوا حشرات، إنما الحشرات من صيروهم إلى هذه الحال. وهم يعيشون على أجسامنا"..

وفي " النول " نرى عدداً أكبر من الشخصيات الجديدة التي لم يسبق لعمر أن قابل مثلها في حياته الضيقة في داره الكبيرة، فهناك سكالي، ولامين، وشول، وحمرا، وعكاشة، وحمروش ولكل منهم حكايته، وعالمه ويسعون لكسب أرزاقهم.

وتنتهي الرواية نهاية مفتوحة، كأنما أ راد الكاتب أن يقدم جزءاً رابعاً لها، فها هو عمر يشاهد أحد الجنود الفرنسيين في الظلام، عندما كان يستحم في النهر الصغير، فيحييه، ويتناول منه قطعة شيكولاته، كانت نظراته تنتقل من شيء إلى شيء آخر، وكان في وجهه تعبير عن جديد يوشك أن يكون قاسياً عنيفاً.. وبالفعل فقد كان في ذهن الكاتب أن يفعل ذلك لكنه آثر أن يبدأ ثلاثية جديدة بدأت مع روايته " الله عند البربر "، واستكملها في " سيد الصيد " لكنه لم يستطع استكمال هذه الثلاثية، ففي عام **1977**م، كتب رواية جديدة هي " هابيل " حول موضوع الهجرة، فهابيل رجل يجر عربة في مدينة غريبة، يعيش حالة من التوهان.

وفي هذه المدينة يكتشف بطل الرواية الخبائث، فقد طرده أخوه من بلاده، وكان عليه أن يبحث لنفسه عن اسم، وأن يفكر فيما فعله قابيل مع أخيه، وطوال سبعة أيام كان على هابيل أن ينتظر ا لموت وينتظر سيارة كي تدهسه، أو شخصاً كي يقتله، حتى يتعرف على سابين وهي ابنة كاتب مشهور يلقب باسم " العجوز "، لكن انتحار الفتاة المفاجيء يثير دهشته، ويحاول أن ينساها بأن يتعرف على فتاة مخبولة تدعى ليلى، فقرر أن يتبعها إلى المصحة العقلية..

والاسم الحقيقي لهابيل في هذه الرواية هو إسماعيل، ويقول ا لكاتب جان ديجو في كتابه عن " الأدب المغاربي الناطق بالفرنسية "، أن محمد ديب قد كتب رواية سياسية وهو يعطي لأسماء أبطاله معنى، فبطله مهاجر مثل بطـــل روايـــة " الغريب " لكامي، ولقد هاجر هابيل بسبب أخيه، ذلك الأخ الذي يحكم بلاده. إنه أخ حقيقي ما لبث أن أصبح شقيقاً روحانياً، إنه أشبه بأية حكومـــة في أي مكان..

أما آخر رواية نشرها محمد ديب فتحمل عنوان " شـــرفات أورســـول " وذلك في عام **1985**م، وهناك تشابه ما بين بطل الرواية عيد وبين هابيل، فهو محكوم عليه أ ن يغادر بلاده في مهمة رسمية إلى بلد في الشمال أطلق عليه اســـم أورسول، وعاصمة هذه الدولة هي ياربر، إنها بلاد الشمس الـــتي تســـطع في منتصف الليل،ومن الواضح أن محمد ديب قد حاول أن يكتب رواية عن فنلندا التي عاش فيها سنوات طويلة. ويقوم البطل بإرسال تقارير إلى حكومته، ولكن أحداً لا يقرأ تلك التقارير. وكثيراً ما يتجاهل الدبلوماســـيون إنجازاتـــه، وذات يوم، وبينما هو يقوم بترهة عند الشاطيء. يكتشف حفرة مليئـــة بمخلوقـــات خيالية تطلق صرخات حادة. ولا يعرف ماذا حدث بالضبط لـــه منـــذ تلـــك اللحظة، فهو مدفوع نحو الشمال أكثر فأكثر، يخترق الجزر، والليـــل الملـــيء ببياض الثلوج،ويتعرف على امرأة تدعى أيل، ولكنه ما يلبث أن يفقدها ومـــع ذلك لا يتوقف عن الرحيل.

ويقول الكاتب جان ديجو أن هذه الرواية الجميلة، تبدو غريبة. ومزعجة في أضواء الكاتب المريرة، وفي أجوائه المعبقة بالموت والجنون، وتعطي الإحساس أن محمد ديب قد وصل إلى نقطة من المنفى الأبدي. أكثر من أقرانه من الكتاب المغاربة، ويبدو ذلك في ا لطريقة التي ينطق بها بطل الرواية لفظ " الجلالـــة ":..

فالكاتب يعطي البلد اسماً خيالياً يعني الشمس باللغة الفنلنديـــة،وهناك علاقـــة خاصة بين الرواية وبين بلاده. إنها علاقة روحية تعكس عالم ديب..

والتشابه واضح بين عيد وبين هابيل، فكلاهما في حالة هجرة، والنســـاء اللاتي تقابل كل منهما مصيرهن الموت في حوادث غامضة، فــ " آبـــل ".. تموت بعد أن تصدمها دراجة بخارية،وتترك حبيبها بعد تعارف قصير في حالة من الحزن، والتساؤل : لماذا ؟

كان آخر كتاب نشره محمد ديب هو ديوان شعر في عام**1987**.. يحمل عنوان "أيتها الحياة " وقد ضمنه مجموعة من قصائده الجديدة وقد توقف الكاتب بعد ذلك عن الكتابة دون سبب واضح.. ومن المهم أن نشير إلى أن لغة الكاتب الشعرية قد تغيرت، فبعد قصائده الطويلة. فإن قصائده الجديدة قصيرة للغايـــة، ومن هذه الأمثلة :

وقال البحر
الوجه
لاهث

والتباعد كبير

بين الشاطئين

وآخر الأجنحة

البيضاء

ويتكلم محمد ديب عن تجربة قصائده المنشورة في ديوان " تكوينات " إنه أحس بأن كتابة النثر قد سدت عليه الطريق، فأصابه الإرهاق ولم يحس بأية قوة

كي يعاود الكتابة مرة أخرى.. لذا، كان الشعر هو ملجأه ومرفأه ا لذي يرسو عنده، وقد جاء هذا الديوان مزيجاً بين الشعر االمنثور والنثر. وحاول فيه محمد ديب أن يتخلى عن كل قيود الكتابة..

وتنتمي قصيدته " صيف " المنشورة في ديوانه " الظلال الحارسة " إلى هذا النوع من الإبداع الذي سعى فيه الكاتب للتخلص من كافة القيود التي تقيده كشاعر، وقد اخترنا هذه القصيدة كنموذج واضح من إبداع محمد ديب الشعري حيث يقول :

جسده حالم تحت ضياء

الصيف كسفينة آدمية بين رايات الحرب

وهذا الشاب :

ينتهك عطشه الأبدي في الرغبة

وصمت الموت الذي يتوجه

أما قصيدته " أوجه الليل " المنشورة في الديوان نفسه، فهي تنتمي أيضاً إلى نفس اللون من الشعر الذي يكتبه محمد ديب، وفيها يقول :

(1)

تعود الجموع دائماً إلى شكلها الأولى
ودائماً في الليل
وجوه ضامرة
تكشفها أضواء القطارات الطويلة المتقابلة

هناك دوماً السيارات، ونداءات باعة الصحف
كأنه تعيد ضبط العالم الغريب بالندم
وهكذا ترتطم الجدران عند أعتاب الموت
وفنادق الحب تروي مشاعلها
أنشد الراحة
وتفتح المدينة دائماً أبوابها كي تقودني
إلى الدروب التي يهرب فيها الظل الذي خلقنا منه
أناجي نظرة النجوم الساكنة
وأطير فوق الشارع وأضواء النيون
آه.. لا شيء يتبعني، فالمدينة غير موجودة

(2)

أمشي في المدينة أحفر المرايا العاكسة
حيث تتتابع الرصفان، والمفترقات، والدروب،
والعواميد والجدران الملطخة بالإعلانات، وكأنها عارية،
وأشجار سامقة تخرج من أقفاصها الحديدية
ضائع وكأنني في عالم ليست فيه معاناة
وأتطلع للحظة إلى أقواس المصابيح
حيث يحلق الضوء الأخضر الغامض فوق الحدائق
ثم يرحل من جديد.. حتى ينقشع الفجر فتسمع وقع أقدامنا

في كل ركن.. المكان شديد الظلمة، تملؤه الأضواء المبهرة
والعيون المغلقة، تتجول أمامها دون أن نعرف
إنه تحت المدينة النائمة ينبض قلب بهدوء
وتنسال نافورة في أعماق الميدان المظلم
أيها الليل، أيها الليل الطيب، استقبل الظلام المسكين
فالسهران قد غمرته السكرة والدوران

هذه القصيدة " أوجه الليل " كتبها الشاعر محمد ديب في أوائل الستينات، ثم نشرها في ديوانه الأول " الظلال الحارسة "عام **1961**م ، وهو نفس الديوان الذي أعاد نشره مضافاً إليه قصائد جديدة في عام **1984**م، وفي هذه القصائد بدا الشاعر على علاقة توحد كامل مع الطبيعة.. خاصة فصولها، وأيامها، ولياليها، فعناوين قصائده هي عن الربيع، والشتاء، والليل، والظلام، والضياء، والظلال. ولذا، فليس من الغريب أن نرى هذه المفردات تتكرر داخل القصيدة الواحدة في أي من هذه القصائد، وبذلك فإن للشاعر مفرداته اللغوية الخاصة به، وهو لا يجددها، بل يكررها. والشاعر موجود في هذه القصائد يتجول في الشوارع، ويرقب أضواء النيون، ويمشي إلى جوار السيارات، وهو وحيد، يتحدث إلى نفسه يقرض الجديد من الشعر، ويحس بتوحد خاص، رغم شعور الغربة الواضح، مع كل ما حوله من بشر. وأشياء.. بل أن هذه الأشياء تبدو أكثر التصاقاً به في قصائده من البشر.

وفي قصيدة "صيف "يمكن أن نلحظ عالم محمد ديب الشعري، فهي تعد نموذجاً واضحاً لكافة إبداعاته الشعرية، إن لم نقل أن أغلب هذه القصائد تكاد تكون نسخاً كربونية، أو سلسلة متكررة من نفسها المشاعر، الإحساس بالغرب. والعزلة، ولكن كثرة ترحال الشاعر " وسفرياته " التي لا تنتهي كانت سبباً أساسياً لإحساسه بهذا العالم.

وإذا بدأنا بمفردات الشاعر فسوف نرى أن محمد ديب ينظر إلى المدينة من الخارج باعتباره ضيفاً عليها، رغم أنه لم يشر هنا بشكل واضح إلى المدينة وأبعادها، وهويتها، فإن مفرداته هنا تؤكد على غربته، فالآخرون بالنسبة له مجرد "وجوه ضامرة "، يعود أصحابها إلى أشكالهم البدائية التي كانت عليها في بداية التاريخ. وهي أيضاً وجوه لا تظهر للرائي إلا من خلال ما تعكسه أضواء القطارات التي تندفع في أروقتها.

وما يؤكد من مفردات الشاعر أنه غريب عن هذه المدينة حديثه عنها من خلال " فنادق الحب"، و " أبواب المدينة ".ثم تلك الأشياء الموجودة في كل المدن الأخرى. ولا تميز واحد منها عن الأخرى مثل الرصفان، ومفترقات الطرق. والدروب، وأعمدة النور، والجدران التي لطختها الإعلانات والأشجار السامقة، والحدائق التي تحلق فوقها أضواء النيون الخضراء.

هذه الأشياء كلها تساعد الشاعر على زيادة الإحساس بالضياع. لذا، فإن محمد ديب يكرر استخدام نفس المفردات، ليس بين القصائد وبعضها البعض، بل أيضاً في داخل نفس القصيدة، مثل كلمة "الليل" و "الظل" و "الدروب"، و "الأضواء".. بل وكلمة المدينة نفسها، كأنما الشاعر يؤكد أنه سجين لها.. والمدينة كما يصفها الشاعر هنا نائمة بنبض قلبها بهدوء شديد. وهي تخلو من حركة إلا من قطارات عابرة، ورجل يمشي وحده بين دروبها يحفر

داخل المرايا العاكسة، فلا يكاد يرى وجهه، والحركة الأولى في هذه المدينة هي حركة هذا الشاعر السهران حتى لحظات الفجر، فهو الساهر الوحيد بينمـــا " المدينة نائمة ".

ولم يتوقف عند أصحاب الوجوه الضامرة الذين يظهرون في مثـــل هـــذه الساعات من الليل، وهو يصفهم في مكان آخر بأنهم مغلقو الأعين. ولكنه ينبهنا إلى أن الأشياء من حوله متيقظة، مفتوحة العيون، مثل المرايا العاكسة. فهي تبدو شاهدة على مروره بين أروقة المدينة، ومثل القطارات التي تسقط أشعتها علـــى وجوه المارة فتضيئها، ومثل السيارات، والظل الهارب، وأضواء النيون. بـــل أن الأشياء الجامدة تتحرك في عالم محمد ديب، فالرصـــفان، ومفترقـــات الطـــرق والدروب، وأعمدة الإضاءة بل والجـــدران الملطخـــة بالإعلانات،والأشـــجار السامقة. كل هذه ا لأشياء ليست ثابتة مثلما في أي مكان، بل هي " تتتـــابع " وراء بعضها البعض، فتتحرك بينما المدينة نائمة.

ولعل الصوت البشري الوحيد الذي يسمعه الشاعر في هذه القصيدة، هو صوت نداءات باعة الصحف وعلى كل فهو نداء غير حميمي. أشـــبه بـــالعيون المغلقة،والوجوه الضامرة، يكاد يكون " ديكور " لنفس المدينة، فكأن الليـــل في مثل هذه المدن لا تكتمل صفته، إلا إذا كان به باعة صحف، وبالفعـــل فـــإن الشاعر يرى أن السيارات، وأيضاً نداءات باعة الصحف، تقوم بإعادة ضـــبط هذا العالم غير المألوف، وتجعله مصاباً بالندم.

والقصيدة هي لحظة معايشة قصيرة، وإذا قارناها برؤى محمـــد ديـــب، فسوف نرى أنها مجرد نبض عابر من الذي يحياه أبطال رواياته، فنحن أمام رجل تائه يعيش لحظة تيه، أو فلنقل أن حياته كلها هي هذه اللحظة، هي لحظة مـــن السكرة الخاصة، والدوران عن المألوف، ورغم أننا لا نستطيع أن نحـــدد زمـــن

الدراما في القصيدة، بين بداية القصيدة ونهايتها، فإن هناك لحظتين مؤكـــدتين، الأولى أن هنا ك ليلاً. ثم هناك بعد ذلك انقشاع الفجر، وبين هاتين اللحظـــتين قام الشاعر بالتجوال فوق الأرصفة، ورأى آلاف الأشياء، ابتداء من الجمـــوع التي تعود إلى شكلها البدائي، والمقصود به هنا هو الموت، أو النوم، باعتبـــار أن النوم حالة من الموت، مروراً بتضاريس الشوارع. إلى أن ينقشع الليـــل ويـــأتي الفجر.

وليس هناك توحد بين الشاعر، وبين تلك الأشياء التي يراها، لذا فإنهـــا تجعله يشعر بالمزيد من الغربة،ولم يحدث أي تآلف بين الشارع وبين هذه الأشياء. فرغم أن المدينة تبدو حانية للشاعر، تفتح له ذراعيها، وأبوابها كي تقـــوده إلى دروبها، فإن هذا ليس كافياً كي يتآلف معها، فالقصيدة تنتهي، وقـــد أصـــاب الدوران الشاعر، ورغم أن سكينة ما قد حلت به حين نبض قلبه بهدوء.فإن ما رآه محمد ديب في هذه المدينة أشبه بما يراه كل غريب في أية مدينة بهـــا نفـــس المعالم، وفي نفس اللحظات.

والشاعر حبيس للمدينة، ولليلها المظلم، فجدرانها ترتطم عنـــد أعتـــاب الموت. وفي دروبها تهرب الظلال. ولذا، فإن التعبير الموجز والصـــحيح الـــذي وصفه الكاتب عن نفسه هو أ نه " ضائع " ولكنه ضياع غريب، فكأنه في عـــالم خال تماماً من أية معاناة. لذا فهو يحس بالسكينة :

إنه تحت المدينة النائمة ينبض قلب بهدوء.

وفي هذه السكينة يصبح الضوء أخضر، تمتليء الميادين بالأضواء المبهرة، ثم تنسال نافورة المدينة في أعماق الميدان المظلم فتجعله مضيئاً..

والغريب أن الشاعر في منتصف قصيدته قد أعلن أن المدينة التي سار بها، وتجول بين أروقتها. غير موجودة، ولم يكشف عن عدم وجودها بالنسبة له، فهل هي مدينة أحلام، أم أن لحظة التجوال كانت لحظة رؤية خاصة له، أم أن كل ما رآه كان بمثابة حلم يقظة ؟

آه.. لا شيء يتبعني، فالمدينة غير موجودة

وهكذا، فإن الكاتب يحاول أن يقتل مدينته. أو أن يعتبرها غير موجودة طالما أنها خالية من الحميمية. رغم أنه لم يشر قط إلى رغبته الشديدة في أن يتواصل مع آخرين. وفي ا لمقطع الثاني من القصيدة، فإن الشاعر يضع الموت في مقابل الحب..

مالك حداد (1927/7/5م - 1978/6/2م)

هو شاعر، روائي وكاتب مقال، مولود في قسطينه، كتب باللغة الفرنسية في بداية حياته الإبداعية، لكنه كان يشعر أن اللغة الفرنسية هي لغة منفى بالنسبة له، روى سيرته الذاتية في روايته الأخيرة " رصيف الأزهار لا يجيب "عام 1961م، وأشار فيها أنه التحق بمدرسة قسطينة الثانوية وقد عمل معلماً لفترة قصيرة، شارك في التظاهرات ضد الاستعمار الفرنسي في مايو

عام1945م، حيث أقامت قوات الاحتلال المجازر الجماعية، وهو ما يسمى بيوم الدمع والدم في الجزائر.

في ذلك الصباح من شهر أكتوبر كانت ثانوية قسنطينة القديمة متأثرة إلى أقصى حدود التأثير.. وكانت البلاد تداوي بمشقة جروحها مما أصابها في فصل الربيع الدامي، وكانت طيور اللقلاق تنظم رحيلها وكانت الأراضي في الجبال المحيطة بالمدينة صفراء اللون..

ويقول د. عمر بن قينة في حديثه عن سيرة البطل من خلال سيرة المؤلف أنه : " في ثانوية المدينة تلك بدا الحس الوطني ينمو متفجراً، والطالب خالد يلتحق بقسم الفلسفة، حيث جمعته الصدفة بالطالب الأوربي سيمون كاج. من أجل دراسة آثار برجسون، وديكارت، وأعمال ابن باديس، والشعراء الجزائريين الذين لا يذكر لهم اسم..

" إنه الوعي المبكر الذي شرع يشحن هذه التجربة الروائية بطاقة وطنية، تدين الاحتلال الفرنسي، وتعلن الوفاء لأرض الأجداد، على عكس الكتاب الفرنسيين الآخرين في الجزائر " [1].

صدر الديوان الأول للكاتب في عام 1956م، تحت عنوان " الشقاء في خطر "، ثم صدرت روايته الأولى " الانطباع الأخير " عام 1958م، وهي عن النضال الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي، ثم صدرت الرواية الثانية " سأهبك غزالة "عام 1959م، و" التلميذ والدرس " عام 1960م، وله دراسة باسم " الأصفار تدور في الفراغ "، وكانت روايته الأخيرة باسم " رصيف الأزهار لا يجيب " عام 1961م، وهي الرواية التي يشرح فيها كيف تكون ثقافياً في بلد

---

[1] صفحات مطوية، عمر بن قينة، مجلة الثقافية، لندن، العدد 47، ص 90.

استعمر وطنه، وأقيمت فيه المجازر، فزميله سيمون كاج، يدرس معه فلسفة هنري برجسون، إنه يعيش الآن مع أطفاله الثلاثة وزوجته الخليعة مونيك، لقد صار لا مبالياً، حتى لشرفه، يقول متحدثاً إلى صديقه خالد، الراوية " لقد اخترت، كما تراني، أن أكون مثل سائر البشر، لم يبق مني سوى هيكلي العظمي "، وبلغ الصديقان مفترق الطرق الذي يدعى " الأوديون "، وحاول كل منهما أن يتحدث عن شيء جاء بمزاح واضح.

- كم كان برجسون مسكيناً، وكم كنا نحب علماء النفس..!

يرد خالد : إني واثق في أن برجسون كان رجلاً طيباً، هل تفهم ما أعني يا سيمون ؟ كان صاحب أسلوب شاعري إلى حد بعيد، ولعله كان في حياته الخاصة يستحق الرثاء، لكنه لم يكن إنساناً بليداً، فمدينة باريس تعج بالبشر، وتتسع كل يوم للمزيد، لكن باريس لم تفهم شيئاً مما يجري حولها في العالم..

يعترف الكاتب على لسان بطله خالد بن طبال أن باريس عانت من الاحتلال الألماني، ولكنها تحولت إلى كائن متوحش في الجزائر، فهؤلاء البشر الذين خرجوا من ديارهم، لن يعرفوا معنى الابتسامات في المنفى، وسيخيل إليهم أن كل يوم كان أطول من سابقه، وأكثر حزناً، وسوف يخيل إليهم أن مطلع كل شمس تجلب المزيد من الحزن، وأخبار عن الموتى، والضحايا والعذاب

في الرواية توجد الزوجة الحبيبة، وريدة، التي تبعث إلى خالد بالرسائل من مدينة قسطنطينة، أحياناً تأتي الرسائل متراكمة، وأحياناً تتقطع وحين تنقطع الرسائل عن وريده، يبدو خالد كئيباً، يبتسم ابتسامة مصطنعة يحاول أن يقرأ الجريدة دون أن يفهم ماذا بها، ويعيش يومه في إيقاع رتيب، يحاول خالد أن يجد ا لعذر لأن زوجته تأخرت في الكتابة إليه : هي زوجتي وأنا أعرفها جيداً،

فهي تشاركني المصير نفسه، وتكن الآمال التي أكنها، وتجعلني أفكر فيهـا بـين الوقت والآخر، ومن يدري فلعل تأخر الرسائل ناتج عن التغيرات التي طـرأت في البريد.. وأنا شخصياً لا أراسل أحداً، ولكن هل لي الحق في المراسلة ؟، ومـا مكانتي بالضبط ؟ لقد بلغني أنهم جاءوا لإلقاء القبض عليّ. لا يهمّ المهم أن هذا الحب باق، مادام هذا العصر الذي نعيشه هو عصر الإيمان، والمحبة، وإلا فالويل للإنسان من هذا الزمان" [1].

باريس التي سافر إليها، ويعيش فيها بدون وريده، صارت أمام عينيه أشبه بالصحراء، تخلو من الأنيس، فهو يمشي وحده في دروبها، ويحـس أن وريـدة موجودة في أطراف أحدج الدروب، وأنه سوف يقابلها، فهو في أمس الحاجـة إليها.

والرواية مليئة بالإحساس الوطني، فخالد يؤمن بالجهاد والنضـال ضـد المحتلين، سيأتي ذلك الحين الذي يتحتم فيه تمجيد بطولات أولئـك المجاهـدين الذين شاركوا في الكفاح دون أن يرتدوا الزي العسكري. كان خالد يتمنى أن تقوم الحرب، وفي الوقت نفسه كان متخوفاً منها مثلما يتخوف الجـراح مـن نتائج عملية حساسة، ومع ذلك، لم يكن هناك حل آخر لأن القوة لا تقل سوى بالقوة "..

لقد تحدث الكاتب عن نفسه، فيضيف بذلك تجربة إلى زملائـه الـذين كتبوا عن ذواتهم من خلال روايات، أسوة بكاتب ياسين، ومحمد ديب، والطاهر جاعوت، وآسيا جبار..

---

[1] المصدر نفسه.

كان مالك حداد قد عاد إلى أرض الوطن بعد الاستقلال وأشرف في قسنطينة على الصفحة الثقافية بجريدة " النصر "، ثم انتقل إلى العاصمة ليشغل منصب مستشار، ثم مديراً للآداب والفنون، بوزارة الإعلام والثقافة، أسس سنة 1969م مجلة " آمال "..

رشيد بوجدرة (1941/12/5م)

جاء شكل الأدب العربي المكتوب بالفرنسية عند رشيد بوجدرة جديداً فالكاتب الذي نشر روايته الأولى " الطلاق " La rejudiation باللغة الفرنسية عام 1969م كان عليه أن يتعامل مع اللغتين بنفس القدر، فهو إذا كتب رواية بإحدى اللغتين، كان عليه أن يترجمها بنفسه وبلغته الإبداعية إلى اللغة الثانية حدث ذلك في كل أعماله، تقريباً،

ابتداء من روايته الأولى"الطلاق" وحتى آخر أعماله. وهو في كل تجربـــة منـــها عليه أن يختار العنوان الذي يناسبه، والتعبيرات اللغوية الأقرب إلى قارئه ســـواء العربي أم الفرنسي، فروايته "معركـــة الزقـــاق" تمت ترجمتـــها إلى الفرنســـية تحت عنوان "فتح جبل طارق". وهناك روايات ترجمها آخرون مثل "المرث" التي ترجمت بواسطة أنطوان موسالي إلى اللغة الفرنسية عام **1986**م.

ولد بوجدرة في **5** سبتمبر **1941**م، بعين البيضاء (أم البواقي)، اشتغل بالتدريس ثم تقلد عدة مناصب، منها مستشار بوزارة الثقافة، وأمين عام رابطـــة حقوق الإنسان، أعماله هي : " من أجل إغلاق نوافذ الحلم " ديوان شعر عـــام **1981**م، ثم الروايات " ألف وعام من الحنين " عام **1981** " الإنكار " عـــام **1984**م، " طبوغرافية مثالية لاعتداء موصوف " عام **1983**م ،" الأراثة " عام **1983**م، " الحلزون العنيد " عام **1984**م ، " ضربة جزاء " عام **1985**م، " التفكك " و " المرث " عام **1984**م ، " يوميات امرأة آرق " عام **1985**م، " معركة الزقاق " عام **1986**م ، " فوضى الأشياء " عام **1990**م، " تيميـــون " عام **1994**م، " واقعة اغتيال ياماها "، " الانبهار " عام **2001**م، و"الجنـــازة **2003**، و"فندق سان جورج" **2007**م، و"شجر الصبار" **2010**م، و"الربيع" **2015**م، و" وله يوميات فلسطينية " و " ديوان شعر باســـم " لقـــاح "عـــام **1983**م.

وبوجدرة روائي في المقام الأول. فهو معروف كمبدع في مجال الروايـــة، وحول تعليمه اللغة العربية تحدث إلى خميس خياطي. قائلاً : "البلد الوحيد الذي استعمرته فرنسا ومنعت فيه تعليم لغته الأم هو الجزائر. كانت اللغـــة العربيـــة ممنوعة وكان ذلك سبباً في مجيئي إلى تونس (معهد الصادقية)، كان قانون " بيلا وان" يمنع تعليم وتدريس اللغة العربية في الجزائر ماعدا اللغة المحلية. كان " بيلا

وان " يعتبر أن اللغة العربية لغة ميتة واللغة المحكية تفتقد إلى القـوانين. فنجـد الجزائري يتعلم في المدرسة اللغة التي يتكلمها في المترل والشارع.. وهذا الشيء هو السبب في شروعي في الكتابة باللغة الفرنسية. وبعد ذلك عدت إلى لغـتي العربية".

لقد كتبت باللغة الفرنسية للضرورة. لم يكن من الممكن نشر كتـاب " الطلاق " في أية دولة عربية. مسألة الهوية واللغة والذاتية هـي مـن المسـائل الأساسية بالنسبة للروائي المغربي. لقد قتل الفرنسيون فينـا الذاتيـة والهويـة والعشق والحب والجسد. فالأدب العربي لم يهتم إلا بالجسد. الذاتية تـؤدي إلى الهوية التي هي بالتالي تطل على اللغة، فاللغة هي الأساس للذاتية والـذاكرة.. إفصاحي عن هويتي العربية ورجوعي إلى اللغة كان من الضروري. إما أن أعود إلى اللغة العربية أو أصمت أو أنتحر. أما إن انتقل إلى العربية وأتابع الكتابة فيها أو أكف عن الكتابة وأنتحر. كاتب ياسين انتحر بشرب الخمور وكذلك مالك حداد. ليس من الصحيح أن كاتب ياسين يكتب باللغة المحلية، فهو لا يعرفهـا، كاتب ياسين إنسان رجعي.. ر.ج.ع.ي. رجعي وغير حديث. مواقفـه غـير محدثة، لماذا ؟ لأن اللغة العربية اليوم هي الحداثة سواء بالنسبة للغة المحكيـة أو اللغة البربرية، ما هي اللغة البربرية ؟ أنا بربري شاوي، خمسون في المائة من لغتي البربرية هي من اللغة العربية. أين هو الإبـداع في اللغـة البربريـة؟. الأدب الشفوي أقل قيمة من الأدب المكتوب [1].

وقد آثرنا أن نستعين بهذه الفقرة الطويلة من حديث بوجدرة كي نـرى كيفية تغير المفاهيم الخاصة باللغة في الجبل الذي ينتمي إليه بوجدرة، وهو الذي

---

[1] الروائي العربي مهووس بالسياسة، حوار خميس خياطي، اليوم السابع، 9 نوفمبر 1987م، ص26.

ظهر مع نهاية الستينات ولمع في سنوات السبعينات، فالكاتب هنا مزدوج اللغة الإبداعية، وهو يكرس اللغة التي يريدها حسب الظروف التي تحكمه، أو حسب الجمهور الذي يوجه إليه كتابته.

وحتى في لغته العربية، فإن الكاتب يستخدم الفقرات الطويلة على طريقة وليام فوكنر وكلودسيمون، وفي روايته " المرث " على سبيل المثال نرى علاقـــة حب تربط بين رجل مسلم وفتاة يهودية، وهنا كوسط هذه العلاقة عودة دائمة إلى الوراء. فالرواية هنا يعود إلى ماضيه بلا توقف، فالراوية أنه يروي قصة هذا الماضي وهو مقيم في نفس المكان الذي عاش فيه سنوات المراهقة، وهو يسترجع بطاقات البريد. والصور القديمة، ويتصفح مجلات قديمـــة.ويكتب بـــلا توقـــف قصص أفراد أسرته، عن أبيه الذي مات في حجرة مجاورة، وعـــن ســـفره إلى أماكن بعيدة. لقد أرسل إلى أسرته الكثير من البطاقات البريدية من كـــل بلـــد زاره.هاهي هذه البطاقات تصلح خامة جيدة لروايته الغارقة في لماضي، ففي كل منها مدون تاريخ إرسالها. وعليها بعض العبارات، وهاهو ابنه يسأله عن بعـــض التفصيلات، كما أن المرأة التي يحبها لا تكف عن ملاحقته إنها مثلـــه مشـــغوفة بماضي حبيبها، وهو يحكي لها دوماً عن هذا الماضي، ويبدو الأمر الآن وكأن كل شيء قد أصبح إرثاً.

أما روايته " ألف وعـــام مـــن الحـــنين " **Les 1001 annees de la nostalgie** التي نشرت بالفرنسية عام **1979**م ، فهي رواية موغلة في القدم، بالغة الضخامة. ومزخرفة بالشخصيات والأحداث. لقد أراد الكاتب أن يصنع ملحمته العربية المعاصرة، فمن الواضح أن بوجدرة قد توغل إلى الأعمـــاق في عالم " ألف ليلة وليلة "، وراح الحنين يدفعه أن يتوغل في عالم الإسلام وتـــاريخ المسلمين لأكثر من ألف عام مليئة كلها بالحنين.

وتدور الأحداث في قرية معاصرة تسمى " المنامة "تقع في أطراف الصحراء، ولكن بعض الأحداث التي تعيشها فيها قد دارت يوماً ما في الماضي،ويقول الكاتب أنه في هذه المدينة الخيالية عاش ذات يوم العلامة ابن خلدون، ثم هناك رجل اسمه الكاتب محمد بلا اسم، يعيش في وحدته وحنينه للماضي. وهذا الرجل يعيش في أسرة لديها أكثر من ثمانية عشر زوجاً من الأطفال التوءم،وهو الآن أكبر أبناء هذه الأسرة، وهو الوحيد الذي ليس له توأم.

لقد رزقت الأسرة ثمانية عشر من التوائم.. لذا، فإن بطل هذه الرواية يعتبر شخصاً معجزة. لأنه ولد فريداً بين أخوته، وهو قادر أن ينتقل بين الماضي والحاضر، بسهولة شديدة.

يقول لنا فوجان فروستي أن " كتاب بوجدرة يعلمنا، إذا كنا نجهل، أن الرق، الذي حرمه الإسلام، كان موجوداً في العصر الذي كانت فيه "ألف ليلة وليلة " تحدث سحرها. وكان يتم جلب الرقيق السود من القرن الأفريقي، وأثيوبيا، وزنزبار من أجل تجفيف البرك، ومن أجل تخزين القمح في العالم المسلم الذي كان يصل حتى الاتحاد السوفيتي الحالي. هذه الخصوبة كانت حقيقية، وقد تعلمنا أن هناك ثورتين مؤثرتين، وبالغتي الأهمية. هما ثورة السود. والزند التي خلقت دولة حقيقية لمدة خمسة عشر عاماً، إنها دولة القرامطة التي ولدت على مقربة من العراق. كانت حركة شمولية استمرت طوال قرنين وكانت أقرب إلى جمهورية أفلاطون، وهاهو بوجدرة يؤكد على السمات الرومانسية، وليست التاريخية لعمله، وهو يؤكد على نماذج منها، ويضع الرسوم التوضيحية (1).

---

(1)Les mensognes de schehirazade، le nouved obsevateur 9-10-1979.

اختار رشيد بوجدرة أن يصنع في هذه الرواية عالماً فنتازياً عربياً، مليئـاً بالخيال والسحر. ومليئاً بكل ما يمكن أ ن تمنعه السلطات في البلاد العربيـة، وخاصة العبارات المكشوفة التي اشتهر بها الكثير من الأدباء المغاربـة، وأيضـاً الناطقون بالفرنسية في الوطن العربي، ولكنه بشكل عام لا يصل إلى أية درجـة من درجات الإباحية.

وليس كل أدب رشيد بوجدرة غارقاً في الفانتازيا. فروايته " قاهر الغربة "، التي نشرت في فرنسا عام **1981**م تتحدث عن واقعة تاريخية حقيقية دارت في شهر مايو عام **1957**م، حول الغارة الأخيرة التي ارتكبها الفرنسيون ضـد رئيس المجلس الجزائري. بعد أن تم القبض عليه وحوكم بتهمـة الخيانـة، وتم إعدامه من قبل منظمة المقاومة، ويقول بوجدرة أن " كل أدبي هو ذاتيـات، إني لا أستعمل الذاتيات كقناع أخفي به شيئاً ما ولكن كأرضية، كأساس، لأنه من خلال الذاتية بإمكانك خلق الكيان الروائي وبدون ذلك يكون الروائي شـيئاً متحجراً بدون عروق ودم وشحم، كل الأدب الروائي العربي يفتقد إلى هـذا العنصر، أما الشعر، وتلك حقيقة تناقشنا فيها مع بعضنا البعض عـدة مـرات، الشعر العربي هو أفضل شعر في العالم من ناحية الجودة، فمثلاً لا يوجد في العالم من يتحمل المقارنة بأدونيس على مستوى اللغة والإبداع.. الإنسان العـربي لا يتكلم عن أشياء حميمة، عن الأشياء الخاصة، الجوانية، فهذا الشكل هو شـكل اجتماعي نفساني مطروح، وهذا المجتمع يرفض الحديث عن أشياء معينة تستسلم إلى نوع من الرقابة الذاتية تعتمد على المثل القائل " أعوذ بالله من كلمة أنـا"، والكاتب العربي الذي لا يطرح الذاتيات، عليه ألا يكتب روايات ليتوجـه إلى

التاريخ والبحوث والشهادات، الرواية المعاصرة والاكتشافات النفسانية قائمة على الذاتية [1].

وفي أعمال أخرى للكاتب ينتقل بين الواقع المعاصر والتاريخ العربي، ففي روايته " معركة الزقاق " التي ترجمت إلى الفرنسية، تحت عنوان " فتح جبل طارق "، ينتقل بين كل من الماضي إلى الحاضر، الماضي هنا هو زمن فتح الأندلس حين عبر طارق بن زياد البحر. أما الحاضر فنراه من خلال طبيب يدعى أيضاً طارق. وهذا الطبيب يحب أباه كثيراً. وهو رجل موغل في التاريخ، يعشقه ويقرؤه بكل شغف. وبين الحاضر الذي يمثله طارق الذي ينضم إلى المقاومة، وبين التاريخ الذي فتح فيه العرب الأندلس يحدث المزج، وهذه الرواية هي " جملة واحدة متقطعة مستعادة، تنغرس في ذكريات الطبيب فتأخذ منه أحلى وقائع شبابه. وينتهي الأمر بسؤال مطروح ليس له جواب : " أين المنقذ ؟ "، أين المنقذ من تقلبات الدهر والذاكرة ؟ أين المنقذ من تقلبات سلطة الأب وليونة الأم ؟ أين المنقذ من القمع اليومي الذي يواجهه ومن خيبته عند اكتشافه الحقيقة" جبل طارق " المعاصرة : بعض البيوت والصبيان والشيوخ واقفين تجاه الريح العتيدة.. لا أكثر " [1].

في روايته " الرعن " المنشورة لأول مرة عام **1984**م، يحكي راوية عن علاقته بامرأة حسية، وهو نزيل إحدى المصحات، إنها امرأة شبح فيبحر من المتعة الجنونية، على أنها كانت في الحقيقة لا تتغير واهنة باردة لا تعرف للشبق، ولا المتعة معنى، فتغالي وتبالغ وتتفاعل وتطالب بالمزيد من الولوج والتوغل في

---

[1] الروائي العربي مهووس بالسياسة، حوار خميس خياطي، اليوم السابع، **9** نوفمبر **1987**م، ص**36**.

[1] المرجع السابق.

قعر رحمها متوسلة هامسة متضرعة، والرواية بمثابة حالة من الحسية التي يشعرها الرجل تجاه المرأة، والحياة، فالمرأة تحكي له عن تاريخ حياتها الجنسي، " شعرت بعقدة الذنب تتسرب في أحشائي وإذا بي أغوص من جديد في عالم الذكريات فتؤدي بي كالمعتاد إلى ذلك الضريح المنعزل الجاثي على شاطيء البحر المطلية جدرانه الخارجية بالجير والمهملة حيطانه الداخلية كل الإهمال، المتآكلة القذرة الملوثة [1].

وتظل الهواجس الجنسية تطارده حتى في أحلامه : مرة أخرى حلمت في المنام ذلك الاختناق الرهيب، ويطلع الفجر ولم يسكن لي ساكن، لا شيء يتحرك، الخمول والكمون يسيطران، التباسية ترتسم ولا تكتمل هباء..

هذا المريض يمارس الجنس مع أكثر من ممرضة، فمن سامية إلى نادية التي توبخه أحياناً " لأتفه الأسباب تخلق وابلاً من الضجة والصخب. ومصدر ذلك هو الالتباس الذي طغى على علاقتنا، لم أكن أرضى منها أن تقول أنها سارت على نزعاتها هذه وشواذها الجنسية أثناء الحرب البطولية.

آسيا جبار (1936/6/30م - 2015/2/6م)

تنتمي الكاتبة الجزائرية آسيا جبار إلى مرحلة وسط بين كاتب ياسين ورشيد بوجدرة. وقد اخترناها لأنها تمثل حالة خاصة وفريدة في مسألة الإبداع ليس فقط لأنها امرأة، كنموذج للمرأة الكاتبة التي تبدع باللغة الفرنسية، بل، أيضاً لأنها جربت أسلوباً مختلفاً،

---

(1) الرعن، بورشيد بوجدرة، المؤسسة الوطنية للاتصال، الجزائر، عام **2003**، ص **30**.

فإذا كان ياسين قد حاول أن يكتب للمسرح بلغة عامية جزائرية بعد أن عجز عن فعل ذلك باللغة الفصحى. فإن آسيا جبار قد جربت السينما، حيث تختلف لغة التعبير هنا كثيراً.. فيمكن للفيلم أن يتكلم بلغة الصورة.

وقد جربت آسيا جبار الكتابة باللغة العربية في مرحلة ما من حياتها، إلا أنها عجزت تماماً عن التعبير عما يجيش به صدرها، فالإبداع غالباً له لغة واحدة. وعاشت الكاتبة في حيرة، فلا رواياتها قرأت في الجزائر بنفس الكيفية التي تريدها.. ولا هي صنعت أفلاماً كما تشاء. فعادت مرة أخرى إلى الأدب بعد طول انقطاع.

تقول لالا خفاجة : " إذا عاش المرء في قلب العملية الحضارية وعلى تخومها، فإنه ليس موقفاً محايداً بين التلوث واللاتطور، لكنه ممارسة للحالتين معاً، حاولت الكاتبة الجزائرية أن تفعل هذا. عندما تكون امرأة من العالم الثالث على رصيف باريس، فإن الرصيف لا يعطيها جنسية أخرى، سوف يظل انتماؤها للأيدي الخشنة،لأناس يريدون أن يصنعوا شكلاً مختلفاً للحياة [1].

وآسيا جبار المولودة في الجزائر عام **1936**م هي نموذج لنساء عديدات تائهات بين حضارتين، وقد قيل أنها حاربت الفرنسيين بالفرنسية. وذلك حسبما يقول الكاتب المعروف ألان بوكيه، أن الكتابات التي وضعها كتاب شمال أفريقيا العرب قد أحدثت الزلزال. مؤكداً أنه كان من المفروض أن تترهل الثقافة الفرنسية من السياسة الفرنسية [1].

---

[1] الكلمة للمرأة – لالا خفاجة – مجلة أوراق – العدد 30، ص 27.

[1] **Asia Djabar، Jeune afrique، Dec.1994**.

نشرت آسيا روايتها الأولى " العطش " **La soif** عام **1956**م، أي وهي في العشرين من عمرها، وكما يرى مراد بوربون أنها رواية شباب أكــدت أن آسيا تمتلك ناصية الموهبة، والسحر والذكاء، وقد مكنها ذلك من الاســترخاء على مخدع الأب، وقد قيل أن آسيا جبار في تلك الســنوات هــي فرانســواز ساجان الجزائر، تمتلك قلماً خاصاً في سرد الوقائع الباريسية[2].

وعلى مدى أكثر من أربعين عاماً لم تنشر آسيا جبار سوى مجموعة قليلة من الروايات فتشت فيها جميعاً عن جذور شعبها التاريخية والاجتماعية، فعنــدما حصلت بلادها على استقلالها عام **1962**م، عادت إلى الجزائر تهنئهــا وهــي تحمل بين يديها مسودة روايتها الثانية : " أطفال العالم الجديد " وقد فتحت لهــا جامعة الجزائر ذراعيها،ــ حيث قامت هناك بتدريس التاريخ ولكــن الإبــداع كان يطارد الكاتبة فلم تستغرق طويلاً في التدريس، وفي عام**1967**م، عادت إلى فرنسا وهناك نشرت روايتها الثالثة " القبرات الساذجة " **Les alouettes naives** حول وضعية المرأة المسلمة في الوطن وفي المهجر، ومنذ ذلــك الحــين تصدرت آسيا جبار الحركة النسائية العربية في شمال أفريقيا، ففي عام **1968**م، حضرت مهرجان الثقافة الأفريقية في الجزائر وقدمت مسرحية مكتوبة بالفرنسية تحمل عنوان " الفجر الدامي " **Rouge l'aube** حول مرارة الاحتلال الفرنسي للجزائر، وعندما ترجمت بنفسها هذا النص المسرحي إلى اللغــة العربيــة بــدا أكاديمياً خالياً من الحياة. وعبثاً حاولت إعطاء النص روحه العربية ولكــن بــلا جدوى. وكأنه من الصعب عليها أن تعود من منفاها داخل لغة أوربية إلى لغتها التي من المفروض أن تكتب بها.

---

[2] المصدر السابق.

أما صدمتها مع السينما الجزائرية فقد كانت – حسبما يقول مراد بوربون ـــ من أن السينما القومية قد بدأت لها بالغة الأكاديمية، وعندما عهد إليها التلفاز الفرنسي أن تخرج فيلماً في عام **1977**م ، ركبت سيارة مع كاميرا وذهبت لتصور البسطاء من الناس وجاء فيلمها " نوبة النساء بجبل شنودة " تعبيراً عن دور المرأة الريفية في حرب التحرير. وقد حصل هذا الفيلم على جائزة مهرجان فينسيا عام **1979**م، ثم فيما بعد أخرجت فيلمها الثاني " زردة".

في عام **1985**م ، حاولت أن تستفيد من تجربتها السينمائية فقامت بتحويل فيلمها الأول إلى رواية تحمل عنوان " الحب والفانتازيا "، ومثلما فعلت في الفيلم فعلت في الرواية، فكلمة " نوبة "ـــ في الفيلم ـــ تعني مجموعة من العازفين يعزفون الواحد تلو الآخر أو هي تناوب لقطع موسيقية من خمسة فصول – وجاءت الرواية كأنها هذه النوبة، مقسمة إلى خمسة أقسام لها تأثير الألحان المتعاقبة، وفي الرواية تعطي آسيا جبار الكلمة للنساء. وتجعلهن يتكلمن الواحدة بعد الأخرى، فيصفن الأضرار التي تركتها حرب التحرير الجزائرية على أنفسهن وعلى عائلاتهن.

وتدور أحداث الرواية حول مصير مجموعة من النساء والفتيات المرتبطات بحضارتهن ارتباطاً قوياً، واللواتي يصرن في مرحلة من حيواتهن حائرات في أمورهن : فهن تارة خاضعات للرجل. وفي تارة أخرى ثائرات على التقاليد والعائلة.

تفتتح الكاتبة روايتها بسير امرأة جزائرية. بدأت تتحرر من القيود التقليدية وقد تأثرت في صباها كثيراً بالحرب الجزائرية الأولى التي استمرت بين عامي **1830**م و **1871**م ، ترى هذه المرأة في أبيها المعلم الصادق في عمله،

الذي يسعى إلى رفع الجهل والتخلف عن الناس بالوسائل التربوية المتاحة في تلك السنوات، ورغم أنه كان يتقبل الكثير من المفاهيم الغربية التي أتى بها المستعمر إلى الجزائر، فإنه كان يتصرف أحياناً طبقاً لأساليب التربية التقليدية كما كانت في الريف الجزائري. وعلى هذا النحو كانت علاقته بابنته، مع أنه أتاح لها أن تتعلم، ومكنها من الآن أن تتصرف بحرية حتى تزال عنها كآبة العيش في الأوساط المغلقة.

وفي الرواية هناك نماذج لنساء أخريات منهن أرامل، وفلاحات عشن أيضاً حرب التحرير : " هؤلاء النسوة لم يمارسن الأدب في حياتهن، أكثر مما عانين في الحرب، كانت كلماتهن خناجر، لقد سمعت حكاياتهن تردد، وأردت أن أترجمها كي أنقل القرن التاسع عشر داخل صوت من خلالهن[1].

هؤلاء النساء خرجن من بيوتهن، أو مارسن نشاطاً غير النشاط المترلي، لكن بناتهن قد ساهمن مساهمة في حروب التحرير الطويلة، قدمن للمجاهدين شتى أنواع الدعم والمساندة إلى أن حصلت البلاد على استقلالها، وقد دفعت هؤلاء النسوة الكثير من دمائهن، فقد كان الجنود الفرنسيون يبطشون بهن أبشع البطش، وصفت الكاتبة بعضاً منه وصفاً دقيقاً مؤثراً، مثل المذبحة التي حدثت في قرية " القنطرة " القريبة من وهران، أو في مذبحة جبل نقمارية في يوليو 1845م، أو تعذيب المجاهدين من نساء ورجال في قرى حيث حول الفرنسيون خزانات المياه الرومانية إلى سجون حشروا فيها المناضلين والمجاهدين.

لقد اكتشفت الكاتبة وهي تبحث في التاريخ أن اللغة الفرنسية التي تكتب بها ملطخة بالدم، وحين دققت في تاريخ العلاقة بين الضباط الفرنسيين

---

(1) **Dans la crue de la douleur، T. Ben Jelloun، le monde**

وأثرياء الجزائر، رأت أن العنف هو الشاهد الذي تكتب به التــاريخ. أو كمــا تقول : " أنا وريثة هؤلاء القتلى. لقد حاولت من خلال هذا الكتاب أن أثبــت أن هناك دماً في ميراث اللغة " [2]، في إحدى الحوادث الدامية التي كانت تهــتم بها تتحدث عن وقائع إحراق خمسمائة جزائري في 19يونيه 1845م على أيدي الفرنسيين في الخزانات السابق الإشارة إليها.

ويقول الطاهر بن جلون أن هذه الرواية هي عن الحب الذي تكنه آســيا تجاه لغتها العربية، لكن لذة الحب لم تعل بعد، في المجتمع المغــاربي التقليــدي، فالرجل لا يسمى زوجته أبداً. فهو يطلق دائماً على زوجتــه وأولاده تعــبير " البيت "، ووالد الراوية كسر هذه القاعدة فأرسل بناته إلى المدرسة الفرنســية متمنياً أن يكن في طليعة المجتمع، وقد كان ينادي امرأته دائماً بــ "سيدتي " [1].

وتقول آسيا في نفس الحديث عن علاقتها باللغــة : " درســت اللغــة الفرنسية، وأصبح جسدي منسقاً على النمط الغربي "، وعندما كان الآخــرون يسألون الأب عن السبب في أن بناته لا يرتدين الحجاب يرد : لأنهن يــذاكرن، وبفضل المدرسة الفرنسية استطاعت البنات الهروب من المحبس كي يعبرن عــن طموحهن، وتعلمت الكاتبة الفرنسية كلغة كتابة وليس سوى ذلك، وهي تقول أنها تعلمت الفرنسية كي تسرق شيئاً من عدو الأمس.

هذا العدو كم سرق ونهب مدناً بأكملها !، وكم أعدم مــن بشــر ! ولم يكن الفرنسيون في حملاتهم الانتقامية المزعومة يبقون على الأطفــال ولا علــى النساء، ويرى الناقد الألماني بيتر هوفمان بستر أن " الكتاب من أوله إلى آخــره

---

(2) المصدر السابق

(1) المصدر السابق

عرض لشجاعة المرأة الجزائرية واستعدادها للتضحية. ولكن، ماذا جنت من شجاعتها في حرب التحرير وتضحيتها ؟ما نراها اجتنت من شيء ذي شأن، بل على العكس، لقد ازدادت وطأت التقاليد التي تجعل للمرأة دوراً في العائلة لا تتخطاه " [2].

وحول هذه الرواية كتب المستشرق جاك بيرك قائلاً : " إنه يا لسعادة المؤمن أن يجد في ضيقه سعادة نقية خالصة، وذكرى معبقة بالمستقبل. لذا، راحت الروائية تستجمع الفرنسية التي ملكت زمامها وجربت موهبتها فيتخيل صورة الحرب، والانغلاق والرغبة، وهي تحلل بلغتها وتتحدث عن مغامرة شعب له حياته، وحيويته، حيث ترى آسيا جبار ذلك الصباح من صيف عام 1930م حين حطت جحافل الفرنسيين على حفلات العرس الجزائري، وراحت تقود الرجال إلى سجون فرنسا [1].

أما رواية "ظل السلطانة " **L'ombre du sultana** المنشورة عام 1987م فهي بمثابة تكملة لروايتها السابقة، وحسبما تقول الكاتبة " هي قسم من أقسام نوبة العزف. تمثل الرواية الأولى آلة الكمان لأن نغماتها جهورية ولها علاقة بالتاريخ والمأساة. أما " ظل السلطانة " فهي تمثل آلة تصدر أصواتاً رقيقة. وبطلة الرواية تدعي " حجيلة "، امرأة عربية تعيش في أحد الأحياء الشعبية بمدينة الجزائر. تزوجت من رجل طموح لكنه نموذج للرجل الشرقي الذي يؤمن بالعزلة والانغلاق " لا يبتسم قط " وكأن العبوس هو لغة التخاطب بينه وبين زوجته. يأمر وينهي، يطلب منها حجيلة لها، على اسم طائر

---

[2] مجلة " فكر وفن " العدد 53، ص94.

[1] **La langue de l'envahisseur le nouvel observateur 9/5/1985. P.84.**

رقيق، فهي في بداية الطريق، بعيدة عن التمرد والثورة عاشت مع أمها وأختها كترة في إحدى الضواحي الفقيرة ".

وحجيلة ودت، ذات مرة، أن تتمرد على هذا الزوج الطاغية فخرجت من الدار، مثلما فعلت نورا بطلة أبسن في بيت الدمية – دون إذنه ودون حجاب – فتشعر لأول مرة وكأنها فقدت جسدها وكيانها وحريتها " فتصبح مجرد عيون ترى ولا ترى، تنمو لديها رغبة الرؤية خلسة".

ومحاولة لتقليل قيمة الرجل. فإن الكاتبة تتحدث عنه بضمير الغائب، فهو شخص بلا اسم محدد، شبح كبير يأتي ويذهب، وعندما يعرف الرجل أن امرأته خرجت من الدار بدون أن ينهال عليها ضرباً أمام ابنها.

وقد تحدثت آسيا جبار في نفس العدد من اليوم السابع قائلة : تمثل "الحب والفنتازيا"، علاقتي بأبي، أما "ظل السلطانة" فهي تصور علاقتي بأمي، القسم الثاني من الرواية الأولى هو تعبير عن علاقة فتاة بأبيها وبالتالي باللغة، فعوض أن تكون اللغة الفرنسية لغة الغير ولغة المستعمر، كانت بالنسبة لي لغة الأب، وهذه اللغة فتحت لي أبواب العالم، وأصبحت علاوة عن كونها لغة الآخر، لغة الحرية، حين أحاول تحليل ذاتي أجد أن اللغة الفرنسية مكنتني من الهروب من سجن المترل، لقد حاولت في هذه الرواية التقرب من اللغة المحلية الجزائرية. أن أستعمل لغة النساء اللاتي حافظن على هويتهن [1].

وفي تعليقه على هذه الرواية عند ترجمتها إلى اللغة الألمانية كتب بيتر هوفمان بستر أن آسيا جبار تروي " بدقة الضغط النفسي الذي تعانيه نساء شابات من جراء إلحاح أمهاتهن عليهن في أن يطعن أزواجهن ويقمن بما يطلبونه

[1] امرأة حلمت بشارع مستحيل، خميس خياطي، اليوم السابع 87/3/30، ص 43.

منهن من الواجبات. فهؤلاء الشابات هنا يكن ضحية لتربية أمهاتهن اللائي يتصرفن إزاءهن بموجب رد الفعل الناتج عن الإحباط والخيبة. لا تشير آسيا جبار في كتابها إلى ما قد تكون غاية هذا التزاع بين الرجل والمرأة المستهلك لطاقات كبيرة. كان أولى أن تصرف في مجالات أخرى. وعلى كل حال سينقضي زمن طويل حتى تصبح المرأة مساوية للرجل في الحقوق وفي العائلة [1].

وما دمنا بصدد الحديث عن ازدواجية اللغة عند الكاتب، فإن آسيا جبار قد عانت الكثير عن هذا الاغتراب بين لغتين وهويتين ثقافيتين. وقد تحدثت في مجلة اليوم السابع أنه " لأننا لم نكن قادرين على الكتابة مباشرة بالعربية، فقد بذلنا جهدنا لكي يصار إلى ترجمة أعمالنا سريعاً إلى هذه اللغة وأسفر الأمر عن ظاهرة غريبة. إذ أن أدبنا، أن تحول إلى العربية، لم يحقق النجاح المرتجى. والذنب هو ذنب عملية العبور هذه أكثر مما هو ذنب نوعية الترجمة. فالجمهور لا يحب هذا النوع من التأقلم، الجمهور الذي يقرأ أبدى الكثير من الحذر. لأنه يفضل أن يكشف الكتاب المغاربة عن نصوصهم مباشرة " [2].

---

[1] مجلة فكر وفن، العدد 52 سنة 1992م، ص 94.

[2] مجلة اليوم السابع، 12 يناير 1987.

رشيد ميموني (1945/11/20م - 1995/2/12م)

برزت مجموعة من الأسماء المهمة في الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية في الثمانينيات مثل طاهر جاعوت وعز الدين بونمور الذي مات برصاص المتشددين في مايو **1993**م، إلا أن أبرز هذه الأسماء وأكثرها نشاطاً وشهرة وتواجداً هو رشيد ميموني المولود في مدينة بودو القريبة من الجزائر العاصمة عام **1945**م، والذي درس الاقتصاد في بداية حياته،

وقد نشر رشيد روايته الأولى " لن يكون الربيع أكثر جمالاً " في الجزائر في عام **1978**م، وما لبث أن توجه إلى فرنسا مع أوائل الثمانينيات لينشر فيها أعماله

التالية. ففي عام 1982م ، نشر روايته " النهر المحول " التي تدور حول مناضل من الجيش الجزائري الوطني في معركة التحرير، تصور البعض أنه قـد مـات، فيفاجئون بعودته إلى القرية، ولم يكن عليهم سوى أن ينكروه لأن البطل دائمـاً يجب أن يكون ميتاً.

أما روايته " طمبيزه " **Tombeza** المنشورة عام 1984م فإنها تدور حول شخص مولود لأم اغتصبها رجل، وأنكرها عائلتها بعد فعلتـها الشـنعاء التي ليس لها يد فيها، إنه يحاول أن يجد لنفسه ظلاً في هذا العالم بأن يكون ثرياً. أو شخصاً مرموقاً..

وفي عام 1989م ، نشر ميموني روايته الفرنسية الثالثة، التي لفتت إليـه الأنظار، وهي تحت عنوان " شرف القبيلة ". وقد أكدت هذه الرواية أننا أمـام كاتب يسير على نهج كافكا، ويصنع لنفسه ولأبطاله أجواء خاصة. فإلى جانب المكان الذي يبدو سعيداً في رواياته، وهو غالباً قرية صغيرة، فهناك مجموعة مـن الأشخاص مرتبطون بهذا المكان يحاولون الدفاع عنه. والالتصاق بأديمه.

والمكان في رواية "شرف القبيلة " **I'honneur de la tribu** هي قريـة بعيدة عن الذاكرة تسمى "الزيتونة"، هذه القرية غير موجودة تقريباً على خريطة البلاد. لقد نسيها جنود الاستعمار الفرنسي. وبالتالي فإن الثوار لم يفكروا فيها. لأنه حيث يوجد المحتل توجد الثورة ورجالها، ولذا فإن القرية معزولة عما يحدث في البلاد.

وتبدأ أحداث الرواية حين يستلم موظف البريد رسالة تفيد بأن رجـال المستعمر قد أعلنوا أن " الزيتونة " أصبحت برتبة " قائم مقام " ولاشك أن مثل

هذا التركيز المفاجيء على المدينة سيجعلها في دائرة الضوء، ويرى الـــبعض أن الوضع الاقتصادي سوف يتحسن.

والرواية تدور على لسان راوية، يسمع من أحد شيوخ القرية ما حـــدث للقرية، فقد جاء أبناء القرية إلى هنا بعد فترة قصيرة من الغزو الفرنسي للبلاد، جاءوا كي يبتعدوا عن هذه النكبة التي أصابت الجزائر. وكان عليهم أن يصنعوا مجتمعاً معزولاً ليس فقط عن فرنسا. بل وأيضاً عن الجزائر.

لقد جاء على القرية ذات يوم حاكم عينه رئـــيس الحكومـــة الثوريـــة الجديدة. هذا الرجل معروف لدى البعض من القرويين، فهو ابن لأحد الرجال الذين لهم نشاط في القرية. وهذا الرجل لا يعرف ما هي مهمته بالضبط، لـــذا فليس من الغريب أن يسخر من البعض أو يمزح من الآخرين. ثم لا يلبـــث أ ن يتحول إلى طاغية. وهنا تتغير إيقاعات الحياة في القرية التي لم تعرف الطغاة مـــن قبل. فعلى شيوخ القرية أن يقاوموا هذا الطاغية.

ومن الواضح أن الكاتب يعطي إشارة باللون الأحمر حول ما يمكن أن يأتي به أية طاغية للبلاد، ولاشك أن هذا الرأي سيكون هـــم الكاتـــب في أعمالـــه القادمة، وفي أحاديثه الصحفية. بل وفي مواقفه من المتشـــددين الإســـلاميين في الجزائر.

وفي عام **1990**م ، نشر ميموني مجموعة من القصص القصيرة في كتـــاب يحمل عنوان " حزام الغولة " **La ceinture de L'ogre**، حاول فيه من جديد التصدي لظاهرة الطاغية. والطاغية هنا قد لا يكون الشخص، ولكنه قد يكون نظاماً اجتماعياً، والكاتب يرى أن الشعب الجزائري على اخـــتلاف مشـــاربه

السياسية بيروقراطي التفكير. وقد جاء ذلك نتيجة الخمول والتخلف والضغط النفسي والفساد. وتجاوز القوانين والحكومات.

أما روايته في عام **1991**م ، فتحمل عنوان " الحياة علـــى الكافـــاف " **Une peine a vivre** وتطارد الطاغية بمنظور مختلف أقرب إلى روايات الكاتب الأولى التي بدا فيها مدى تأثره بعوالم كافكا. فالرواية تدور أحداثها في بلد غير مسمى من بلاد العالم الثالث، وفي هذا البلد، كما في أغلب هذا العـــالم، هنـــاك طاغية ينتظر دائماً المزيد من العبيد. وهذا الطاغية يقع في الحب. وتمتلك امـــرأة بلا اسم مثله كل مشاعره بشكل يؤدي إلى الجنون، وأيضاً إلى سقوطه من فوق عرشه، وهذا الطاغية أشبه بحكام عرفهم العالم الثالث بجنوهم الملحـــوظ، مـــن بوكاسا إلى موبوتو، ونوربيجا، وماركوس، ودوفاليه وربما هو مـــزيج منـــهم جميعاً.. لقد احتفظ الطاغية بحبيبته في القصر كأنها رهينة لحبه رواح يحبها حـــتى الموت.

ويرى الكاتب أن " فعل " أي طاغية، هو أن يكون له ضحاياه، وأنـــه في الغالب شخص يفتقد أهلية العقل. كما تحدث إلى مجلة " الشـــروق " قـــائلاً : مضمون رواياتي لا يمس عمق فكرة حقاً، فأنا لا أحرض الناس ضـــد التقـــدم العصري، وذلك لأني أؤمن بأنه لا مفر من الحداثة والمعاصرة..

هذا هو بعض من عالم رشيد ميموني. آخر الأجيال الأدبيـــة الشـــابة في الجزائر.. والذي وضعته جبهة الإنقاذ قبل وفاته في يناير **1995**م، مـــع أدبـــاء آخرين ضمن المطلوب اغتيالهم وإسكاهم.. وقد كتب ميمـــوني العديـــد مـــن المقالات في الصحف والمجلات الفرنسية في أواخر حياته، هاجم فيهـــا الجبهـــة، وليس موضوعنا بالطبع التركيز على مواقف الكاتب السياسية في حياته، قـــدر اهتمامنا بمسألة لجوء هذا الكاتب إلى الإبداع باللغة الفرنسية، فلاشك أنه بعـــد

الرواية الأولى وجد ميموني فرصته لدى دور النشر الباريسية، ومثل هذه الفرص لإنتاج لكل من يكتب بالفرنسية، وقد دفع هذا الكاتب إلى أن يقدم خمس روايات في عشر سنوات تقريباً مؤكداً أنه أبرز الأسماء الجزائرية، التي تكتب بالفرنسية بعد رحيل كاتب ياسين، الذي توقف بدوره طويلاً. ووسط حالة من الجفاف الإبداعي عند كتاب آخرين موهوبين..

الطاهر جاعوت (1954/1/11م -1994/6/20م)

أصبح على الأدباء أن يموتوا من أجل إبداعهم، من أجل كلمات جميلة كتبوها يوماً ما، فكان لزاماً عليهم أن يخرج عليهم قوم ملثمون، بغتة، في ساعات النهار، ويطلقون النيران، فتتناثر دماء فنان، حاول أن ينثر من حوله الزهور، وأن يجسد من حوله المشاعر الجميلة، والنبيلة.

كان هذا هو حال الشاعر والروائي الجزائري الطاهر جاعوت الذي لقي مصرعه في 2 يونيه عام 1993م في مدينة الجزائر بعد محاولة اغتياله يوم 26

مايو من العام نفسه، وجاعوت شاعر لم يفعل شيئاً سوى أنه قــرض القصــيدة وحاول أن يزرع أملاً بكلماته.

يمثل الطاهر جاعوت واحداً من أبناء الجيل الثالث من الأدباء الجزائريين الذين يكتبون مباشرة باللغة الفرنسية، فحين ولد في عــام 1954م، كانــت الجزائر كلها تستعد للثورة وكان الثوار يقرأون روايات كاتب ياسين، ومولود معمري، ومولود فرعون، وحين كان في الثامنة، حصلت بلاده على اســتقلالها، فالطاهر من مواليد 11 يناير عام 1954م ،بمدينة أصفهان الجزائرية، وقد درس في هذه المدينة حتى المرحلة الثانوية، ثم اتجه إلى العاصمة. وهناك حصل علــى الليسانس في علوم الرياضة، ثم درس العلوم والصحافة.

وقد تولدت موهبة الطاهر الشعرية في سن مبكرة، أي وهو في الحاديــة عشرة من العمر، ورغم لغته الفرنسية، فإنه قد اهتم في شعره بالواقع الجزائري المعاصر، وفي عام 1975م نشر ديوانه الأول " المدار الشائك " ثم جاء ديوانه الثاني عام 1978م تحت عنوان " القوس حامل الماء "، وفي عام 1980م صدر ديوانه الثالث " قاطن الجزيرة وشركاه ". أما آخر دواوينه فهــو " العصــفور المعدني ".

ويمكن تقسيم إبداع الطاهر جاعوت إلى مرحلتين منفصلتين تماماً..

كان في الأولى شاعراً مليئاً بالغموض، ويهتم باللغة، وتراكيبها المعقــدة، انتهت هذه المرحلة تماماً عند بداية الثمانينيات فتوقف عن القرض، واتجــه إلى الرواية، حيث نشر أولى رواياته عام 1981م تحت عنوان " امــرأة متروعــة الملكية "، وفي عام 1984م نشر روايته الثانوية " البــاحثون عــن العظــام "، ومجموعة قصصية باسم " فخاخ الطيور " وفي عام 1987 نشر رواية "اختراع

الصحراء "، أما روايته " العسس " فقد فازت عقب صدورها عـــام 1991م ، بجائزة البحر المتوسط.

وقد تباينت دور النشر التي أصدرت هذه المؤلفـــات بـــين دار نشـــر في باريس وبين دار نشر جزائرية، وفي عام 1984م ، كلفته إحدى دور النشـــر الجزائرية بإعداد مجموعة من مختارات الشعر المعاصر المكتوب باللغة الفرنسية، بالتعاون مع إحدى الصحفيات تحت عنوان " الكلمات المهاجرة".

وطوال الفترة بين عام 1975م، وحتى اغتياله في الثـــاني مـــن يونيـــو 1993م عمل مشرفاً على الصفحة الثقافية في مجلة " الجزائر الأحداث " الـــتي تصدر باللغة الفرنسية في الجزائر، كما كان يراسل مجلة " أحداث الهجرة " التي تصدر في باريس، وفي بداية عام 1993م ، شارك في تأسيس مجلة " القطيعة " الأسبوعية وعمل مديراً لتحريرها، والتي كان هدفها الأساسي عمل قطيعة مـــع كل فكر ظلامي وضد شد الجزائر نحو الغد، حيث اهتم بتحديث اللغة والفكر، وقد شارك معه في تحرير المجلة أدباء من طراز " رشيد بوجدرة ورشيد ميموني " الذي قرر الهجرة إلى المملكة المغربية عقب اغتيال جاعوت بعـــد أن أصـــبحت حياته في خطر.

وإبداع الطاهر جاعوت يميل إلى الغموض، وليس من السهل قراءته حيث يدور النص كما جاء في موسوعة الأدباء الجزائريين حول مفاهيم خاصة مثـــل اللغة والهوية والمنفى، ومن بين قصائده المنشورة في ديوان " القوس حامل الماء "، يقول : (كما ترجمه إلى العربية الشاعر أحمد عبدالمعطي حجازي) تحت عنوان " أمل " :

الشعراء

وهيكل الأنوار
المشيد من فقار ظهوركم
هل تجد فيه أخيراً..
هذا الخبز الذي نبحث عنه ؟
أسمعها تصعد من فوقكم..
ضجة الأنهار..
ومن أحضان هياكلكم المتصلبة..
ينبس رفضكم أن تتسلقوا..
جدار الصمت !
أشتهي أن أعيد (...) كل شيء
في جسد – عاصفة
لقد فقدت إلى الأبد
نجم الرحلة الهاديء
وعلي أن أواصل تشردي
آه.. كم هو ثقيل جلد الشاعر !
سأغني حتى اللحظة
التي تصبح فيها المتعة
انفجاراً في الرأس..

هل أتحمل قدري الغاشم؟

داخل جلدي المؤقت..

هل لي مكان بين النجوم ؟..

ليس هناك إلا الخوف من أن ينتزعوا حلمي..

في حديث للكاتب الطاهر جاعوت إلى مجلة " شئون عربية " التي تصدر باللغة الفرنسية (عدد نوفمبر1992م) يقول عن مرحلة تحوله في بداية الثمانينات من قرض الشعر إلى الرواية : " الأنواع الأدبية التي مارستها قريبة جداً من بعضها البعض. وخاصة في هذه الأيام، حيث لدينا كتابة متفجرة. فمنذ عام 1981م ورغم أنني نشرت روايات فقط فإنني استمررت في كتابة القصائد. فمازلت أكن للشعر وقاراً كبيراً. والشعر بالنسبة لي هو الشكل الأكثر قبولاً. والأكثر سعة حتى من الرواية نفسها التي لا يمكنها أن تسبح فوق سلم مليء بالمرونة. ولهذا فإنني لم أعتبر نفسي روائياً. وأعتقد أنني كاتب أكثر مني روائياً. وأهم شيء في أي كتاب هو أننا نمارس فيه الكتابة. والعمل على مستوى اللغة هي التحول فالحكايات لا تهمني كثيراً. وأنا لا أجيد قص الحكايات سوى تلك القصص الخرافية التي رويتها في " الباحثين عن العظام ".

والغريب أنه رغم هذا الرأي الذي ذكره الطاهر جاعوت فإنه لم ينشر أية قصائد منذ اتجه إلى كتابة الرواية، وبدت هذه الكلمات أشبه برجل يشعر بأنه خان حبيبته السابقة،فراح يعدد في مآثرها دون أن يعود إليها أو أن يترك حبيبته الجديدة، لأنه بكل بساطة غير قادر على اتخاذ القرار أو لم تعد لديه القدرة على ذلك. خاصة أن تلك الحبيبة لديها من وسائل الجاذبية ما يجعله سابحاً في نهرها المتدفق..

فإذا كان الشعر قد عبر فيه الطاهر جاعوت عن لحظة آنية، مليئة بالغموض، اهتم فيها بتجريب حاد مع اللغة، فإنه في رواياته قد عاد إلى طفولته إلى تلك السن المليئة بحكايات جذابة ساحرة، فالكاتب هنا لا يستهويه ما يحدث على الساحة الاجتماعية السياسية في بلاده، لذا فإنه يهرب إلى زمن الطفولة، حيث تتملك المرء شهوة الحياة في مجتمع مثالي. والرغبة في الرحيل إلى الفضاء الرحب. وفي الحديث نفسه المشار إليه عبر الطاهر جاعوت عن هذه الحالة التي انتابته قائلاً : " أعتقد أن الطفولة تلعب دوراً بالغ الأهمية فيما كتبه. فروايتي الأخيرة " اختراع الصحراء "، تنتهي بالطفولة. إنها نوع من السيرة الذاتية للعديد من الشخصيات تبدأ بسن البلوغ وتنتهي بالطفولة مظللة بكل المشاعر التي يحسون بها وهذا هو حال كل أبطال الرواية ".

بالنسبة لي فإن الشيء الوحيد الحقيقي هو الطفولة. ولاشك أن تعلقي ببلاد هي في المقام الأول وطني وكان سببه ما تلقيته في طفولتي وجعلني أنتمي إلى هذا البلد. ولهذا فإن رواياتي الأربع لا تختفي بالنزعة القومية بنفس الشكل الموجود في الأب الجزائري بشكل عام.

علاقتي بالتاريخ الوطني والقومي هي علاقة انتقادية، قائمة على أساس تناقض التاريخ القومي، وعلى الذاكرة التجميعية والتاريخي الشخصي وأنا أحس دوماً أن هذا التاريخ الشخصي يساهم في خنق المشاعر القومية الحقيقية، ويضع ذلك كله في إطار ضيق وبالغ الحدة. أما أنا فإنني أنتمي لتاريخ آخر يتمثل في حق كل شخص في تاريخه وفي ذاته المتسعة..

وكما أثار الطاهر جاعوت نقاده في فهم عالمه الصعب والغامض، وكما أثار قائليه الذي اغتالوه لمجرد أنه كتب دون متابعة أعماله، فإن الطاهر جاعوت قد نفى عن نفسه أنه كاتب ملتزم، حيث قال في حديثه إلى مجلة " شئون عربية "

السابق الإشارة إليها : " لم أكن أبداً كاتباً ملتزماً، فذلك نوع من الفخاخ، كان يمكنني أن أسقط فيه عندما بدأت في الكتابة، ففي تلك المرحلة من الشباب المبكر كان المناخ العام في الجزائر ثورياً للغاية ومع ذلك لم أسقط في ذلك الفخ، لأنني فهمت الثورة الجزائرية بمفهومي الخاص "..

ويكمل الطاهر جاعوت في حديثه إلى الكاتب عبدالقادر زغلول قائلاً : "أنا كاتب يدافع عن القيم الأخرى.. فلديها معان أخرى في بلد مثل بلادنا، وأنا أحاول أن أعبر عن مواقفي في الصحافة، وليس هناك موقفاً نضالياً في كتاباتي ليس هنا موقف نضالي قوي. وقد رفضت دوماً أن أضع نفسي في أُطر أيديولوجية. ومرجعي في ذلك هو عاطفتي الخاصة. وإذا كنت أؤمن كثيراً بالأدب، فإني أؤمن بشكل أقل في بعض المفاهيم والقيم السياسية فلا كتابة بالنسبة لي مسألة خاصة، محاولة لتجديد العالم من حولنا..

عبدالحميد بن هدوقة

(1925/1/9 م- 1996/10/3م)

يمثل عبد الحميد بن هدوقة حالة خاصة في الأدب العربي المكتوب باللغة الفرنسية.

فحسب النقاد، ومؤرخي الأدب العربي، فإنه أول كاتب جزائري يؤلف رواية عربية في المغرب باللغة العربية، في الوقت الذي لم يتخل فيه عن عربيته كلغة، فإنه كان يقوم بكتابة بعض هذه الروايات باللغة الفرنسية، أو فلنقل أنه كان مترجمها على طريقته.

عبدالحميد بن هدوقة مولود في قرية الحمراء بولاية برج بوعريرج على بعد مسافة 200 كيلو متر من العاصمة الجزائرية، نشأ في بيئة فقيرة، لكنه اشتهرت بالعلم، فأبوه مدرس متبحر في علوم اللغة العربية، والفقه، وهذا يفسر عشق الصغير لهذه اللغة، وقيامه باستخدامها ككاتب طليعي في استخدام اللغة العربية..

في البداية، دخل بن هدوقة المدرسة الفرنسية، ثم انتقل إلى مدينة قسطنطينة ليواصل دراسته بجامع الكتانية، بعد أن سافر إلى تونس لدراسة فن التمثيل ثم عاد إلى الجزائر، وقد انضم الكاتب إلى كتائب المجاهدين الجزائريين، فطاردته سلطات الاحتلال الفرنسية، فهرب إلى فرنسا عام 1958م، وهناك استكمل دراسته في مدينة مارسيليا، ودرس الإخراج الإذاعي.

كانت البداية تأليف عدداً من المسرحيات الإذاعية باللغة الفرنسية، وحينما طاردته لغته العربية، عاد مرة أخرى إلى تونس، وعمل في إحدى الصحف المناهضة للاستعمار الفرنسي التي كانت تصدرها جبهة التحرير الوطني. كما استمر في تأليف المسرحيات باللغة الفرنسية ن والتي أخرجها بنفسه لإذاعة تونس. وفي عام1960م صدر كتابه الأول " الجزائر بين الأمس واليوم "وهو عبارة عن دراسة.

في عام 1961م صدرت مجموعته القصصية الأولى " ظلال جزائرية" باللغة العربية في بيروت، ثم صدرت مجموعته الشعرية " الأشعة السبعة " عام 1962م، ولم يتوقف عن تأليف المسرحيات الإذاعية. وفي عام 1967م صدر ديوانه " الأرواح الشاغرة ".

إلا أن الشهرة جاءت الكاتب عام **1971**م، مع روايته الأولى " رياح الجنوب " وذلك باعتبار أنها أول رواية جزائرية تصدر باللغة العربية، وهي الرواية التي تحولت إلى فيلم سينمائي أخرجه محمد سليم رياض عام **1976**م، وتدور الأحداث حول نفيسة الطالبة الشابة، التي تعود من العاصمة حيث تدرس لتمضي عطلتها الصيفية في قريتها الجبلية، لكن أباها يريد تزويجها من أحد شباب القرية باعتباره أهم وجوهها. لكن الاثنين معاً يرفضان الزواج بهذا المنطق التقليدي. تموت إحدى النساء العجوزات، قريبات نفيسة..

وأمام صدمة الموت، ترفض نفيسة مشروع أبيها، وعندما يحاول أبوها علاجها من خلال تعاويذ الشيخ حمودة، تهرب نفيسة لتلتقي بالفلاح الأمي رابح الذي يمثل لها باب المستقبل الجديد، فتقنعه أن يتطوع في إحدى التعاونيات الفلاحية، ويذهبان إلى العاصمة، يطاردها أبوها بجواده، لكن الأتوبيس يسبق الجواد.

وقد تكرر العالم نفسه في روايته " بان الصبح " عام **1983**م، وإن كانت الأحداث تقع في المدينة، ونشير إلى التطور الكبير الذي وقع في الجزائر في هذه المرحلة في مختلف أوجه الحياة بعد عشر سنوات من الثورة الجزائرية. وذلك من خلال مناقشة الميثاق وفي مجال صراع الأجيال، والتناقضات التي وقع فيها المجتمع، ومدى التقصير الاجتماعي والحضاري في الجزائر الحديثة.

وفي روايته " الجازية والدراويش " عام **1983**م ، استخدم الكاتب عبدالحميد بن هدوقة الأسطورة، وخرج عن الشكل الذي سبق أن مارسه في رواياته الأخرى،وقدم الجزائر في صورة المرأة الجازية مستخدماً اسم السيرة الهلالية، وكيف هي مرغوبة من طرف عدة ذوات معبراً عن تعقيد الصراعات

الفردية والأحاسيس الجماعية. إنها امرأة نموذجية لا يمكن لأحد أن ينالها، وهـــي دائماً في طريقها نحو المستقبل.

عمل بن هدوقة في العديد من المناصب الثقافية بالجزائر، وحصل علـــى جائزة الدولة التقديرية في بلاده عام **1987**م، أما أعماله الأخرى، فهي " نهاية الأمس " رواية عام **1974**م، و " غداً يوم جديد" روايـــة عـــام **1991**م ثم " أمثال جزائرية " الصادر في الجزائر باللغة العربية عام **1991**م، وكان قد قـــام بتجميع مجموعة من " روائع الأدب العالمي " صدرت في الجزائر عام **1983**م.

مليكة مقدام (1949/10/5م) Malika Mokeddem

الكاتبة الجزائرية مليكة مقدام هي الأديبة العربية الأكثر قراءة الآن خارج أوروبا فيما يخص الأدباء العرب الذين يكتبون بالفرنسية، فقد قامت الدكتورة مليسا ماركوس بترجمة أعمالها الأدبية تباعاً إلى اللغة الإنجليزيـــة في الولايـــات المتحدة، وشكلت في السنوات الأخيرة ظاهرة خاصة في الأدب العربي.

وقبل أن نتحدث عن الكاتبة مليكة مقدام، فإنه من المهم أن نتعرف على مليسا ماركوس (**1956**)، فهي أستاذة للأدب الفرنسي بجامعة أريزونا، وتزور فرنسا كل عام من أجل اختيار الروايات العربية التي تصلح للقاريء الأمريكي.

مليكة مولودة في أسرة جزائرية في بشار، القنادسة القريبة من وهران، من أبوين مزارعين لم يتلقيا أي قدر من التعليم، أما مليكة نفسها فقـــد التحقـــت بجامعة " وهران "، ثم ا ختارت السفر إلى فرنسا، واستكملت دراستها في كلية الطب بمونبلييه، ولم تكف منذ طفولتها عن النضال من أجل أن تتعلم، وتحســـن ظروفها الاجتماعية.

ورغم أن ملكية مقدام لم تترك الطب، فإنها نشرت عدة روايات منـــها " الرجال الذين يمشون " عام **1991**م، و "قرن الجراد " عام **1992**م، وفي عام **1933**م نشرت روايتها الثالثة " الممنوعة " التي حصلت على تقدير خاص من لجنة تحكيم جائزة فيمينا، ثم "أحلام وقتلة "عام**1995**م، وفي رواياتها فإن مسيرة الكاتبة موجودة بدرجات مختلفة، فسلطانة بطلة روايتها " الممنوعة " هي نفسها مليكة مقدام، إنها تعمل طبية في إحدى المستشفيات الفرنسية تصلها رسالة ذات يوم من قريتها الجزائرية عين النخلة، الرسالة كتبها ياسين، الرجل الذي أحبتـــه ذات يوم.

وتلملم سلطانة حاجياتها، وتلبي نداء قلبها، وتعـــود إلى الجزائـــر، وفي القصر الصغير الذي تربت فيه تسترجع ذكريات الطفولة، والحب الأول، لكنها سرعان ما تحس أنها منفية في هذا المكـــان الـــذي يســـيطر عليـــه الممنـــوع، والتهديد،فسرعان ما يتم وضع المرأة مع النساء الأخريات ويتم إغلاق البـــاب عليهن جميعاً.

تعرف سلطانة أن حبيبها ياسين قد وافته المنية، وأنه كتب رســـالة إليهـــا بالفعل قبل الرحيل، وأنه كان طبيب مثلها وأنه قرر العودة إلى قريته حين أحس بدنو أجله، وكتب إليها يرجوها أن تلقاه هناك، لكنه مات قبل أن يتم اللقاء..

تقرر سلطانة أن تفتح العيادة التي كان يملكها ويديرها ياســـين حـــتى لا تموت الذكريات، وتمشي الحياة على وتيرتها إلى أن يصل إلى نفس المكان شاب فرنسي يدعى فانسان، يبحث أيضاً عن ذكريات ضائعة. ويتردد على العيـــادة، وتقوم بينه وبين الطبية قصة حب، ولكن هذه العلاقة لا تروق للكثير من أبنـــاء القرية، وتبدأ اللعنات تنصب على الفتاة القادمة بعاداتها الأوربية، وتبدأ الأمور بتهديدات خفيفة، تصل إلى التهديد بالقتل لها ولحبيبها الفرنسي.

وبالفعل فإن التهديدات تأخذ شكلها العنيف حين تـتم مهاجمـة مـترل الدكتورة سلطانة بالشعلات، ويرموها بالجمر، مما يضـطرها إلى الهـرب مـرة أخرى، وأن تعود إلى فرنسا.

والكاتبة تصف كيف ينظر المتطرفون الجزائريون إلى امرأة مـن طـراز سلطانة، فهي في عيوهم فاجرة، خارجة عن إطار الشريعة، و" مستغربة " ولـذا فإنها يجب أن تستتاب، لأنها عاهرة، والمتطرفون هنا لا يتورعون عـن فعـل أي شيء، حتى ولو قذف العيادة التي تدير بها بـالنيران غـير عـابئين بالمرضـى الموجودين هناك، ويحتاجون إلى الرعاية، وليس إلى العقاب.

في روايتها " غولة في السيولة " المنشورة عام **2001**م، تـدخل مليكـة مقدام في عالم أقرب إلى الأوديسا، وأوليس هنا هو امرأة تـدعى نـورا، لقـد استيقظت لتوها، بعد أن شاهدت حلماً بأنها تبحر وسط البحر المتوسط، ليست رحلتها على غرار رحلات أوليس في اليونان القديمة، ولكـن علـى الطريقـة الجزائرية الحديثة أما بنيليوب ــ زوجة أوليس ــ فهي هنا رجل مخلـص اسمـه حجيل، إنه عاشق لنورا وتصف مليكة مقدام أوديسا للعصر الحديث، رحلة في بلاد ابتعدت عن العقل، نورا الغولة، تتساءل عـم إذا كـان البحـر رقيقـاً كالأطلال مثلها أفضل، إنها امرأة، شيء ضخيم، قلب كـبير يخفـق، دم أزرق ينبثق من أرض الخروج. لا تبحث نورا عن أرضها ولكن عن هويتها، فاسمها هو " نزيد " إنه اسم عربي له معنى " استمر "، أو "انكر ".. بالنسبة لنورا، فـإن نورا تستمر في الإنجاب، وتعود إلى الحياة دوماً. من أعمالها الأخرى "رجالى" عام **2005**م، و"أدين بكل شيء الى نسيانى" **2008**م، و"الراغبة" **2011**م.

بو علام صنصال (1952م)

ما هو شكل الأدب العربي المكتوب باللغة الفرنسية بعـــد مـــا يقرب من 40 عاماً على استقلال الجزائر عن فرنسا.

فبعد أربعين عاماً على تحرير الجزائر عن فرنســـا صـــار علـــى الكاتب أن يختار لغته إما العربية التي تعلمها أو الفرنسية الـــتي هاجر إليها، ولعل أبرز هؤلاء من الجيل التالي الكاتب الروائي بو علام صنصال..

صنصال لم يكن يوماً روائياً، فهو باحث اقتصادي، قدم العديد مـــن البحـــوث حول دور الاقتصاد في الحياة المعاصرة، حيث آمن الكابتن أن بـــؤرة مشـــاكل

الجزائر الحديثة تتمثل في الاقتصاد، وأن الجزائر تمر لن عثرتها إلا مـــن خـــلال قدرتها على تجاوز محنتها الاقتصادية.

لكن رؤية الكاتب للاقتصاد لم تستهو القراء، وفضلت تجربة التـــأليف في مجال الإبداع، فاتجه الكاتب إلى قراءة الأدب، والرواية بشكل خاص، واكتشف أن هناك دولاً بعينها قد تغير مسارها تماماً تبعاً لما ألفه الأدباء، مثلما فعل الكاتب الروسي سولجنتسين حين كتب العديد من الروايات بهدف إصلاح بلاده مـــن وطأة النظام الشيوعي..

وأحس صنصال أن الكاتب الروسي كانت له قوة الجيـــوش المتحاربـــة، فاستطاع أن يغير في الأفكار، وقرر أن يؤلف روايته الأولى " البرابـــرة " عـــام **1996**م، ثم جاءت روايته التالية " طفل الشـــجرة المنســـابة المجنـــون " عـــام **1999**م، واللتين تحمس لهما كثيراً الناشر جاليمار رغم ضخامة حجـــم كـــل منهما.

وجد بوعلام صنصال في الرواية متسعاً ليتكلم في الاقتصاد، والسياســـة، والحياة الاجتماعية، وأحس الكاتب أنه لو نشر الرواية في الجزائـــر، في ظـــل الظروف الصعبة التي تمر بها البلاد، لانفتحت عليه أبواب جهنم، لـــذا اقتـــرح الناشر الفرنسي أن تنشر الروايتان باسم مستعار، لكن بوعلام رفض وقـــال أن الكاتب يجب ألا يخفي اسمه طالما أنه لا يخفي أفكاره.

يقول الكاتب أن الجزائريين حملوا السلاح في البداية، وناضلوا معاً ضـــد الاحتلال الفرنسي حتى إذا انتهت الحرب، صاروا يحملون السلاح للاقتتال فيما بينهم فيما يشبه الحرب الأهلية، مما دفع الكثير من أبناء الـــوطن للـــهجرة إلى جنوب أوروبا، خاصة فرنسا، وهو يردد : هل أظل حبيساً بين جـــدران بـــيتي

وأبكي مكتوف اليدين حيال مأساة بلدي. إن هذا السلوك لا يمت إلى شخص، لذا عبرت عن ثورتي، وغضبي من خلال كتابة الرواية.

ويقول الباحث الجزائري محمد بن عبدالكريم عن الروايتين، أن صنصال أحدث دوياً في الأوساط الأدبية الفرنسية من حيث ا لشكل الأدبي للروايتين أو المضمون، لذا فإن الروايتين تم ترشيحهما لنيل أكثر من جائزة فرنسية كبرى.

رواية " طفل الشجرة المنسابة " تتحدث عن طفل صغير أشبه بالجزائر، يرى المؤلف أنه انحرف عن مجراه مثلما يحدث أحياناً للنهر، فالجزائر توالى عليها الاستعمار باستمرار، احتلها الرومان، والأتراك، والفرنسيون، والعرب، وفي إطار من الحبكة البوليسية، يروي تاريخ هذا الطفل عبر سنوات النضوج الأولى، ويقول الكاتب : " عندما بدأت كتابة روايتي كنت أتصور نفسي ضائعاً ولا يمكنني الخروج من هذه المتاهة لذلك كنت مجبراً أن أواصل تحقيقي البوليسي في كل الاتجاهات مثل أغصان الشجرة التي تتفرع في كل الأركان، بينما يبقى الجذع هو الأساسي.

ويقول بوعلام صنصال أنه رغم عملة التعريب التي شهدها البلاد فإن اللغة العربية لا تزال ضعيفة لدينا، ولهجتنا المحلية غير صالحة للكتابة الأدبية واللغة الوحيدة التي تكتب بها هي اللغة الفرنسية، ومازالت اللغة الفرنسية هي المستخدمة في الإدارات والعمال. ولحسن الحظ أن الرئيس بوتفليقة خرق هذا التابو، أي التقيد فقط باللغة العربية..

ياسمينة خضراء (1955/1/10م) Yasmina khadra

هو الاسم المستعار للكاتب الجزائري محمد مولسهول، وهو اسم زوجته، مولود فى كنداسا، فى صحراء الجزائر، كان ابوه ضابطا فى منظمة التحرير، أرسل ابنه فى سن التاسعة الى المدرسة العسكرية ليكون ضابطا، وبالفعل فقد عمل ضابطا لمدة ربع قرن، وترقى فى الرتب العسكرية، نشر ست روايات باسمه الحقيقى بين عامى **1984**م، **1989**م،

وحصل على العديد من الجوائز الأدبية، وكى يهرب من الرقابة العسكرية، بدأ بنشر أعماله باسم زوجته فى العديد من الصحف، واتخذ العديد من الاسماء المستعارة حتى استقر على اسم زوجته عام **1990**م، والتى كانت سعيدة أن

يحمل زوجها اسمها، عمل مديرا للمركز الثقافى الجزائرى، رشح اسمه للرئاسة عام 2013م، الروايات التى نشرها باسمه الأصلى هى "آمين"، و"حورية" 1984م، و"بنت الجسرى" 1985م، و"القاهرة زنزانة الموت" 1986م، و"الجانب الآخر من المدينة" 1988م، و"تميز العنقاء" 1989م، أما رواياته التى تحمل اسمه ياسمينة خضراء، منها "بيت البيوت" 1993م، و"مرريشورى" 1997م، وهى رواية بوليسية تحولت الى فيلم جزائرى، 1998م، و"الأبيض المزدوج" 1999م، و"خاتم السيد" 1999م، و"خدعة الكلمات" 1998م، "الكاتب" 2001م، و"عنديب كابول" 2002م، التى تم تحويلها الى المسرح، و"ابنة العم كاف" 2004م، "الاغتيال" 2005م، التى تحولت الى فيلم، وفازت بجائزة مهرجان مراكش 2012م، ومن أعماله أيضا "عرائس بغداد" 2006م، و"قطاع جزائرى" 2008م، و"ما يجب أن يقدمه النهار الى الليل" 2008م، التى تحولت الى فيلم من اخراج الكسندر أركادى، و"ليلة الندم الطويل" 2010م، و"فى انتظار القردة" 2014م، و"ليلة الريس الأخيرة" 2015م، التى يروى فيها على لسان معمر القذافى كيف قضى ليلته الأخيرة فى الحياة، ويتذكر محطات رئيسية فى حياته، عن حبه للنساء، وأشخاص قتلهم، وذلك كنوع من الاعتراف بما فعل، حصل على العديد من الجوائز عن أعماله الروائية، وكتب العديد من المسرحيات، وأيضا قصص مصورة، وكتب نصوصا لمسرح العرائس، وحصل على تكريمات عديدة منها جائزة هنرى جال عام 2011م التى تمنحها الاكاديمية الفرنسية.

نينا براوى (31/10/1967م) Nina Bouraour

ولدت في مدينة رين الفرنسية من أب جزائري وأم بريتونية، سافرت في نفس عام ميلادها إلى الجزائر، وعاشت هناك أربعة عشر عاماً، قريباً من صحراء حجار وتسالي. وجدت نفسها بين ثقافتين، الثقافة الجزائرية، الفرنسية الجزائرية عاشت أسرتها في حياة شبه انعزالية، فلم تختلط بالأسر الأخرى، أو بالجيران، وعاشت في مجتمع الملونين، وكما قالت نينا، فإنها عاشت حياة قاسية، وهي تقول إن الكتابة هي وطني الحقيقي، والشيء الوحيد الذي عشته حقاً، والأرض الوحيدة التي وطأتها..

كانت نينا قد كتبت أول قصة لها عام **1976**م، أي وهي في التاسعة من العمر، وقد رحلت أسرتها من الجزائر عام **1981**م، والتحقت نينا بالمدرسة الثانوية بزيورخ بسويسرا عام **1982**م.

فازت نينا براوى بجائزة أدبية مهمة في عام **2005**م هي جائزة رينـــودو، عن رواياها " أفكاري السيئة "، ولم تكن أولى جائزة تحصل عليهـــا في فرنســـا، حيث حصلت عام **1991**م أي وهي في الرابعة والعشرين من العمر عن جائزة الكتاب الدولي عن روايتها الأولى " المتلصصة الممنوعة "، هذه الروايـــة الـــتي ترجمت إلى اللغة الألمانية في العام التالي لنشرها، وفي عـــام **1992**م، صـــدرت روايتها الثانية " قبضة ميتة "، ثم نشرت روايتها الثالثة " حفل " عام **1996**م، وفي عام **1998**م نشرت " العمر المجروح " وفي عام **2000**م نشرت روايـــة " الطفل الناقص "، ثم " الحياة السعيدة " عام **2002**م، و " الدمية الحلوة " عـــام **2004**م، وفي عام **2006**م نشرت رواية " يوم السمسم "، ثم "نادني بـــاسمي" **2008**م، و"قبلات وداعنا" **2010**م، و"متوحش" **2011**م، ومسرحية بعنوان "رهائن" **2015**.

يعني هذا أن أعمال نينا براوى غزيرة، قياساً إلى سنها، والسنوات الـــتي اتجهت فيها إلى الإبداع وهي روايات منشورة في فرنسا، لكنها في أغلبها عـــن المرأة الجزائرية.

رواية " أفكاري السيئة " تناقش طفولة الراوية، والأخطار المحدقة بحياهـــا العاطفية في شكل اعترافات نفسية تحليلية، إنها رواية بمثابة تصريح عـــن حيـــاة الحب في الجزائر وفرنسا، تتحدث حول حالات الانفصال وإعادة التوحد.

في روايتها الأولى تتحدث عن الجزائر، أرض الطفولة، هي البلد العنيف، حيث يجب على المرء أن يكون قوياً، خاصة إذا كان أنثى، من رواية إلى رواية، بدأت تكتسب الثقة، فهي تحس بالخوف الذي يمنعها أن تقول " أنا "، لكنـــها تحس خارج الجزائر بالحرية أن تتكلم عن الطفولة والأرض.

روايتها " طفل ناقص " هي أول عمل سيرة ذاتية تقدمها المؤلفة، بعد خمس روايات، وهي تتحدث حول ذلك قائلة : " إنها المرة الأولى التي أتكلم فيها عن نفسي دون أن أكذب، فعندما بدأت في الكتابة كانت هناك أهمية مطلقة لسياسة السرد، ورؤية الكذب، كان لديّ ما يكفيني من الخوف، الخوف الذي يحكم حياتي، ومع مرور الزمن، حلت نهاية الخوف، كانت لديّ إرادة التغير، وأن أقول أشياء ن كانت تسكنني فيما قبل.

وترى الكاتبة أن " أنا " أو " **Je** " هي أنا التي هي مرجعية للذات، فيجب أن نسمي الأسماء، والناس والعالم الذي يحوطنا، فأنا لديّ إرادة عمل أسلوب، أن أصنع نموذجاً وأنا أمتلك تعبيري، يخصني، بجمل تتمثل في كلمة واحدة، فيما قبل كان هناك نوع من الضغط، في الكتابة، وفي الجانب الجمالي، هناك معنى.

وعن الثقافة العربية قالت الكاتبة في الحديث المنشور على شبكة المعلومات، أنها تعلمت اللغة العربية طوال خمسة عشر عاماً، ومع هذا فإن الفرنسية هي اللغة الرئيسية بالنسبة لها، والمهم هو موسيقى الكلمة، فهناك تناغم حميم دافيء، حسي، إنه موجود في الجزائر أكثر مما هو متاح في فرنسا، كانت هناك فترات صمت في طفولتي، وقمت بعمل مزلاج لداخلي، إنه موجود أكثر في هذا الكتاب لأنه سيرة ذاتية، مع بعض الأشياء المترابطة " وترى المؤلفة في سيرتها الذاتية أن الجزائر أرض مميزة بشكل ملحوظ، حتى في جغرافيتها "، فالكلام عن الجزائر، هو عنف بقوة،والكلام عن الجزائريين في فرنسا، هو نوع من العنف، لقد كتبت هذا الكتاب من أجلي ولكن بشكل خاص لكل الناس الذين يتكلمون. الذين عقدوا زواجاً مختلطاً، المهاجرون الجزائريون هنا، وهناك الذين يسكنون ويقيمون، ويتكلمون عن البلدين، الذين يمارسون الحرب،

ويستكملون حياتهم بشكل ما. إنه أمر عنيف، يعني هذا أن النص أكثر قرباً من الدموع والعيون من الحقد.

في 31 مايو 2004م، أجرت مجلة " لاكسبريس " حواراً مطولاً مع نينا، عكس أهمية الكاتبة في الحياة الأدبية، بمناسبة صدور روايتها " الدمية الحسناء "، قالت فيه : " لقد عشت طويلاً بعيدة عن الاتصال مع الآخرين، وبدأت في الكتابة، وفي الكلام والحب في ا لوقت نفسه، عندما كانت طفلة "، قالت. أن أمها قد جاءت مع أبيها إلى الجزائر بعد أن أحدثت قطعية مع أسرتها، إنه ا لحب، وأيضاً لأسباب سياسية، فقد نجحت الجزائر، في أن تثير التعاطف معها، لكنها أحست بالاختناق في الجزائر، وانعكس هذا على أسرتها، فقد عانت الأم من مجتمع الذكورة العنيف، فقد أحست المرأة أنها ليست فرنسية، وليست جزائرية، وعندما كانت الأسرة في رحلة إلى فرنسا، قررت الأم عدم العودة، كانت ابنته في الرابعة عشر، أي في عام 1981، وقد تركت الفتاة أشياءها وراءها، طفولتها، وأصدقائها، وكانت تلك القطعية بالغة العنف، وبدأت حياتها الثانية، وتقول أنها نست نبرتها الفرنسية الجزائرية خلال أسبوع، كما أنها أرادت نسيان الجزائر، لكنها عادت إليها من خلال الكتابة، فقد استفادت أشباح الجزائر من خلال ما كانت تكتبه.

وقد جاء في روايتها أن " كل الرجال أباء "، وأن كل النساء منسيات، لقد تساءلت دوماً لماذا هناك شذوذ جنسي، هل للهروب من عالم بالغ العنف الرجالي، عندما كنت طفلة، كنت مغرمة بالفتيات، ووجدت هذا شيئاً طبيعياً، لكن أعرف أنني مختلفة. قلت أنني وددت أن أكون صبياً، وإنني أحب الفتيات، وقد سبب لي هذا المزيد من المتعة، وعندما حدث مراهقة، ذهبت إلى أقصى ما لدي. كنت خائفة من لا شيء، أردت أن أموت حباً، في سن الثامنة عشر، بعد

وصولنا إلى باريس، نظرت في برامج الخروج، وقرأت " كتاماندو "، نادي نسائي، وذهبت إليه، وعانقت فتاة، ونظرت إلى نفسي في المرآة وفكرت " حسناً، هاأنذا"، وتمت التسوية.

وقد عكست الكاتبة في هذه الرواية، ربما لأول مرة، رغباتها الحسية في النساء، وأنها سحاقية، ولعلها ظاهرة لم تحدث كثيراً في الأدب العربي المكتوب بالفرنسية، فالمرأة تعاني من سطوة الرجل، لكنها لم تلجأ إلى امرأة مثلها، وفي حديثها تقول نينا أنها تحب جمال النساء، والحسية، والرقة، وأنها لم تخجل أبداً من ذلك، فالمعاناة تأتيها من عالم الآخرين حيث لا تجد مكاناً لنفسها، فالسحاق يظل صامتاً، سرياً، ويجب أن تمارس الرغبة في الليل، ونحن نعرف أن الليل عنيف، لكنني أحب هذا السر، وهذا النحو، فالحياة الجنسية هي وسيلة لسلك طريق العبور، وإطالة الشباب، عن غير الطريق العادي وهو الزواج والأبناء، أجد أنه من الرائع أن أحب الشخص نفسه، وأن أعيش معها، لكنني ضد الزواج من أجل الجنس، فهذا لا يمنحنا الاحترام، ويمكن للشواذ حقوقهم مثل كل الناس، والشذوذ ليس بديلاً عن الجنس الآخر، إنه نوع آخر من الحب.

قائمة بأهم الأدباء الجزائريين الذين يكتبون بالفرنسية

آبا، نور الدين (1921م)

ولد في مدينة سطيف، درس القانون في الجزائر، ثم سافر إلى فرنسا وإيطاليا، عمل صحفياً وناضل من أجل القضية الفلسطينية، ثم عاد بعد طول اغتراب إلى الجزائر عام **1977**م ، شاعر، من أهم دواوينه : " فجر الحب " عام **1941**م ، و" وراء الظلال " عام **1942**م، و " أبواب الغروب " عام **1943**م، و " أغنية ضائعة لبلاد عائدة "عام **1978**م، ومن مسرحياته " آخر يوم للنازي " عام **1982**م.

براوي، نينا (1967م)

انظر الفصل الخامس

ابن هدوقة، عبدالحميد (1925م - 1996م)

انظر الفصل الخامس

بلغانم، وبير (1925م)

ولد في باريس، عمل بناءً، وأقام في الجزائر، ثم رحل إلى باريس، شاعر من أعماله " نزهة مع ظلك "عام **1954**م ، " ليلة أتالي " عام **1925**م، و" القفزة المستعادة "عام **1974**م ومسرحية عن " سبارتاكوس " عام **1970**م.

جاعوت، الطاهر (1954م -1994م)

انظر الفصل الخامس.

جبار، آسيا (1936 م – 2015م)

انظر الفصل الخامس.

حمروش، تاوس (1913/3/4 م - 1976/4/2م)

ولدت في تونس، شقيقة جان حمروش، تنقلت بين باريس وتونس، بدأت نشاطها بكتابة الأغنية، تزوجت من فنـــان تشـــكيلي، وعملـــت في الراديـــو التونسي، روائية وشاعرة من أهم أعمالها : " البذرة السحرية " عـــام 1966م، ورواية " العاشق الخيالي " عام 1975م، و"وحدة أمـــي" 1995م ومجموعـــة كبيرة من الأغنيات منها "أغنيات الأطلس".

حمروش، جان (1906/2/6م- 1962/4/16م)

اسمه الحقيقي جان المحب، ولد في قبيلة صغيرة، وهاجر مـــع أســـرته إلى تونس، ودرس هناك، عمل مدرساً ثم سافر إلى أوروبا، وعندما عاد إلى الجزائـــر عمل في الإذاعة الفرنسية، كما عمل في الإذاعة الجزائرية، مارس السياسة، توفي في باريس، شاعر، من أ هم دواوينه المنشورة في تونس " رماد " عام 1934م، و"النجمة المقدسة "عام 1937 م، و"أغنيات بربريـــة" 1960م، كمـــا نشـــر مجموعة من اللقاءات مع بول كلوديل، وأندريه جيد، وفرانسو مورياك.

بوجدرة، رشيد (1941م)

انظر الفصل الخامس

الحمراوي، علي (1902م .1950م)

ولد في أسرة من عين الحمام، سافرت أسرته إلى مكــة، ثم اســتقرت في الإسكندرية عام 1922م، سافر إلى بلاد عديدة، واستقر في القاهرة، مــات في حادث عام 1950م، روائي، نشرت روايته " إدريــس " عــام 1948م، ثم أعيدت طباعتها باللغة العربية عدة مرات.

ماجي، بشير علي (1929م -1991م)

ولد في أسرة بسيطة، ودرس في المدرسة القرآنية، ثم في مدرسة فرنســية، عمل في مجال النشر، دخل السجن عام 1954م، أقام في بــاريس والجزائــر، شاعر، وكاتب مقال، من أهم رواياته " أغنية من أجل 11 ديســمبر " عــام 1961م، و" لتستمر البهجة "عام 1970م.

داوود، كامل (1997/6/17م)

مولود فى مستقام، درس علوم الرياضة، كتب الرواية والقصة القصــيرة، من أعماله "قصة قزم" 2003م، و"ميرسو" 2013م، حصــل علــى جــائزة جونكور للرواية الأولى عام 2014م عن "النهائى".

ديب، محمد (1920م – 2003م)

انظر الفصل الخامس.

صنصال، بوعلام (1952م)

انظر الفصل الخامس.

عاشور: مولود (1944م)

صحفى واستاذ جامعى يكتب القصة القصيرة، من أعماله "أيام القلــق" 1983م، و"الأخوة بوخاتم" 1989م، و"عودة الصمت" 2011م.

عمراني، جمال (1935م)

ولد في سور الغزلان، ودخل السجن عقب اشتراكه في مظاهرات، هاجر إلى سويسرا واشترك في إصدار العديد من الصحف الجزائرية مثــل جريـــدة " الشعب "، وعمل في الإذاعة، شاعر، من أهم دواوينه : " أغنية لـــلأول مـــن نوفمبر "عام 1964م، " شمس ليلنا " عام 1964م، و" خدود بلون الشمس " (شعر) عام 1979م، له مجموعات قصصية منها " الغــروب الأخــير" عـــام 1978م ، ومن مسرحياته " بين الأسنان" و " الذاكرة " عام 1979م.

فارس، نبيل (1940م)

كاتب ومحلل نفسى، شاعر، ولد في القبيلة الصغيرة، التحــق بــالجيش، درس الفلسفة، رحل إلى أماكن عديدة في العالم، روائي وشاعر، من رواياته : " يحيى قليل الحظ " عام 1970م، و " عابر الغرب " عام 1971م، و " حقــل الزيتون " عام 1972م، و " ذاكرة الغائب " عام 1974م، و" موت صــالح باي" عام 1980م، أما دواوينه فمنها " أغنية عقالي " عام 1971 م وله أيضًا "المهاجرات" 2006م، و"العربية الصغيرة التى أحبت مقعدان جوخ" 2002م، "كان ياما كان الجزائر" 2001م.

فرعون، مولود (1913م - 1963م)

ولد في القبيلة الكبيرة، ابن أسرة ريفية، عمل في الزراعة. ثم ذهــب إلى المدرسة، ثم عمل في التدريس. اغتيل في عام 1963م، روائي وشاعر من أعماله الروائية : " ابن الفقير " عام 1950م، و" الأرض والدم " عــام 1953م، و " أيام القبيلة " عام 1954م، و " طرق صاعدة " عام 1957م ومــن أعمالــه الأخرى : " أشعار سي مهند " عام 1960م، و " يوميات " عــام 1962م، و "نصوص جزائرية " عام 1962م.

معمري، مولود (1917م)

انظر الفصل الخامس.

مقدام، مليكه (1952م)

انظر الفصل الخامس.

ميموني، رشيد (1945م . 1995م)

انظر الفصل الخامس.

ياسين، كاتب (1929م . 1989م)

انظر الفصل الخامس.

بو علام صنصال.. ونهاية العالم

> يشعر المرء بالأسى الممزوج بالفخر، وهو يتابع ما حققه الأدباء العرب المكتوب باللغة الفرنسية، يأتي الشعور بالأسى أننا نتعامل مع إبداعات هؤلاء الكتاب على أنهم أبناء العبدة السوداء ليس لهم أهمية رغم أنهم قد قاموا بترصيع الأدب العالمي المعاصر بمفردات أدبية ولغوية جديدة متألقة،

وهذا هو سبب المفخرة بالأدباء العرب الذين يكتبون بالفرنسية، والذين تتبعت مسيرتهم منذ سنوات طويلة وخصصت عنهم كتابين صدرا بين عامي **1994** و **2010**، وقد اكتشفت دوما أنهم يتزايدون وتتنامى أعمالهم بشكل ملحوظ، خاصة في الأدب الفرنسي، ومع أول سبتمبر الماضي تعاظمت هذه المكانة بروايتين صدرتا لكاتبين جزائريين أثارا جدلا كبيرا: الأول هو ياسمينة خضرا بروايته "ليلة الريس الأخيرة " حول كيف قضى معمر القذافي ليلته الأخيرة قبل أن يقتل فراح يتذكر كل ما فعله طوال حياته

أما الكاتب الثاني الذي سنخصص له حديثا منفردا هنا، فهو بو علام صنصال، وهو أيضا جزائري يعيش في فرنسا تخيَّل في روايته الأخيرة كيف سيكون شكل العالم، خاصة العربي، في عام **2084**، أي بعد قرن كامل من أحداث رواية "**1984** " لجورج أورويل، وهي الرواية التي جعلت المجلات الثقافية، ومساحات الأدب في الصحف والمجلات غير المتخصصة تفرد كتابات إعجاب ودهشة بالرواية الجديدة التي تحمل عنوان **2084** "نهاية العالم".

من المهم التعرف على المؤلف الجزائري الذي يعيش بين فرنسا والجزائر، فهو أحد الذين اصطدموا كثيرا بالديمقراطة المزعومة في بلاده، وأرقهم

هذا الأمر، فقد عاش الكاتب المولود عام **1949** بالجزائر في بلاده حتي فترة قريبة، وظل مرتبطا بها، وقد ابتعد قليلا لأسباب أمنية، لكنه لايزال مقيما بها متمسكا بأرضها ولا يغيب.

نحن أمام رجل مولود قي قرية صغيرة فوق المرتفعات اسمها تنيت الهاد، تقع فوق الهضاب، هو مهندس وخبير في المدرسة الوطنية لتنقنيات الألياف، كما حصل على الدكتوراه في علم الاقتصاد، هو معلم ومستشار ورئيس مقاولات من الطراز البالغ التطور كخبير، كان صديقا للكاتب المعروف رشيد ميموني الذي نصحه بالتوجه للكتابة، وميموني هذا روائي يكتب بالفرنسة كان مطلوبا دوما من المتشددين إلا أنهم لم يلحقوا به وسبقهم مرض الكبد إليه عام **1995** وهو في الخمسين من العمر، كما أن صنصال تأثر بزميله الشاعر الطاهر جاعوت الذي قتله المتشددون وهو صاحب العبارة الشهيرة ": إذا تكلمت ستموت، واذا لم تتكلم ستموت.. إذن عليك أن تتكلم وتموت"

في كتاباته كان صنصال مختلفا تماما عن الموظف الكبير الذي يعمل لدى وزارة الصناعة، فهو لم يحب النظام السوفييتي الديكتاتوري الذي انتهجته الجزائر بعد الاستقلال، ثم ماذا حدث في البلاد بعد أن انتشر الإسلام السياسي حيث أصابت الحرب الأهلية البلاد، وقد حاول الكاتب أن يتفهم ما حدث وما يدور، فلم يعجبه الأمر وتفرغ للكتابة، ونشر روايته الأولى "قسم البربر " عام **1997**، التي حصلت على جائزة الرواية الأولى، وما يسمى بالجائزة القطبية، هو باحث اقتصادي قدم العديد من بحوث حول دور الاقتصاد في الحياة المعاصرة، حيث آمن أن بؤرة مشكلات الجزائر الحديثة تتمثل في الاقتصاد لأن البلاد لن تمر من عثرتها إلا من خلال قدرتها على تجاوز محنتها الاقتصادية. لكن رؤية الكاتب للاقتصاد لم تستهو القراء، وفضل تجربة التأليف في مجال الإبداع

القصصي، فاتجه أولا إلى قراءة الأدب، والرواية بشكل خاص، واكتشف أن هناك دولا بعينها قد تغير مسارها تماما تبعا لما ألفه الأدباء، مثلما فعل الكاتب الروسي الراحل ألكسندر سوليجنتسين حين كتب العديد من الروايات بهدف إصلاح بلده من وطأة النظام الشيوعي.

وأحس صنصال أن الكاتب الروسي كانت له قوة الجيوش المتحاربة، فاستطاع أن يغير الأفكار، وقرر أن يؤلف روايته الأولى "قسم البرابرة " عام **1996**، ثم جاءت روايته الثانية "طفل الشجرة المنسابة المجنون " عام **1999**، واللتين تحمس لهما كثيرا الناشر جاليمار رغم ضخامة حجم كل منها..

وجد بو علام صنصال في الرواية متسعا ليتكلم في الاقتصاد، والسياسة، والحياة الاجتماعية، وأحس أنه لو نشر الرواية في الجزائر – في ظل الظروف الصعبة التي تمر بها لبلاد – لانفتحت ضده أبواب جهنم، لذا اقترح الناشر الفرنسي أن تنشر الروايتان باسم مستعار لكن بو علام رفض وقال أن الكاتب يجب ألا يخفي اسمه طالما أنه لا يخفي أفكاره.. يقول الكاتب أن الجزائريين حملوا السلاح في البداية وناضلوا معا ضد الاحتلال الفرنسي حتى إذا انتهت الحرب، صاروا يحملون السلاح للاقتتال فيما بينهم ما أشبه بالحرب الأهلية، ما دفع كثير من أبناء الوطن للهجرة الى جنوب أوروبا، خاصة فرنسا، وهو يردد: هل أظل حبيسا بين جدران بيتي وأبكي مكتوف اليدين حيال مأساة بلدي؟

ويقول الباحث الجزائري محمد بن عبد الكريم عن الروايتين ":إن صنصال أحدث دويا في الأوساط الأدبية الفرنسية من حيث الشكل الأدبي أو المضمون؛ لذا فإن الروايتين تم ترشيحهما لنيل أكثر من جائزة أدبية فرنسية

رواية "طفل الشجرة المنسابة المجنون " تتحدث عن طفل صغير أشبه بالجزائر، يرى المؤلف أنه انحرف عن مجراه مثلما يحدث أحيانا للنهر ، فالجزائر توالى عليها الاستعمار باستمرار، احتلها الرومان والأتراك والفرنسيون والعرب.. وفي إطار من الحبكة البوليسية يروي تاريخ هذا الطفل عبر سنوات النضوج الأولى، ويقول الكاتب ":عندما بدأت كتابة روايتي كنت أتصور نفسي ضائعا، ولا يمكنني الخروج من هذه المتاهة، لذلك كنت مجبرا أن أواصل تحقيقي البوليسي في كل الاتجاهات، ومثل أغصان الشجرة التي تتفرع في كافة الأركان، بينما يبقى الجذع هو الأساس"

في عام **2003** تشر روايته "حدثني عن الفردوس" وفيها ذهب إلى الجزائر قبل عام **1830**، أي قبل الاحتلال الفرنسي، وذلك من خلال شخصيات موجودة في التاريخ بالإضافة إلى شخصيات معاصرة عرفهم في حياته منهم طارق الذي قام بجولة جزائرية في جميع أراضيها وجبالها وربوعها ومدنها، ويقال أن هذه الروايات نكشف ماذا يفعل أهل السلطان ببلادهم، ويراهم قوم فساد وخاصة أقرانه في وزارة الزراعة الذين تخلصوا منه وظيفيا، وقد صارت الجزائر هي الأرض التي يكتب عنها دوما، خاصة في روايته "حراقة الطريق " المنشورة عام **2005**، والحراقة هم الأشخاص الذين يتركون أوطانهم عن طريق ركوب مراكب صغيرة تعبر بهم البحر المتوسط وتنزل بهم ليلا عند سواحل إسبانيا، وسط ظروف مأساوية بالغة القسوة كشفت عنها حالات الهجرة الجماعية السورية في الشهر الماضي وما قبله، وفي الرواية هناك امرأتان هما لمياء الطبيبة التي تحولت حياتها إلى ما يشبه الجحيم في بلادها، أما صديقتها شريفة فهي حامل في الشهر الخامس، لقد استمعت شريفة إلى نصيحة لمياء، وهي تعلم المتاعب الحقيقية التي تنتظرهما، ومن خلال هذه الرحلة يقول أن بلاد البترول

صارت تدفع شبابها إلى الهجرة والموت عند تخوم البحر، ويقول الكاتب أن الأموال الكثيرة تنساب لدى قلة من المسئولين بينما أغلب الشعب يعيش في فقر يدفعه إلى الهجرة غير الشرعية

في بداية شهر سبتمبر **2014** صدرت الرواية الجديدة للكاتب، التي تنتمي إلى الخيال السياسي، وهو نوع أدبي لا يميل إليه العرب كثيرا، رغم أنه أنسب لهم منذ أن سيطر الديكتاتور على العروش لسنوات طويلة، حيث وضع صنصال نصب عينيه تجربة رواية **1984** للكاتب البريطاني وتخيل فيها ماذا سيحدث للعالم في العام **1984**، وهي الرواية التي سار الكثيرون على نهجها ومنهم أنتوني بيرجيس، حيث رحل صنصال إلى ما بعد قرن كامل من زمن جورج أورويل وذلك في رواية **2084** " نهاية العالم" ومن الواضح أن صنصال تأثر بشكل ملحوظ برواية أورويل وابتكر لنفسه الأخ الأكبر الذي يعرف كل شئ، وفي عهده تتم مراقبة كل شئ في زمن شمولي، وفي مقدمة الرواية وحتى لا يأتي المؤلف لنفسه بخصوم جدد، فإنه يقول أن كل شئ متخيل في هذه الرواية وأن الأحداث تدور في المستقبل، والوارد في هذه الصفحات يدور في المستقبل أي أنه لم يحدث بعد، وأن الأخ الأكبر لدى أورويل لم يعرفه الناس حتى الآن إلا في الرواية وأن ما تخيله أورويل لم يحدث رغم احتفاء الناس بالعمل ولعلهم يعلمون أنهم لن يقابلوا هذا الأخ الأكبر مطلقا، ولذا فإن الكاتب في المقدمة يناشد القراء أن يناموا مرتاحين أو قريري الأعين.

ورغم ذلك فإن السطور الأولى من الرواية تبدأ بعبارات تثير القلق وهو يبلغنا أن عاصي لم يعرف النوم، وأن القلق قد استبد به أكثر فأكثر، بسبب النيران التي اندلعت فجأة عند الغروب فالأمر صار أشبه بالمرض والتعب الذي يحل على الإنسان عقب نهاية يوم طويل من العمل والكد، ويبدو الطريق أمامه

مليئا بالدهاليز والأقبية .. إنه يتحدث عن بشر حل بهم التعب وعليهم أن يتغيروا..

لم يختر الكاتب هذه السنة عبثا فلا شك أن النفط سيكون قد جف في بعض البلاد، وسوف يظهر حاكم جديد تبدو البلاغة في سياسته البلد الذي يحكمه اسمه أرابيستان أو عرب ستان هو يحكم بلدا واحدا كان فيما قبل عدة دول صغيرة، ستة عشر إقليما، سوف يسيطر على الناس بقوته وجبروته، وسيستخدم العقيدة، أما الناس فإنهم مطيعون، لا يعرفون التمرد ويعيشون في خنوع، إنه عالم تقريبا يخلو من التكنولوجيا، لذا فالجهل يسود والخنوع والصبر مفتاحهم من أجل أن يمر اليوم وغدا. وفي هذه الدولة ممنوع المعارضة والنقد، هذا الحاكم رجل مريض في حاجة للاستشفاء حيث يتخذ من الجبال الجافة مسكنا حتى يتعافى من الدرن الذي ينهش صدره، هو ديكتاتور عالمي منتشر أتباعه في أنحاء الدنيا، يحرم الفكر، ويسعى إلى سيادة ما يراه أنه الأخ الأكبر بصورة خاصة بالمؤلف بو علام صنصال

في عام **2008** نال الكاتب جائزة تمنحها محطة إذاعية فرنسية عن روايته "قرية ألمانية " وفيها عقد مقارنة بين النازيين وأصحاب الإسلام السياسي في الجزائر، فالضابط الألماني النازي هانس شيللر تمكن من الهروب إلى مصر عقب نهاية الحرب العالمية الثانية، ثم اتجه إلى الجزائر وشارك في حيش التحرير الجزائري، وصار بطل حرب ثم انسحب إلى قرية جزائرية صغيرة وأقام هناك، صار من الشيوخ الإسلاميين، ووصل لمركز مرموق في القرية.. ويقول صنصال أن هذا الرجل شخصية حقيقية

صار على الكاتب أن يتصرف بطريقة مغايرة فهو مثل الكثير من أقرانه يسافر إلى إسرائيل، دون أن يأبه أن هذا التصرف قد يزيد من حدة خصومه،

وقد دافع عن نفسه أن الأدب ليس يهوديا ولا أمريكيا، وقد بدا أسيرا للجوائز التي تنهال عليه، وفي عام **2011** نشر رواية "شارع داروين" وهو الشارع الذي عاش فيه طفولته، تحدث كيف شارك جميع أفراد أسرته في حرب تحرير الجزائر، وأكد أن هذه الأسرة شاركت في كافة المراحل السياسية والتاريخية للجزائر الحديثة، وبينما كان الكاتب يحصد الكثير من الجوائز والأموال والتكريمات في أوروبا خاصة ألمانيا وفرنسا، فإن خصومه في داخل الجزائر كانوا يكيلون له المزيد من الهجوم بسبب زياراته إلى إسرائيل، حيث حصل على الجائزة الكبرى للفرانكوفونية عام **2013** وقيمتها**20** ألف يورو

بو علام صنصال نشر قصصا قصيرة في بعض الصحف الفرنسية خاصة في جريدة لوموند علي فترات متقطعة، ومنها "الصوت" عام **2001**، امرأة بلا اسم " عام **2004**، و"الحقيقة في قصص حب رائعة" عام **2005**

الفصل السادس:

الأدب المغربي المكتوب باللغة الفرنسية

استطاع الكاتبان المغربيان أحمد سفريوي وإدريس شرايبي أن يفتتحا الإبداع المغربي المعاصر في عام **1954**م، بروايتين شهيرتين هما " علبة العجائب " **la boite au merveile** و"الماضي البسيط " **La simple le pass** المكتوبتين باللغة الفرنسية، وكما جاء في كتاب **la literature francophone depuis 1954** فإن هذا التاريخ يعتبر بمثابة مولد للأدب المغربي المكتوب باللغة الفرنسية،

وقد صنع هذا الأدب جيلاً موازياً للجيل الجزائري الذي ظهر في عام **1952**م مثل محمد ديب ومولود فرعون وغيرهما، وليس من المنصف أن نقارن بين عطاء نفس الجيل في البلدين، وذلك لاختلاف العديد من الظروف التي عاش فيها الكاتب في كل من البلدين، فلا شك أن الحضور الثقافي الفرنسي في الجزائر كان أشد وأقوى، وقبل هذا العام، على سبيل المثال لم يكن يوجد في المغرب أدب فرنسي مثلما حدث في الجزائر، كما أن اللغة العربية لم تكن تائهة في المغرب مثلما حدث في الجزائر، وعليه فإن أديبين مثل شرايبي وسفريوي كانا يجيدان اللغة العربية الفصحى مثلما يجيدان اللغة الفرنسية، وسوف نرى أن الكثير من هؤلاء الأدباء الذين كتبوا بالفرنسية قد درسوا علوم القرآن في طفولتهم وحفظوا سوره الكريمة، في الوقت نفسه الذي لم يبتعد فيه البربر عن الثقافة العربية.

وقد عرفت المغرب أدباءها الذين يكتبون بالفرنسية، كما عرفت الــذين يكتبون بالعربية، ولا شك أن الحركة الأدبية المغربية قد أفرزت عدداً أقل مــن الأسماء البارزة عن مثيلتها في الجزائر، ليس فقط من حيث العدد بل أيضاً مــن حيث الأهمية، ومن أبرز هذه الأسماء التي ظهرت في نهاية الخمسينيات : محمــد خير الدين، وعبدالكبير الخطيبي، ومصطفى نيسابوري، وأيضاً عبد اللطيــف اللعبي.

والغريب أن أول مجلة أدبية ظهرت في المغرب كانــت، كمــا جــاء في الكتاب المذكور، تحمل اسم " نفحات " وقد صدرت عام **1966**م، وفي العدد الأول من المجلة، بدت الشكوك حول الأدب العربي المكتوب باللغة الفرنســية، وتساءلت المجلة : " هل يجب أن نصرح أن هذا الأدب لا يخصنا أكثر من أنــه جزء بسيط منا ؟، ليست لدينا إجابة حول حاجتنا لأدب يحمل ثقــل واقعنــا الحالي، في مواجهة ثورة متوحشة تلطمنا "..

وقد اهتمت المجلة دوماً بالدفاع عن الأدب المكتوب بالفرنسية، باعتباره عربياً، ولا شك أن غير هذا قد دفع بالأدباء المغاربة إلى الإحساس بأهم غربــاء في وطنهم فترك أكثرهم بلاده، ورحل إدريس شرايبي إلى بقاع الأرض كلــها على سبيل المثال، قبل أن يستقر في فرنسا، وفعل مثله عبداللطيف اللعــبي، ثم الطاهر بن جلون.. وزادت أهمية التعامل مع هذا الأبد، فإذا انتقد المجتمع الغربي تصوره البعض يهاجمه، وأن كاتبه مدفوع من الاستعمار لتشويه صورة العــرب، وقد حدث ذلك بشكل واضح مع إدريس شرايبي عندما نشــر روايتــه الأولى الماضي البسيط **le passe imple** في عام **1954**م حيــث أثــارت الروايــة فضيحة في الأوساط المغربية، وراحت الصحف تكيل له الســباب والشــتائم وطولب بإعدام الكاتب، فلم يكن أحد من الشعب المغربي يتصور أنه في اللحظة

التي يشحذ فيها الجميع الهمم من أجل النضال للاستقلال.. فإن كاتباً ينشر رواية مليئة بالعنف حول تمرد شاب ضد أبيه، هذا الأب كما تصوره الرواية إقطاعي، " سيد " زمانه، وهو جلاد الأسرة، ورغم الأب الطاغية، فإن التقاليد لا تحبذ قط أن يتمرد ابن ضد أبيه، فلا شك أن هذا يسقط كافة القوانين الاجتماعية، وفي فصل من الفصول يتحدث الابن عن أبيه وهو يمسك السكين ويفكر في أن يقتله، يبتسم الابن وهو يمسك السكين التي استعملها في فتح كتبه، كما استعملت في ذبح الدواجن في عيد الفطر، وحز رقبة الخروف في عيد الأضحى..

محمد عزيز الحبابي (1922م- 1993م)

هو واحد من أبرز الكتاب الذين قرأهم أوروبا بلغات كثيرة فقد تعدد عطاؤه في مجالات الكتابة والإبداع، كما تنوعت لغة الكتابة التي عبر بها من اللغة العربية والفرنسية.

الحبابي مولود في مدينة فاس في الخامس والعشرين من ديسمبر عام 1922م،تابع دارسته العليا بفرنسا، حيث حصل على دبلوم المدرسة الوطنية للغات الشرقية، ثم على دبلوم الدراسات العليا في الفلسفة عام 1953م، كما حصل على الدكتوراه في الآداب في جامعة السوربون. وعندما عاد إلى بلاده، عمل أستاذاً جامعياً، وتنقل بين الرباط والجامعة الجزائرية.

تولى الحبابي منصب عميد كلية الآداب والعلوم الإنسانية في الرباط عام 1961م،ولعدة سنوات أما عن نشاطه الإبداعي، فقد تنوع بين الدراسة الدينية، والرواية وقرض الشعر، وكتابة القصة القصيرة، والسيناريو السينمائي بالإضافة إلى أنشطته العديدة في تأسيس المؤسسات الثقافية.

فهو الذي أنشأ أول اتحاد لكتاب المغرب في عام 1961م، وتولى رئاسة هذا الاتحاد لسنوات طويلة، كما أسس الجمعية الفلسفية بالمغرب، وتولى أيضاً مسئوليتها، بالإضافة إلى مشاركته في تأسيس العديد من المؤسسات الأخرى، وعضويته للعديد من الأكاديميات داخل بلاده وخارجها، ومنها الأكاديمية المتوسطية بإيطاليا..

وتولى محمد عزيز الحبابي رئاسة تحرير مجلات من طراز " تكامل المعرفة " و" دراسات فلسفية وأدبية "..

ورغم أن الكاتب نشر العديد من الكتب المؤلفة باللغة الفرنسية، إلا أن أغلب هذه الكتب منشورة في الوطن العربي، سواء في المغرب، أو الجزائر أو لبنان، فقد صدر كتابه الأول " مفكرو الإسلام " بالرباط عام **1945**م، وفي الستينيات وجه نشاطه إلى القاهرة، حيث أصدرت له دار المعارف أكثر من كتاب ومنها " من الكائن إلى الشخص "وهي دراسات فيما أسماه بالشخصياتية عام **1962**م، كما صدر له عن نفس الدار كتاب " الشخصانية الإسلامية " عام **1966**م، وأيضاً كتابه " من الحريات إلى التحرر " عام **1972**م، وفي دار الهلال صدرت له رواية " إكسير الحياة " عام **1974**م.

وقد وضعت الدراسات والأبحاث الأدبية للكاتب عن إبداعاته، خاصة باللغة العربية، وبدا إبداعه أقل شهره، فالكاتب الذي بدأ نشاطه في البحوث عام **1945**م، لم يقدم روايته الأولى " جيل الظمأ " الصادرة في بيروت سوى بعد ذلك التاريخ باثنين وعشرين عاماً، أما ديوان الشعر الوحيد للكاتب فقد صدر عام **1988**م،في الدار البيضاء باسم " يتيم تحت الصفر "..

لكن، ماذا عن إبداع محمد عزيز الحبابي باللغة الفرنسية ؟

حسب القوائم المنشورة للكاتب فإن كتابه الأول " الشعب العربي في خضم النضال "، صدر في الجزائر عام **1949**م، وهو كتاب يحكي قصة الشعوب العربية ضد الاحتلال في عصور عديدة، والغريب أن الحبابي قد نشر أشعاره المكتوبة باللغة الفرنسية في سنوات مبكرة عما قبل بالنسبة للغة العربية، فديوانه الأول " أغاني الأمل " صدر في المغرب لأول مرة عام **1951**م، وفيه يقول :

إذا أردنا أن نهزم الأعداء..

فلنبدأ بقهر شهواتنا..

فالشهوة ضعف..

وخباء..

وقد نشر الكاتب العديد من الدواوين الشعرية باللغة الفرنسية، بينما لم نعرف له في اللغة العربية سوى ديوان واحد، ومن بين هذه الدواوين" بؤس وأضواء " عام **1958**م، وهو منشور بالمغرب، ومن هذه الدواوين هناك " صوتي يبحث عن صوتها " المنشور في باريس عام **1968**م ، و " مخمور بالبراءة " بباريس أيضاً عام **1980**م، و " عديل " عام **1984**م.

والغريب أن دور النشر الفرنسية قد تحمست أكثر لما فرضه الحبابي أكثر مما كتبه في مجالات عديدة من الأبحاث والروايات، بينما صدرت له طبعات محدودة من الدراسات بين المغرب ولبنان، ومنها كتاب " عالم الغد" الصادر عام **1980**م،في الدار البيضاء، وأيضاً دراسته عن " ابن خلدون "ودراسته عن اللغة الشعرية بين اللغتين العربية والبربرية عام **1965**م.

لكن، ماذا بقي من محمد عزيز الحبابي بعد وفاته..؟

الغريب أن أشعاره المكتوبة بالفرنسية، والمطبوعة في باريس، هي أجمل ما كتب، فروايته الصادرة باللغة العربية في روايات الهلال عام **1974** لم تلفت أنظار النقاد في مصر، ولم تأخذ مساحات تليق بها في الدراسة التي كتبها سيد حامد النساج عن "الرواية المغربية " كما أن الحبابي نفسه قام بترجمة روايته " جيل الظمأ " المنشورة في بيروت، بعنوان آخر هو " آمال متشردة " عام **1972**م، وصدرت في باريس بمقدمة من الكاتب الفرنسي إيمانويل روبليس، الذي عاش في الجزائر أغلب سنوات حياته، وهو صاحب المسرحية الشهيرة "

ثمن الحرية" لكن لا شك أن التجربة الشعرية للكاتب أكثر خصـــوبة، ويقـــول الناقد "مارتن لوجران" : أن الحبابي استعاد من أحاسيسه الصوفية لتطريز اللغـــة الفرنسية التي يكتب بها كلمات ومفردات لغوية تختلف كثيراً عن اللغـــة الـــتي يألفها القاريء الفرنسي الذي لم تكن لديه دراية مسبقة بالثقافة العربية..

إدريس شرايبي (1926/7/15م - 2007/4/1م) Driss charoiibi

ولد إدريس شرايبي في مدينة الجديدة في 15 يوليـــو 1926م، ويقول قاموس الأدباء المغاربة الذين يكتبون الفرنسية أن تاريخ الميلاد غير معروف بالضبط،وأنه قد أخذ بالتقريب[1]، كان لـــه خمسة أشقاء، وقد جاء ذلك من أن أباه كان يتيمًا مـــن الأب والأم فمال إلى إنجاب الأطفال، أما أمه فكانت امرأة من طبقـــة الذوات كما يقول الكاتب، وقد درس إدريـــس في مدرســـة القرآن الكريم، ثم انتقل إلى المدرسة الفرنسية،

وهو في العاشرة من العمر وحصل على جائزة أدبيـــة كشـــاعر، وفي ســـبتمبر 1945م،ترك المغرب إلى فرنسا كي يدرس علوم الكيمياء في باريس، وحصـــل على شهادة في الهندسة الكيماوية عام 1950م، ثم وجه دراسته بعد ذلـــك إلى طب الأعصاب، ولكنه لم يستكمل دراسته العليا في هذا المضمار، فراح ينتقـــل مسافرًا بين إيطاليا وسويسرا وبلجيكا وألمانيا والنمسا ويوغوســـلافيا وإنجلتـــرا وأسبانيا ودول أخرى مارس فيها العديد مـــن المهـــن كالصـــحافة والهندســـة والتصوير، وكبائع متجول وحارس ليل، ومدرس للغة العربية، ويقال أنه عـــاش عامين في إسرائيل، حسبما جاء في القاموس السابق الذكر باســـم مســـتعار، ثم مارس الكتابة، وعمل منتجًا في الإذاعة الفرنسية، وقد ظلت برامجه تبث لفتـــرة طويلة، وقدم برامج للتعريف بالدين الإسلامي للقارئ الغربي مع الكاتب أندريه روسو، وفي عام 1966م،إهتـــم بالمسرح الزنجي، ومسرح الشرق الأوســـط، وتزوج من امرأة فرنسية أنجبت له خمسة أطفال، وعمل في عام1970م،مدرسًا

---

[1] Dictionaire des auteurs maghrebiens. Jean Dejeux. Karthala. Paris،1984 .

للغة العربية في مقاطعة كويبك الكندية حصل علي جـائزة الأدب الإفريقـي للبحر المتوسط عن مجموع أعماله في عام 1973م ثم على جـائزة الصـداقة الفرنسية العربية عام 1981م، ثم على جائزة مونديللو بإيطاليـا عـن ترجمـة روايته " مولد الفجر"..

نشر إدريس شرايبي روايته الأولى " الماضي البسيط " عام 1954م،والتي أثارت ضجة كبرى في تلك الفترة حيث كان الكتاب جريئاً وحاول أن يمس من هيبة الأسرة. وخاصة الأب. هذا الأب الذي يسميه الراوية بالسيد، إنه يمثـل نموذجاً حياً للطاغية، وهذه هي المرة الأولى في بلد يقدس الأسرة والآباء يـرى فيها القراء كيف يتمرد الابن على أبيه، هذا الإقطاعي الكبير، لقد كانت هـذه الحالة الجديدة من التمرد بمثابة تحطيم لأشياء كثيرة مقدسة خاصة أن إدريـس شرايبي قد كتب الرواية كأنها أقرب إلى السيرة الذاتية مما أكسبها واقعية وصدقاً صدم الناس، وقد تعرض شرايبي للكثير من الضغوط النفسية بسـبب الـرفض الشديد لما جاء في هذه الرواية، ورغم أنه أنكر نسبها إليه، إلا أنه راح يكتب، وجاءت كتبه الأخرى ومنها " التيوس " **le boucs** عام **1955**م، (رواية)، ثم " الحمار " **l'ane** عام **1956**م،ومجموعة قصص تحمل عنـوان " مـن كـل الأفق " **de tous les horizons** عام **1956**م، ثم "الزحام " **la foule** عام **1961** م، (رواية) و" متابعات مفتوحة " **succession ouverte** (روايـة) عام **1962**م، ثم " سـيأتي صـديق لرؤيتـك " **Un ami veindra vous voir**(رواية) **1967**م، ومجموعة مقالات تحمل عنـان " الحضـارة أمـي " **la civilisation. Ma mere**، ورواية تحمل عنوان " الموت في كندا " **la mort au canda** و"مهمة في البلاد " **une enquete au pays**عام **1981**م، و " أم الربيع " **la mere du printemps** عام **1982**م، و " مولد في الفجـر "

inspecteur Ali " المفتش علـــي " **naissance a l'aube** عام **1986**م، و " المفتش علـــي " **inspecteur Ali** عام **1991**م، وقد نشره مذكراته فى كتابين هما "رأيـــت وقـــرأت وسمعـــت" **1998**م، و"العالم جانبى" **2001**م.

وإدريس شرايبي المقيم في باريس بصفة دائمة منذ عام **1965**م،ومثل كل أقرانه، لم يشأ أن يخرج عن جلده فهو يكتب عن البيئة العربية التي عاش فيهـــا ولكن في أعماله الأخيرة امتزجت بشخصيات عربية وأخرى فرنسية شـــكلت روايته الأولى " الماضي البسيط " حالة إبداعية خاصة، سواء من حيث الصياغة، أو المضمون، فهو لا يقول الفصل الأول، بل فصل واحد، فصل اثنان، والبطل يحاول أن يتحرر عاطفيًا عن كل من هو سيد له، بأن يفهم ماذا تعـــني الحريـــة حقيقة، فهو يواجه قدره وجهًا لوجه لدرجة أن هذا الأخير يبدأ في الحوار أمـــام التساؤلات.. إنه رجل متعطش للمعرفة، ويحاول البحث عن ذاته بطريقته.

وأبطال شرايبي نشدون الرحيل دون أن يتمكنوا من العثور عليه، مثلمـــا يحدث في روايته " متابعاة مفتوحة "، فالبطل هنا يقرر السفر مـــن جديـــد وان يركب الطائرة التي ستعود به إلى الغرب، وهناك يقابل الرجل الذي سافر معـــه في المرة السابقة، ويجد نفسه في طرف الدائرة، كأنه سيبدأ من جديد، لقد رحل بعد دقيقة، في سيارة رياضية من سيلفان، بلا حقائق، فقط حاملا جواز ســـفره، وقد اتخذ قراره، ونفذه، بدون تردد حبًا في هذه المرأة التي وهبها حياته...

وهناك دائما رحيل ما في نهايات هذه الروايات، وهناك ديالكتيك جـــدلي بين البطل والعالم من حولـــه، ففي روايته " موت في كندا " تبـــدأ الأحـــداث بحوار بين دومنيك وباتريك : في الواقع، فإنني أبحث عن الحياة، خارج نفســـي، كل الحياة التي تحيطني، هل تفهمين ؟ هناك جدار، وفي هذا الجدار يوجد ثقـــب

مرئي، يمكن أن ننسى وجوده في داخل الجدار نفسه، لقد كنت سعيدا طـــوال الصيف، سأعود لأخبرك.. أعدك بذلك، لكن كفاك اعتقادا أنني أبوك..

تعد ثلاثية : مهمة في الوطن، " وأم الربيع " " ومولد في الفجر "، بمثابـــة عمل تاريخي حول قبيلة ريف بغلمان.. والتي ينتمي إليها سيدي بـــن يعقـــوب، وهو يحاول أن يؤرخ لتاريخ البربر ورجاله محاولا التعرف على تاريخ وعالم لم تتم الكتابة عنه بشكل جيد.

وفي روايته " مولد في الفجر " يبدو الكاتب مهموماً بمسألة اتصال الشرق بالغرب، والسياسة التي يرى أنها في حالتي صعود وهبوط.. وبطل الرواية سيدي قاسم رجل يبحث عن جذوره. وعن أجداده، لذا فهو يتوجه إلى الجبـــل كـــي يبحث عن بقايا وآثار هؤلاء الأجداد. فهناك قبل اثنى عشر قرنـــاً، وفي عـــام 712م ، حضر الأجداد لفتح الأندلس من خلال جيوش طارق بن زياد. كانت قوات الإسلام جميلة، وجديدة، كان الدين مفتوحاً، واستقبل في أحضانه كـــل المقهورين، وساوى بينهم، وحولهم إلى منتصرين كبار، هذه هي العشيرة الكبرى (1)..

والعرب في رواية شرايبي قوم مليئون بالحيوية والنشـــاط، اســـتطاعوا أن يجتازوا الزمن فوق دواهم، ويتحدث الكاتب عن شخصية قادرة علـــى صـــنع المعجزات، ونحاول أن نعثر على عصر جديد أفضل مما يحدث الآن وهناك أيضاً شخصية عزاوايت الذي جاء من أعماق التاريخ كي يولد من جديد، ويحمـــل كل شيء بين يديه. وتقول الناقدة آن براجانس : يجب أن نقـــول أن شـــرايبي

(1) naissance a l"aube، Driss charaibi، le seuil Paris 1986.

يقدم هنا أحد أجمل مشاهده الطفولية التي يمكن قراءاتها.. فعند لحظـــة المـــوت نعرف أن أباه هناك..

لا فرق بين الموت والحياة فلا أحد يمكنـــه أن يميـــز بينـــهما. ولا أحـــد يفصلهما سوى هذه المسافة وهي الحياة نفسها [1]..

أما روايته " المفتش علي " فتدور على لسان الراوية إبـــراهيم عـــرورق الذي أصبح مشهوراً على المستوى العالمي بكتابة الروايات البوليسي التي بطلها شخص يدعى المفتش علي. والكتب التي تحكي عن هذا المفتش تحقـــق كســـباً عالياً، كما أنها تحصل على جوائز أدبية، لقد قضى إبراهيم سنوات عديـــدة في فرنسا، وهاهو يعود إلى بلاده المغرب مع زوجته فيونا ، وهي امرأة إســـكتلندية جميلة أشبه بعرائس البحر، الآن على فيونا أ ن تنتظر قدوم ابنها الثالث، كما أنها تنتظر قدوم والديها من أدنبره، ولاشك أن مثل هذه الزيارة ســـتكون ســـاحة خصبة للصراع والمواجهة بين مجتمعين مختلفين تماماً، فالزوجان ـــ والدا فيونا ـــ يقومان بجولة في المدينة ويعلق أحدهما قائلاً : "إننا في بلاد لا تمشي فيها الأشياء، فالناس هنا في بطالة ".

أما الكاتب، على لسان الزوج المؤلف، فهو يرى أن أوروبا ليست سوى قصص مرسومة، أو سلاسل من الحكايات الساذجة، ورغم أن شهرته جـــاءت من كتاباته التي يؤلفها لهم، وأن الناس يسمونه " ملك أكشاك بيع الكتب " إلا أنه لم يلتحم تماماً مع هذه الحضارة..

في عام **1995**م، نشر إدريس علي روايته " رجل الكتاب "، والمقصـــود به هو الرسول محمد، المؤسس الثالث للديانة الإبراهيمية، كما يقول المؤلـــف،

---

[1] **Driss charaibis، le monde 14-5-1986 P.18.Karthala. Paris، 1984. P.231**

ويتوقف شرايبي عن حياة الرسول قبل أن يأتيه جبريل في غار حراء، ويبلغه بأمر الرسالة، وأن ينبئ الناس، فالقرآن الكريم هو الكتاب الذي أرسله الله سبحانه وتعالى إلى رسوله من خلال جبريل، ويتحدث الكاتب عن مكة في العام **610** ميلادياً، ويردد " " حلمت أن أكون إلى جوار هذا الرجل، الذي سوف يهبط بالروح القدس على الأرض.

عبدالكبير الخطيبي (1938م)

روائي، وعالم اجتماع، ومتخصص في الأدب المغـــربي، تـــابع دراسته في جامعة السوربون، حيث حصل على الـــدكتوراه في السوسيولوجيا عام **1966**م، عمل أستاذاً مساعداً ثم مـــديراً لمعهد السوسيولوجيا بالرباط إلى أن تم إغلاقه عام **1970**م، ثم عمل أستاذاً باحثاً بالمعهد العالي الجامعي للبحث العلمي،

عمل رئيس تحرير للمجلة المغربية للاقتصاد والاجتماع، ثم تولى إدارة تحرير مجلة " علامات الحاضر " تتنوع أعماله بين الشعر، والرواية، والمسرح، والدراســـة الأدبية، نشر روايته الأولى " الذاكرة الموشومة " عـــام **1971**م، ثم " جـــرح الاسم الشائع " عام **1974**م، و " أدباء المغرب منذ عام **1965**" ، وهو كتاب ألفه باللغة العربية، ثم ترجمه إلى اللغة الفرنسية مع ثلاثة مترجمين عام **1974**م.

وفي عام **1974**م نشر كتاب " الصهيونية والوعي البائس "، ثم كتاب " كفاح الطبقة المقاوية " عام **1976**م، و " النبي المحجب "، و " كتاب الـــدم "، المنشور في دار جاليمار بباريس، و " الرواية المغربية ".. وكلها منشـــورة عـــام **1979**م، و " من ألف ليلة وثلاث ليال " المنشور في الرباط عام **1980**م، و " المغرب الجمع المذكر " عام **1983**م بباريس، و " الكتاب نفسه " عام**1985**م، وفي عام **1986**م نشر ديوانه الثاني " وقائع اليوم المقبل "، ثم كتاب " القوميـــة والعالمية الأدبية "، وهو دارسة عـــن الآداب في القـــارة الإفريقيـــة، وفي عـــام **1988**م نشر كتاب " تمت الكتب "، وفي عام **1990**م نشر روايته " صـــيف في ستكهولم " بباريس.

في حديث منشور له على شبكة الإنترنت، مأخوذ عن مجلة " لومان " في 28 مارس 2005م، وذلك بمناسبة نشر كتابه " مراسلات مفتوحـــة"، وهـــو عبارة عن مراسلات تم تبادلها بين الخطيبي وبين الكاتبة الطبيبة جينـــا الخيـــاط، طوال أربع سنوات، تحدث الخطيبي أنه تم الاتفاق بين الطـــرفين علـــى تبـــادل الخطابات، حيث جمع بينهما حب الأدب، والكتابة وجاءت أهمية الحوار، إنـــه يدور بين رجل وامرأة في مجتمع مغلق هو المغرب.

كما جاءت أهمية هذا الحوار، أنه الأول من نوعه الـــذي يتنـــاقش فيـــه الطرفان في مناحي كثيرة من الحياة، من بينها ما يسمى بالجنس الممنوع.

وقد أشار الخطيبي أنه سبق أن تبادل الرسائل لمدة خمـــس ســـنوات مـــع الكاتب جاك حسون وهو كاتب يهودي مغربي، وقد جاءت أهمية التجربـــة أن الاثنين عملا معاً في المسألة الفلسطينية ــ الإسرائيلية.

وقد نشرت رسائلهما المتبادلة في كتاب يحمل عنوان " الكتاب نفســـه "، أثار ضجة حين صدوره عام 1985م.

أما جينا، فقد تعرف عليها قبل ثلاثين عاماً، أي عـــام 1975م، حـــين كانت تلميذة، وجاءت لإجراء حوار صحفي معه، فصارا صديقين..

ويقول الكاتب أنه في عام 1972م، بدأ يهتم بما يسمى بالثقافة الشـــعبية المغربية، والوشم، والحكى، والأقوال المأثورة، وقد ساعدته هـــذه التجربـــة في كتابة " جرح الاسم الشائع " حيث اكتشف ثراء الثقافة الشـــعبية لقـــد قـــرر الكاتب أن يخرج من الصمت المفروض عليه، باللجوء إلى الفلكلور..

وفي هذا الحوار، قال الكاتب أن الشعر كتابة دائمة للإنسان، يوجههـــا الرجل إلى المراة، وفي الشعر تبدو المرأة أداة، طائعة، والشعر يســـاهم في تحيـــة

المرأة، إنه عالم متناقض، أما الأدب، فإن الأشياء تبدو فيه معقدة، فليس هنــاك مذكر أو مؤنث، وهذا شيء مهم، هناك مكان مجهول، ونحن يمكننا أن نتواصل عبر الأدب. لأننا لا يمكن أ ن ننقسم إلى قسمين. وهنا تبدو اللغة تخــص كــل البشر، إنها وسيلة الاتصال مع الآخر..

ويرى عبدالكبير الخطيبي في كتابه " المعاني الأدبية للفرانكوفونيه " عــام **1989**، أن هذا الأدب هو عربي الهوية، فالكاتب مهموم بقضــايا وطنــه، ولم يبتعد عن هذه القضايا خاصة التحرر عن الاستعمار القديم، وبشــكل جــذري الصهيونية، وأهمية الدفاع عن الحق الشرعي للشعب الفلسطيني أن يعــيش في سلام فوق أرضه، وقد عاد الخطيبي ليعبر عن هذه الآراء في كتابه " متناقضــات الصهيونية " عام **1990**م.

روايته " الذاكرة الموشومة " تدور أحداثها في قرية بشمال أفريقيا في ليلة الاستقلال فهناك شاب يدعى " بول ريفير "، إنه ابن الاستعمار، يرفض فكرة أ ن يفصل عن الأرض التي ولد فيها، وكي يهرب من هذا الواقع المريــر الــذي عليه أن يواجهه، فإنه يفكر في إنشاء تمثال تذكاري على هيئة ساعة.

وفي أحد البارات بمدينة طنجة يلتقي بامرأة بريطانية تدعى بــيتي، وهــي امرأة نفعية تحاول أن تتعرف عليه وتغويه فيقع في هواها. وتتلاحق الأحــداث بسرعة ويصبح على " بول " أن يرحل ولكن هناك شــيئاً يمزقــه، تمــر عــدة سنوات، رحلت زوجته مريم إلى المدينة على أمل أن تحصل على عمل، وذهــب معها زيجو صديقه الحميم. والرواية، مزدحمة بالشخصــيات وونــيس الــذين يعملان في إصلاح السيارات، وزيجو ســوف يصــبح حارســاً علــى مقــبرة للسيارات، بينما ونيس الشغوف بالميكانيكا يروح يبحث عن شبح " بيتي " في كل سيارة تمر أمامه ويحس كأنه يتشمم عطرها. ويفاجأ ذات يوم أن زيجو قــد

اشترى له سيارة قديمة أشبه بالتي كانت تقودها بيتي، ويذهب ونيس ذات ليلة إلى أحد البارات ويكتشف أن المرأة التي تغني كل ليلة وتصنع المتعة للزبائن ليست سوى " بيتي "..

ترى " بيتي " حبيبها القديم في صورة ونيس فتحتفي به. ويعرف أنها كانت تحب أباه بول ريفيير الذي يشبهه كثيراً، وينتبه ونيس إلى خطيئته التي سيرتكبها فيشترك في سباق السيارات ويحس أن السيارة وهي تنطلق لتكسب السباق كأنها تخلصه من آلامه الجسدية..

عبداللطيف اللعبي (1942م)

مجلة " نفحات " الصادرة باللغة الفرنسية تشكل ظاهرة استوعبت داخلها كافة الأدباء العرب الذين يكتبون بالفرنسية، خاصة في مراكش، منذ صدورها لأول مرة عام **1966**م.

ووراء هذه المجلة، وصدورها، وانتشارها، عبداللطيف اللعبي المولود في مدينة فاس عام **1942**م، والذي درس في كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، وحصل على ليسانس الآداب الفرنسي عام **1964**م.

اشتغل عبداللطيف في التعليم الثانوي بالرباط، وكان آنذاك له نشاطه السياسي المعارض، فتعرض للاعتقال في باريس عام **1972**م، وصدر الحكم ضده بالسجن لمدة عشر سنوات بتهمة " المساس بأمن الدولة "..

وعقب إطلاق سراحه في يوليو **1980**م، قرر الرحيل إلى فرنسا، وهناك استكمل دراسته العليا، فالتحق بجامعة بوردو.

وراء عبداللطيف اللعبي رحلة طويلة، خاضها دوماً في نشر الثقافة، فبعد أن قام بتأسيس مجلة " نفحات " راح يفكر في تحويلها إلى دار نشر، وفي العام التالي نشر ديوان شعرفي صفحات قليلة باسم "عنصرية ".

كما أنه قام بتأسيس دار نشر " أطلانطا " عام **1967**م، وفي عام **1968**م،أسس أكاديمية البحث الثقافي.. بالتعاون مع صديقه الكاتب إبراهيم السرنايي.

واللعبي هو واحد من أشهر وأبرز الأسماء المغربية، خاصة الذين يكتبون مباشرة باللغة الفرنسية، فهو شاعر، وروائي، ومسرحي، كما أنه مترجم، بالإضافة إلى تأليف العديد من كتب الأطفال..

وتتناول أعماله الإبداعية فكرة الغربة، والحنين إلى الوطن، كما أن في رواياته العديد من الأفكار السياسية، ومنها روايته الأولى " العين والليل "المنشورة في الدار البيضاء عام **1969**م.

وعندما نذكر اسم أي كتاب للمؤلف، فإن وراءه نوعين من دور النشر، الأول الدار البيضاء، حيث " أطلانطا "، دار النشر التي يمتلكها، أما الأعمال الأخرى فقد صدرت في العديد من دور النشر الباريسية..

في عام **1974**م صدر الديوان الثاني للكاتب حاملاً اسم " شجرة الحديد المزهرة "، وقد كتب مقدمة الديوان الناقد أحمد طارق، الذي قال إن اللعبي صوت مليء بالتمرد، والثورة، كما أن قصائده تتغنى بالحرية المفقودة..

والجدير بالذكر أن هذا الديوان تسربت قصائده من السجن، ووجدت طريقها إلى فرنسا، مثلما حدث مع ديوانه الثالث المعنون " عصر البرابرة "، وهو عبارة عن قصائد قام اللعبي بتسريبها من السجن، بالإضافة إلى ما أسماه بالقصائد الشفاهية التي لم يتمكن من كتابتها، وإنما قام بتحفيظها لأصدقائه الذين كانوا يزورونه في السجن، الذين راحوا ينقلون ما قرضه شفاهة إلى القراء..

وقد استقبلت دور النشر الفرنسية هذه الأعمال بالترحاب، فصدرت أكثر من طبعة عن أكثر من ناشر، وقبل خروج الشاعر إلى الحرية، قدم ديوانه

الرابع " وقائع من المنفى " عام 1978م،وهو الديوان الذي طبع مرة أخرى عام 1983م.

وعقب خروجه من السجن عام 1980م، صدر ديوانه الخامس " قصة صلبان الأمل السبعة "، وفي العام التالي صدر ديوانه السادس " تحت الليمان " وبدا كأنه يحاول تعويض أيام القضبان، فنشطت كتاباته ابتداء من السنوات الأولى للثمانينات، ففي عام 1982م، قدم مجموعة من المقالات باسم " درب الحرية "، ثم قدم في عام 1983م ،كتابه " حوار في المسألة العربية "، وفي عام 1985 م،قدم " احتراق التساؤل ".

والجدير بالذكر أن ما كان يكتبه عبداللطيف اللعبي من كتب، لم يكن يتجاوز الصفحات القليلة، فدواوينه لم تبلغ قط المائة صفحة، وليست هناك علاقة بالجودة، والموهبة وجودة القصائد، لكن الكاتب كان يرى أن عليه مخاطبة القاريء دوماً، من أ جل أن تصل إليه أفكاره..

نشر اللعبي روايته الثانية " سعيدة ولصوص الشمس " عام 1986م، ثم جاءت روايته الثالثة عام 1989 م،باسم "غارة السد "، ويبدو أن الكاتب كان ينتقل بين الشعر والرواية بشكل منتظم، فيتخصص فترة زمنية، لا تقل عن العامين من أجل كتابة القصائد، ثم يتفرغ تماماً لتأليف الروايات..

فقد عاد اللعبي إلى الشعر مجدداً مع بداية التسعينات، حين نشر ديوانه " كل التمزقات "، ثم جاء ديوانه " الشمس تموت " عام 1992م، وفي عام 1993م،عاد مرة أخرى إلى النشر، ونشر كتابين في العام نفسه هما " احتضان العالم "، و " تمارين التسامح "..

وكما أشرنا فإن عبداللطيف اللعبي كاتب غزير الإنتاج، ومن بين أعماله الأخيرة فى الشعر "متاعب حالم متميز" **2008**م، و"منطقة المتاعـــب" **2012**م، وفى الرواية "كتاب لم يقرأ" **2010** م،وله كتاب عـــن تجربـــة الديمقراطيـــة فى المغرب بعنوان "المغرب" **2012**م، وكان وفياً للغة الكتابة حيث أشرف علـــى ترجمة كافة أعماله إلى اللغة العربية، وقدم إلى اللغة الفرنسية الكثير من الكتـــب العربية، مترجماً إياها بلغة أدبية راقية، مثل كتاب " مختـــارات مـــن الشـــعر الفلسطيني " عام **1970**م، وفي عام **1982**م،ترجم ديوان " ضحكات الشجرة "، للشاعر عبدالله زريقة، وفي عام **1983** ترجم ديوان " لم يبق سوى ســـنة " للشاعر محمود درويش، وفي عام **1986** ترجم رواية " الشمس في المحاق " لحنا مينا، ثم ترجم ديوان "السيرة الذاتية للص النيران " لعبدالوهاب البياتي، وفي عام **1988** ترجم ديوان " أحبك لدرجة الموت "، لسميح القاســـم، وفي المكتبـــة أكثر من ثلاثين دوان شعر عربي متميزاً وجدت طريقها إلى اللغة الفرنسية عـــن طريق عبداللطيف اللعبي مثل "العودة الى حيفا" لغسان كنفانى.

مصطفى النيسابوري (1943م)

ليس شرطاً أن ينشر الكاتب إبداعه خارج الـوطن، خاصـة هؤلاء الذين يؤلفون روايات وأشعار بلغاتٍ غير عربية.

فالشاعر والروائي المغربي مصطفى النيسابوري المولود فى الدار البيضاء لم ينشر أياً من دواوينه المكتوبة باللغة الفرنسية خارج حدود المغرب، كما أن الكاتـب نفسه لم يختر باريس مستقراً له، مثل العديد من الكتاب الذين أقاموا في فرنسـا بعضاً من الوقت، أو اختاروا أن يحصلوا على الجنسية الفرنسية.

ورغم ذلك، فإن نشاط مصطفى النيسابوري في الثقافة العربية المكتوبـة باللغة الفرنسية يبدو بالغ الأهمية، حيث اشترك في تأسيس العديد من المجـلات الأدبية المكتوبة باللغة الفرنسية، ومنها مجلة " نفحات "عـام 1964م، والـتي تعتبر بمثابة المطبوعة الأكثر عمقاً في الأدب المغاربي المكتوب بالفرنسية، وبعد أن توقفت المجلة عن الصدور، شارك مصطفى النيسابوري في إصدار مجلة أخـرى تحمل اسم " انتجرال " وهي عن الأعمال التي لم يسبق طباعتها.

وقد توزعت أعمال الشاعر بين العديد من الصحف والمجـلات الأدبيـة المغربية التي تصدر باللغة الفرنسية، ويعني هذا أن الكاتب ظل محبوساً في أُطـر هذه المجلات، لا يقرأه سوى من يتابعون هذه الصحف، فلا قرأه الفرنسيون ولا أحس به قاريء الأدب العربي خارج حدود الوطن.

ومصطفى النيسابوري مولود بمدينة الدار البيضاء، وفيها تلقى علومه الأولى، ودرس القانون، وعمل في المدينة نفسها، ولم يغادرها إلى مدن أخرى أوروبية إلا من أجل الزيارة، وكان دائم العودة إلى الدار البيضاء.

والغريب أن مصطفى النيسابوري كان أقل أبناء جيله إبداعاً، وقد اختفى تماماً عن الساحة، ولا نعرف السبب الذي من أجله توقف عن الإبداع منذ النصف الثاني من القرن العشرين، ففي عام **1968**م، أصدرت له دار أطلنتيس المغربية ديوانه الأول " الذكريات العالية " وفي عام **1975**م، أي بعد سبع سنوات من التوقف أصدر ديوانه الثاني " الليلة الثانية بعد الألف " عن دار نشر " شوق " وبذلك فإن الشاعر لم ينشر أعماله خارج حدود مدينته التي ولد واستقر بها.

ولاشك أن قوة الشاعر تلازمت مع قوة مجموعة الشباب التي أسست مجلة " نفحات " ومنهم عبداللطيف اللعبي، ومحمد خير الدين، وإذا كان الاثنان قد رحلا إلى خارج الحدود، وظلا هناك،فإن مصطفى النيسابوري بدا كأنه عليه أن يدفع الثمن بالبقاء في المغرب.

وقد انعكس هذا النوع من الحياة على إبداع الكاتب ليس فقط لقلته كماً بل أيضاً لنوع التجربة التي مر بها الكاتب، فهناك اختلاف واضح بين ما كتبه محمد خير الدين الذي ارتحل، وعرف الغربة، وبشر آخرين،وبدت الحياة صغيرة،والمدن ضيقة والبحر بلا أفق، والبشر بدون ظلال، والأشجار متروعة الأوراق، وكأننا في عالم مجرد من الأسماء..

وفي ديوانه " الليلة الثانية بعد الألف " حاول الكاتب أن يقدم ملحمة جديدة مستوحاة من " ألف ليلة وليلة " مثلما حاول كل من الدكتور طه

حسين، ومحمد فريد أبو حديد في " القصر المسحور "، لكن مـــن الواضـــح أن الأجواء السحرية المنبعثة من النص الأصلي كانت أشد قوة، وإمعاناً مما كتـــب الشعراء والمؤلفون المعاصرون..

وقد سئل مصطفى النيسابوري عن سر هذه الندرة في أعمالـــه، ســـواء الشعرية أو في مجال القصص القصيرة، لكن الإجابة لم تســـعف الكاتـــب في أن يعطي وجهة نظر منطقية، وبدا كأنه يخفي التعبير الحقيقي، من أن بعض النـــاس يبدون كأنهم قد مروا بدرب الأدب عن طريق المصادفة، أو كأن الطريـــق قـــد صار جافاً والنبع قد توقف عن الضخ..

ومصطفى النيسابوري ليس حالة فريدة من نوعهـــا، فـــنفس الظـــاهرة تكررت لدى الكثير من أبناء جيله، ومهم الروائي جاي سليم، المولـــود عـــام **1951**م الذي اعتزل الحياة الأدبية منذ عام **1982**م، ثم بن سالم هاشمي المولود عام **1947**م، لم يساهم سوى بقدر محدود من الكتب، ومحمد علوي المولـــود عام **1951** م،الذي نشر ديوانين فقط، إذن فنحن أمام ظـــاهرة أدبيـــة عـــام، وليست حالة مصطفى النيسابوري فردية.. بالمرة..

الطاهر بن جلون (1944/12/1م) Taher Ben Jellaun

ليس من الغريب أن يبدأ الطاهر بن جلون، عند ظهوره في أوائل السبعينيات، إبداعه كشاعر، وقد التصق بالشعر فترة قبل أن يتجه كلية إلى الرواية، ونتيجة لأهمية بن جلون كأديب يكتب باللغة الفرنسية، ويعتبر الآن واجهة هذا النوع من الأدب المغربي فإننا سوف نخصص الجزء الغالب من حديثنا عن إبداعه..

خاصة أن هذا الإبداع قد توج في عام **1987**م،حين فازت روايته " ليلة القدر " بجائزة جونكور وهو بذلك أول عربي يحصل على مثل هذه الجائزة المهمة..

والطاهر مولود في مدينة فاس في عام **1944**م، وقد كان الولد الوحيد في أسرة لم تنجب سوى البنات، وسوف نرى أن هذه التجربة قد أرقت الكاتب كثيرًا وعبر عنها في روايتيه " ابن الرمل " و "ليلة القدر" وقد هاجرت الأسرة بينما الطاهر في العاشرة من عمره إلى مدينة طنجة، وظلت هناك ثماني سنوات، وعندما بلغ الثامنة عشر سافر إلى مدينة الرباط لدراسة الفلسفة في الجامعة، ثم توجه إلى مدينة تطوان عقب تخرجه في عام **1968** من أجل العمل كمدرس للفلسفة، وانتقل بعد ذلك إلى الدار البيضاء، نشر أولى قصائده في عام **1965**م،ثم قرر أن يدرس علم النفس في باريس، والتي اختارها للإقامة منذ عام **1971**م، حيث وجد وظيفة مناسبة في جريدة لوموند التي لا يزال يعمل بها حتى الآن.

نشر الطاهر بن جلون ديوانه الأول "رجال تحــت كفــن الصــمت " hommes sous linceul de silence عام 1971م،في الدار البيضاء، أمــا بقية أعماله فنشرت جميعها في باريس وهي على النحو التالي : "ندوب الشمس" cicatrice du soleil – ديــــوان شــــعر – عــــام 1972م، و "حرودة"Harrouda رواية عام 197، ثم" أحاديث الجمل"Le discours du chameau (شعر) عام 1974، وديوانه " بذور الجلد.. أصيلة.. ذكريــات الطفولة " Grains de peau..Asilah وهو كتاب نشر فيه محمد بن عيســى – وزير الثقافة المغربي السابق – مجموعة من الصور. وفي عام 1976م نشــر بن جلون كتابه " ماتت أشجار اللوز متأثرة بجراحها "، وهو عبارة عن مقالات قصيرة وقصائد شعر.. وفي نفس العام نشر مختارات من الشعر المغربي الحــديث باللغة الفرنسية تحت عنوان " ذاكرة المستقبل"، وفي روايتــه الثانيــة "انــزواء العزلة" la reclusion solitaire ، وفي عام 1977م نشر مجموعة مقالات في علم النفس حول رسالة الدكتوراه التي كان يعدها تحت عنوان "منتهى العزلــة" la plus haute de solitude ثم جاءت روايته "موحا المجنون، موحا العاقــل "عام 1987م، وفي عام 1980م،عاد مرة أخرى إلى الشعر ليقــدم ديوانــه " خبايا الذاكرة " A l'nsu de souvenir، وفي نفس العام نفســه تــرجم إلى الفرنسية رواية " الخبز الحافــــي" Le pain nu صديقه محمد شكري وكتب لها مقدمة بالغة التميز.. ثم نشر روايته "صلاة الغائب" عام 1981م، وقــام في عام 1982م،بنشر مجموعة من النصوص تحت عنوان" منفى الحجــارة " l'exil de pierres " وفي عام 1985م،نشر روايته "ابن الرمل" وجاءت روايتــه " ليلة القدر "عام 1987 م،لتحصل على جائزة جونكــور، وفي عــام 1989 م،نشر روايته " يوم الصمت في طنجة " ثم نشر روايته" غــض البصــر" عــام

1991م، و " تصاعد الرماد"، و "الملاك الأعمى " عـــام 1993م، و"الرجـــل المحطم" عام 1994م، و" ليلة الخطأ" عام 1997م، وفي عام 1980 نشر كتاباً بعنوان" العصرية كما شرحتها لابنتي "، ثم رواية "فندق الفقـــراء" l'auberye des pauvres عـــام 1999م، و"قصـــص حـــب ســـاحرات" amours sorciers عام 2003م،ثم"رحيل" partire عام 2006 ، و"يما"، "المدرسة الضائعة" 2007م، و"عن أمي" 2008 ، و"فى البلاد"، "آمين باســـم هـــش" 2009م، بيكيت وجينيه، "شاى فى طنجة" 2010م، و"بالنار"، و"الشـــعلة"، و"لتندمل الجروح" 2011م، و"السعادة الزوجية" 2012م، و"عتبـــة الجنـــة" 2012، و"حكاياتى عن بارو" 2014م.

ورغم أن الكاتب يعيش في باريس وينشر باللغة الفرنســـية، إلا أن كـــل أعماله تدور أحداثها في المغرب.. بين مدنها وفوق أديمها. وأبطال هذه الروايات هم مغاربة وعرب في المقام الأول. ولعل هذا هو سر مذاق الكاتب. وكما جاء في جريدة الوطن الكويتية أنه " كلما كنا قريبين من مسقط رؤوســـنا امتلكنـــا أكثر الفرصة في أن نخاطب العالم كله، وفي أن نكون مفهومين من الجميع. وإذا كتب أحدنا رواية عن الإنسان عموماً فإنه لا يؤثر في أي قاريء بشكل خـــاص ..." إذن، هويتي واضحة، هي عربية ومغربية، وبالتالي فإن كتبي تشهد على هذا الانتماء " [1].

ويقول بن جلون في نفس الحديث أنه " لا مشكلة هوية لدي، أقـــول أن لغتي هي الأدب، ولا أشك في عروبة ما أكتب، ومن البديهي أن يكـــون هـــذا الأدب الذي أكتبه عربياً في الجوهر والروح وليس في الكتابة ".

---

[1] لسنا هامشيين. عقل العريض " جريدة الوطن (الكويت) 1989/4/25.

لم نعد كتاباً هامشيين فثمة جمهور كبير يتابعنا الآن، وهو الـــذي يمنحنـــا الشرعية والاعتبار، وليست الأوساط الأدبية الفرنسية.

ولو نظرنا إلى إبداع بن جلون، فسنراه مرتبطاً في المقـــام الأول بالمكـــان العربي، قضاياه، ومشاكله،ومعاناته، وقد بدا هذا بشكل واضح في كتابه " ماتت أشجار اللوز متأثرة بجراحها " فهو على سبيل المثـــال يـــدافع عـــن القضـــية الفلسطينية والفلسطينيين. ويقول في خطاب له وجهه إلى ابنه : " لقد توقـــف اليوم داخل تجعيداتي منذ أن مرت آلامهم الدامية فوق منزلنا. كم هـــي مرعبـــة تلك السيارة الضخمة التي تنهش الشيء القليل الذي بقى لنـــا : قطعـــة مـــن الأرض، سقف وثلاث أشجار، إنها آلة تصنع الضوضاء، تلمع الشمس وتنفجر في الضحك المتواصل عندما تخرج من الزهور البرية الصغيرة الهشة التي تســـعى إلى النمو، رأيت أسنانه المصفرة من دماء الأرض التي تحطمت فوق حفنة رمال. رياح خفيفة تهـــز جذور الشجرة، تهبط الشمس وتجمعها، أعتقد أنها تســـكن سحابة صغيرة جامدة لا تتركنا منذ أن كنا بلا سقف، بلا مأوى، أخوك الصغير يجري كي يقفز، كتب المدرسة يعلوها التراب، لقد خفنـــا، وحاولـــت الآن أن تلتهمها "..

" مجروحون من أرضنا، خجولون في أشجارنا، كنا هناك ثلاثتنا، يصـــيبنا موت مفاجيء، وجزء منا أعتقد أنه قد مات. لقد انتزعوها بالطبيعة في الفجـــر، ظللنا هادئين، فتحوا جراحنا واحتسينا موتنا، كان له طعم المر. قالت أمـــك أن لها – جراحنا – عطر الياسمين، فتحت السماء على نـــداء العصـــور اليتـــيم،

ولاحظنا جسد الضوء مغطى بالدماء الجديدة، ترنحت السماء في هذا اليوم لأن الظلم العاري قد سطر خطوطه فوق أرضنا وأجسادنا " [1]..

وبهذه اللغة الشاعرية الراقصة يكتب الطاهر مقالاته السياسية، في مقـال له، أو لعله نداء باطني، إلى الشاعر الفلسطيني محمود درويش بعنـوان " أرض يتيمة " يقول : " محمود درويش، هو هذا الصوت الذي يشدو بالحب. صـوت مشدوه بالشعور المضفرة من البساتين التي تركها عند الفجر، في سن السابعة، عاش في دير السد، الأرض محتلة، فوق أرضي" بوطنية لا حدود لهـا "، غـير محددة المصير، والكرباج الذي يسقط من الضحك عندما يحـوم الطـائر بـين السحب وزبد البحر، عاش محمود في حيفا حتى عام **1970**م، وفي كـل يـوم يقدم شعراً وحجراً، يصنع من كل جملة حقلاً من الوحدة المليئة بالصور وفروع أشجار الزيتون، إنه منفى خارجي، في موسكو والقاهرة، ثم بيروت حيث أثـار ضجة عابرة [2].

وفي مقال آخر بعنوان " العربية، العربية " حول زيارته للمسجد النبوي الشريف بالمدينة المنورة ومدى شعوره بالرهبة والخشوع، الذي أحس به، كتب: " ليست الصحراء قصيدة، ولكنها أيضاً أفكار مسبقة، وصورة ملونة مرسـومة بالنيون أعلى العمارة التي لا تنتهي في أركان الشوارع التي لا سقف لهـا، إنهـا ذكرى شاحبة، تنتقل فوق جبين السحب التي تبدو في وجه السماء حيث تكمن النجوم.

---

[1] Les amandiers، sont mort de leurs blessures. T.Ben Jelloun. maspero.Paris. 1976.

[2] المصدر السابق.

وتؤلم الوحدة الكاتب دوماً، ويقول : " أنا صغير في وحدتي، لكنني أضحك، لم أقص لحيتي هذا الصباح، وليس هذا أمراً جسيماً، فلا أحد ينظر إلي، إنهم يقرءون في الدهاليز، يقرءون في المترو، لا يضيعون أوقاتهم، بينما أقف في الممرات أسمع الشباب يغنون، فأضحك وأفرح، سوف أتكلم مع أ ي شخص، لا، سوف يعاملني كشحاذ، من هو الشحاذ، من هو الشحاذ في هذه البلاد..؟ لم أره قط، أناس يترلون متكاتفي الأيدي، وآخرون يصعدون، أشعر أنهم متشابهون، سوف أتكلم مع هذا الثنائي، سأجلس أمامهما طالما أن المكان شاغر، وسوف أخبرهما بشيء لطيف أشبه بمواء القط أو عواء الذئب [1].

وما يكتبه الشاعر هنا في صورة مقالات ليس سوى نوع من التعبير الشعري المنثور عن أشياء يحسها، ولذلك فإن هذه الانطباعات قد بدت مجسمة كثيراً في هذا الكتاب عن القصائد، لكن موضوع الوحدة الذي يعاني منه الكاتب يطارده في قصائده وانطباعاته.. فهو يكتب عن " طبوغرافية " الوحدة، وهناك مجموعة قصائد قصيرة متناثرة جمعها تحت عنوان " أصيلة، فصل الزبدة " وهي قصائد لا تزيد كل منها بأي حال عن خمسة أو ستة أبيات، قليلة الكلمات مثل :

أدير رأسي للمدينة

وأهازج البحر

وأستعبد صوتي

كأنه المرج

[1] المصدر السابق.

الأطلال تحتفظ بندوبها

ويسكب الزبد ملحاً فوق الهلب

ملح كثير يثير مشاعر الأطفال

وفي آخر مجموعة من هذه القصائد هناك قصيدة رائعة يقدمها قائلاً:

" أنا في الحكمة والحقيقة، أمتلك مفاتيح المدينة، سيد البحر، والصيادين، أنا اليوم مقبرة في الأرض الرطبة، أجمل المقابر التي أصابها الجنون، حيث ينام فيها المجانين ومرضى الحب، المرضى الحقيقيون ".

.. أما القصيدة فيقول فيها :

أنا مجنون بعائشة

الأكثر حسناً من القمر

النقية كجنوني

ليس من الصدى

أن أبكي وأصيح وأسكت

أرقص في اللهب

وأتكلم مع الموتى

بينما يرتجف المفتاح

كتاب مفتوح للأطفال الخائفين

أنا مقبرة الفقراء

أما كتابه " ندوب الشمس " فهو يضم كذلك مجموعة من القصائد الطويلة استوحاها من جو المغرب وأطلق عليها اسم " مراكش "، كما يضم

قصصاً قصيرة بلا عنوان، ثم ثلاث قصص أقرب إلى الانطباعات منها إلى فـــن القص حيث مزج الشعر بالسرد لدرجة يمكن تصورها قصائد قصصية قصـــيرة، مثل "الجمال" و"الشجرة" وهي كلها تعبر عن الحياة في شمال أفريقيا: "من وقت لآخر تمد الشجرة نبضاها، وتتمدد جذورها، سرعان ما يستفيد منها الأطفـــال كي يخرجوا ويلفوا في الغابة العارية وهم سعداء، تدور الشمس بين أصـــابعهم، ويفتحون أذرع السماء، ويهرب الصباح بين أشواكها، كي يشهد على إبحـــار المهاجرين..

وفي الفصل الأخير من هذا الكتاب يقدم بن جلون انطباعه حول الكتابة قائلاً : " أكتب لأنه ليس لي وجه، أكتب لأعبر عن التناقضات. التناقض الذي يقربني من كل هؤلاء الذين ليسوا أنا. من كل الذين يصنعون الجنـــود الـــذي يسيطر علي ويخونني، لا أكتب "من أجل" أو "في" أو "مع " أي منـــهم، ألقـــي نفسي في موكب، وأهرول إلى عزلتي حيث الكلمة لاهثة ويصبح الفراغ أكثـــر اتساعاً " [1].

ويضم ديوان " أحاديث الجمل " مجموعة من القصائد المغربية المجنونة التي تعكس شعور الكاتب بفراغ الوحدة والحنين إلى الألفة. وبين بعـــض فقـــرات وقصائد الديوان، يقدم الطاهر بن جلون كالعادة مقتطفات نثرية اختارها هنـــا من كتاب " هكذا تكلم زرادشت " لنيتشه. وقد أهدى إحدى هذه القصائد إلى الشاعر محمود الهمشري التي يقول فيها :

لا تبكوا الموتى

لقد تعلمت من الرمال

---

(1) Cicatrice du soleil. T.Ben Jelloun. Paris، Maspero،1982.

وتعلمت من الشجر

وتعلمت من الشمس

إن الموتى ليسوا في حاجة إلى دموعنا

ويبدو بن جلون مهموماً دائماً بقضية فلسطين، في ديوانه عـــن " خبايـــا الذاكرة " يكتب أشعاره عن قضية فلسطين وعن الحـــرب الأهليـــة في لبنـــان، ويبدو مدى تغلغل مشاكل بلاده العربية في وجدانه وهـــو في مهجـــره الـــذي اختاره، فهو يفكر فيها وهو يركب المترو، وأيضاً حين يجوب شوارع المدينة التي يعيش فيها، وقد عبر عن هذه الأحاسيس في ديوانه " منتهى العزلة " قـــائلاً : " إذن حدث وتركت باريس إلى المغرب أو إلى أي مكان، فإنني أفتقد هذا النفور، مثلما أفتقد وجوه ومشاعر هؤلاء الأصدقاء الذين ارتبطت بهم في هذه المدينـــة، لقد تربيت أول الأمر في قاس ثم في " طنجة "، وسط حضارة عربيـــة داخـــل منزل، فرنسية عربية في المدرسة، لذا لم يبد لي الطرف الآخر من البحر المتوسط غريباً تماماً، فباريس مثل المغرب، بها أسواق كبيرة، وألوان وروائح، يحـــدث أن تنتابني الرغبة فيها، في سوق باريس ليس لك الحق أن تلمس أو تتـــذوق بل

عليك أن تختار بعينيك وتدفع بعد النظرات بالعيون، ربما لهذا السبب ففي باريس وحدها ثلاثمائة وخمسون قاعة عرض سينمائي، لذا فإن مخرجي أفلام مـــا قبل الحرب – مثل كارنيه ورينوار ورينيه كلير – دائماً ما يظلون في الـــذاكرة حتى الآن..الآن هناك سينمائيون جيدون لكنهم ليسوا فنانين كباراً " [1].

ويقول في الكتاب نفسه أن الأديب في العالم الثالث في حاجة أن يتعـــرف إلى كتاب آخرين وأنه قد تعرف على جان جينيه الذي علمه حياء الأدباء، أمـــا

---

[1] **Al'insu du souvenir T.Ben Je'oun، Maspero. Paris، 1980**

صديقه الناشر ماسبيرو فقد ساعده على نشر كتبه في داره الخاصة التي طبعت أغلب دواوينه الشعرية.

هذا هو العالم الشعري للطاهر بن جلون.. ولكن ماذا عن رواياته..؟

لاشك أن هناك أشياء عديدة من ذاكرة الكاتب قد تجسدت في هذه الروايات، مثلما تجسدت في أشعاره، والذاكرة خصبة بالأماكن والأشخاص الذي يعيشون عليها. وفي أغلب روايات بن جلون هناك جزء من سيرته الذاتية، هذه السيرة متناثرة في هذه الروايات بشكل يمكن الإمساك بها بسهولة وأيضاً يمكن أن تفلت منك بسهولة، فالكاتب يصوغ هذه السيرة ببراعته الفنية التي لا تجعله يقع في شراك السيرة الذاتية التي قد تنحي بالكاتب عن القص الروائي.. وقد تؤثر كثيراً في فنية العمل، وفي رواياته يبدو المكان، والأسرة، عماد كل أعماله الفنية، ولاشك أن الطرفين قد تفاعلا معاً فصنعا مزيجاً خاصاً لكل منهما الآخر.. فلا يمكن أن تذكر الأب والأم دون أن تذكر البيت الذي عاشا فيه مع أبنائهما. ولا المدينة التي انتقلا دائماً إليها نفس المدينتين، كأن العالم لم يتحرك خارج حدودهما.. ورغم العالم الرحب الواسع الذي ذهب إليه بن جلون فيما بعد، فإنه آثر أن يحبس نفسه في هذه المدينة، كما أن الكاتب يذكر مدناً أخرى مغربية مثل الدار البيضاء التي يراها في رواية " حرودة" مدينة المستقبل. أما طنجة فإنه يداعبها في نفس الرواية ويطلق عليها اسم " الخيانة "، وهذه المدن بالنسبة للكاتب هي مدن الطفولة، وفي هذه المدن تتباين أشكال الناس خاصة النساء، فهناك المرأة الفاضلة الطيبة، وهي غالباً أمه كما أن هناك بنات الهوى.

ويمكن أن نجد كل هذا العالم والسمات في روايته الأولى "حرودة" والذي تكرر بعد ذلك في كل رواياته، فهو يهدي الرواية إلى أمه، تلك المرأة التي

عليها أن تتعامل مع الأب كأنه البطريرك. أو " الإله " – مثلما حدث في رواية شرايبي الأولى – والمرأة هي التي تصنع تمثال هذا الرجل الذي هو أبوه.

وفي رواية "حرودة " لا ينسى بن جلون أنه شاعر، فيتغنى لهـــا ويصـــفها شعراً قائلاً :

حرودة

طير

نهد

امرأة

عروس بحر

مجسدة في الكتاب [1]

وحرودة امرأة هوى تختلف كثيراً عن أمـــه، كمـــا ســـبقت الإشـــارة، وجسدها يتعرى بسهولة أمام الكلمات المكتوبة، وهو ليس جسداً عارياً.. بـــل هو جسد مقدس يناسب هذه المهنة. وهي في منظور الكاتب نموذج للمرأة كما جاء في قصيدته، وحرودة تعيش في فاس، وهي مكان متسع لامرأة مثلـــها، وفي شهر رمضان تبدو المرأة مختلفة تماماً حيث يحل الورع على المدينة، وهناك مـــزج بين المدينة التي يعيش فيها الكاتب وبين المرأتين اللتين هما أمه وحـــرودة، فهـــو معجب بكلا النقيضين، وإذا كانت فاس مدينة حرودة، فإن طنجة مدينة واسعة بها الأطلال والمؤسسات وهي مدينة البلور. والجبل الذي يحوطها حاملاً ذكرى من أيام الحرب، كما أن " طنجة " تخفي وجهها، وتبدو شاحبة وهـــي تكـــذب عليك " [2].

---

(1) **Harrouda، T.Ben Jelloun. Denoel. Paris، 1974،P.7.**

(2) المرجع السابق.

وقد بدت نفس ملامح الأشخاص والأشياء في روايته الرابعــة "صــلاة الغائب " التي يروي فيها أيضاً جزءاً آخر من سيرته الذاتية، ومع ذلك فإن كل شيء يبدو أشبه بالخيال، عدا تلك الأسئلة التي تتعلق بالهوية والجذور والكتابة، فهي أشبه بيوميات خاصة لشخص يبحث عن هوية ويريد أن يعطــي لجــذوره معنى، فكل شخص يقدمه الكاتب يكافح في مجاله، وهو " يمنى " المرأة الــتي سوف تقود الآخرين وهي تعبر الغرب ليست صورة حقيقية من امرأة كانــت تحمل نفس الاسم، عملت في الهوى وعاشت في مدينة فاس، إنها بالطبع صورة متكررة من حرودة، ولعلها نفس المرأة،أما سندباد فهو رجل فقد الذاكرة بعــد أن صدم في علاقة عاطفية وكأنه يتخلى بالمجتمع من حوله عن هوية ارتبط بهــا كي يعيش في عالم جديد، إنه يعيش في المقابر قريباً من شخص أكثر منه فقــراً، والفقر هنا هو فقر الروح. إنه يحمل اسم كلبه " بوبي "، وهناك الطفل الــذي عليه أن يذهب مع الثلاثة إلى مقبرة الشيخ " أبو العينين "، لقد ولد في المقــبرة تحت شجرة زيتون، ليس له اسم، وهو كما يصوره الكاتب إنسان بكر يبــدو واضح الوجه.

تتحرك هذه المجموعة بقيادة " يمنى " من الشمال نحو الجنوب، في داخــل البلاد، يرون مغرب الأمس واليوم، ينتقلون بين المدن والقريــة، مــن أمــاكن حقيقية إلى أخرى يتخيلونها، إنهم يتمتعون حين ينسون أن الــزمن يــدور مــن حولهم، ويروح واحد منهم يتذكر زمن المقاومة ضد الاستعمار التي كان يقودها الشيخ أبو العينين..

ويقول الكاتب حول ظروف تأليفه هذه الرواية : " كتبت هذا الكتــاب إبان اضطراب في مشاعري، عشته يوماً مع الضياع، وطاردت أبطالي، وسافرت بنفسي معهم، وعندما حانت لحظة فراقهم، طاردوني في أحلامي ونومي وحياتي،

لقد تسلطوا علي، كانت تلزمني بضعة أشهر كي أخلص نفسي منـــهم، فهـــي ليست سيرة ذاتية إلا من خلال خيال بالغ النقاء،وهذا هو السبب الذي جعلني أكف عن النوم " [1].

وإذا كانت هذه الروايات قد بدا فيها المكان بطلاً من خـــلال المدينـــة والأشخاص الذين يعيشون فيها، فإن الأسرة هي البطل الأساسي في روايته، أو فلنقل ثنائيته، " ابن الرمل "و " ليلة القدر "، فنحن هنا أمام بن جلون بشـــكل آخر، ذلك الصبي الذي وجد نفسه في أسرة أنجبت عدداً كبيراً من الإنـــاث ولم تنجب سواه.. فاستحق كل الرعاية والاهتمام باعتباره الذكر الوحيد في المترل. وقد قام الكاتب بتغيير هويته ليتخيل أحمد الطفل الذي جاء في أسرة لم تنجـــب سوى البنات، وأحمد هذا ليس سوى بنت، لكن رب الأسرة أقسم على امرأتـــه ذات يوم أن تلد ولداً، حتى ولو كان بنتاً.. فسوف يكون ولداً.. لذا فعنـــدما ولدت الأم أنثى، كان على الأب أن يعلن على الملأ أنه رزق " أخـــيراً بمولـــود ذكر. بعد أن أعطاه الله سبع بنات"..

والثنائية الروائية تدور أحداثها على لسان هذه الأنثـــى ـــ الـــذكر، أو الأنثى التي عليها أن تتصرف كأنها ولد، فهي عندما كبرت صارت رجلاً يحمل في جسده صدر امرأة. والأب هنا مثل الأب في كل الروايات التي كتبـــها بـــن جلون، فهو بين " سيد "و " رب " المترل، ويحس أن رجولته مفقودة طالمـــا أن امرأته لم تنجب له صبياً واحداً، يصرخ : " بطنك يا امرأة، تعجز عن حمل صبي "، صرخ الحاج : " لذلك قررت أن تكون الولادة الثامنة عيداً، احتفالاً عظيماً يستمر سبعة أيام وسبع ليال، ستصبحين أماً حقيقية، ستصبحين أمـــيرة لأنـــك

---

[1] نشرة **Lew seuil** سبتمبر **1981**، ص**2**.

ستكونين قد أنجبت صبياً.. الطفل الذي ستضعينه سيكون ذكراً، سيكون رجلاً، سيدعى أحمد حتى ولو كان أنثى ! لقد أعددت العدة لكل شيء وهيأت لكل شيء، سنأتي بالقابلة العجوز، لا.. لا راضية، فهي لن تعيش بعد ذلك أكثر من عام أو عامين، وسأعطيها ما يلزمها من نقود، كي تحتفظ بالسر..".

ويقول الكاتب في فقرة أخرى من نفس الفصل من الرواية المعنون " باب يوم الخميس" : " عليك أن تبكي من الفرحة، انظري.. انظري.. إنه طفل.. لا حاجة لإخفاء وجهك، يجب أن تكوني فخورة، لقد أعطيتني طفلاً بعد خمسة عشر عاماً، غلام.. إنه طفلي الأول، انظري كم هو جميل !. المسي أنامله، وشعره، إ نه رجل، ثم استدار ناحية القابلة وطلب منها أن تسهر على الطفل وألا تترك أحداً يقترب منه، وخرج من الغرفة تعلوه ابتسامة عريضة، يحمل كل رجولة الدنيا فوق كتفيه، أحس وهو في الخمسين من عمره أنه شاب، لقد نسى أو لعله تناسى، كل ما دبره، لقد رأى فتاة. ولكنه تصور بكل ثقة أنها غلام " (1).

وعندما كبر أحمد بدأ يدرك الحقيقة. وراحت الكوابيس تنهشه، إنه فتاة لم يكن أمامها سوى أن تسجل معاناتها يوماً بعد يوم. فراحت تراسل صديقاً مجهولاً اكتشف سرها وحرص على مقاسمتها أحزانها وهمومها. وربما من موقع المحب العاشق " تنتقم الوجوه من جديتي بالعبوس الدائم لذلك أبعدها برفق، وأضعها جانباً. أكدسها فوق بعضها البعض، تنسحق، تتألم. بعضها يتمكن من الصراخ. صراخ اليوم، نعاء، اصطكاك الأسنان، وجوه بدون ملامح، ليست لرجل ولا لامرأة، لكنها أشكال لجمال مطلق، الأيدي تخونني أيضاً خاصة حين

(1) باب يوم الخميس ــ مجلة الأديب المعاصر ــ ترجمة محمود قاسم، يونيو 1988م، ص46

أحاول تزويجها مع الوجوه، المهم هو تحاشي الفرق، احتفالية الفرق تأخذني، إنني مهدد بخسارة كل شيء، وليست لدي الرغبة في أن أ جد نفسي في الخارج مع الآخرين [1].

وتبدأ أحداث الجزء الثاني من الثلاثية ــ ليلة القدر ــ حين يموت الأب. ويكون هذا الحادث بمثابة انطلاقة الشرارة لكل مشاعر الأنثى المتفجرة في الفتاة التي عليها أن تنتبذ اسمها الرجولي، وتعطي لنفسها اسم زهرة، وتقرر أن تنطلق في المدن والبلاد، وبن جلون يطلق على بطلته اسم "زهرة الزهور" التي تحس كم ينهد صدرها في جسدها. وترغب أن تعيش حياتها، لكن هل يمكنها أن تهرب من المصير الذي سجله لها أبوها، عليها أن تترك النساء المخنوقات وتذهب إلى حيث يقودها جمالها، ورغم أنها فتاة ثائرة متمردة القلب، حيوان غريب شارد، إلا أنها تشعر بأنها قريبة من الله. وتحمل معها المصحف الشريف : " انظر كم أنا طفلة ذات هوية مزدوجة وملقحة. أنا طفلة مقنعة حسب رغبة أبي الذي أحس بالخزي والعار لأنه لم يرزق بولد. وكما تعرفون ، فأنا هذا الولد الذي كان يحلم به أما الباقي فإن البعض منكم يعرفه ، وسمع الآخرون أطراف كلام من هنا أو هناك. هؤلاء الذين يخاطرون بقص حياة ابن الرمل والذين يعانون بعض المضايقات. بعضها حقيقي والبعض الآخر فشل في أن يفقدهم روحهم. لنحكي لكم قصصا. إنها ليست قصتي بالفعل. رغم أنني حبست نفسي فيها. فقد جاءتني الأخبار. ولست مندهشة وغير متضايقة. كنت أعرف أبي سأترك خلفي الحكايات المثيرة للدهشة. ولكن لأن حياتي ليست

[1] ابن شرعي لواقع معقد، كمال طر بية، مجلة " جديد "، العدد **11**، لعام **1986**م.

خزانة. فقد بدأت في ترتيب الأحداث. وأكشف لكم السر الذي ظل محفـورا خلف الجدران السوداء لبيت له سبعة أبواب " [1].

وحول ثنائية الحدث في الروايتين تكلم بن جلون في مجلة اليوم السابع : " أما موضوع طبيعة رواية " ليلة القدر" فهي ليست تتمة لرواية " ابن الرمل" وإنما هي نظرة مكملة لها.. قد تكون تتمة للرواية الأولى ، بمعنى أنـني أخـذت نفس الشخصية ولكني لم أعالجها كما تركتها في ختام رواية " ابن الرمل" ، بل وضعتها هنا وسط الأحداث وأعطيتها إمكانية قص وقائع حياتهـا ومعايشـتها، ستعيش الشخصية حالات صعبة ومؤرقة لكنها ستخترق هذه الصعوبات لفرض هويتها وحتى يعترف بوجودها، والذي سيتعرف بها في أول الأمر هـو إنسـان ضرير، لماذا ؟ لأن شخصية " ليلة القدر " المحورية هي شخصية حجبت لفتـرة طويلة وعاشت في الخفاء، فليس في إمكانها إذن أن تظهر دفعة واحـدة تحـت الكشافات وأمام نظار ستتصفح مفاصلها لتخلع عنها الحجاب الذي كان يغلف هويتها، فمن المنطقي ألا تهدي كيانها الجسدي إلا إلى إنسان لا يبصر، هذه هي النقطة الأولى، ثم ثانياً، فالعلاقة التي ستتوطد عراها بين الأعمى وهو القنصـل وشخصية الراوية هي علاقة روحية وفكرية وشعرية [2].

والطاهر بن جلون يتعامل مع روايته وكأنها " حكاية من حكايات ألـف ليلة وليلة "، فنحن لو نقبنا فيها سنعثر بكل سهولة على العناصر التي طبعـت الليالي العربية : الجنس في المقام الأول، ثم الغرابة ووصف العلم وكأنه جزء من الحقيقة، ثم تحول الشخصية والأقنعة والأسرار التي يحل بعضها صراحة وبعضها تلميحاً.. ثم هناك الأمكنة : الروض المعطـاء، والحمـام، والبيـوت الحافلـة

---

[1] **La nuit sacree.T.Ben Jelloun، seuil. 1987، Paris.**

[2] الشاعر يشاغب، حوار خميس خياطي، اليوم السابع، **23** نوفمبر عام **1987**م ص **38**.

بالغوامض وزوايا الأسوار، والشخصيات التي تخرج من المألوف سواء أكانت شخصيات الحلم أم شخصيات الواقع : الجلاسة بمظهرها الذي تطنب الرواية في وصفه، والعم وزوجته، وشيخ الروض المعطاء، ثم هناك الجن (في الحمام) والأشباح، وهناك الوقوف خارج الأزمنة : فالليل يختلط بالنهار ويضيع الزمن من حيث أن مرور الوقت لا يعكس أي تأثير على الأحداث كم أمضت زهرة في الروض المعطاء ؟ كم أمضت في بيت الجلاسة والقنصل ؟ كم أمضت في السجن؟ لسنا ندري، والطاهر بن جلون يستعير هنا من الحكايات الشعبية العربية هذا الوقوف الملح خارج الزمن، وهناك ذلك المزج المر بين الجنس والعاطفة وبعض الأمور الأساسية الأخرى، ولعل هذا العنصر يتخذ قوته الاستثنائية من كون الرواية تحكي لنا بصوت البطلة نفسها، وهناك أخيراً عنصر الإيهام، فتماماً كما أن ابن جلون يختتم " ابن الرمل " على حيرة القراء أمام أحمد، كذلك نراه يستمريء اللعبة هنا فيوقعها في الإبهار إزاء العديد من الأمور، مثلاً : إزاء علاقة الجلاسة بالقنصل [1]..

يعود المكان واضحاً من جديد في رواية " يوم من الصمت في طنجة"، المنشورة عام **1989**م،والتي يتحدث فيها عن رجل عجوز مريض قابع في حجرة، وذات ليلة باردة وبينما هو في وحدته، والجدران تسرب الصقيع، تنتاب الرجل رغبة أن يخابر أصدقاءه، ولكنه يكتشف أن كل الأصدقاء ماتوا. فتنتابه الرغبة في المرأة، ويكتشف أن الخادمة ليست سوى امرأة دميمة، تنتابه الرغبة في أن يقص الأنسجة والأقمشة مثلما كان يفعل في شبابه في محله، ولكنه

---

[1] رحلة العمر، إبراهيم العريس، اليوم السابع، **1987/11/30**م، ص **42**.

عندما يحاول أن يفعل هذا يكتشف أن أصابعه ترتعد ورغم هذا فهو يصر أن يفعل ذلك، حتى لو ألقى بكل الأدوية من النافذة.

ورجل مثل هذا ليس له حاضر، لابد أن يعيش في الماضي وأن يسترجع في ذاكرته كل ما حدث وما لم يحدث في السنوات الخوالي، وعليه أن يعيد تجسيد الوجوه والأصوات مرة أخرى، وأن يرى، من جديد، كيف كان الجيران القدامى كأنه بهذا يصنع حياة داخلية من الصعب الإمساك بها إلا في الذاكرة في يوم مليء بالصمت. لا يجيء أحد كي يتحدث إليه، وعليه الآن أن يقبل فكرة أنه رجل عجوز، بل وأن يموت وقد اتسع صدره لنهايته الهادئة.

وهذا الرجل أقرب في صفاته إلى صورة الأب في كل روايات بن جلون، لكنه هنا يعيش في وحدته ويومه الأخير، فهو أيضاً عاش بين فاس وطنجة.. وفتح حانوتاً للحياكة في المدينة، وفي طنجة كان هناك الكثير من الجيران الطيبين، وكانت زوجته تعاني من أنها قصيرة القامة. والرجل العجوز رغم أنه يستسلم للحظة موته، إلا أن هذا لا يحدث بسهولة. فلا شك أن كل هذا الماضي الذي يقبع في ذاكرته يجعله يقاوم كي يعيش لحظات أخرى، ويقول بن جلون رداً على أوجه المقارنة بين أبيه وبين هذا العجوز : " لقد فكرت دوماً في أبي الذي عاش دائماً في طنجة وأنا أكتب هذا النص، بالنسبة لي فأنا لم أكن اتصل به إلا بصعوبة، وهذا الكتاب ليس سوى وسيلة لتحديد مشاكله، وليس من أجل حلها [1]. وفي روايته المنشورة عام **1991** م، تحت عنوان " غض البصر " ينتقل بن جلون إلى إحدى المدن البربرية في جنوب المغرب ويجعل الرواية، مثلما حدث في ثنائيته ــ تدور على لسان راوية تواجه عمتها القوية الشكيمة، وتحلم بأبيها الذي رحل إلى فرنسا من أجل العمل والذي يمثل بالنسبة

---

[1] **Un livre a Tanger، Gilles Pudlouski، le point. 8-1-1990،P.12.**

لها شيئاً مهماً، تتصور الفتاة أن أسلافها القدامى قد تركوا لها كـنزاً في مكـان بجبال طنجة، وأنها الوحيدة التي تعرف اسم المكان الذي به الكنز، وذات يـوم يعود الأب من سفره، بعد أن يموت أخوها القزم كي ينتزع كل أبناء أسرته من جذورهم ويذهب بهم إلى باريس. حيث سيقيم الجميع في حي " جـوت دور" **Goat d'or**– نقطة الذهب– الذي يعتبر تجمعاً للعرب المهاجرين مـن شمـال أفريقيا.

وما أن تصل الرواية إلى باريس حتى تكتشف عالماً آخر لم تكن تتصـور قط أنه موجود. فهي ترى السيارات الفخمة لأول مـرة ، وتطـالع الكتـب، وتصطدم بالعنصرية الأنانية والحب، وتحس كأنها ولدت من جديد ولكن هـل تنخلع من جذورها القديمة ؟..

والفتاة في هذه الرواية تتسم أن لها عينين جميلتين وواسعتين وجبهة عاليـة مليئة بالغموض، وفي الكتب التي تبدأ في قراءتها، وهي القروية البريئة، تبـدأ في التعلم أن هناك أشياء جميلة جمال الخيال الذي كانت تتمتع به وهي في القريـة، ولذا فإنها تصنع لنفسها ما يسمى بالبعُد الثالث، إنه يمزج بين حلمها وخيالاتهـا وبين ما تراه من واقع..

ولاشك أن بن جلون في هذه الرواية " يؤكد توهانه بين منفيين وثقافتين يحاول أن يبحث عن مكنه بين حياتين وحضارتين " [1].

ومثلما فعل في " ليلة القدر " فإن الكاتب يمزج بـين الواقـع المعـاش والأسطورة المتمثلة في المخيلة. يقول فردريك فيتو أن بن جلون قد استفاد مـن تجربة زلزال أغادير الذي حدث في أوائل الستينات، فقد مات الكثيرون، لكن

---

(1) **L'eternelle etrangere، Michele Gazier،. Telerama 2-1-1991، P.12**

من بقوا على قيد الحياة قد فقدوا الذاكرة، وظهر هناك ما يمكن تسميته بائعي الذاكرة، ومع ذلك فإن البطلة هنا قد عاشت كوابيس بدت كأنها تتبدد، فقد بذلت الراوية هنا الكثير من اجل أن تتعلم القراءة وأن تصنع مصيرها، وهي التي لم يكن عليها سوى الامتثال وهي طفلة صغيرة في المدرسة، أصبحت لها الآن شخصيتها الواضحة [1].

في روايته ليلة الخطأ عام **La nuit de l'ereur 1996**م، يبدو الكاتب كأنه يعزف على النغمة نفسها في " ليلة القدر "، فالبطلة زينة مولودة في مدينة فاس، في نفس الليلة التي مات فيها جدها، فهي مكتوب عليها ألا ترى ضوء النهار، ترحل مع والديها إلى طنجة، وهي تتصرف كرجل أكثر منها كفتاة، فهي فتاة ضيقة العينين، ويبدو شعرها كأنه لنمرة صغيرة إنها صاحبة جمال خاص، لكنها تبدو واقعة في مملكة الجان، يردد أبوها : أعرف يا ابنتي أن السلام لا يجذب انتباهك أبداً، يجب أن تقاومي قوى الشر، وتصبح زينة بمثابة لعنة على الرجال الذين يقعون في هواها وما أكثرهم.. مثل سليم، وكارلوس، ورحيم، وبشار، ومالك، ذلك الجواهرجي الحسي، وفي حياتها رجال آخرون، منهم دهمان، الرجل المقطوع اليد، الذي تستخدمه كمرسال..

وإذا كانت ليلة القدر هي الركيزة في رواية سابقة، فإن ليلة العيد الكبير موجودة بالتفاصيل في رواية بن جلون، وأهمية الشخصية هنا، أنها امرأة لها قوتها الخاصة، تدفع بالرجال إلى الجنون، ومن بين ضحاياها، عبيد الذي لا يكف عن رسم الحصان نفسه، إنه حصان أعور مجنح، أما، بلال فهو محسوس بالزمن الضائع وكارلوس الذي حبس نفسه داخل أحزانه، أما سليم فإنه يرحل لاستعادة زينة الساحرة التي صار اسمها الشيخة شريفه.

في عام 2003م، قام بن جلون باستجماع عشرين قصة قصيرة، كتبها على فترات متقاربة، استوحى بعضها من 11 سبتمبر، وتدور الأحداث من فاس، مدينة الكاتب الخالدة، إلى لندن رايسندا، ونيويورك.

في عام 2006م، بدا بن جلون، الذي كان قد بلغ الثانية والستين، في تحويل قبلته إلى أوروبا، فرواية " رحيل " تدور في أوروبا المعاصرة، بطل القصة هو أكثر من شخص، وأسمائهم غير عربية، بل أقرب إلى الغجر الأوربيين، مثل أزيل، وكنزة، وميجيل، ثلاثة شباب يحاولون الهرب، لكل منهم أسلوبه وطريقته، إنهم مساجين لإيقاع حياتي مألوف، يود كل منهم أن يمتلك مصيره، وأن يخترق طريقاً متخيلاً يقودهم إلى السلام، إنهم جميعاً بلا ذاكرة، لديهم الرغبة في أن يستمروا أحياء، حتى لا يصيبهم الدمار، فأزل قد ترك أحياء طنجة الفقيرة محاولاً البحث عن مغامرة، محاولاً عبور البحر، الذي يفصل الجنة عن النار، إنه يحلم بالسعادة، يصل إلى برشلونة يلتقي بميجيل، الذي يراه منفذاً، نعم لن يلبث أن يصبح جلاوه، أما كنزة، شقيقة أزل، فهي تحاول أ ن تلمس وحدها الأمل في عالم مظلم، ولا يلبث أن يصبح الثلاثة أشخاص ألعوبة في يد القدر الذي سوف يتجاوزهم معاً، فهم يعيشون في عالم تحكمه العولمة، والتعصب، وشهوة السلطة، والحس الجنسي الذي يتفجر يومياً تحت أقدامنا.

ويقول لوران سكسيك في مجلة لوبوان، 16 فبراير 2006م، أن " رحيل " هو كتاب يبدو مسطراً وسط عشوائية عقلانية، في صبيحة مأساة مدريد في مارس عام 2004م، بأسلوب جاف، يبدو فيه الواقع أقرب إلى الخيال، كأنما الكاتب يحطم كل شيء في كل لحظة..

بنسالم حميش (1948م)

وهناك حالات قليلة جداً من الأدباء يتميز فيها الكاتب عنـــدما يكتب بكلتي اللغتين، خاصة في الأدب العربي المكتوب باللغــة الفرنسية، وذلك مثل حالة الكاتب المغربي بنسالم حميش، الذي يؤلف أشعاره ورواياته وأبحاثه بكل من اللغة العربية والفرنسية بالقدر نفسه..

ولاشك أن هذه حالة استثنائية في المقام الأول، خاصة أننا أمام كاتب ينتمي إلى الجيل الوسط، وكان في السادسة من العمر عندما استقلت بلاده عــن الحكــم الاستعماري الذي كان يمثله الفرنسيون والأسبان معاً..

ولد بنسالم حميش في مدينة مكناس في الثالث عشر من يوليــو **1948**م، وفي هذه المدينة تلقى علومه الأولى، ثم سافر إلى الرباط ليلتحق بكليـــة الآداب والعلوم الإنسانية، ثم رحل إلى باريس من أجل استكمال دراســـته في المدرســـة التطبيقية العليا، وأيضاً بجامعة السوربون.

وقد تعددت اهتمامات الكاتب في مجال تحصيل العوم، فحصـــل علـــى ليسانس الفلسفة، كما حصل على ليسانس علم الاجتماع عام **1970**م، وبعد ثلاث سنوات حصل على الدكتوراه الأولى في حياته، ثم حصل على الدكتوراه الثانية عام **1983**م.

ورغم الفرص العديدة للكاتب بالبقاء في باريس، فإنه عـــاد للعمـــل في الجامعة بالرباط ، ورغم هذا الشغف الشديد بالحصول على الشهادات العليـــا، فإنه لم يكف عن الكتابة باعتبارها زاده الفكري، وحقيقة أعماقه، فكان يكتـــب

المقالات في العديد من المجلات البيرونية، والمغربية، وفي عــام1970م،أصـــدر مسرحيته الأولى باللغة العربية تحت عنوان " العكاكيز".

كما ساهم بنسالم حميش في إصدار العديد من المجلات الثقافيـــة المغربيـــة ومنها مجلة " البديل " التي صدرت بـــين عـــامي 1981م، 1983م ثم المجلـــة المغربية للاقتصاد والاجتماع.

وبالنظر إلى إبداع الكاتب، سوف نجد أنه كتب الشعر مباشرة بكل مـــن اللغتين العربية والفرنسية، ففي عام 1977 م،صدر ديوانه الأول باللغة العربية، باسم "كناش إيش تقول " في الدار البيضاء، وفي عام 1980م،صـــدر ديوانـــه الأول باللغة الفرنسية تحت اسم " لو لم تستعرض الدوافع نفســـها " عـــن دار الزمان المغربي بالرباط، والغريب أن الشاعر بدأ كأنه يفصل نفسه عن نفســـه، فهو غير حريص على تقديم أعماله المكتوبة باللغة الفرنســـية إلى قـــراء اللغـــة العربية،والعكس.

لكن، بالنظر إلى مجموع أعمال الكاتب، فسنرى أنه اهتم أكثـــر باللغـــة العربية، وأنه حرص دوماً على تقديم إبداعاته لدى الناشر من خـــارج حـــدود المغرب، وسوف نرى أن دور النشر اللبنانية قد فتحت له أبوابها، وقدمت لـــه أعمالاً عديدة منها " في فقر الحاجة إلى ماركس " عام 1984م و" كتاب الجرح والحكمة " عام 1986م، ثم " التشكيلات الإيديولوجية في الإســـلام " عـــام 1988 م،وبالنظر إلى روايات الكاتب، وكتبه التي صدرت في المغرب، فسوف نجد أنها قليلة العدد، خاصة المكتوبة باللغة العربية، ومنها " معهم حيث هـــم " عام 1988م، وهو كتاب عقد فيه مجموعة من اللقاءات الصحفية مع عدد من الأسماء الأدبية والفكرية العربية المهمة، ومن أعماله الأخرى "أنـــا المتوغـــل"،

"زهرة الجاهلية" **2004**م، و"هذا الاندلس" عام **2009**م، وكانت على القائمة الطويلة لبوكر، و"معذبتى" **2010**م.

أما كتبه المؤلفة باللغة الفرنسية،فهي منشورة بين باريس والرباط فكتابه " التشكيلات الإيديولوجية في الإسلام " قدمه الفيلسوف الفرنسي، والمستشرف المعروف مكسيم رودنسون، وقدم طبعته العربية المفكر محمد عزيز الحبابي، بينما نشر بنسالم حميش كتابه " الرحيل على ابن خلدون أو فكر القهر في دار نشر مغربية "، حاول فيه إلقاء وجهة نظر جديدة حول ابن خلدون، ورؤيته للقهر الاجتماعي..

وفي عام **1992** م،أصدرت دار نشر في الرباط كتابه الشهير " كتاب الحمى " وهو أيضاً محاولة لرصد ما أسماه بثقافة القهر الاجتماعي.. وله أيضا "فى بلاد أزماتنا" **1997**م.

نحن إذن أمام كاتب غزير الإنتاج، يعمل بدون توقف، وقد تعددت إبداعاته في مجال الرواية، والشعر، والدراسات الاجتماعية، والإسلامية، بحكم ثقافته ودراسته وعمله كأستاذ في كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، حيث يمزج بين دراسته للفلسفة، وبين رؤى أبطال هذا العالم ورؤيتهم للدنيا..

والكاتب بن سالم حميش يمثل جيل الأدباء الذين عاشوا حياقم بعيداً عن الحكم الاستعماري، لكنه لم ينس ثقافة هذا الآخر، فسافر إلى بلاده، وأتقن لغته، وحاول أن يقدم له الثقافة العربية، ورموزها وأفكارها بصورة صحيحة. وقد تولى منصب وزير الثقافة المغربية بين عامى **2009**م **2012**م، ومن أعماله الفكرية الصادرة باللغة العربية: "الخلدونية فى ضوء فلسفة التاريخ" **1998**م، و"عن قراءة ابن خلدون" **1999**م.

قائمة بأهم أدباء المغرب الذين يكتبون بالفرنسية

<u>بارودي، عبدالله :</u>

سياسي وشاعر وجامعي، عاش في المنفى في فرنسا لسنوات عديدة من أعماله النثرية " المغرب تبحث عن ثورة "عام **1972**م، ومن أشعاره دواوين " المغرب أو ذاكرة المنفى " عام **1979**م، و " أشعار فوق الأرواح الميتة " عام **1982**م.

<u>بلزميني علوي، محمد (1951م) :</u>

ولد في الدار البيضاء درس الأدب في جامعة باريس، ثم درس **1977**م، ثم " اشعار PEOMES " و " اتساع الموت المعطر " **1985**م.

<u>بلهاشي، أحمد (1927م) :</u>

ولد في الدار البيضاء، درس الأدب في جامعة باريس، ثم درس في كمبريدج، ثم عمل بعد الاستقلال ملحقاً في مجلس الوزراء للسلطان محمد الخامس، قام بتدريس الإنجليزية في بريطانيا وفرنسا، عمل مديراً للمركز السينمائي بالرباط، له مسرحيتان " الآذان ذات الوشاح " عام **1956**م، و" حصن الرمل " عام **1962**م.

بلهاشي، عبدالقادر (1927م) :

ولد في الدار البيضاء، ودرس في جامعة كمبردج، عمل مديراً للمركز الثقافي المغربي بين عامي 1958 و 1959م، قام بتدريس اللغة الفرنسية في بريطانيا وعمل سكرتيراً لسفارة المغرب في واشنطن، نشر مسرحيته الأولى " المتبرجة " عام 1952م، ورواية " ثريا "، أو " الرواية التي لم تنته " عام 1960م.

ابن جلون، الطاهر (1944م) :

(انظر الفصل السادس).

ابن حمزة، عبدالرحمن (1952م) :

ولد في مراكش، يعمل مدرساً للغة الفرنسية وناقداً، شاعر، من أعماله " المسافر " عام 1975م، و" أضواء هشة وصحراء شاسعة " عام1977م، ثم كتاب نثري بعنوان " من يوم لآخر " عام 1980م.

الخطيبي، عبدالكبير (1938/2/11 م - 2009/3/16م):

ولد في الجديدة، درس علم الاجتماع في السربون، ثم حصل على الدكتوراه عام 1965م، يعمل مدرساً في كلية الآداب بالرباط، روائي وشاعر وباحث وناقد من رواياته " الذاكرة الموشومة ": عام 1971م، و " كتاب الدم " 1979م، ومن مسرحياته " النبي الطائر " عام 1979م، ومن أ هم دراساته " فن النسخ الغربي " عام 1976م، وله روايات منها " صيف في ستكهولم " عام

1990م، وله العديد من الدراسات بالفرنسية عن الأدب الفرانكفوني.. (أنظـــر الفصل السادس).

خير الدين، محمد (1941 م – 1995م) :

ولد في طفروت من أبوين نجارين. اكتشف الشاعر " رامبو" وأحبه، يكتب بالعربية والفرنسية، صادق شعراء فرنسيين، وتزوج بفرنســـية، أســـس مجلـــة " نفحات " عام 1916 م،مع عبداللطيف اللعبي ثم مجلة " المياه الحية " ثم رحـــل إلى فرنسا عام 1956م، شاعر من أ هم دواوينه " غثيان آشور " عام 1964م، و " شمس العناكب " عام 1969م، و" هذه مراكش " عام 1975م و"اسطورة وحياة اجونشيش" 1984، و"نصب تذكارى" 1995م، و" بعث الزهور البرية " عام 1981م، ومن رواياته " أجسام سلبية " عام 1968، و " الخارج مـــن الأرض " عام 1973م، و " حياة وحلم وشعب " عام 1978م.

صفريوي، أحمد (1915 م – 2004م) :

ولد في فاس في أسرة بربرية، درس في مدرسة قرآنية، ثم مدرسة فرنســـية، ومارس العديد من المهن، ثم بدأ في نشر أعماله عام 1943م،في الصحف ثم عمل في وزارة الثقافة، يقيم في المغرب، روائي، من اهم أعمالـــه : " ســـبحة عنـــبر " 1964م، و " علبة العجائب " عام 1954، و" مراكش " عـــام 1956م، و " الحلم مراكش " عام 1970، و " منزل العبودية " عام 1973م.

سليم، جاي (1951م) :

ولد مع أخيه فريد لأب مغربي وأم رومانية، رحلت الأسرة إلى باريس عام 1973، شارك في العمل في مجلات نقدية أدبية، روائي، وناقد، من رواياته " الأسبوع 10 ومدام سيمون في سن المائة " عام 1979م، ثم " مجنون القراءة " أو " الأربعين رواية " عام 1981م، ثم " ستكون طاغية يا بني " عام 1982م.

شرايبي، إدريس (1926 م – 2007م) :

(انظر الفصل السادس)

لحبابي، محمد عزيز (1927 م . 1993م) :

ولد في فاس، ودرس في باريس، ثم حصل على الدكتوراه في الفلسفة، عمل مدرس فلسفة في كلية الآداب بالرباط، ثم عميداً للكلية عام 1961م، أسس اتحاد الكتاب في المغرب، وسافر إلى بلاد عديدة، صار عضواً في مجمع اللغة العربية، أقيم في مراكش، كاتب مقال، وشاعر، من أعماله الشعرية " أغنيات الأمل " عام 1952م، " بؤس وضياء "و " أغنيات الأمل الجديد " عام1958، و " صوتي يبحث عن طريق " عام 1968م.. (انظر الفصل السادس).

اللعبي، عبداللطيف (1942م) :

ولد في فاس، ودرس في الرباط، ثم قام بتدريس الفرنسية، إلى أن تم القبض عليه عام 1972م، كتب أولى قصائده عام 1962م، تزوج من فرنسية عام

1964 التقى مع 3 شعراء مغاربة : خير الدين نيسابوري، وقرروا إنشاء مجلـــة " نفحات " عام 1966م، في عام 1972 م،تم القبض عليه مرتين بتهمـــة قيامـــه بأعمال ضد أمن الدولة، وحكم عليه بالسجن عشر سنوات وتم الإفراج عنه عام 1975م، فسافر إلى باريس ثم عاد للإقامة في المغرب،وخرج منها مرة أخرى عام 1982م، شاعر، من أهم دواوينه "شجرة الحديد المزهرة " عام 1974 م،و " طي الكتمان "وهي أشعار مكتوبة في السجن، ومنشور عام 1981م، أما دراساته فهناك " الشعر الفلسطيني في المعركة " عام1975م.. (انظر الفصل السادس).

المالح، أدمون (1917م) :

(انظر الفصل الثامن)

هاشمي، بن سالم (1947م) :

عمل مدرساً في كلية الآداب بالرباط، شاعر وناشر مـــن أشـــعاره " إذا لم نستعرض التغييرات الكبرى " عام 1980م، وكتاب عن الإنسان تحت عنـــوان " من الكل الأيديولوجي للإسلام " عام 1980م، والذي كتـــب لـــه في المقدمـــة مكسيم رودنسون.

نيسابوري، مصطفى (1943م) :

ولد في الدار البيضاء، التقى بمحمد خير الدين واشترك معه في تأسيس مجلة "أنفاس "، شاعر، من دواوينه " ذكريات عالية جداً " عام 1968م، و " الليلـــة الثانية بعد الألف " عام1975.. (انظر الفصل السادس).

أوفقير، مليكة (1953/4/2م)

مولودة في مراكش، هى ابنة الجنرال أوفقير، تم اعتقال ابيها بعــد محاولــة الانقلاب على الحسن الثانى، وحكم عليه بالاعدام، وعاشــت قيــد الاعتقــال، وعرفت السجن، وكتبت رواية عن هذه التجربة بالفرنسية باسم "الســجينة"، ثم صدرت لها رواية "الغريبة" هاجرت الى باريس عــام 1996م،برفقــة اخوتهــا، وتزوجت هناك.

الفصل السابع :

الأدب التونسي المكتوب باللغة الفرنسية

حسب كتاب " الأدب الفرانكفوني منذ عام 1945م، " فإن الأدب المكتوب باللغة العربية في تونس سواء قبل سنوات الاستقلال (1956م) أو بعدها قد جعل من الأدب المكتوب بالفرنسية أدبًا هامشيًا [1] ، وذلك بالطبع قياسًا إلى الأدب المكتوب بالفرنسية في كل من الجزائر والمغرب،

وباعتبار أن دول المغرب العربي سيطر عليها الاستعمار الفرنسي وثقافته سنوات متقاربة زمنيًا، إلا أنه لم تحدث فرنسة لتونس بنفس الدرجة التي حدثت في الجزائر على سبيل المثال، لذا فبمتابعة قاموس الأدباء المغاربة الذين يكتبون بالفرنسية الذي أعده جان ديجو عام 1982م،سنرى ليس فقط أن عدد الأدباء التونسيين الذين يعبرون بالفرنسية أقل عددًا، بل أيضًا أقل شهرة وأهمية من الأدباء المغربيين والجزائريين.

ومنذ بداية الاستعمار الفرنسي لتونس، فإن المدارس العربية لم تتوقف عن العمل، وعن تلقين أبنائها اللغة العربية، وسوف نرى أن أبرز أدباء تونس يكتبون باللغة العربية مثلما يكتبون بالفرنسية، ومن بين المدارس البارزة التي تتوقف عن تعليم اللغة العربية مدرسة " صديقي "، كما أن هناك العديد من المدارس كانت تقوم بتعليم اللغة الفرنسية إلى جوار اللغة العربية الأساسية، ولعبت جامعة الزيتونة دورًا بارزًا في تعليم العربية والاحتفاظ بها، وكما سبقت

---

(1) la literature francophone ; paris 1980 ،p. 220

الإشارة، فإن الأدباء التونسيين كانوا يفضلون دومًا اللغة العربية، حتى الكاتب اليهودي البير ميمي، فإن لغته العربية كانت مميزة أكثر من الفرنسية، وقد تغيرت الموازين إلى حد ما في نهاية الستينيات ، حين لاحظ التونسيون أن فرص النشر في فرنسا أفضل.

في هذه الفترة كان الصغار الذين عاصروا الاستقلال قد أصبحوا كبارًا، ولم يعد هناك خوف من الثقافة الفرنسية بنفس الحساسية التي حدثت في الجزائر، فعقب الاستقلال اهتمت الحكومة بإنشاء المزيد من المدارس العربية، ولكن هذا لم يمنع الناس، في ظل سياسة الانفتاح،من أن ينشروا كتبهم بالفرنسية في تونس، خاصة أن دور النشر التي تطبع باللغة الفرنسية لم تتوقف عن العمل، ولكن هذا لم يمنع الكتاب التونسيين من البحث عن فرصة للنشر – كما سبقت الإشارة – خارج الحدود.

ولعل الشعر كان الفن الأول الذي استخدمه الكاتب التونسي لمواجهة الاستعمار، ومن أجل بث الحماس في قلوب المناضلين ضد الاستعمار. ومن أبرز هذه الأسماء الشاعر عبد المجيد طلاطلي، الذي جمع في شعره بين الحماس والحكمة، فكرس شعره من أجل كراهيته للدم والتسلط والعنف. وهو من مواليد عام **1928**م، درس في مدارس نابولي الثانوية، وحصل عام **1952**م على جائزة قرطاج عن مجمل أعماله ولم يكن قد تجاوز الخامسة والعشرين من العمر، وقد ألهمته هذه الجائزة ديوانه الأول المنشور في نفس العام تحت عنوان " فوق رماد قرطاج "، وفي العام التالي نشر ديوانه الثاني " أعراس فوق رماد قرطاج "، ثم نشر في العام نفسه " رجال وأرواح " ، وكل أعماله منشورة باللغة الفرنسية في تونس. كما ظلت أعمال كثيرة له في الأدراج ولم تنشر حتى الآن ومنها ديوانه "سوف أصلي فوق مقبرتك ".

آمنة بلحاج يحيى (1961م)

قدمت دور النشر الفرنسية أي التي تطبع بالفرنسية، في تونس وفرنسا في بداية الألفية الثالثة عدة روايات وكتب مهمة ، منها "الخداع الثقافي" من تأليف جميلة رباعي، ورواية "الطابق الخفي" من تأليف آمنة بلحاج يحيى.

وقد كشفت هذه الإصدارات عن آلية جديدة بالنسبة للأدب العربي المكتوب بالفرنسية، فالأدباء الذين قرروا عدم الهجرة إلى فرنسا أسسوا دورًا للنشر ، أو ساهموا في إنشاء دور تقوم بالنشر بالتعاون مع كبريات دور النشر الفرنسية، من أجل ضمان التوزيع بين تونس وباريس.

أثبتت هذه التجربة نجاحها مع روايات مثل " طراز " لعلي عباس ، و "أيام الوداع " لعلي باشور، ثم الرواية التي أشرنا إليها للكاتبة آمنة بلحاج يحيى.

والكاتبة مولودة في مدينة تونس العاصمة في عام **1961**م، في أسرة حاربت المستعمر الفرنسي وناضلت من أجل الاستقلال، وكان أبوها بلحاج يحيى أحد رجال الحبيب بورقيبة، وقد تلقت الفتاة تربيتها في المدارس الفرنسية بالعاصمة، وحصلت على ليسانس الآداب، وعملت في التدريس فترة ، ثم قررت الاتجاه إلى النشر، فأسست مع بعض زملائها دار نشر تحمل اسم "سيرس" ، وهو اسم نبات تونسي ، وكان من بين أهم المشاركين في المشروع الصحفي محمد بن إسماعيل، الذي شارك أيضًا في تأسيس مجلة " الشاب الإفريقي " الصادرة باللغة الفرنسية.

وقد أقامت هذه الدار العديد من المشاريع المشتركة مع دور النشر الفرنسية، منها دار النشر هاتييه ، وستوك.

ومن الواضح أن تجربة النشر قد جذبت الكاتبة من الكتابة، فلم تصدر طول عشر سنوات سوى روايتين الأولى في عام **1975**م، باسم " سنوات الحصاد " ثم روايتها التي نحن بصدد الحديث عنها " الطابق الخفي ".

تدور الرواية من خلال قصة حب تنمو بين شابين نشآ معًا منذ سنوات الطفولة، فكانت العواطف المشبوبة سببًا للتقارب بين الاثنين، لكننا هنا نعيش في أجواء أقرب إلى ما شهدته فيرونا من صراع من أجل الحب الذي نما بين روميو وجوليت.

لكن مسار الرواية يختلف، فالفتاة تنصاع لمطالب أسرتها، وتقرر أن تنسى الحب، وأن تعيش حياتها في جفاف عاطفي، هو في كل الأحوال ، أكثر نفعًا ، وجدوى من النيران التي قد تنشب بين الأهل، ولأن الحبيب يسكن في الدور الأسفل، فإن الفتاة تقرر أن تنسى تمامًا أن في بيتها دور ثانٍ، رغم أنها تصعد إليه وتنزل كل يوم.

والرجل الشرقي هنا لا يقنع بسهولة أن فتاته يمكنها أن تنساه بهذه السهولة ، يحاول التقرب منها، لكن بلا جدوى، ومن أجل أن تقنعه بما قررته ، فإنها توافق على الارتباط بأول عريس، وتنتقل إلى بيت جديد...

هذه التجربة تصدم بقوة الحبيب، فيتناول السم، لعله يجعل قلبها يرق، لكن السم كان شديد المفعول، ويموت، أما هي فتكون في طريقها، في تلك اللحظات، لقضاء أول أيام شهر العسل الذي لم يكن لها قط أن تتصور أن يكون زوجها.. ويكون هذا سببًا جديدًا لميلاد صراع جديد بين الأسرتين.

إنها ، كما نرى، رؤية معاصرة مختلفة، لروايات حـــب تقليديـــة أدمـــت قلوبنا، لكن هذه الرواية أيضًا قادرة على أن تدمي القلوب.

عبد المجيد الحص (1941م)

يعتبر عبد المجيد الحص أيضًا من بين الشعراء البارزين في اللغة الفرنسية. وهو ينتمي إلى البربر، مولود في **20** يناير **1941م**، في بومروس، ويعمل حاليا مدرسًا للأدب الفرنسي والأدب، نشر ديوانه الأول " أريد أن أبوح لك بسر " عام **1972م**، ثم " صورة السكرة " عام **1973م**، ثم " إيريس – إفريقيا " عام **1981** م،وفي هذا الديوان يقول في إحدى قصائده :

وفقدت ورق نعناعي

وزهور الياسمين التي أحملها فوق أذني اليمنى

في المساء

أشقائي وأصدقائي الذين لا أعرف أسماءهم

في منفاي البارد الغائب

في اندفاع الضباب الخفي

حصل على جائزة زبيرة بشير عام **2000** م،عن رواية "تا شاراج"

كلود بناوى (**1922**م)

أما الشاعر الثاني فهو كلود بناوي المولود في عام **1922**م، والذي بدأ حياته صحفيًا عام **1947** م،واعتبر من أهم الأدباء الطليعيين، كما حدث في مصر مع مجموعة الفن والحرية ، بالفن التشكيلي، وكان صديقًا للكثير من السرياليين الفرنسيين، وقد سافر كلود في عام **1957**م،إلى باريس واستقر بها.

وكلود من الشعراء الذين ظهرت موهبتهم في سن مبكرة، فقد بدأ حياته كروائي في عام **1941** م،من خلال روايته " حمامات زهرة الحــب " ثم نشــر ديوانه " لون الأرض " عام **1951** م،وتوالت دواوينه المنشــورة في تــونس " لنعاود الحب " عام **1953** م، و " الــزمن كالفصــول " عــام **1954**م ثم " الصيف القادم من البحر " وهو من الشعر المنثور عام **1972**م، وقد اهتم كلود في أعماله بالطبيعة، وبدا مدى شغفه بالالتصاق بالحياة المليئة بالضياء والإشراق، حيث يقول في ديوانه " الصيف القادم " وهو كما أشرنا من الشعر المنثور :

" لا الصباح يولد. ولا الثمرات وطعمها. لا الثمار. ولا الملح منذ زمــن المنفى كانوا قادرين على أن يخففوا من إحساسي بالبهجة ".

صلاح جرمادي (1933 م – 1982م)

ظل الشعر هو الفن الأول الذي استخدمه المبدع التونسي لمواجهة الاستعمار، من أجل بث الحماس في نفوس المناضلين من أجل إجلاء قوات الاحتلال.

وهناك أسماء عديدة في هذا المجال، منهم عبد المجيد طلاطلي، عبد العزيز قاسم ، ومنصف غانم ، وصلاح جرمادي.

صلاح جرمادي مولود في مدينة " حلفاويين " الشهيرة ، التي عرفناها من خلال اسم فيلم تم إنتاجه عام **1987**م، في أسرة بسيطة من المدينة ، ولد جرمادي عام **1933**م، ودرس في مدارس " صديقي " الثانوية ، وهي المدارس التي عكفت على تعليم أبنائها اللغة العربية، لذا فإن صلاح التحق مباشرة بجامعة الزيتونة.

وقد أتقن جرمادي كل من اللغتين الفرنسية والإنجليزية، فحصل على شهادة لتدريس اللغة الإنجليزية، وفيما بعد عمل مساعدًا في المدرسة العليا بتونس.

لمع اسم صلاح من خلال مجموعة المقالات التي كتبها عن الأدب التونسي المعاصر، وعن مشاكل اللغة والتعريب داخل تونس، وقد تنوعت هذه المقالات في العديد من المجلات الثقافية باللغة العربية.

وأمام هذا التعدد اللغوي والثقافي، قام صلاح جرمادي بترجمة العديد من الروايات الفرنسية، لأدباء عرب إلى اللغة العربية، منها الروايات الأولى للأدباء مالك حداد، ورشيد بوجدرة، ومنها رواية " ألف عام من الحنين ".

بدا الكاتب حائرًا بين لغتين، لكنه حول هذه الحيرة إلى طاقة تواصلية هائلة بين الفرنسية والعربية تتمثل في الترجمة والدراسات، وعقد الندوات ، والسفر بين تونس، وفرنسا وتوقيع العقود مع الناشرين بين باريس والعاصمة تونس.

لكن الغريب أن صلاح جرمادي عندما اتجه للإبداع الشعري، فإنه قرر أن يفعل ذلك بالفرنسية، باعتبار أن أبناء وطنه من القراء يفهمون الفرنسية، وأنه أراد أن يكون له جمهور أكثر اتساعًا في فرنسا، والدول الناطقة بالفرنسية.

في عام **1970**م، نشر الشاعر ديوانه الأول " الهامة العالية " ، وفي عام **1975** م، صدر ديوانه الثاني أيضًا باللغة الفرنسية تحت عنوان " أجدادنا البدو".

ومن المعروف أن القدر لم يمهل الشاعر لاستكمال هذه التجربة، حيث وافته المنية في حادث سيارة عام **1982**م، وهو دون الخمسين.

والغريب أن هذه الدواوين منشورة في باريس، وليس لدى الناشرين الذين يطبعون بالفرنسية داخل تونس، وليس هذا غريبًا بالمرة، فالشاعر وجه كلماته إلى السياسة واتسم بحس إنساني سياسي متراكب، فهو مواطن خائف من عنف الآخر، يرى الكوارث تحل على البشر من كافة الأنحاء، كما أنه لا يتخلى عن تفاؤله رغم العقبات، والدماء، والعنف وسوف نلاحظ ذلك من خلال مفردات قصيدته " أكون ، وأكون " المنشورة في ديوانه " أجدادنا البربر " الذي يقر فيه بأن الإنسان الذي يفقد جذوره، يصبح مثل الديك الشركسي، بلا لون محدد، أو هوية، ومن الأفضل أن يظل محتفظًا بلون بشرته ، فخورًا بها.

أنا هادئ. فهل أنا هادئ

هل يأتي الصخب من المدينة
أنا مبتهج بشوش.
فهل أنا مبتهج بشوش ؟
بكل هذه القنابل ذوات الفتائل
وهؤلاء الرجال الموجودين
أنا سعيد فهل أنا سعيد ؟
لي امرأة تغني ولها آمالها
ولي سيارة تدور على عجلاتها
وكل الأطفال الحزانى من البكارة
وهؤلاء الغرقى الذين يسبحون فوق المرعى
لقد وصلت فهل وصلت ؟
وهذه القنابل التي تتساقط كأنها الفتحات
وهذه الواحات الحمراء حيث تعلم اللغات [1].

---

(1) المصدر السابق

منصف غانم (1947م)

أقام العديد من الكتاب التونسيين لفترة في فرنسا، ولكن الكثير منهم ما لبث أن عاد إلى بلاده، مثل صوني الجولي وعبد العزيز قاسم ومنصف غانم الذي ظل في باريس حتى وفاته، وهناك أيضًا الكثير من الأسماء التي ظلت متأثرة بلغتها الفرنسية مثل طاهر بكري، وشمس نادر، والعبري بن علي، وأمينة سعيد ، والذين اختاروا الإقامة في فرنسا.

ويعتبر منصف غانم المولود عام **1947**م،من أبرز من حاولوا أن يجدوا طريقًا جديدًا لإبداعهم الشعري، وكما يقول عنه جان ديجو في قاموسه عن الأدباء المغاربة الذين يكتبون باللغة الفرنسية، "إنه يعد من أهم الشعراء التونسيين الذين كتبوا بالفرنسية في الجيل الحالي".

ويهمنا هنا أن نترجم له قصيدته " من هجرنا " من ديوانه " لأن الحياة وطن " المنشور عام **1978**م،ومن أعماله الأخرى ديوان " **100** ألف عصفور " الذي نشره على نفقته الخاصة عام **1975**م، يقول الشاعر:

أنا جائع

جائع للأفق المليء بطيور السوس والعقاب

والفلائك

ذوات الأشرعة البيضاء

أحب الزرقة الرقيقة

وقبضات البحارة

فوق جباههم العالية

أحب الفجر

في الباب الشاحب

والظلال

في سلال الأطفال

فوق أهداب الأرامل المتيقظات

أحب عطر السردين الفواح

وميلادي

الأكثر تهيجا

من البحر

أعارض الملوك

وأجمع الأسماك المتخمة

الشرهين واللصوص

بالأمس. عندما حلم سرطان البحر بالحبار

وحتى أغوص في الصخر

التهمت المحارات الطويلة

بيير أوليفييه (1913 م – 1983م)

رغم اسمه الغير عربي، ورغم أنه مولود في لوكارنو بفرنسا في عام **1913**، إلا أن بيير ريمون أوليفييه صار مواطنًا تونسيًا منذ أن استقر به المقام في تونس عام **1961**م.

ولا يمكن أن نقول أن أوليفييه هو مواطن فرنسي من أبناء الأقدام السوداء الذين قرروا الإقامة في تونس، بل هو جاء إلى البلاد عقب الاستقلال عن فرنسا بسنوات اختارها وطنه الأول.

ومن المعروف أن أبناء الأقدام السوداء **Les pieds mairs** يعنون هؤلاء الفرنسيين الذين أقاموا في دول المغرب العربي إبان الاحتلال الفرنسي لكل من الجزائر، والمغرب وتونس، فلما حانت ساعة الاستقلال، وجدوا أنفسهم غرباء في وطن تعاملوا معه دومًا على أنه مسقط الرأس، وصار عليهم أن يعودوا إلى وطن غريب عنهم، هو فرنسا.

إذن ، فنحن أمام حالة غريبة لكاتب فرنسي ، صار عربيًا ، وقد جاء ذكر اسمه ضمن موسوعة " كتاب من تونس " التي أعدها عمر بن سالم عام **1995** م، وتضمنت هذه الموسوعة الكثير من المعلومات عن الكاتب ، الذي زاول تعليمه الابتدائي والثانوي في مسقط رأسه " لوكارنو " قبل أن ينتقل إلى باريس ليستكمل تعليمه الجامعي هناك، لكنه لم يستكمل دراسته ، ففي عام **1933** م، قرر الرحيل إلى الهند، على قدميه، من أجل مقابلة الشاعر الكبير طاغور، وكان في صحبته أديب فرنسي آخر يدعى " فوكيه " مؤسس" جمعية معرفة العالم ".

وفي الهند قرر الاثنان البقاء إلى جوار طاغور، وغاندي ، لأطول فترة ممكنة ، وعندما قامت الحرب العالمية الثانية، واستولت القوات النازية على فرنسا عاد أوليفييه إلى باريس، وشارك في المقاومة ضد المحتل، وما لبث أن وقع في أسر الاعتقال، وحكم عليه بالسجن، ثم بالنفي خارج البلاد.

وعقب انتهاء الحرب، عاد أوليفييه إلى بلاده، وبدأ نشاطه ككاتب أطفال، أصدر العديد من صحف الأطفال، والمجلات الفكاهية ، ومنها " الكلب بيف "عام **1948** م، ثم " بيكار وموزو " ، وعديد من المجلات الموجهة للأطفال.

وفي عام **1951** م، نشر بيير أوليفييه ديوانه الأول باللغة الفرنسية في باريس تحت عنوان "لنغنى للأمل ".

وقد بدأ في مفردات لغة هذا الديوان مدى ما يتمتع به الشاعر من بساطة البراءة ، وخفة الظل ، ووضوح ، وقال النقاد أنهم أمام شاعر استطاع أن ينشر كلماته للجميع، سواء كانوا صغارًا أم بالغين، وامتلأت قصائده بمناشدة الغد أن يكون جميلًا، وأن ينتبذ البشر الحروب الشرسة التي دأبوا على إشعالها بين وقت وآخر.

ورغم أن الديوان الأول للشاعر لاقى قبولًا ملحوظًا لدى القراء والنقاد، فإن بيير أوليفييه لم ينشر ديوانه الثاني، لدى الناشر نفسه سيفيرس في باريس إلا بعد سبع سنوات تحت اسم " أغانٍ خافتة " ، وقد بدا فيه أن الشاعر لم يتخل كثيرًا عن البساطة، والبراءة.

وفي عام **1961** م، سافر الشاعر إلى تونس ، وقرر الاستقرار بها ، كانت البلاد قد حصلت على استقلالها قبل سبع سنوات ، وفي الوقت الذي رحل فيه

الكثير من العرب ، والفرنسيين إلى أوروبا ، فإنه عمل موظفًا بوزارة الشئون الثقافية التونسية، وتخصص في التصوير الشمسي، لكنه لم يتوقف عن الكتابة.

في عام **1968** م، نشر الشاعر ديوانه الثالث، باسم " تونس حبيبتي " ، وهو الديوان الذي تأصلت فيه مشاعره تجاه وطنه الجديد الذي اختاره مقامًا أبديًا له حيث قامت " الدار التونسية للنشر بإصداره، وبدا أن موهبة الشاعر العربي قد تفوقت، فقدم في العام التالي **1969**م، ديوانه الثاني" من كل قلبي" لدى نفس الناشر ، والكتاب عبارة عن قصائد وصور من وحي تونس.

وفي السنوات التالية ، اتجه الكاتب للتنوع ، وترك الشعر قليلًا ، واتجه نحو التعبير عن عشقه لتونس من خلال تصويرها، ونشر هذه الصور في الصحف والألبومات ، والكتب ، وفي عام **1972**م، نشر كتابه " تونس المصورة ".

ثم راحت شهرة أوليفييه ترسخ ككاتب أطفال باللغة الفرنسية ، ففي عام **1975** م، صدرت له ثلاثة كتب للأطفال بالفرنسية ، منها : "الأخوات الأربع " و "شابيشو" ، و "زهرة من حجر" ، وفي عام **1980**م، أصدر مجموعة جديدة من كتب الأطفال المستوحاة من التراث التونسي ، وتراث الإنسان ، ومنها. "قدور والنجوم" و "فراشة جميلة" ، و "جحش الأوراس" ، و "الراعي في ضوء القمر" ، ثم " ثعلب الصحراء والغزالة ".

ومن الواضح أننا صرنا أمام شاعر وكاتب عربي حتى النخاع، لم يتيم فقط بالبيئة التي انتقل إليها ، بل صار مدافعًا عن قضايا الوطن العربي، وقد بدا ذلك واضحًا في مجموعة المقالات السياسية دفاعًا عن القضية الفلسطينية ،

المنشورة في الصحف التونسية الناطقة باللغة الفرنسية، وقد قام بجمع هذه المقالات في عام 1982 م، تحت عنوان " فلسطين تكون أو السلم لا تكون".

والرائع في حياة أوليفييه أنه لم يترك المبدع في داخله يذبل، أو يتروي ، خاصة ذلك الشاعر الرقيق القديم، الذي سكن في أعماقه، وفي عام 1983م، اختتم حياته الأدبية بديوانه " ألعاب الآلام " ، والذي بدا فيه كم تغيرت مفردات شاعر الذي عشق الأمل ، فصار ألمًا ، وقال النقاد أن هناك مسافة إنسانية بين الشاعر الذي بدأ حياته بـ " لتغن للأمل " ، وبين ديوانه الأخير " ألعاب الآلام " ، لكن هذا لا ينفي أن الذي تألم في هذا الديوان كان لا يزال طفلًا شديد البراءة.

هاشمي بابكوش (1917م)

هاشمي بابكوش المولود في أسرة ثرية بتونس عام 1917م، قد تولى رئاسة الوزارة التونسية لفترة قبل أن يتم عزله عام 1952م، قبل الاستقلال. وعندما وجد أن الناس قد نسيته عقب الاستقلال سافر إلى فرنسا عام 1953م، وتزوج من إيطالية، ونشر روايته الأولى " تبقى ذمتي " عام 1958م، كما كتب المسرحية ولكن من أهم أعماله الأخرى " سيدة من قرطاج ".

وتعتبر رواية " تبقي ذمتي " واحدة من أبرز الروايات التونسية المعاصرة المكتوبة باللغة الفرنسية، وهي بمثابة سيرة ذاتية للكاتب مليئة بالرقة والتنوع، فبطل الرواية محمد يخبرنا أنه يود أن يؤلف كتابًا يريد أن يترع من خلاله بعض مشاعر الخزي عن المسلمين، وأن يمنعهم أن يقولوا أنهم يحبون فرنسا وبعض الفرنسيين، ومحمد هنا لا يخفي حبه الشديد لفرنسا. ولكنه رجل بالغ الوفاء لوطنه،وقد بدت نفس النغمة عند الكاتب في روايته الثانية " امرأة من قرطاج " فهي تتحدث عن علاقة حب بين رجل مسلم وامرأة مسيحية، في وقت يوافق فيه شيخ عجوز على أن يزوج ابنته من رجل غير مسلم، ويقول جان ديجو : " أن المؤلف يعطي العلاقات سمات إنسانية، ففي الرواية الأولى أراد أن يفسر أسباب انحسار الاستعمار، وهو يتحدث أن الأطفال غالبًا ما يكونون وليدي زواج

مختلط، كما يقول محمد : " إنهم يتربون قبل كل شيء في ثقافة إنسانية محترمـــة قائمة على احترام العقيدة " [1]

ومن أبرز الروائيين الذين يكتبون باللغة الفرنسية هناك صـــلاح الـــدين بحيري، وعادل عروى ، ثم هناك مصطفى تليلي ، وعبد الوهاب مدب ، وسعاد جلوز وهيليه بيجي.

---

[1] Le dictionaire des auteurs maghrebiens

محمد عزيزة (1940م)

هناك فاصل واضح بين الكاتب العربي، الذي يكتب باللغة الفرنسية وبين قرينه الذي يكتب باللغة العربية في تونس.

فبمراجعة موسوعات (أو أدلة) الكتاب التونسيين، سواء المكتوبة عن أدباء المغرب الذين يكتبون بلغة الأم، أو باللغة الفرنسية أو الموجودة على شبكة المعلومات، فإننا لن نجد أيًا من هؤلاء الكتاب ذوي القلم الفرنسي ، في كافة الأدلة المكتوبة عن الأدباء، ومنها موسوعة " كتاب من تونس " إعداد عمر بن سالم.

والغريب أن هذه الموسوعة التي تتضمن سيرة أكثر من **400** كاتب تونسي ، خلت تماما من كافة الأدباء التونسيين الذين يكتبون باللغة الفرنسية ، حتى وإن عاشوا في الوطن، ومنهم منصف غانم ، وصلاح خليفة ، وباكوس هاشمي ومحمود علام ، وعبد الوهاب بوهنية.

اثنان فقط من الأدباء يمكن أن نجدهما في الموسوعات الفرنسية والعربية للأدباء، الأول هو فرنسي المولد ، اسمه بيير أوليفييه ، والثاني هو الشاعر الصحفي محمد عزيزة، وهو أحد الأدباء التونسيين الأكثر شهرة خارج حدود فن من مكانته في تونس نفسها.

ومحمد عزيزة ، باحث ، وشاعر ، وقصاص ، وكاتب مقال ، وينشر كل كتاباته باللغة الفرنسية .

عقب حصوله على شهادة إتمام التعليم الثانوي، قرر عزيزة الرحيل إلى باريس وهناك التحق بجامعة السوربون ، ودرس الأدب ، وتمكن من الحصول على شهادة الدكتوراه ، واستقر به المقام بين باريس ، وتونس.

عمل محمد عزيزة رئيسًا لقسم العلاقات الخارجية بوزارة الثقافة التونسية ثم عمل مديرًا عامًا بالإذاعة والتلفزيون، ثم قرر العودة إلى باريس واستقر هناك حيث عمل صحفيًا بالعديد من المجلات الثقافية، ومستشارًا لدى العديد من دور النشر.

الغريب أن الكتاب الأول لمحمد عزيزة كان قد نشر في العاصمة الجزائرية باللغة الفرنسية تحت عنوان " المسرح والسلام " عام **1970**م، وفيه أكد أن المسرح العربي نجح في توصيل رسالة الإسلام إلى المشاهدين في كل أنحاء الوطن، وأن الرسالة وصلت من خلال فن التمثيل.

وفي نفس العام **1970** م، نشر محمد عزيزة دراسته " نظرات في المسرح العربي المعاصر " عن الدار التونسية للنشر ، وفي عام **1971**م، قدم كتابه الشهير " الخط العربي " عن الناشر نفسه، ثم " الهياكل التقليدية للمشهد " عام **1980** م، و " الفنون الإفريقية " في نفس العام.

والغريب أن هذا الأديب الذي بدأ حياته بكتابة البحوث والدراسات وهي عبارة عن اطروحات جامعية ، قد تنبه إلى نفسه ، وأنه مبدع موهوب ، فراح يكتب القصص والقصائد، وفي عام **1978**م، نشر ديوانه الأول " صمت الفن " عام **1980** م، نشر مجموعته القصصية " إسطرلاب البحر " لدى الناشر الفرنسي ستوك، ثم عاد إلى الشعر مرة أخرى عام **1983**م بديوانه " كتاب الاحتفالات " الصادر أيضًا باللغة الفرنسية.

ورغم هذا التنوع الواضح في كتابات محمد عزيزة ، فإن أهم كتبه على الإطلاق " وميض كاتب " وهو بمثابة حوار طويل مع الشاعر السنغالي الشامل ليبولد سيدار. سنجور (1900م – 2001م).

وقد عكس الكاتب في هذا الحوار علاقته بالثقافة الإفريقية، الزنجية ، فكلا الرجلين ، سنجور ، وعزيزة ، ينطقان بالفرنسية ، وهي لغة الكتابة الأولى لكل منهما، رغم أنها ليست اللغة الأولى لأبناء الوطن، والغريب أن سنجور قد أقام في فرنسا، وصادق رجال السياسة ، وهو أيضًا شاعر له با ع طويل في كتابة القصيدة الإنسانية.

بدا محمد عزيزة كأنه يحاور شاعرًا مثله ، وكأنه يخاطب الشاعر بداخله أكثر مما هو يتحدث إلى رئيس جمهورية سابق، تعامل مع الحياة كشاعر ، وليس رجل دولة.

وقد استنبط من أعماق سنجور الأسرار التي كانت وراء قصائده عرف أن سنجور كتب الشعر في الأربعينيات وأنه عمل في السياسة ، انضم إلى الأحزاب السياسية في السنغال، وجد أن عليه أن يترك صديقه الشاعر الذي يسكنه لفترة طويلة ، قبل أن يدخل معترك السياسة.

وصار سنجور رجل دولة، ورئيس جمهورية، واختار الرجل الذي زار كل الوطن العربي أن يترك منصبه من أجل أن يسمح لغيره أن يحكم البلاد ، آمن سنجور بالديمقراطية وهو يردد أن المرء قد يصبح رئيسًا للدولة بسهولة ، خاصة في إفريقيا ، لكنه لن يظل شاعرًا لفترة طويلة.

ومن هنا جاءت أهمية الكتاب الحواري، وهو نوع من الكتب انتشر في المكتبة العالمية عقب نجاح هذا الكتاب، وبدت هوية محمد عزيزة أكثر مما لو

كان قد قدم بحثًا عن ليبولد سيدار سنجور، فالأسئلة تعكس هوية من يطرحها ، إثر إبداء الرأي في الكثير من الأحيان.

المنصف غشام (29/7/ 1946م) Moncef Ghachem

بعض الكتاب الذين يكتبون باللغة الفرنسية مباشرة، يعانون بشدة، عندما يحاولون التعبير مباشرة باللغة العربية، ويبدو ذلك واضحًا في أبناء الطبقات الأرستقراطية الذين تلقوا تعليمهم في المدارس الفرنسية، خاصة في مصر، ووجدوا أهاليهم لا يتحدثون سوى هذه اللغة في البيوت، صار من الصعب عليهم الكتابة بغير ما تعلموه.

أما الذين استخدموا اللغتين العربية والفرنسية بنفس الدرجة في المدارس والحياة ، فقد تعاملوا مع هاتين اللغتين بسلاسة، وعند الإبداع ، صار كل منهم يكتب باللغتين بنفس القوة.

ومن هؤلاء الشاعر والقاضى التونسي المنصف غشام ، المولود في قرية المهدية في التاسع والعشرين من يوليو عام 1946م، فقد أتقن الكاتب اللغتين معًا ، وكتب بهما ، لدرجة أنه يمكن أن نحسبه على كلتا الثقافتين بنفس الدرجة.

تلقى المنصف غشام تعليمه الابتدائي والثانوي بمسقط رأسه، ثم أتمه في معهد سوسة، وهناك حصل على البكالوريا عام 1967م، فالتحق بكلية الآداب بجامعة تونس وحصل على ليسانس الآداب في اللغة الفرنسية ، وعقب تخرجه التحق بالسلك الدبلوماسي، فعمل في وزارة الخارجية لمدة أربع سنوات ، بين عامي 1972 و 1976م.

وفي عام 1976م، سافر المنصف غشام إلى فرنسا، واستكمل دراسته للحصول على الماجستير والدكتوراه في جامعة باريس الرابعة، وهناك حصل

على العديد من الشهادات، الأولى في تاريخ الفن التشكيلي، والثانية في الأدب المقارن ، والثالثة في النقد الأدبي الحديث ومدارسه.

نحن إذن أمام رجل يحمل مجموعة شهادات مرتبطة بالآداب والفنون، وقد استفاد من وجوده في العاصمة الفرنسية ، فكتب في العديد من الصحف والمجلات الفرنسية ودراسات ومقالات عديدة تعكس تنوعه الثقافي ، واهتمامه بالمقارنة بين الآداب.

المنصف غشام يعتبر واحدًا من أبرز الشعراء التونسيين الذين يكتبون باللغة الفرنسية ، ففور تخرجه من الجامعة عام 1971م، نشرت له دار الثقافة (بن رشيق) بتونس ديوانه الأول باللغة الفرنسية تحت عنوان " حناجر المضيق " ، وفي عام 1975م، وبينما كان يعمل دبلوماسيًا ، نشر على نفقته الخاصة ديوانه الثاني ، أيضًا باللغة نفسها ، في باريس تحت عنوان " مائة ألف عصفور "، وفي عام 1978م، صدر ديوانه الثالث في دار كاريكاتور للنشر ، بباريس بعنوان " لكي أحيي وطنا " واشترك مع مجموعة من الكتاب العرب والفلسطينيين في إصدار كتاب " التراث الثقافي الفلسطيني.. لدى الناشر سيكومور عام 1980م.

عاد المنصف غشام إلى تونس في عام 1981م، وتفرغ للكتابة ، وفي وطنه قرر أن يكتب للمرة الأولى باللغة العربية ، وتمثل ذلك في رواية " العملاق ذو الرأس المزهر" ، وهو كتاب إبداعي للأطفال ، ثم نشر ديوانه الأول باللغة العربية باسم " ارتداد الموج " لدى الناشر سلامبو بتونس في عام 1983م، وفي عام 1986م، كتب مقدمة بالغة الأهمية بعنوان " مارس أبريل " وعكف على ترجمة العديد من الدواوين الشعرية الفرنسية ، ومن بينها ديوانه إلى اللغة

العربية، ومن دواوينه أيضًا "صاحبًا بالقرب مـــن لونـــار جاســـبار" **1998**م، و"بنوبا" **2004**م، وله رواية "صيادى المهدية" **2010**م.

إذن ، فنحن أمام شاعر استطاع أن يمتلك مفردات اللغـــتين ، وهنـــاك مرحلتان منفصلتان تمامًا في حياته ، الأولى كتب بها باللغة الفرنسية بين تونس ، وباريس ، والثانية عكف على ممارسة مفرداته العربية ، سواء في الكتابة للأطفال أو في إصدار دواوينه القديمة.

نحن أمام شاعر متجدد ، يحب بلده ويسعى إلى إعادة إحيائه ، كما أنـــه مهموم بقضايا الوطن العامة ، مثل التنمية ، والدخول إلى عصر التقنيات، كمـــا أن الشاعر يكتب عن القضايا العربية ، وعلى رأسها قضية فلسطين.

وفي قصائده ، يتألم المنصف غشام من ظلم الحياة ، والطبيعة ، وينبـــه إلى الفوارق الحضارية الواسعة بين أوروبا ووطنه العربي ، وقد اتسم الكاتب بخيـــال واسع ، وقدرة على مزاوجة الطبيعة ، وطيورها وحيواناتها ، وبدا عاشقًا للأفق يريد احتضانه بين يديه ، فلا يقدر إلا عندما يحول مشـــاعره إلى مفـــردات في قصيدة غنائية.

وفي السنوات الأخيرة ، اختفت أخبار الشاعر الأدبية ، ومن المرجح أنه قرر العودة مرة أخرى إلى باريس ، وأنه يستكمل هناك مشروعة في الكتابـــة ، لكن لم تصلنا أية أخبار عن دواوين جديدة لـــه ، ســـواء باللغـــة العربيـــة أو الفرنسية.

الطاهر البكري (1951م)

الكاتب الثاني الذي أفرد له الكتاب الموسوعي عن أدباء تونس، والذي يكتب مباشرة باللغة الفرنسية، هو الطاهر البكري، وليست هناك أية إشارة تفسر السبب الذي من أجله تم استثناء البكري من بين عشرات الأدباء الذين يكتبون بالفرنسية والذين تجاهلتهم الموسوعة..

نقول هذا ، لأن الطاهر البكري من جيل الشباب نسبيًا ، أي أنه مولود قبل ثلاث سنوات من استقلال تونس، وقبل بداية التعريب ، أي أنه تلقى علومه الأولى ، وتونس تدخل بقوة مرحلة العودة على اللغة العربية.

الطاهر البكري من مواليد مدينة قابس في السابع من يوليو عام **1951**م، لأب كان يعمل في شئون المساحة ، مما اضطره إلى السفر بين أرجاء تونس ، وحسب طبيعة مهنة الأب ، فقد كان يصطحب أسرته حيث يعمل ، ومن هنا تلقى الطاهر تعليمه بالعديد من المدارس في المدن التي انتقل إليها أبوه.

وعندما اشتد ساعد الصغير ، تلقى تعليمه الثانوي بمدارس صفاقس ، وحصل على البكالوريا في معهد المدينة ، وتابع تعليمه بكلية الآداب في العاصمة التونسية.

قرر الكاتب أن يسافر إلى باريس لاستكمال دراساته العليا ، حيث حصل في جامعة باريس على الدكتوراه حول الأدب المغربي المكتوب بالفرنسية ، وذلك في عام **1981**م.

وعقب حصول الطاهر البكري على الدكتوراه ، جاءته عروض عديـــدة للعمل كأستاذ للأدب العربي في الجامعات الفرنسية ، فانتقل يلقي محاضراته بين أكثر من جامعة في المدن الفرنسية المهتمة بالأدب العربي.

وعقب حصوله على الدكتوراه ، بدأ الكاتب نشاطه الإبداعي بشـــكل مكثف ، وكأن انشغاله بالدراسة ، كان عائقًا في طريقه للتعـــبير عـــن نفســـه كمبدع ، وشهدت تلك الفترة من حياته تعددًا في كتاباته ، فـــنظم الشـــعر ، وكتب المقال النقدي ، واعتكف لإعداد الدراسات والبحـــوث حـــول الأدب العربي المكتوب بالفرنسية ، خاصة في دول المغرب العربي الثلاثة.

وفي عام **1983**م صدر ديوان الشعر الأول للطاهر البكري تحت عنوان " حارث الشمس "عن دار نشر سيليكس **Selex** بباريس وتلقـــى النقـــــــاد الديوان بمزيد من الاهتمام خاصة في المجلات الأدبيـــة المتخصصـــة ، ومنـــها " ماجزان ليترير " ، مما دفع بالشاعر أن ينشر ديوانه الثاني بعد عامين فقط ، ففي عام **1985**م ، أصدرت دار هارماتان ديوان " نشيد ديوانه الثالث " القلـــب يرتاد البحار " عام **1988**م.

كما أن الدار نفسها أصدرت له دراساته حول الأدب المغربي المكتـــوب بالفرنسية ، ففي عام **1986** م ،أصدرت للكاتب دراســـة عـــن " الأعمـــال الروائية لمالك حداد " أكد فيها أن كاتبًا من طراز حداد قد منح اللغة الفرنسية المعاصرة ثراء وبلاغة الصحراء ، واتساع خيال العرب الذين يهيمون بـــالأفق الذي ليست له حدود.

وفي عام **1989** م، أصدر الطاهر البكري أول ببلوجرافيا مختارة للأدب المغربي المكتوب باللغة الفرنسية حيث حاول التعريف بالأدباء العرب التـــائهين بين لغتين ، واختار لكل كاتب نموذجًا حيويًا من أدبه.

وفي العام نفسه سافر الشاعر إلى هولندا ، وعقد اتفاقًا مع ناشـــر عـــربي مقيم في مدينة روتردام من أجل نشر ديوانه الأول المكتـــوب مباشـــرة باللغـــة العربية تحت عنوان " قصائد إلى سلمى ".

ولا نعرف السبب الذي دفع بالشاعر إلى إصدار هذا الديوان في مدينـــة روتردام ، ولم يلجأ إلى إحدى المدن العربية، وقد كرر الطاهر مثل هذا الأمـــر فيما بعد أكثر من مرة فنشر العديد من القصائد باللغتين العربية والفرنسية معا ، ومنها قصائد بعنوان : " تغرب " و " في البحث عن النور"، و " أفراس الليل " و " سطور الشجر " و " مسابح الوصل " ، وهي قصائد كتبها على فتـــرات متباعدة ، جمعها عام **1993**م في ديوان واحد مصحوبة بالعديد من رسومه.

وقد عكف الطاهر البكري على الاستفادة إلى أقصى حـــد مـــن لغتـــه الفرنسية ، وذلك من خلال شريط صوتي لديوانـــه " نســـيج الأيـــام " عـــام **1991**م، وفى عام **2008** م،صدر له كتاب "سلام غزة" باللغة العربية.

مصطفى تيليلي (1937م)

فمصطفى تيليلي على سبيل المثال ، مولــود عــام **1937**م، ولكنه عاش في نيويورك ثلاثة عشر عامًا عمل خلالها في الأمــم المتحدة ثم استقر للإقامة في باريس عام **1982**م، نشر روايتــه الأولى عام **1975** م،تحت عنــوان " غضــب الأمعــاء " ثم " الصخب النائم " عام **1978**م، و " مجــد الرمــال ". عــام **1982**.

وتدور أحداث روايته الأولى حول رجل جزائري يدعى جلال بــن شــريف ، يبحث لنفسه عن هوية بعد نهاية حــرب الاســتقلال، فيقــرر أن ينضــم إلى الفلسطينيين من أجل محاربة إسرائيل، أما روايته الثانية فهي عن رجل انضم إلى الخمير الحمر، وفي الرواية الثالثة يتحدث عن الحادث الإرهابي الذي تم في مكة في الثمانينيات، وقيام الشاب المناضل الجزائري يوسف منتصر بالتصدي لهؤلاء الإرهابيين مع قوات الأمن السعودية.

وفي حياة أبطال روايات تيليلي هناك دائما امرأة ، ومواجهة ضد الهشاشة والخديعة الداخلية، ويرى الكاتب في هذه الروايات أن نيويورك مدينة رائعة من أجل المنفى، إنها نفس المدينة التي عاش فيها الكاتب ثلاثة عشر عامًا. وأبطــال رواياته دائما من المناضلين ويؤمنون بالقضايا التي يدافعون عنها. مثل مــولاي منتصر الذي مات برصاصة غادرة عند المسجد الحرام.

ويهمنا أن ننقل ذلك الحوار الراقي بين الأم وابنها جــلال في روايــة " غضب الأمعاء " :

- يا بني. سيكون الله معك لو انشغلت بتحسين نفسك.
- نعم يا أمي.
- يا بني. تذكر أجدادك. فأنت شريف. ولن تفعل الشر أبدًا.
- أجل. أعدك يا أمي.
- صل ليل نهار كي يرحمك الله. وأن يحفظك من الشر.
- ليكن الله معنا يا أمي.
- ليحفظك من شر هذه الأرض.
- ليكن الله معنا يا أمي. ومع كل مخلوقات الأرض ليقتلع الشر من الأرض.
- ليحفظك لأمك يا بني. لذا فصل ليل نهار ، دائمًا استيقظ في الليل بغتة بعد أحلام مزعجة. وتضرع في الصلاة لله حتى ينبلج الصبح

– من أجلك ؛ لأنني ليس لي سواك يا بني "[1].

وأغلب الروائيين التونسيين الذين يبدعون باللغة الفرنسية يكتبون رواياتهم عن تجاربهم الخاصة، ومثل هذه الروايات تعتبر بمثابة سيرة حياة للكاتب. مثل رواية " الطلسم "، وهي الروايات الوحيدة للكاتب عبد الوهاب مدب ، ومنشورة عام **1979**م،حيث يعتبر بطلها رجلًا يبحث عن جذوره بين لغته والأماكن التي ينتمي إليها.

---

(1) La rage aux tripes ، Mustapha Tlili ، Gallimard ، Paris، 1975

قائمة بأهم أدباء تونس الذين يكتبون بالفرنسية

أصلان ، محمود (1902م) :

ولد في تونس من أسرة ذات أصـل تركـي، والأم مصـرية، درس في المدارس الفرنسية العربية، ثم استكمل دراسته الثانوية في مدرسة سوق العطارين، وسافر إلى باريس عام 1932م، وعمل موظفًا ثم عـاد إلى تـونس، وظل يتنقل بين البلدين وتزوج من امرأة فرنسية، عمل في الصحافة المحلية في تونس لسنوات طويلة، كتب الرواية والمسرحية، من أهم أعماله " مشاهد من حياة الريف " عام 1932م، " بين عالمين " مسرحية عام 1932 م ، ورواية " عينا ليلى السودوان " عام 1940م، و " حكايات الجمعة " عام 1954م.

برعوي ، حدي (1932م) :

ولد في صفاقس، درس في فرنسا ثم الولايات المتحدة، قام بالتدريس في جامعة تورنتو، شاعر، من أعماله الشعرية " مرتعد " عـام 1969 م ، " بـلا حدود " 1979م، ثم " طريق حيتو " عام 1980م.

بناوي، كلود (1922م) :

(انظر الفصل السابع)

بوهينة، عبد الوهاب (1932م) :

ولد في القيروان، وحصل علي بكالوريوس في الفلسفة، ثم دكتـــواره في الأدب من السوربون، يدرس في جامعة تونس، كما قام بالتدريس في العديد من الجامعات الأوروبية والإفريقية، شاعر وكاتب مقال، من أهـــم أعمالـــه "لآلىء الوهم " شعر 1950م ، " الجنس في الإسلام " عام 1975م.

جارمادي، صلاح (1933م) :

(انظر الفصل السابع).

الحص، عبد المجيد (1941م) :

(انظر الفصل السابع)

خليفة، صلاح :

شاعر، يقوم حاليًا بتدريس التاريخ والجغرافيا، نشر ديوانه الأول " دائرة الجوعي " عام 1973م، ثم "أمير الدم" عام 1974م.

عزيزة، محمد (1940م) :

درس في باريس وعمل في الإذاعة الفرنسية كمخرج، وقام بالتدريس في الجزائر،كتب المقال والدراسات الأدبية والحكايات، من أهم أعماله " المســـرح

والإسلام "عام **1970**م، و "الإسلام والصـــورة " **1987**م ، و "إســـطرلاب البحر " **1980**م.

غانم، منصف (1947م) :

(انظر الفصل السابع)

نعمان (1938م)

روائي ومراسل صحفي، نشر روايته الأولي تحت اسم مستعار هو كولمان تحت عنوان "الساري " **1970**م ، ثم نشر روايته الثانية " عبودية الإنســـان " عام **1971**م.

هاشمي باكوس (1917م)

(انظر الفصل السابع).

---

*ملوحظة : اعتمدنا في الرجوع إلى هذه الأسماء علـــي كتـــاب **le dictionaire des auteurs maghribiens**ومن الواضح أن القسم الخاص بتونس قد ضم أسماء أقل بكثير مما جاء في قسمي الجزائر والمغرب، وكانت أغلب الأسماء التونسية تعمل في مجال الكتابة غير الإبداعية.

الفصل الثامن:

أدباء عرب.. يهود.. يكتبون بالفرنسية

لم تبرز مسألة الدين لدى الأدباء العرب الذين يكتبون بالفرنسية، مثلما يحدث في الكثير من الآداب العالمية.. فقد كتب كل من المسلمين والمسيحيين واليهود باللغة الفرنسية، وذلك لأن أبناء الأديان الثلاثة قد وجدوا أنفسهم في ظروف اجتماعية، وفي أسرات تتكلم اللغة الفرنسية، وقد ارتبطت هذه الظاهرة بالطبقات الاجتماعية التي ينتمي إليها هؤلاء الأدباء بصرف النظر عن دين كل منهم،

فقد كانت المدارس المسيحية في مصر تضم في تلاميذها الكثير من المسلمين، وأيضًا من اليهود، ومن المعروف أن المسلمين قد ارتفع عددهم كثيرًا في هذه المدارس عن المسيحيين، ولم تكن مسالة الأديان حساسة بالتالي عند الأدباء الذين كتبوا بالفرنسية.

كما أن أغلب الأدباء الذين كتبوا بالفرنسية قد هاجروا طواعية إلى فرنسا باعتبارها الأرض الخصبة للغتهم، وباعتبار أن دور النشر يمكن أن تفتح لهم أبوابها مثلما فتحت لأقرانهم الذين سبقوهم، فتدفقوا الواحد تلو الآخر. وقد هاجر هؤلاء الكتاب من مسلمين أيضًا ومسيحيين ويهود ومعهم أديانهم التي لم يفتقدوها فمارسوا شعائرها في أي مكان ذهبوا إليه، ولم يكن هناك افتقاد للشعور الديني، ولكن كان الافتقاد الأكبر هو الحنين إلى الوطن الذي عاشوا

فيه، وتربوا هناك أثناء طفولتهم، ودائمًا ما تكون الطفولة أسعد الأيام ، وبها أجمل الذكريات لدى الكثيرين.

وهناك سمة في الأدباء اليهود، الذين يكتبون باللغة الفرنسية، والذين تركوا بلادهم العربية، تحسب لهم ، وهي أنهم جميعًا لم يهاجروا إلى إسرائيل مثلما فعل أغلب اليهود في الشتات، بل اتجهوا لفورهم إلى فرنسا، وفي القائمة التي لدينا عن هؤلاء الأدباء فإنهم لم يعملوا في مجال السياسة، ولم يصل إلى مسامعنا أنهم سافروا إلى إسرائيل.

وذلك مثلما فعل أغلب الأدباء اليهود من الأشكيناز الذين باركوا قيام إسرائيل، وأيدوها في سياستها ضد العرب، بل إن شاعرًا مثل أدمون اليابس قد بكى مصر كثيرًا عندما هاجر منها بعد أن طردت الثورة أبناء الجالية اليهودية في مصر وامتلأت أشعاره بالحنين لبلاده حتى مات في عام 1991م.

وقد وصلت الدرجة بهؤلاء الكتاب أنهم اعتبروا أنفسهم في شتات بعد طردهم من مصر، أو بعد أن خرج منها بعضهم طواعية مثلما فعلت جويس منصور عام 1953م، ليس الشتات المقصود به هو البعد عن إسرائيل، ولكنه شتات عن مصر، بلد طفولتهم، وصباهم.

وبمطالعة القائمة التي لدينا ، والتي سنقدم بعضًا من نماذجها هنا، سوف نرى أن هذا المهجر قد ميز الأدباء اليهود القادمين من مصر إلى فرنسا. بينما أسماء اليهود القادمين من شمال المغرب قد ظلت شبه مجهولة إلا من اسم أو أكثر، ففي الأدب العربي المكتوب بالفرنسية تبرز أسماء كتاب مصريين أمثال أدمون اليابس ، وجويس منصور ، وألبير عدس وغيرهم. ولكن من المغرب

العربي يلمع اسم الكاتب المغربي أرمان المالح، وذلك باعتبار أن المغرب لم تطرد أبناءها من اليهود، باعتبارهم مواطنين مغاربة.

وقد تركزت الطائفة اليهودية في كل من المغرب وتونس، ومن بين الأسماء التي وردت في قاموس الأدباء المغاربة " الذين يكتبون بالفرنسية " نقدم أسماء الأدباء اليهود في مراكش وهم إليزا شمتي، وأدمون أرمان المالح. وإيلي ملقا، أما محمد هاجر فيقول القاموس أنه كاتب مجهول الهوية، وقد نشر كتابًا عام 1973م، يحمل عنوان " مجنون بإسرائيل مجنون بالله ". وهي رواية عن لقاء اليهود بالمسلمين، " يجب ألا يعتبر اليهود والعرب أنفسهم كأعداء، فنحن بشر، وفي بلادنا جميعًا مغاربة "[1].

أما الكتاب التونسيون فهناك روبير عتال ، والبير ميمي ، وسيزار بن عطار ، وبول غيث ، وريفل – واسمه الحقيقي رفاييل ليفي ، وجاك فيل. وأوزيت فاسيل، وكما نرى فإنها أسماء لم تصبها الشهرة العريضة مثلما حدث للأدباء القادمين من مصر، ولعل العبارة التي وردت في كتاب محمد هاجر لخير دليل على الاعتبارات التي يضعها المغاربة في دخائلهم، فهم في المقام الأول مغاربة، ويدينون باليهودية وقد حدث هذا أيضًا لدى الكتاب المصريين الذين احتفظوا بهويتهم حتى اللحظات الأخيرة من حياتهم.

---

(1) **Dictionaire des auteurs maghribiens Karthala 1983 p**. 238.

أدمون اليابس
Edmond jabes (16/4/ 1912 م– 1991م)

ولد أدمون (جابيس) اليابس وأصلها " يعبس " في القـاهرة في **16** أبريل **1912** م ، من أسرة يهودية حصلت على الجنسية الإيطالية بعد ثورة عرابي.

ودرس في مدارس الفرير التي كانت تدار من جانـب البعثـة الفرنسية غير الإكليريكية، ثم في الليسيه الفرنسية في العاصمة، وكتب الشعر في سن مبكرة من حياته فنشر أعماله وهو في سن السابعة عشرة، ثم اكتشف الشاعر ماكس جاكوب ففتن بـه وبأعماله وتأثر به تأثرًا واضحًا.

كما تأثر بالشاعر جابرييل بونور في أكتوبر عام **1929** م ، التقـى بالحسـناء أرليت كوهين حفيدة موسى قطاوي باشا ، وهو حاخام مدينة القاهرة الأسبق ، تم اللقاء فوق باخرة ركاب في طريقها إلى الإسكندرية وكان في السابعة عشـر من العمر فكان الحب من أول نظرة ، وقد تزوج الاثنان في عـام **1935**م،في المعبد اليهودي بشارع عدلي، وكان الشاعر قد نشر ديوانه الأول مستوحي من قصة الحب هذه في عام **1930**م، باسم " أوهام عاطفية" وكان أدمون مشغوفًا كثيرًا بالصحراء في مدينة القاهرة، ويحب كثيرًا المساحات الشاسعة من الرمـل الممتدة أمام عينيه، وقد سافر أدمون إلى فرنسا من أجل اسـتكمال دراسـته، وهناك سرعان ما اختلط بالحركات والمدارس الفنية التي كانت منتشرة بشـكل ملحوظ ، وخاصة السرياليين التي جذبت الكثير من المصريين، وهنـاك التقـى

بماكس جاكوب وقامت صداقة بين الاثنين استمرت عندما عـــاد أدمـــون إلى القاهرة وكان لا يتوقف عن مراسلة جاكوب، وفي مصر أصبح أدمون عضوًا في جماعة " الفن والحرية " التي أسسها جورج حنين وماري كافاديـــا ، وأســـس الثلاثة معا دار نشر تحمل اسم " حصة الصحراء " في عام **1947**م، ثم ما لبث أن انفصل عن الدار، وفي عام **1957**م،كان على أدمون اليابس أن يترك بلده بعد أن أصدر جمال عبد الناصر أمرًا بترحيل اليهود عن مصر، وتقول مجلـــة " لونوفيل أوبسرفاتور " أن كل أعمال أدمون قد كرست من أجل الكتابة عـــن الشمس الأصيلة في مصر[1]. أما كتاب " الأدب العربي الفرانكفوني " فيقول : " إنه بالرغم من أن أدمون قد اختار لنفسه أن يكتب باللغة الفرنسية، إلا أنه لم يندم على شيء قدر ندمه بأنه بعيد عن اللغة العربية ، وأنه قد أبـــدع أشـــعارًا رائعة ، وأجمل الأغنيات المليئة بالأنوار والموسيقى التي لا نجـــدها ســـوى عنـــد الشاعر الفرنسي رينيه شار، وبول ايلوار، وأيضًا جورج شحاده، ففـــي هـــذه النصوص يبدو الشرق وهو يتنفس من اتساع الصحراء، كما يبحث مبدعوها عن معاني الأشياء، " عن بياض الكلمات. وسواد المعاني ". نشر أدمون ديوانـــه الأول في باريس تحت عنوان " أوهام عاطفية " عام **1930**م ، أمـــا أعمالـــه التالية فقد نشرت في القاهرة مثل : " ماما " التي نشرت في مجلـــة " الأســـبوع المصري" التي

كان يعمل فيها جورج حنين وذلك عام **1931**م، وفي " مجلة القـــاهرة " نشر ديوان " الأقدام في الهواء " مع رسالة موجهة إلى ماكس جاكوب. وذلك في عام **1930** م، أما أعماله التالية فقد نشرت في القاهرة مثـــل : " أنـــات مصرية ". وفي عام **1945** م، نشر مجموعة من الرسائل التي أرســـلها لمـــاكس

---

(1) **E. Jabes، le nouvel observafeur، 11- 7- 1991 ، p.86.**

جاكوب مع مقدمة كتبها الأديب الفرنسي إتمبل، وقد نشر في عام **1947** م، ديوانه " أعماق المياه "، ثم نشر له في باريس ديوانان هما " أغنية لوجبة الفول " و " **3** بنات من حيفا "، وفي عام **1949**م، نشر في القاهرة ديوان " صوت الهلب " وبعد ذلك نشر كتبه كلها في باريس ومنها " أشيد مسكني " عام **1959** م، و " كتاب المسائل " عام **1963** م، وكتاب " يوكل " عام **1964**م، ثم " عودة الكتاب " عام **1965**م، و " بيل " **1967**م، و " إيلي " عام **1972**م.

والكتابة عند أدمون اليابس بمثابة غوص الأعماق، وهي خلق الزمن كي يستمر العالم، وتدخل في مسألة الخلق شعلة الحياة، وذلك مثل خلق العالم. والكتابة عملية مستمرة متجددة في كل لحظة، والكتابة تعتبر بمثابة سؤال موجه إلى الزمن، ومهما انتهى الكاتب من مخطوطه فإن الكتابة لا تنتهي.

وربما لهذا السبب فإن أبيات قصائد الشاعر طويلة ، مثل قصيدته الغريبة " إليك أتكلم " المنشورة في ديوانه " أشيد بيتي " ، وهي أشعار كتبها بين عامي **1943** و**1957**م، في مصر، ولكنه نشرها في باريس عقب سفره إلى هناك، حيث يقول :

إليك أتكلم أيها الصدى.. أيتها الأغاني المنقولة، أيها الخبر اللامع. أعلن لك رغبتي. فالبحر بلا مسيرة في الفم.

إليك ، أيها الحب المغتاظ ، والحقائق الأولى والأجل المربوط بالحجارة المثبتة.

إليك ، إليك وحدك ، يا صراع الشموع ، ولحن الصحراء، وبطاقة مليئة بالتوقعات.

أنا مجروح في براءتي، وطهارتي، والروابط المتوحشة، وسباتي وصحبة العميق.

وعقبة في الهروب السهل.

وفي الديوان نفسه نشر أدمون قصيدة تحمل عنوان " الزقاق " تختلف تمامًا في معانيها وطول المقطع. فهو يقول :

مسقط المياه

والبهجة

وخطوة المطر

في الألم

تؤثر بلا أمل

ونسيان الزقاق

والخطى تطيع السلالم

كل الصيحات راضية

ويختطف الجداف الصوت

وتخطو النداءات من باب لباب

وتتبادل المجهول بين الجيران

مسقط المياه

انتقام المياه

فوق المظلات

الألم وحده

بلا أوخاز

لقد آمن أدمون اليابس أن معرفة كلمة ، والتوغل فيها أشبه بمعرفة كتاب بأكمله والتوغل فيه، وهو يرى أن الشعر كان سلوته وهو في المنفى: " يجب أن نتوه وأن نرتبط بالخير أو الدروب كما نلحظ ، في النهاية فإننا لا نترك ذوينا في أية لحظة "، وقد كتب أدمون في ديوانه الأخير المعنـــون " كتـــاب الضـــيافة " المنشور في عام **1991**م، قبل وفاته بعدة أشهر أن كل شيء قد تمـــت إعـــادة كتابته.

وهو يقول في هذا الديوان أن " الكتابة الآن مصنوعة من أجل أن نعرف أنه ذات يوم سوف أتوقف عن الوجود، وأن كل شيء من أعلاي ومن حـــولي قد أصبح أزرق وكثيفًا ، متمددًا في فراغ كي أطير طيران النسر ذي الجنـــاحين القويين وهو يضرب بهما، وهو يتجه نحو مجهول مشيرًا إشارات وداع للعالم ".

" أجل بالضبط كي نؤكد أنني توقفت عن الوجود في اليوم الذي يبقى فيه طير الكواسر وحيدًا في فضاء حياتي وكتابي الذي يحكم سادته، ويتخلص مما كان يبحث عنه في داخلي، وقد تولد عندما كنت أعبر".

ومن الواضح أن الشاعر في هذه الأعمال الأخيرة قد اختار شكلًا جديدًا تمامًا للقصيدة، ليست بالطبع القصيدة النثرية التي كان يكتبها أحمد راسم باللغة الفرنسية، ولكنه شعر مليء بالموسيقى ، وقد بدا الشاعر في هذه القصائد كأنـــه قادم إلى لون قاتم . " الأسود هو لون الخلود ". وقد اختار لديوانه الأخير عنوانًا غريبًا هو " رغبة بداية المعاناة في النهاية الوحيدة ".

يقول ستيفن جارون في مقال نشر مترجمًا في مجلة إبداع ديسمبر 1999م، أن اليابس – يكتبونه نقلًا عن الفرنسية جابيس ، كأن تنقل قصيري إلى كسيري ، أنه شرع في كتابة العمل الذي حقق له شهرته، وهو كتاب الأسئلة الذي يعد شبه مذكرات وشبه رواية شعرية ، والذي نشر في سبعة مجلدات بين عامي 1963 ، و1973 م، وفي هذا العمل الطويل ، أشار مرارًا إلى اضطهاد اليهود وانخلاع جذورهم عبر التاريخ ، حتى مع أنه لم يكن قط يهوديًا ممارسًا أو مؤقتًا ، كما التفت من جديد إلى حياته وتجربته في وطنه مصر، وقد كتب في منتصف الستينيات : " إنني احتفظ من البلد الذي تركته بذكرى فراش كنت أنام عليه وأحلم وأمارس الحب " ، وبالرغم من عشقه المتواصل لمصر فإنه لم يعد إليها قط ، فقد كان يود لذكريات شبابه وصدر رجولته السعيدة ألا تتغير من جراء زيارة سائح ، وبالرغم من أنه قال مرارًا أنه لم يشعر قط بالراحة التامة في فرنسا ، أو بأن ذلك البلد سوف يصبح بلده منذ ذلك الحين ".الجدير بالذكر أن أدمون اليابس قد عرف نشاطًا مكثفًا في الإبداع خلال السنوات الأخيرة من حياته، ففي عام 1985م، نشر ديوانًا يحمل عنوان : " مسافات " ، وفي عام 1987م، نشر ديوانًا يحمل عنوان : " الصحراء في كتاب " و " كتاب الاقتسام "، ومن عنوان الكتابين يبدو مدى صدق الجملة التي سبق أن سقناها أن أدمون قد ظل محبوسًا بإبداعه في صحراء مصر يقول : " أنت تعتقد أن العالم مثل دودة في الصحراء تفكر في المحيط، لقد خلق الله الدنيا بعد أن خلق الصحراء، يسكن النسر في الحجر الصوان وهو يطير فوق الرمال " والصحراء هنا هي صحراء مصر كما يقول الكاتب في مجلة لونوفيل أوبسرفاتور (1).

---

(1) المصدر السابق

وفي عام **1990**م، نشر أدمون اليابس مجموعة من القصائد التي كتبها بين عامي **1947** و **1988** م، تحت عنوان " عتبة الرمل "، والديوان ضخم الحجم يقع في أكثر من **400** صفحة وأغلب هذه القصائد من ذوات المقاطع الطويلة، بل إن فقرة بأكملها ، كما سبق أن رأينا ، يمكن أن تكون قصيدة أو بيتًا من قصيدة.

" في الواقع فإننا لم نستسلم للقطيعة، بأن نطرد من مصر، لقد جئت إلى باريس وعشت في المدينة التي يعيش فيها الشعراء الذين أرغب في أن أكون وريثًا لهم، وبدلًا من أن أرتبط بهم، فعلى العكس فإنني ابتعدت عنهم. وجدت نفسي على مسافة منهم، ليس على مسافة، ولكن في ابتعاد، لأنني أنا مرتبط بمكتبي " [1].

ويقول اليابس في نفس الكتاب عن الصحراء : " عندما نتعرف على الصحراء، فإننا نبقى فيها إلى الأبد، ومن الصعب نسيانها، فصمت الصحراء ينخر فيك، فأنت هناك تكون نفسك، بمعنى لا شيء ".

" لأنه قبل أن تكون كلمة " فإن الكتابة سماعية، أنا شخص مرئي، أنا أرى الكلمة، أراها تتكون وترسم، وفي الوقت نفسه أسمعها، هناك أولًا نوع من الحركة تخرج فجأة من الكلمة وتروح تأخذ معنا، وهكذا الشعر، كما أن بعض الشعر يبقى صامتًا، ليس هناك سوى الصوت الذي يمكن إضافته ، والخيال الذي يدخل الجزيرة فجأة.

" الكتابة حياة اختفت، الشعر يوقظ أو ينبه فينا الذكرى، وطالما أنه يمكن أن يكون أيضًا، فإنه يثير ذكرياتنا، وفيه تبدو الدهشة أمام الجملة التي تتفكك

---

(1) **Le seuil du sable ، Gallimard ، Paris ، 1990.**

تقريبًا دون أن تعنينا كثيرًا، كي نعبر عن الحب، لا نريد أن تقول " أحبك " ثم سيصبح للشعر حركته وحبه الذاتي "[2]

مات اليابس في باريس في 2 يناير 1991م ، ولحقت زوجته به أرليت في أغسطس من العام التالي، ومن بين قصائده، التي ترجمت إلى اللغة العربية ما ترجمته هدى حسين في العدد الخاص عن الفرانكفونية المصرية (ديسمبر 1996 م) تحت عنوان "عمق الماء" وفيها :

أتكلم

عن مرآة عيونك السرية

كل حراس اليأس

كل التواءات منحدر معطر

الشاعر يقفز الوثبة تتقدم

أتكلم عمن لا أعرفه

عمن لن أعرف عنه أبدا إلا

الكلمات

لك عرائس مشوهة

هنا لا أحد

رجع حلم مولود ميتا

فراشة منزوعة من اللبلاب

---

(2) المصدر السابق

لا أحد
غير النحاس الذي ضربته الأجنحة
لا أحد
غير لجين معدن الأحزان
لا أحد
غير إمبراطورية الأشباح غير المعترف بها
مظلة من لعاب من أجل الضفادع

جويس منصور
(25/7/ 1928 م – 27/8/ 1986م)

تنتمي الشاعرة والروائية جويس منصور إلى عائلة يهودية كبرى عرفت في مصر من خلال أنشطتها الاقتصادية والتجارية، وهي عائلة عدس. فجويس هي ابنة تاجر كبير اقتضى عمل الأب أن ينتقل بين بريطانيا ومصر، وفي أثناء إحدى هذه الجولات ولدت جويس في عام 1928[1].

ورغم أن جويس الصغيرة قد أتقنت اللغة الإنجليزية بحكم ترددها الدائم على بريطانيا، إلا أنها التحقت في القاهرة بإحدى المدارس الفرنسية. باعتبار كما أشرنا ، أن هذه اللغة تمثل انعكاسًا للرقي الاجتماعي أكثر من الإنجليزية في تلك الآونة، لذا فقد قرأت الأدب الفرنسي، وراحت تعبر عن مشاعرها بهذه اللغة، ثم انتهت من كتابة أول قصيدة وهي في الخامسة " صرخات " وفي تلك الآونة كانت قد تعرفت بالشاعر السريالي جورج حنين الذي راح يشجعها، وكان أكثر الشخصيات التي تأثرت به.

وقد تمتعت جويس منصور بقدر من الجمال قل أن تتمتع به امرأة في عشرة، في عام 1948م، كانت قد انتهت من جمع ديوانها الأول " عصرها". هذا الجمال كان أيضًا مفتاحًا للدخول إلى عالم رحب وواسع. وكم أحسنت الفتاة أن الله وهبها كل ما تتمناه أية امرأة في الوجود.. الجمال الباهر والثراء الشديد والثقافة العميقة، والإبداع المتميز، بل وأيضًا الزوج الذي تحلم به كل النساء، فقد تزوجت من شاب مصري أكثر جاذبية ويؤمن بموهبتها، فراح يشجعها ودفعها إلى السفر إلى باريس عندما وجد أن فرصة نشر شعرها

[1] تم الرجوع إلى الأعمال الكاملة التي صدرت للشاعرة جويس منصور من خلال ما ننشره هنا عن الشاعرة. والكتاب منشور عن الناشر **actes sude** عام **1990**م.

المكتوب بالفرنسية كانت أفضل، ففي عام **1953**م، نشر ديوانها الأول بعد خمس سنوات من الانتهاء من تأليفه لدى الناشر.

وفي باريس كان اللقاء عاصفًا ومدويًا، فقد علق أندريه بريتون أنه من أجمل ما قرأ من شعر في حياته، وطلب لقاء الشاعرة، وراح يعبر عن دهشته لجمالها " الفرعوني " حين التقاها مع زوجها، وهو يقول : " أنت أول امرأة أمكنها أن تكتب عملًا غريبًا كشف عن كل ما بمكنون صدرها ".

ولم تقطع جويس منصور علاقتها بالقاهرة، وقد كتب أنيس منصور عن الصالون الأدبي الذي كانت تعقده في جريدة أخبار اليوم – **6** سبتمبر **1986**م – قائلا : " كان الحاضرون من رجال ونساء يأكلون ويشربون حول حمام السباحة ويتحدثون في الشعر والأدب والفن بالفرنسية والإنجليزية والإيطالية والعربية.. وكانت معجزة هذا اللقاء أو الغذاء طفلة تلقي شعرًا باللاتينية، فعكفنا جميعًا على الترجمة والتفسير والنقد والمقارنة ".

ويقول : " كأننا في قمة جبال الأوليمبي.. أو جبل باراموس حيث يلتقي الآلهة والشعراء والمطربون في كورس سماوي.. كأنهم ليسوا على هذه الأرض وكأنهم ليسوا منها.. لم أكن أعرف ولا تخيلت. ولكنه أمكن".

في العام التالي **1954** م،نشرت جويس ديوانها الثاني تحت عنوان " تمزقات " الذي أثار ضجة حول هذه الموهبة وكتب عنه أدباء بارزون مثل أندريه بيير، وهنري ميشو. ومنذ ذلك الحين أصبحت جويس وزوجها صديقين حميمين لأندريه بريتون الذي كان لا يخفي أن المرأة هي ملهمته لكل أشعاره، كما انتقل هذا الإلهام لأغلب الشعراء والرسامين السرياليين الذين أعجبوا بجويس كشاعرة وكامرأة جميلة، فكم رسموا لها من لوحات ! كما راحت

الشاعرة تنشر قصائدها في كتالوجات معارض رسامين عديدين مثـــل الفنـــان الكندي جان بنوا ، والأسباني " باتا " الذي صورها كثيرًا تحرق صدر الفنـــان، ثم ألفريدو لام. وبيير ألشينسكي. وسافنبرج. وتوين. ولينور فيني.

وقد عبر أندريه بريتون عن إبداع جويس منصور قائلًا إنهـــا " حديقـــة هذيان هذا القرن ". كما أكد أكثر من عرفها أنه لا يوجد اختلاف بين أناقـــة هذه المرأة كما عرفها الناس، وبين أناقة شعرها ، وكأنهما كيان واحد.

في أعمالها الكاملة نجد كافة نصوصها النثرية وقصائدها المنشورة والـــتي ظلت تكتبها حتى وفاتها في 28 أغسطس عام **1986**م، وقد تم ترتيـــب هـــذه الأعمال حسب النوع الأدبي، فهناك نصوص قصصية نثرية نشرتها عام **1958** م،تحت عنوان " الراقدون الراضون ". ومسرحية قصيرة منشورة عـــام **1968** م،تحت عنوان " أزرق الأغوار " ومجموعة قصص قصيرة منشورة عـــام **1970** م،باسم " هذا " أما دواوينها الشعرية فهي " صرخات " ثم " المربع الأبـــيض " **1965** م، و " اللفتات " عام **1967** م، و " فالوس والمومياء " عام **1969** م، ثم مجموعات من القصائد المتناثرة كتبتها في كتالوجات معارض الفنانين – كمـــا أشرنا – " الابن الكبير " عام **1981** م، و " نيران مســـتعرة " **1985** م، و " ثقوب سوداء" عام **1986**م

وفي إبداع جويس منصور تجد الفنان المؤمن بحرية التعـــبير، وبانطلاقـــة القدرة على العطاء، فلا حواجز يمكن أن تقف أمامه من أجـــل أن يعـــبر عـــن مشاعره، فنحن في الأحلام نرى كل شيء مباحًا، والكوابيس مثلًا تمثل حقلًـــا خصبًا لتحطيم الأزمنة ، والأماكن والألوان والتركيبات المألوفة.

ومن المعروف أن السرياليين كانوا يؤمنون بثلاثة فنون ويتعاملون معها في المقام الأول عن بقية الفنون وهي على الترتيب، الفن التشكيلي ، والقصيدة ، ثم السينما ، ففي هذه الفنون يمكن للفنان أن ينطلق دون أن تعرقله حدود، وهو لا يصبح أسيرًا إلا لما يعتمل في نفسه، أما الرواية وفن القصة بشكل عام فإن الفنان غالبًا ما يجد نفسه فيه محبوسًا في إطار الحدوته، ومشاعر الآخرين، أما في القصيدة فإن الشاعر مجبر على أن يعبر عن نفسه في المقام الأول، وفي اللوحة فإن الريشة والألوان هما نبض وخفقان قلبه.

ولذا فلا يمكن أن نعتبر تلك النصوص النثرية التي قدمتها جويس منصور بمثابة إبداعات قصصية، كما لا يمكن إدراجها تحت تقسيم الشعر المنثور. فهي نصوص طويلة مختلفة الشكل، فيها الأشخاص يتحركون، لكننا لسنا أمام موضوع قصصي محدد، مثلما نحن في اللوحة السريالية ننتقل من عالم وهمي لآخر دون أن نتساءل عن السبب، ولا نعرف النتيجة.

وفي أقصوصة " ماري أو شرف الخدمة " تمزج الكاتبة بين أزمنة وأماكن عديدة، فهي تشير في السطور الأولى إلى أن الأحداث تدور في بدء الخليقة. ثم نعرف أنها تدور في شمال إفريقيا داخل فندق صغير تحفه الشوارع الواسعة المكتظة بالناس، وماري بطلة القصة تتمتع بحسية واضحة، وفي القصة هناك سفاح يجالس الناس ويضحك معهم، وماري تشعر بالقلق لأن السفاح قد يغيب بضعة أيام، تجلس إلى جوار النافذة تنتظر ظهوره، تتعمد ألا تتحدث إلى أختها جيرمي عن انتظارها، لكن قلقها لا يمكن إخفاؤه. وماري امرأة تعشق الأحلام.. ففي كل ليلة تنام مرة واحدة، وتعيش الحلم ببكارته في روحها، ترى نفسها تجري بلا ملابس وسط رياح مستعرة أن تكشف سرها، وتحس بالمياه ثقيلة، وترى طائر الكوندور يحلق في السماء. والطيور تصدح، وتتقلب ماري كي

تتمتع أكثر، فتقدم نفسها وعفتها فوق آخر شعلات العفة، وترى الشارع وقد أفقده الأسمنت عفته، فتهرول في ضباب المدينة، وتحس بارتعاد أصابعها وتلمس جلدها الطري والرخو تحت أشعة القمر، فتسبح في الرمال ، والضباب والمستنقع والسماء. وترتطم المصابيح بين السحب العابرة كأنها الكعكة، وتتشكل الأزرار في جوهر كل حقل، وتمسك ماري بزهور المرجريت وقد اغرورقت عيناها بالدموع، وأمسكت في سعادة بالأوراق الوردية المثنية ".

ومن هذه الفقرة نرى أننا لا يمكن أن نعيش مثل هذه الأجواء إلا في أحلامنا، حيث تتعاقب الأشياء دون إقناع أو تتابع، وتتدفق دون ترتيب أو انتظار، فرغم أننا أمام علاقة غير موجودة بين ماري وسفاحها الذي لا نعرف عنه الكثير ، إلا أن ماري في حالة حلم وتفكير ومعايشة لخيالها طيلة أوقاتها، سواء عندما تنام أو هي تجلس على مقربة من النافذة تنتظر وصول هذا السفاح أو طوال ساعات النهار.

حتى هذا السفاح ، فإن ماري تراه بمنظورها الخاص، فهو " بشر " مثلها يمتلك خيالا واسعًا، ويعيش داخل ذكرياته، يردد : أنا صاحب أسرة متزمتة ومحترمة، تتمتع بصحة طيبة، لديها أفكار تربوية، أنا رجل فريد ووحيد.

وهذا السفاح يأتي إلى ماري ، ربما في خيالها ، من أجل قضاء لحظات حب غير ملموسة. يقول لها : " سوف تعيشين تبعًا لرغبتي، تذكري عقدنا معا ". وعندما يغيب السفاح ترقد ماري فوق مضجعها، وتنظر إلى الببغاء تناديه بدلًا من السفاح الحاضر الغائب، وقد تقرض بعض الأشعار، وتهتف أكثر من مرة باسم السفاح، " تتنهد ماري، وتترك نفسها تسبح لحظة طويلة بين حالتين من الوعي ودون أن تضيع في قطيفة نومها، ليست لديها قوة التفكير ولا القدرة

على التنفس، تبدو أفكارها باردة كأنها أشياء تتسلق بتكاسل فوق فروة رأسها، وصور رخوة غير محددة الأشكال".

وفي هذه الأقصوصة الغريبة لا تنسى جويس منصور أنها شاعرة، فماري تقرض الشعر وهناك مقاطع من قصائد تنطق بها، والقصة لا تضم سوى شخصيتين فقط هما ماري والسفاح الذي ليس بقاتل. " غنى السفاح بصوته الجميل كرجل فخور بقوته، وتتبعه النساء متكاتفات الأيدي، وواثقات في أنفسهن ، نظرت إلى الباقيات من كوخها وقالت بحزن : لست سوى فأرة في فندق، انسانة مسكينة، ثم انسالت الدموع على خدها، وهبت رياح شريرة، الزهور والعصافير والأشياء ذات الألوان اللامعة والروائح العطرة ،هبت من الضوء المعتم في الروح الممتدة وسط حالتي النوم واليقظة ".

ورغم أن " ماري أو شرف الخدمة " هي الأقصوصة الأولى في كتابها" المتمددون الراضون " ، إلا أن الناقد لا يمكن أن يضعها في تقسيم أدبي معين، فهي ليست بالأقصوصة لأنها تقع في أكثر من سبعين صفحة ضخمة الحجم ، وهي ليست رواية بالمعنى المتعارف عليه إلا إذا أدرجناها تحت تسمية " الرواية الجديدة " ، أو الإبداع السريالي، وكما أشرنا فإن النصوص الروائية التي كتبها السرياليون نادرة للغاية.

والنساء في بقية نصوصها القصصية غارقات في أحلامهن مثلما كانت ماري ، وهن يعشن في عالم غامض مثل كلارا في أقصوصة " السرطان " ، فهي لم تخرج أبدًا من منزلها ولم يسبق لها أن شاهدت أحدًا.

كما أن الموت موجود ككائن رئيس في أغلب إبداع جويس منصور النثري. ففي أقصوصة " السرطان " تموت بين ذراعي حبيبها الراوية الذي يفاجأ

بالشرطة تقبض عليه ثم تخلي سبيله عندما تعرف سر موت كلارا : " ماتـت في الرابعة صباحًا، والذكرى التي أحتفظ بها عن هذه الليلة هي أنني لن أسـتطيع أبدا أن ألقاها، هناك مقعد من الضباب حولي، وبعض الحبر الرديء في دمـي، فغدوت كالمجنون ".

أما في مجموعة النصوص القصصية التي تحمل عنوان " يوليوس قيصـر " فإن الموت موجود في الدماغ " ماتت رأسي معه، لست سوى كتلة من الرمـاد المكتوم والتي ترحل كل صباح من المصنع حتى أكسب حياتي، لأنـه يجـب أن نستمر على قيد الحياة، حتى ولو كنا بدون رؤوس، لقد تركت آخـر أسـناني اللبنية في فم زوجي الذي مات من التضخم الاقتصادي، ورحت أعـد نفسـي لإجراءات الدفن.

" ارتديت ثوبًا أسود به ألف ثنية من الذكريات، بـالغ الاتسـاع عنـد الفخذين. وبالغ الضيق أعلى الصدر، لقد دفنت صديقي يوم خطبتنا ".

ورغم شهرة جويس منصور كشاعرة، إلا أنه بمراجعة أعمالها الكاملة فإن مساحة أعمالها النثرية تكاد تعادل كل ما أبدعته من شعر، لكن يبدو أن مقولـة الكاتب عباس العقاد، أن خمسين قصة لا تعادل في قيمتها بيت شـعر متميـز، صادقة فلا تكاد تذكر جويس منصور بين كتاب القصة القصيرة ، ولا الإبداع النثري بالمرة، رغم أهمية هذه النصوص كما رأينا، ولا تجيء أهمية هذه النصوص فقط في سلاستها ولغتها الراقية، بل لأنها بذلك تكون من بين السرياليين الـذين سعوا لإفساح مجال الإبداع أمام عطائهم، فكما أشـرنا فـإن القلـيلين مـن السرياليين قد اتجهوا إلى فن القص، وقد تعمدنا أن نعود إلى هـذه النصـوص ونقتطف منها لنتأكد إلى أي حد أفادت جويس منصور النثر بشاعريتها.

وجويس منصور ظلت وفية لسرياليتها حتى آخر كلمة كتبتها قبل وفاتها. ليس فقط لأنها أخذت كافة أعمالها إلى أندريه بريتون رائد الحركة السريالية، ولم تنس أبدًا أنها شاعرة وهي تكتب النثر سواء النصوص القصصية أو المسرحية ذات الفصل الواحد التي تضمنها الأعمال الكاملة.

لكن من الواضح أن نثر جويس منصور قد اختلفت أبعاده طوال السنوات الإبداعية ، ففي مجموعتها " هذا " المنشورة عام **1970**م،بدت كأنها تتكلم وتصف ظواهر الأشياء أكثر من أعماقها، لكن الموت ومراسم الدفن لا تزال ماثلة في ذهنها، ففي أقصوصة " النقطة " تصف جنازة بتفاصيل دقيقة من خلال المراسيم نفسها، ومن المعروف أنها في النصوص التي سبقتها عن مثل هذه الشعائر، كانت تتعامل معها كأنها أشياء من الأحلام ، نابعة من الوعي والماضي والحاضر والمستقبل معًا في مزيج من الصعب تحديد هويته، أو معرفة أبعاده..

إلا أنها تتحدث عن هذه الأمور في هذه القصة مثلًا على النحو التالي : " تم الدفن في اليوم الرابع، بدت الأم كأنها تنتحب وسط الخطبة، بدا النحيب طويلًا ومثيرًا للملل رغم هذا المشهد الدائر في غابة " ماري كيلو " قالت ماري إنني لم أسمع شيئًا عندما حضرت الحفل، بل رأيت الأم تتمخط مرات عديدة بقوة ".

وكما نلاحظ فإن أغلب هذه القصص لا تنتمي إلى البيئة العربية مثلما فعل أدباء آخرون، لكننا بشكل عام أمام حالات إنسانية مجردة، فبرغم الأسماء غير العربية، إلا أن النحيب ، مثلًا ، عند المقابر ظاهرة إنسانية.

وبملاحظة القصة التي كتبتها في الثمانينيات تحت عنوان " القيلولة " نجد أن جويس منصور قد ابتعدت بشكل ملحوظ عن أعماق النفس البشرية

وتصويرها، واهتمت بالحديث عن البشر من الخارج أكثر، فالراوية هنا يراقب الآخرين كيف يمشون ويتحركون، وهو يسجل رؤيته لما تراه العين أكثر مما يحدث للمرء من تأثر نتيجة لهذه الرؤية، ورغم تغير أسلوب الكاتبة ، فإننا نجد نفس الهم الذي طاردها دومًا، فالكاتبة التي أصيبت بداء السرطان سنوات لا تزال تتحدث عن الموت، وعن هذا المرض اللعين بانكسار شديد : " راح السرطان ينعكس فوق شاطئ مجهول. سريره خاو الآن.. وتبدو الهموم قابعة فوق وجوه مجموعة صغيرة من الزوار بدءوا يفهمون أن عليهم أن يتمتعوا كي يتعلموا ".

وكتبت جويس منصور مسرحيتين قصيرتين، إحداهما لا يتجاوز عدد صفحاهّا الاثنتين، وفي هذا النوع من المسرحيات نجد أنفسنا أما شخصيات قليلة للغاية، فنحن في غرفة شبه خاوية حتى الجدران في مسرحية " أزرق الأغوار "، ومن الشخصيات هناك رجل عجوز وامرأة جميلة تدعى مود ثم ابنتها الصغيرة، أما الجو العام للمسرحية فهو الموت، فالمرأة ترتدي زي الحداد، والرجل يتألم من المرض، وهو ينظر إلى ماضيه بحسرة، فقد يتمنى أن يصبح كاتبًا ذات يوم ، ولكنه الآن لا ينتظر سوى الذهاب إلى الطبيب، أما الصغيرة جيروم فهي تنطق شعرًا وترقب ما يحدث في البيت دون أن تمتلك حلًا لما يدور حولها، وتسمع أمها تقول : " كم أحس بالبرودة، في كل مرة أريد أن أتجمل، أحس أن علي أن أحطم المرآة، لا أجرؤ أن أرى أثداء الأخريات أكبر من صدري " ، ومود امرأة مليئة بالأحزان، وعليها أن تتخيل نفسها بالغة السعادة حتى تتخلص من آلامها الحقيقية.

والمسرحية بمثابة محاورة تنكشف فيها العلاقات الممزقة بين الأب وابنته وحفيدهّن فهو يذكر ابنته أنه بمثابة أب، فهو الرباط الوحيد بينها وبين طفولتها،

أما الصغيرة جيروم فإنها تتخيل وجود شخصيات خيالية قابعة خلف زجاج نافذة غرفتهم الضيقة.

أما المسرحية الثانية " سكرة المدن الكبرى " فهي محاورة بين رجل وامرأة أثناء لحظة هوى يبدوان وكأن كلا منهما يحطم الآخر.

هذا هو عالم جويس منصور النثري، فماذا عنها كشاعرة ؟

لا شك أن شكل القصيدة قد تغير كثيرًا عند جويس منصور، ففي ديوانها الأول " صرخات " اتسمت أبياتها بالعبارات القصيرة، وبمقاطع لا تزيد عن خمسة أبيات غالبًا في كل منها، ثم أصبحت هذه المقاطع طويلة، وبشكل عام فإن جويس منصور مهمومة في شعرها بالحب والرجل ، والحياة، وأيضا الموت والمرض، وفي قصائدها الأولى كانت تستعذب الحب، إلا أنها في قصائدها الأخيرة استعذبت المرض والألم، وفي كل عشقها للأشياء ذهبت جويس منصور إلى أقصى الحدود، أحبت حتى النخاع، ولدرجة إسالة الدماء، ولم يكن يهمها في ديوانها " صرخات " أن تعنون أشعارها، فبدا الديوان كله وكأنه بمثابة قصيدة واحدة، ثم أصبحت لكل قصيدة في دواوينها التالية عناوين وموضوعات.

وقد تخطت جويس منصور الكثير من قيود القصيدة، وان كانت قد التزمت بموسيقى الشعر، وفي أغلب قصائدها دائمًا تساؤلات ممزوجة بالتعجب، لا إجابات عليها، ويهمنا هنا أن نقتطف بعضًا من نماذجها الشعرية في مراحل عطائها المختلفة، ففي " صرخات " تقول :

رأيتك عبر عيني المغلقة

تتسلق سور أحلامك الخائف

وتفقد قدما من قدميك على العشب النائم

ترقد عيناك فوق المسامير الناتئة

بينما أصرخ دون أن أفتح فمي

كي أفتح رأسك لليل.

تقبل صلواتي

التهم أفكاري الملونة

ونقني. حتى تتفتح عيناي

لتريا ابتسامة السفاح الداخلية

نقية ولو لمرة

اصلبني يا يهوذا.

وفي الديوان نفسه "صرخات" أو فلنقل في القصيدة نفسها التي لا تكاد تنتهي تقول:

الذباب فوق السرير

فوق السقف في فمك وعينيك

نائما فوق ملاءة حتى رقبته

هناك رجل ماكر جاهل

اترك لي جلدي

ولا تفرغ بطني

وليس لظلك فم

وليس لغرفتك باب

وعيناك بلا نظرات

وبلا رحمة.. بلا لون

وخطاك تسير

بلا أثر

نحو الضوء المثير

إنه جحيمي.

ويكاد يكون ديوانها الثاني " تمزقات " المنشور عام **1954**م،مشابهًا للديوان الأول، سواء في شكل القصيدة، أو في موضوعها وأيضًا في لغتها. لكن كل هذا بدأ يحدث شكلًا جديدًا في ديوان " كواسر " المنشور عام **1960**م، فنحن أمام قصائد متعددة، ولكل منها هوية محددة، ولأول مرة تكتب جويس منصور القصيدة ذات التفعيلات المتعددة، مثل قصائدها " لأنه ليست لك ساقان " و " الموتى في رؤوس الكلاب " و " عيون الأصدقاء " ، إلا أنها استعملت التفعيلة الواحدة في ديوانها الرابع " المربع الأبيض " المنشور عام **1965**م، ويكاد يكون هذا الديوان بمثابة فحوى لقصائد متعددة التفعيلات، ويهمنا هنا أن نقتطف بعضًا من أبيات قصيدتها "باب الليل مقفول بالقفل " :

أبحث عن الصحراء

فوطني جلف وسري

والحياة هي نفسها

والمطرب نائم في السرايا العميقة

وسجاد

يمشي في الحديقة المغلقة.

و...

ولم تستطع الشاعرة أن تخفي آلام المرض في ديوانها الأخير " ثقوب سوداء " المنشور عام **1986**م، فقد تحولت الأحلام الوردية والمشاعر الحسية التي ملأت ديوانها الأول إلى تأوهات ألم، واختفت مشاعر الحب بشكل واضح، فهي تقول في آخر قصيدة نشرت لها قبل رحيلها :

نحن لا نعيش مع الموتى

فهم يتزلقون فوق ملاءات النسيان نحو ثقوب سوداء

يسبحون ويرتعدون في رياح المساء

وتخوي عيونهم كأنهم الحمام

وتختنق أعضاؤهم

في وحل الذكريات

نحن لا نعيش مع الموتى

فأفواههم مليئة بالزبد

ومهما بذلنا من جهد

فإن تنهداتهم الجائعة تمزق الهواء

كم نتحاب

لكنهم لا يذكرون شيئا

مشغولون بمن يكونون

ويتمتعون بحدادهم

مشغولون بمن يكونون

ويتمتعون بحدادهم

ومن الواضح أن الشاعرة جويس منصور قد ابتعدت كثيرًا عن عالم الباطن الذي يشغف به السرياليون كثيرا، وصنعت عالمًا جديدًا تمامًا في قصائدها الأخيرة، عالم سوف تذهب إليه راضية، ومثلما كرمت مشاعر الحب في قصائدها، ومثلما مجدت الحياة في أشعارها، فلم لا تفعل ذلك تجاه عالمها الجديد الذي تتجه إليه، فبدت كأنها تضع لنفسها رثاءها الخاص بها.

وفي العدد الخاص بالفرانكفونية المصرية ، من مجلة إبداع السابق الإشارة إليها، ترجم بشير السباعي شعرًا للكاتبة كتبته عام **1953**م ، وهو من بين المحاولات القليلة لترجمة أعمال الشاعرة إلى اللغة العربية في مصر.

كنت جبانة أمام موته

كنت جبانة أمام حياتنا

رأسه ذات الوجنتين النديتين

انتزعتني رغما عني من الوعود المجانية

من الوعود المنبوحة. من صمت وصم من

الصرخات

ظهري الذي يتصبب عرقا ، فزعي ، صرخاتي

وعندئذ لكي أهرب من عينيه

أحنيت رأسي ، ركعت وبجبني المروع

خففت آلامه

عصافير صغيرة ترفرف

تحت جلدك المتوتر، في عينيك الواسعتين

وقد خبلها الرعب الذي يهز السماء

غير مفكرة إلا في تحليقاتها الماضية

الفرائس الحية لصياد مجنون

الفراغ فوق رأسي

دوار النشوة في فمي

وأنت فوق ظهري

القط فوق السطح

يلوك عينا حلوة

أدمون المليح

(3/30/ 1917 م - 2010/11/15م)

عرف أدمون عمران المليح في الثقافة المغربية الحديثة، كواحد من كبار الفلاسفة، وكبار المهتمين بالفكر الشيوعي وذلك حتى عام **1980**م، حيث نشر روايته الأولى " مسيرات ساكنة " أي وهو في الثامنة والستين من العمر، والطريف أن هذا الفليسوف الذي بدأ الكتابة الإبداعية وهو في هذه السن قد نشر ثلاث روايات في خلال ست سنوات،

ففي عام **1983**م، نشر روايته الثانية " عيلن عيلن أو ليلة الحكي " **Ailen ou la nuit de recit Ailen** وبعد ذلك بأربعة أعوام نشر روايته الثالثة " ألف عام ، يوم واحد " **1000 ans، un jour** .

والمليح من مواليد مدينة صافي المغربية في عام **1917**م، من عائلة يهودية، وفي عام **1945**م، انضم إلى الحزب الشيوعي الذي كان في طور التكوين، ثم تولى وظيفته كسكرتير شباب الحزب، وفي عام **1948**م ، انضم إلى اللجنة المركزية بالحزب، ثم إلى المكتب السياسي، وقد اشترك المليح في النضال من أجل استقلال بلاده بالسياسة، وفي عام **1965**م، سافر إلى فرنسا واختارها مستقرًا له.

والجدير بالذكر أن الكتب الثلاثة التي نشرها المليح، ليست روايات بالمعنى المفهوم عن فن الرواية، ولكنها أقرب إلى نصوص روائية، يسترجع فيها الكاتب سنوات الحنين التي عاشها، خاصة في المغرب، وفي هذه الراويات تتكرر نفس الشخصيات مثل شخصية " عيلن " التي كانت بطلة روايته الثانية لذا ،

فكما جاء في جريدة " لوموند – 23 مايو 1986م – فإن رواياته الثلاث بمثابة ثلاثية.

ورواياته كما أشرنا، هي روايات ذكريات، خاصة روايته الثالثة " ألف عام ويوم واحد " ، فهو يصور حياته كما عاشها " على المرء أن يكتب عن حياته دون أية علامات تنقيط، أحترم أن تطرح هذه العلاقات نفسها أمام عيني، إنها مرتبطة معا بنفس الطريقة التي يرتبط فيها الزمن بالحياة، أحب الزمن الممتد أمامي، وأحب تقطيع المشاهد، لقد رفضت التقسيمات دومًا. فترى هل هذا الكتاب رواية، لنقل أنه نص أدبي ولكنه ليس الشكل التقليدي للرواية، فقصة الحياة تثير الشجون، ولكنني لن أرويها بأسلوب تقسيم النبات في علم النبات " (1).

وبطل الرواية يدعى نسيم، وهو يبحث عن أودسيوس كي يرحل معه في مركبه التي تسافر عبر البحار، وأن يسلم أمره إليه، وبينما هو في رحلته، يتأمل المصير الغامض لشعب يبحث عن آثاره، في ومضات التاريخ، وفي العنف الذي ساد البشرية، والصداع واللحظات البارزة من انتصارات وإخفاق في تاريخ البشر.

يتصرف المليح كأنه إذا أراد أن يتكلم عن نفسه، فليجعل آخرين يفعلون ذلك نيابة عنه، ويروي الكاتب الحياة التي عاشها اليهود العرب مع أقرانهم من المسلمين في المغرب طوال ألف عام، هذه العلاقات بدأت الآن في التغير "ليس

---

(1) Edmond el maleh، le monde 23- 5

هذا الكتاب مصنوعًا من أجل الشباب المغربي، فالمغرب التي أتكلم عنها لم تعد موجودة الآن طالما أنها افتقدت واقعها الحالي " [1].

ويتحدث المليح عن رحيل مجموعة من اليهود المغاربة، إنه في أعماقه مغربي أولًا، ثم يهودي ثانيًا حتى لو عاش في فرنسا أكثر من عشرين عامًا، وذلك مثلما فعل الشاعر المصري أدمون اليابس، ويختلف المليح في أن ذكرياته عن بلاده التي جاء منها ليست مليئة بالمرارة، مرارة الحنين بأنه يود أن يعود مرة أخرى، فالمليح يمكنه أن يعود، أما اليابس فليس ذلك في مقدوره إن أدمون المليح مليء بمشاعر الحنين ولكن يكفيه أنه عاش هناك كل هذه السنين.

في روايته " ألف عام يوم واحد " عام **1986** م، يتحدث الكاتب عن حرب لبنان، فهو يحس أن لبنان هي أيضًا وطنه. لأن هناك عربًا مثله، ويتكلم بصفة خاصة عن الغزو الإسرائيلي للبنان في صيف يونيه عام **1982**م وكيف كان أثر ذلك على الذين عاشوا تحت سماء باريس، لقد تمزق الكاتب من ذلك العنف المتوحش " هل حقيقة ما يحدث هناك؟"[2].

وقد عبر الكاتب في الصفحات الأولى من كتابه أن ما حدث في لبنان كان الدافع الأول لتأليف هذه الرواية. " لا شك أن هذا الكتاب مرتبط بحرب لبنان ، لكنني لا أريد أن أغلق على نفسي باب السياسة، فليس هذا الكتاب بمثابة رواية ملتزمة، بل إنه ضد كل ما كنت أتمنى أن أخرجه من كل رسوم الكاريكاتير، وأن أهرب من كل الشعارات " [1].

---

(1) المصدر السابق

(2) **Mille ans, un jour. Edmond el maleh, la pensee sauvage, 1986.**

(1) المصدر السابق

لا شك أن عمران المليح يعرف عما يتكلم بالضبط، فقد سبق أن اشترك في تحرير وطنه، المغرب، من الاستعمار، ولكنه عندما كتب هذه الرواية لم تكن لديه أية قدرة كي يناضل من جديد، لذا فهو يكتب كتابًا لعله يكون رسالة بدلًا من السلاح الذي حمله فيما قبل، فهو على سبيل المثال، يصف كيف بدأ اليوم جميلًا في مخيمي صبرا وشاتيلا قبل أن تجيء القوات الإسرائيلية، "في هذا اليوم كان العشب ينمو فوق الأرض الممددة، لكنه انتهى وقد تلون باللون الأحمر من كثرة الدم، في هذا اليوم توجه نسيم بطل الرواية، إلى الشاطئ في المغرب، الناس هناك تتصرف كأن شيئًا لم يحدث. فالمحلات مفتوحة، والناس تثرثر، والأصدقاء يلتقون، ويلتهمون الفول الساخن ويستمعون إلى أغنيات الحب المصرية في شرائط الكاسيت".

ويقول الكاتب أن اسم نسيم مكثف بالحروف الناطقة، اسم حقيقي يأتي منه الزمن والكلام، وكذلك اسم حامد، وهو اسم الطفل في الرواية، والجدير بالذكر أن شخصيات هذه الروايات لها موقف من العالم ومن السياسة بصفة خاصة، وهذه سمة قد لا نلاحظها، السياسة، كثيرًا لدى الأدباء الذين يكتبون بالفرنسية، فنسيم له رأيه الخاص في الموت، وهو لا يريد أن يموت، لكنه لا يريد للآخرين أن يموتوا، وهو يتساءل هل يمكن للموت أن يصنع للآخرين هويتهم ؟. هؤلاء الآخرون الحبالى بالنسيان.

كما أن موقفه مما يحدث في لبنان على أيدي قوات الغزو الإسرائيلية واضح فهو يرفضه بعنفه ووحشيته، كما أنه يرفض سلبية العرب من وجهة نظر أخرى، ولا شك أن الكاتب يسكب من أفكاره وفلسفته على سلوك بطله. والكاتب يسمى البطل بالرجل ذي الألف قيمة، وصاحب الألف وجه والألف تيمة.

ألبير ميمي
(15/12/ 1920م)

ولد في أسرة يهودية بتونس، كان أبوه يعمل في صناعة البرادع ولغته الأساسية هي العربية، التحق بالمدرسة الحاخامية، وانضم إلى حركة الشباب اليهودي، ومدرسه كارنو، درس الفلسفة في جامعة السوربون ، وتزوج من فرنسية ثم عاد إلى تونس حيث عمل مدرسًا وأقام معملًا للدراسات النفسية الاجتماعية،

كما عمل مدرسًا للفلسفة، وأصبح مسئولًا عن الصفحة الأدبية في صحيفة " لاكسيون "، ثم رحل إلى فرنسا في عام **1956** م ، عقب إعلان استقلال تونس، وعمل مدرسًا في جامعة نانتير، ثم مديرًا لمجموعة الأبحاث حول الاستقلال والأدب في المغرب، وقد نشر ألبير ميمي روايته الأولى " تمثال من ملح " عام **1953**م، بمقدمة من ألبير كامي، ثم جاءت روايته " آجار " عام **1955**م، وتتابعت أعماله الروائية "صورة مستعمر تسبقها صورة استعماري " عام **1957**م، و " صورة يهودي " عام **1962**م، و " الرجل السائد " عام **1968**م، ثم مجموعة مقالات تحمل عنوان " يهود وعرب " عام **1974**م، وقد توقف عن كتابة الرواية في السنوات الأخيرة بعد روايته " الصحراء أو حياة مغامرات جبير على الميمي " عام **1977**م، وفي عام **1982**م، نشر كتابا عن " العنصرية"، وله أيضًا "تيريزا ونساء أخريات" **2004**م ، و"جوه" **2015**م.

ويقول جان ديجو في كتابه " قاموس الأدباء المغاربة "، " أن ميمي أراد أن يوسع مدارك الأفق ويزوج العالم، ولكنه أدرك الاختلافات في المزيج الممتد، فتابع أبحاثه حول الاختلافات وسيكولوجية الإنسان المغلوب على أمره كي

يصل إلى الإيمان في التفكير حول الاستقلال، وفي الوقت نفسه الذي يحقر فيـــه مفاهيم العنصرية والاختلافات المتعارضة في داخله ".

وفي كتاب " الأدب الفرانكفوني " أن ميمي رغم مغادرته تونس في عـــام 1976م ، غير أنه صرح بعد ذلك بعشرين عامًا أنه رجل وفي لانتمائه التونسي وليس إلى إسرائيل، فتونس هي الهامة وهي اللوحة التي يرسم عليها، فهو يقول : " أرضي هنا. وقد وجدت فيها عامي وكتبي " [1].

وفي نفس الكتاب إشارة أن ميمي اعتبر نفسه يهوديًا. وقد عكس تجربته الخاصة في جميع كتبه سواء أكانت روايات أم مقالات : " في حياتي، فإن تجربتي المعاشة تعطي وحدها لعملي ".

والكاتب في روايته متمرد من خلال أبطاله على كافة أشـــكال الضـــغط على الإنسان، وهو يرى أن الرواية هي وسيلة للمواجهة، وفي رواياتـــه الأولى يمكن أن نكتشف أن للكاتب جيتو خاصا يسمى " الحارة " ، وما لبـــث هـــذا الجيتو أن اختفي في أعماله التالية، وأصبح هناك إشراق خاص يعبر عنه. ففـــي روايته الأولى " تمثال من ملح " يحكي عن طفولته وسنوات المراهقة. إنه شخص يحس بالمهانة والمرارة والتمرد، ويعاني كثيرًا من اللغة الفرنسية التي يتكلمهـــا في المدرسة، إنه طفل من أسرة بسيطة، وفقيرة، لكن هذا لا يمنعـــه أن يلحـــظ أن الثقافة الغربية التي يتلقاها في المدرسة تسيطر على الثقافات الأخرى، لذا، فهـــو يتركها خلفه ما أن يترك المدرسة. " أنا اسمي مورخاي. الكسندر بن لوشى ".

[1] La literature francophone ; paris 1980 ، p. 220

" آه ! هذه الابتسامة الرقيقة من زملائي ؟ هل هي زقاق مســـدود ، أم درب ؟ كنت أجهل أنني أحمل اسمًا سخيفًا. في المدرسة أعي اسمي في المقام الأول ،لا أعرف سوى اسمي الذي أخرجه من حافظتي، ومن خجلي".

يجد الصغير نفسه يحمل العديد من الأسماء الثقيلة النطق، ولا يعـــرف إلى أي منها ينتمي، وهو لا يستطيع أن يعتاد على أي منها.. " سم نفسك بـــيير أو جان. وغير عاداتك وغير تمثالك الظاهر في هذا البلد " أنا يهودي " وبشـــكل محدد أنا أسكن الجيتو " أو أنا التمثال الكريه، أو أنا رجل شرقي

العادات " أو " أنا مسكين "، وعلى أن أرفض كل هذه المقولات الأربع. وألا أخجل منها بعد كانت مبعث احتقار، أو أن يسخر منـــها الـــبعض إبـــان طفولتي " [1].

وفي روايته الثانية " أجار " يتحدث الكاتب عن تجربة الزواج المخـــتلط ، والبطل هو تقريبًا صورة مكررة من المراهق في الرواية الأولى، لكنه اصبح طبيبًا وتزوج من فتاة فرنسية جاءت إلى تونس، ويرى الكاتب أن الزواج من أجنبية قد أعطى البطل تجربة جديدة عليه أن يتعلم منها، فعلى الزوجة أن تواجه عالمًـــا يختلف عن عالمها، ويقـــــول الكاتب إن هذه الرواية بمثابة محاولـــة لكشـــف النقاب عن بعض الأمور السلبية من أجل الوصول إلى إنجاح الزواج المخـــتلط، والأخوة بين الشعوب ".

وقد عاد الكاتب إلى نفس الشخصية في روايته " العقرب " المنشورة عام 1969م، فنحن أمام الطبيب اليهودي مارسيل، إنه أحد الذين ظلوا في تـــونس عقب الاستقلال، وهذا الطبيب عليه أن يقوم بترتيب أوراق أخيه الأديب أميل

---

(1) نفس المصدر

الذي اختفى في ظروف غامضة، ويعثر في أحد أدراجه علـــى بعـــض الأوراق، فيعكف على دراستها.

" سألته عن مهنته، كي يستريح، ولأن هذا يسبب له المتعة دائمًا. لم نبـــق طويلًا في هذا المستوى الأول، إنه فقير، نصف أعمى رحل أبناؤه جميعًا. تزوجوا، واستقروا، لكنه لم يطلب منهم شيئًا، بدا غير يائس، وبفضل هذه الآلة التي تملأ الغرفة، كان يغزل الخيوط الصفراء والحمراء، والخضراء. والبيضاء في لفـــات طويلة ".

" إذا لم تود ألا يعاملوك كفقير، فالتزم الصمت ".

" ولكن هل كنت فقيرًا. ضعيفًا. مجهولًا من الآخرين ياعم مخلوف؟".

" أجل يا بني ، أجل. لكن عم تتكلم ؟ لست فقيرًا ولست واهن القوى. هل تود أن تقول إنك فاقد الاحترام ؟ هذا خطأ، من المهم أن تهين الآخرين

هل تعني أنك غاضب على نفسك ؟ أسرع وعش في سأم يا بـــني. وإلا ستظل فقيرًا ومنقسمًا [1] ".

وكما سبقت الإشارة، فإن هذه النماذج من الأدباء العرب اليهود تؤكد أننا أمام أدباء وطنيين، تجاه أوطانهم التي تربوا وعاشوا فيها، وعنـــدما رحلـــوا عنها، أو ظلوا فوق أرضها، فإن إبداعهم مستمد من أديم هذه الأرض العربية.

في عام 2004 م، نشرت دار جاليمار ، كتابًا جديدًا لـــ " ميمي " يحمل اسم " صورة العربي المسلم المتحرر من الاستعمار وآخرين " تحدث فيـــه عـــن البلاد التي تحررت من الاستعمار، ونالت استقلالها ، قال فيه أنه ما من بلد مـــن

---

[1] المصدر نفسه

بلدان العالم الثالث قد يتغلب على أزماته، إلا بقيام نظام حكم قوي فيه ، لكنه يرى أن المشكلة تكمن في أن الطغيان يولد ردود فعل شعبية تتسم بقدر أكبر من العنف، ما يولد حالة دائمة من عدم الاستقرار ويحد من تدفق الاستثمارات الدولية.

ويرى ميمي أن خطيئة الغرب التي استوجبت منا جبهة العداء المطلق تقترن بالصراع العربي الإسرائيلي الدائم منذ ستين عامًا ، إلا أن هذا العامل صار ذريعة أكثر منه سببًا حقيقيًا للمعاناة ، وعن المهاجرين إلى فرنسا من العرب، فإن المسلمين يقومون بعمل ما أسماه " مطابقة خاطئة " بين الهوية الدينية، والهوية المدنية، والإصرار على إشهار الانتماء الديني يخالف شروط الخصوصية، ويهدر مساعي الاندماج " في داخل المجتمع العلماني، ويرى ميمي أنه إذا كانت الفردية شرطًا من شروط التقدم فإن العلمانية هي شرط لبقاء المجتمع الديمقراطي، وهذان الشرطان تكلفهما برأيه الثقافة الغربية "[1].

---

[1] صورة المستعمر ، بسام حجار ، مجلة العرب ، يوليو **2006** م ، ص **189**

الفصل التاسع:

أدب المهجر الناطق باللغة الفرنسية

أغلب الأدباء العرب الذين كتبوا باللغة الفرنسية، بدءوا حياتهم الأدبية في بلادهم العربية ثم سافر الكثير منـــهم الي بـــاريس، إلي حيث فرص النشر الأفضل، وإلي إمكانية أحسن للتواجد، خاصة أن عملية نشر الكتب المطبوعة بالفرنسية في الوطن العربي، بدأت تتقلص بعد نهاية الحرب العالمية الثانية.

ومع سنوات الستينيات والسبعينيات لاحت في أفق هذا الأدب ظاهرة جديـــدة، وهي ظاهرة أبناء المهاجرين إلى أوربا، لقد وجد هؤلاء الأبناء أنفسهم بين ثلاثـــة محاور، فهم ينتمون إلى مجتمع عربي مسلم جاء منه الأهل، ثم هم يعيشون في مجتمع غربي يختلف، وهناك محور ثالث يمثل مزيجًا بين الاثنين السابقين.

وقد ذكرت آني كريجيه كرينكي أن شابًا من الجيل الثالث مـــن المهـــاجرين الجزائريين قد تحدث إليها قائلا : " نحن نتلقى ثلاثة أنماط من التعليم تعلـــيم مـــن آبائنا، وآخر من مدرسينا، وثالث من الحياة، وهذه الأنماط الثلاثة تتضارب " [1].

فأبناء هذا الجيل الثاني، أو الثالث عليهم أن يعيشوا في ازدواجية ملحوظـــة. فهم في المدرسة قد يضطرون إلى تغيير أسمائهم، فيتحول محمد إلى ميمو أو موريس، وجميل إلى جيمي، كم هم في أمس الحاجة إلى الجماعة، وأن يذوبوا في داخلـــهم، ويخشون أن يبدون مختلفين عنها، إنهم قد يخجلون من أصلهم الذين جاءوا منـــه، ويدفعهم هذا كما قالت السيدة / كرينكي ، إلى تغيير أسمائهم وارتـــداء الـــزي

---

[1] Les muslumans en France. A. K. Krinki. maison neuve Paris ‹1986.

الأوروبي كالجينز، والحذاء الطويل والبلوز. ويصبح من الصعب عليهم السير في ركاب آبائهم أثناء رحلات العطلات الأسبوعية وهم يرتدون زي البدو، ولا تواجه هذه المشكلة الغلمان وحدهم ، بل الفتيات أيضًا، فالفتاة لا ترغب أن تكون سندريلا ، لكنها تحاول أن تبدو طبيعية في مجتمع أكثر تحررًا من مجتمعها الذي يرى أنه يجب أن تتزوج الفتاة مبكرًا.

ولا شك أن مثل هذه التجربة يمكن أن تولد أعمالًا فنية وأدبية متميزة.

فهؤلاء الأدباء من الجيل الثاني والثالث لم يعيشوا في بلادهم إلا القليل من سنوات الطفولة الأولى، أو لعل بعضهم لم يطأ قط الأرض العربية لكنه يحمل هويتها وجنسيتها، وهو مسلم عليه أن يلتزم بتعاليم الدين في المجتمع الغربي.

ولذا ، فإن تجربة هذا الكاتب قد اختلفت كثيرًا عن أدب الأديب الذي عاش ردحًا من شبابه الأول في الوطن العربي، فمن المعروف أن أندريه شديد ، وألبير قصيري ، وأمين معلوف ، والطاهر بن جلون وكاتب ياسين وغيرهم قد تركوا بلادهم وهم في سن النضج، لذا ، فإن أغلب أعمالهم تدور في الساحة العربية بغض النظر عن الزمن الذي تجري فيه أحداث رواياتهم.

وبينما وجد الكثير من أبناء الجيل الثالث أن السينما والمسرح هما أفضل سبل الإبداع، فإن هناك نماذج أخرى قد اتجهت فقط إلى الكتابة، وسوف نختار هنا نماذج متقاربة متناقضة، الأول أديب نشر روايته الأولى عام **1983**م، ثم سرعان ما تحول إلى السينما، فجاءت شهرته في عالم الفن السابع أكبر من شهرته ككاتب، وهو مهدي شرف، أما النموذج الثاني فهو لكاتبة عاشت أغلب سنوات حياتها في فرنسا وهي ليلى صبار، ثم لدينا نموذج لرجل صار وزيرًا في فرنسا.

مهدي شرف
(1952 /10/24م)

يقول مهدي شرف في حديثه إلى مجلة " سـينما توجـاف " :
"ولدت في قرية صغيرة جدًا على مسافة خمسين كيلو مترًا مـن مدينة " تلمسان " في الجزائر، وذلك في عام 1952م، وكنت أتصور أنني سأعيش وأموت في هذه القريـة الصـغيرة، إلى أن وقع ذات يوم حادث غير مجرى حياتي، فقـد ماتـت أختـي وقررت أمي أن ترحل عن القرية إلى المدينة،

ودفع هذا بأبي إلى أن يسافر إلى فرنسا بحثًا عن فرصة عمل، حدث هذا أيـام حرب التحرير، وأصبح من الصعب على أبي أن يعود إلى الجزائر، لـذا رحلنـا للحاق به، وأصبح اندماجنا صعبًا في المجتمع الفرنسي، وعندما أتحـدث عـن العنصرية فأنا أذكر المدرسة بشكل خاص.. كنت صبيًا عربيًا، ولـذا فقـد تم إيداعي في فصل للمتخلفين في مركز لإصلاح الشباب المنحرف.. كـان كـل الصبية من أصحاب المشاكل أو من أبناء الخمر وبنات الهوى"[1]

ومهدي شرف لم يتلق تعليمًا منتظمًا. ولكنه عمل في المصانع الباريسـية لسنوات عديدة، حيث عمل في البناء وفي أعمال أخرى وضيعة، ومنـذ صـغر سنه وهو فريسة لهذا التناقض الحضاري الذي يعيش فيه، وقد اسـتفاد مهـدي شرف من هذه التجربة، فكتب روايته الأولى " الشاي في مخدع أرشي أحمـد "،

(1) Cinematograph، juillet، Paris، 1985.

والعنوان قد يبدو غريبا بعض الشيء، لكن من سياق الرواية سنعرف مدى المعاناة التي عاشها البطل الذي ليس سوى صورة من شرف نفسه.

فنحن هنا أمام قصة صداقة بين شابين مراهقين، الأول عربي مهاجر في باريس والثاني فرنسي، هذان الشابان انخرطا في زمرة الشباب ، ولا يملكان الكثير من المفردات للتعبير عن رغباتهما، أو لتحقيق أحلامهما. هناك حيث البطولة سائدة في الأحياء الشعبية أو الأحياء التي يسكنها المهاجرون العرب، وفي هذه الأحياء تزداد حوادث السرقة والاغتصاب وتبرز العنصرية وعدم المساواة، بينما يحاول الكثيرون من الناس المحافظة على معاني الصداقة والحب.

وفي الرواية نرى امرأة فرنسية تدعى جوزيت تترك ابنها لامرأة جزائرية تدعى ماليكة، وابن ماليكة يعمل في البناء : " ماذا هناك من فجوات في أعمال الفرسان، ففي القلب تمامًا مثلما في الحياة، يبدو كل شيء صغيرًا. ولكنه يتسع مع مرور الزمن، ويزداد اتساعًا ويبدو أشبه ببحيرة، تمزق. وندوب لا تعالج.. لقد عادت هذه الفجوات، ويجب أن نهتم بها وإلا اختنقت. لذا فالمرء تنتابه الرغبة في الصراخ والرغبة في الانفجار " [1]

كثيرا ما يدور حوار بين جوزيت وماليكة في الهاتف، أما الابن الصغير مجيد فإنه يصحب أباه كثيرًا إلى مدينة الغجر التي جاء إليها الكثير من المهاجرين، وبعد أن سقط الأب من السقف فإن على مجيد أن يصحب أباه بنفسه.

---

[1] Le the au harem d،archi Ahmed، M، Sharef، mercure de France، Paris ، 1983.

والرواية تعبر عن الصعوبات التي يعانيها الشاب العربي، وهــو يتلقــى تعليمه في هذه البلاد، فهو لا يمكنه أن ينطق بكلمة " أرشميدس " إلا لو قســمها بمفهومه الخاص " آرشي. أحمد " ثم يدمج الكلمتين معا.

والمهاجرون في الرواية لا يتحدثون عن الوطن، ولكنهم يتحدثون عن

البلاد التي يعيشون فيها الآن، فهم يخرجون في يوم العطلة مثل الآخرين من أجل النزهة، ولكن هذه المرأة المسلمة تمارس شعائرها التي تعلمتها بنفس الطريقة، إنها في البيت امرأة عربية، فهي ترى أن التلفزيون قد يكون مفسدة للأبناء عنــدما يعودون من الخارج، ويقول مهدي شرف في جريدة لوموند – 2 مايو 1985 م : " لقد كتبت الرواية لكي أنشرها، ولم تبع الرواية لفترة طويلة فبدأت أفكر في تحويلها إلى سينما ". ويقول أيضًا في نفس الجريدة : " يتخيــل الــبعض أن الناس الذين يسكنون المناطق الشعبية يعيشــون في جحــيم، أردت أن أظهــر العكس، وأنه يوجد في هذا المحيط الهائل حنان كبير ".

والجدير بالذكر أن هذه الرواية فازت بجائزة أدبية بــارزة تحمــل اســم الأديب جان فيجو عام 1983 م، ثم حولها مهدي شرف إلى فيلم في أول محاولة له في الإخراج السينمائي عام 1985 م، وحصل من خلال هذه التجربة علــى جائزة أحسن مخرج في جوائز سيزار عام 1986 م.. وقد أجــرى تعــديلًا في عنوان الرواية إلى " الشاي في حريم أرشميدس ".

وبعد ذلك انشغل مهدي شرف بالسينما، فأخرج فيلمًا عن المهــاجرين عام 1987 م،يحمل عنوان "الآنسة منى" ، ثم بــدأ يقــدم أفلامًــا فرنســية الموضوعات لا توحي أن مخرجها من المهاجرين، إلا أن المفاجأة الحقيقيــة هــي

عودته في عام **1989** م،إلى الإبداع الروائي من خلال عمله الثـــاني "حركـــي مريم" **Le Harki de Meriem** ، لدى نفس الناشر.

وفي روايته الثانية عاد مهدي شرف للحديث عما يدور في أحياء العرب بباريس، ففي هذا الحي تبرز العنصرية واضحة، ويموت شاب عربي على أيـــدي العنصريين، تدور الأحداث هنا في سنوات الخمسينيات، وسليم بطل الرواية في الثانية والعشرين من عمره، هو ابن لرجل جزائري من المناضلين، كـــان أبـــوه متطوعًا في الجيش الفرنسي في شمال إفريقيا في زمن الاستعمار، ولد عز الـــدين أبو سليم وتربى في فرنسا ، وكان يحمل الجنسية الفرنسية، إذن ، نحن هنا أمـــام جيلين مختلفين من العرب الذين يعيشون في فرنســـا، الأول انتمـــى تمامًـــا إلى الفرنسيين وخدم في صفوفهم، والثاني دفعته ظروفه أن يعيش في فرنسا.

ووالد سليم يدعى عز الدين، كان عليه أن يعمل سائق أوتوبيس، ويعيش مع ولديه وزوجته في المدينة، وهو رجل جاد ويتسم بـــالخلق الكـــريم، ولديـــه اعتزاز واضح بكرامته، وقد قام عز الدين بإلحاق ابنه في مدرسة تحفيظ القـــرآن بفرنسا وذلك بدافع ألا ينسى الصغير سليم القرآن الكريم ولا اللغة العربيـــة، ومع ذلك فإن زملاءه في الكتاب يسمونه " الفرنسي ".

وعندما كبر سليم قرر أن يدرس القانون بناء على رغبة أبيه الذي تمنى أن يراه محاميًا كي يمسح عن نفسه كل إحساسه بالمنفى، ويدفع هـــذا بســـليم إلى التفوق. ويزداد إحساس الأب بالفخر، فيقول لزوجته مريم : " أصـــبح ابننـــا أقوى من الفرنسيين "، ويصبح سليم محط أنظار المدينة، فعمدة المدينة يستقبله، ومدير المدرسة يقف إلى جواره كي تلتقط له الصور.

وسليم هذا، المتفوق، عليه أن يدفع حياته ثمنًا لعنصرية بعض الفرنسيين ضد العرب، ففي الليل وبينما هو عائد إلى بيته يفاجأ براكب دراجة بخارية يعترضه ثم يطعنه بالمطواة.

ويقول محمد عبد القوي : " في نهاية سنوات الخمسينيات لم تكن كلمات الحرب والاستقلال موجودة في الريف الذي كان يعيش فيه عز الدين، بعيدًا عن العاصمة الجزائر أو عن الأوراس، لذا ، فقد كان يسخر حين يسمع أن هناك حربًا أو استقلالًا، كان في الرابعة والعشرين من العمر عندما انضم إلى الجيش الفرنسي، ليس ضد أحد، ولكن ضد الجوع، والبطن الخاوية. وأرضه الجافة، والشمس التي جففت النهر الذي يخترق التربة، كانت الأرض شديدة القسوة وتشبه ثعبانًا يولي الفرار، ليس فيها شيء إلا ونفق. مات أخواه الأكبر والأصغر، فهرب من الريف يدفعه الجوع، وهو الذي لم يبق له شيء في حياته كي يعطيه لأقرانه " [1].

عز الدين هو بالطبع الأدب الذي سافر إلى فرنسا ، كما تحدث مهدي شرف عن أبيه. فعندما هاجر إلى فرنسا كان يتصور أن الحياة فتحت أبوابها له. ولكن بعد أن أنجبت له ولدًا متفوقًا ومتميزًا فإنه يحصد موته على أيدي نفس الأشخاص.

نشر مهدي شرف روايته الأولى عام **1983** م ، ثم جاءت روايته "منزل ألكسينا" عام **1999**م ،. أما أفلامه الأخيرة فهناك "فتاة كلتوم" عام **2002** م، "خراطيش مغربية" **2007**م ، و"الأطفال المخنثين" **2008**م، و"جرازيللا" **2015**.

---

[1] **Discours de la literature، notre libraire، 1992، Paris، p. 129.**

في روايتــه " ذراع القلــب " 2006م abres le Coeur يتحــدث الكاتب عن الجدة" التي تأتي دومًا إلى المترل منذ أن أخبرهما أمها أنهــم ســوف يلحقون بأبي إلى فرنسا ، فالحياة صعبة بالنسبة له دوننا، ونحن نفتقده، وتم اتخاذ القرار، لم أحس بشيء في البداية، كنت لا أعرف مشاعري حين سأكون هناك ، الحزن... أن أترك هنا ، وقبيلتي ، وعبد الله ، كل شيء ، لقد أبلغت المدرســة برحيلي ، كانت مدرستي مفتونة بي ، قالت أنه هناك في فرنسا توجــد نــيران خضراء ، وحمراء تنظم المرور، ومصاعد في المنازل العالية، وقطــارات تــدخل الأنفاق ".

تدور الأحداث في الجزائر، قبل أن يتم الاستقلال بقليل، هنــاك طفــل صغير في السابعة اسمه " شرف " إنه فخور بجذوره ، فهذا يمنحه القــوة أمــام زملاء المدرسة الذين يعايرونه أنه قادم من الريف، لقد تركت العائلة القرية كي تستقر في المدينة، وذهب الأب للعمل في فرنسا، لن يرى أطفاله وهم يكبرون، إنه يعيش في فرنسا، رجل غائب، أما الصغير، فهو يتذكر حكاياته القديمة مــع أبيه ، وذهابه معه إلى الحمام الشعبي ، ثم إلى الســينما ، وفي فرنســا ، تجتمــع الأسرة من جديد ، لكن الحياة ليست سهلة، فلكي يتواجد المرء عليه أن يكافح وأن يعيش وأن يتذكر.

الأرض العربية غير موجودة بالمرة في هذه الروايات، ولكننا أمام عــرب يعانون فوق الأرض التي هاجروا إليها، ولا شك أن الحنين هنا أضعف كثيرًا من نوع الحياة التي يحاول أبطال مهدي شرف أن ينجحوا فيها مهما كان الثمن.

ليلى صبار (11/19/ 1941م)

الكاتبة الثانية التي تنتمي إلى هذا الجيل الثاني من المهاجرين هي ليلى صبار، إنها لا تعرف مثل مهدي شرف من اللغة العربية سوى كلمات مكسورة الأحرف، ولكنها تحاول أن تخرج من هذه الازدواجية الثقافية التي تعيش فيها، والتي عبرت عنها بنفسها في الكثير من المواقف،

فقالت في كتاب " المسلمون في فرنسا " : " لا يمكن أن نقول أن مشاكل الهجرة المغربية أكثر عنفا وألما، وأن هناك بلادًا قد تحررت وتجاوزت الحروب وتعيش في حرية، فماذا عن هؤلاء القادمين من الجزائر، أو من المغرب ، أو تونس، يشعرون أنهم ليسوا على ما يرام، سواء في فرنسا أو في الجزائر، لكن لماذا جاءوا إلى هنا ؟ ربما لأنهم لا يشعرون بالراحة في بلادهم الأصلية، وأن هناك نظامًا سياسيًا للنساء ، بشكل خاص، وعلى الرجال أن يعيشوا الحياة التي يرغبون فيها سياسيًا واجتماعيًا وثقافيًا " [1].

ولدت ليلى صبار في قرية آفلو لأب جزائري وأم فرنسية، وعاشت في الجزائر إلى أن بلغت سن السابعة عشرة، ثم سافرت إلى فرنسا للاستقرار هناك، حيث عملت مدرسة، وليلى صبار تكتب المقال والرواية والشعر.

نشرت مجموعة من المقالات عام **1980** م، تحت عنوان " إنهم يقتلون الفتيات " ثم جاءت روايتها الأولى في نفس السنة تحت عنوان **la predophile et la maman** ثم نشرت روايتها الثانية " شهر زاد " عام **1982**م، و "

---

[1] المرجع السابق.

تكلم يا ولدي " Parles fiston عام 1984 م و " شيء يبحث عن شــقيقة روحه " عام 1987 م، و " الصغيرة ذات الشرفة " عام 1996م و " جنود " 1999 م، و " نهر السين أحمــر " 2003 م، و " مرجريــت " 2002م، و " نساء شمال إفريقيا " و " بطاقات تهنئــة " 2002م، ثم " لا أتكلــم لغــة أبي " 2003 م، ثم " مرفأى الجزائري في فرنســا " mes Algerie en france ، وهذا الكتاب عبارة عن بطاقة سفر ذاتية للكاتبة تتحدث فيها عن الجزائرين في فرنسا، بصور عديدة ، منها رسوم ، وقصص ونصوص ، فتتحدث عن الحقــارة ، وعن سكان مى جوت دور ، ومن أعمالها "متــرو" 2007م، و"المتشــرد" 2008م، و"امرأة فى نافذتها" 2010م، و"آفلون" 2010م، و"كاتب عمومى" 2012م، و"ابنة الموتور" 2014م، و"نائمون فى الذرة" 2015 ومن رواياتهــا الأخيرة "نساء الحمام" 2009م، و"اعترافات مجنون" 2011م، و"ابنى العزيز" 2012م.

ويقول حسن محمد موسى أن تجربة المنفى عند ليلى صبار تنطوي علــى بعد شخصي أصيل ومميز، وهي قد ولدت وعاشت طفولتها وصباها في الجزائر لم تتعلم من العربية إلا النزر اليسير، فالفرنسية بالنسبة لها هي لغــة التخاطــب والتعبير الأدبي، والمنفى عندها يراوح بين لغتي أمها وأبيها: " كانــت أمــي في منفاها تتكلم لغتها، وكان أبي يكلمني بلغة أمي، كان هو الآخر منفيًــا في لغــة أخرى، لغة المستعمر، لغة أبي كانت في أذني وعلى الدوام، لكنها بقيت قريبــة ومبعثرة في آن، ورغم ذلك كنت أعشق سماعها ملغمة بالمفاجآت وبالمصاعب في كل لحظة، حين يشرع أبي يتحدث لغته، لا أفهم سوى بعض كلمات معزولــة أترجمها، أو أرتق منها خرقة ذات معنى، لكنني لا أبحث عن المعنى، إنــني أسمــع فحسب وأندهش للأصوات والنبرات وأتمنى لو أن أبي لا ينقطع عن الكلام.

" حين حضرت إلى فرنسا انقطعت زمنًا عن سماع العربية ، لغة أبي، وقد عزلتني ذريعة الدراسات العليا عن الجزائر الأم، وعن الأب، لم ألحظ إحساسي بالوحدة في لغة أمي، ولأمي وطنها فأنا لست منفية هنا إذ أكتب بلغة أمي نصوصًا أكاديمية للجامعة في لغة دراسية اصطلاحية وكنت أحاول الكتابة الأدبية خارج اللغة الدراسية، فتستعصي علي فكأنني أفقد الذاكرة " [1].

ومن المعروف أن ليلى صبار تبنت الدفاع عن حقوق المرأة، وكتبت في هذا المضمار مقالات كثيرة نشرت في العديد من المجلات الفرنسية منها مجلة " العصور الحديثة " كما نشرت لها مقالات تحمل توقيعها في مجلة " اليوم السابع".

وقد اعتبر خميس خياطي أن ليلى صبار – في مجلة اليوم السابع أكتوبر 1987م – كاتبة فرنسية.. وهو يرى أن لرواياتها طعمًا خاصًا، طعم البحث عن الهوية والأم والابتعاد عن الأب والعالم الخارجي المأساوي والشقي، أما ثقافة الشمال الغربية فهي ممثلة في كل صفحة مما تكتبه ليلى صبار عبر بيئة ثقيلة، ثقل آلامي ، لكنها تحمل وراءها طعم الحرية، شهر زاد التي تجوب أنحاء فرنسا بحثًا عما يكون شخصيتها العربية، فقد سافر الابن كثيرًا لكنه لم يجد ما يقوله لأمه التي لا تترك له أية فرصة كي يتحدث إليها.

وفي روايات الكاتبة، كما يقول الخياطي ، " تبحث ليلى صبار عن مخرج يمزج بين ثقافتين، وذلك حال جيل عربي بأكمله ولد في فرنسا ولكنه لا يعتبر نفسه فرنسيًا، ولد بعيدًا عن موطنه الأصلي ولكنه لا يعرف عن هذا الوطن إلا الخرافات والحواديت، جالس بين كرسيين، ولا يعني بهذا أو ذاك " [1].

---

[1] كتابة في منفى اللغة – مجلة أوراق أبو ظبي – العدد 30.

[1] جعفر رولان في الزنزانة – خميس خياطي ، اليوم السابع ، باريس ، أكتوبر 1987.

وفي روايات الكاتبة هناك دائمًا النساء اللائى يعشن بين عالمين متناقضين. وهناك مسافات في حياة هؤلاء النساء سواء مسافات زمنية أو مكانية، ومثلما حدث في رواية " الشاي في حريم آرشي أحمد " ، فإن رواية " شيء يبحث عن شقيقة روحه " نجد صداقة بين فتى من أصل عربي وآخر فرنسي، وإذا كانت الصداقة قد نمت بين الشخصين عند مهدي شرف في أزقة باريس العتيقة ، فإن صداقة جعفر بالفرنسي رولان قد تمت في زنزانة.

وفي السجن تاق جعفر إلى مخاطبة العرب من أمثاله.. لذا فلم يكن يميل إلى محادثة المساجين الفرنسيين الذين لا يخلو سلوكهم من العنصرية، ومن خلال قصاصات الصحف تمكن من معرفة عنوان فتاة عربية تسكن فرنسا تخبره أنها أيضًا تفتش عن هذا الشقيق.

ويبدأ جعفر في الاحتكاك بالعالم الخارجي الداخلي، فهو يريد أن يعبر عن شعوره للفتاة بأن يرسل لها قصيدة مسجلة على شريط ، إلا أن صوته يزعج زميل الزنزانة الفرنسي، ومن هنا تقوم الصداقة بين جعفر ورولان.

ويتعلم رولان هذه التجربة الجميلة من السجين العربي، فيرسل خطابات إلى فتاة فرنسية تدعى " آني " مشغوفة بمسألة الغيبيات، وتدور الرسائل دافئة تعبر عن أفكار الإنسان وتعكس ما في روحه.

وعندما يخرج جعفر من السجن يفتش عن الفتاة العربية التي كانت تراسله فلا يجدها.. لعلها كانت خيالًا لا وجود له، وفي وسط زحمة بحثه عنها يلتقي بفتاة تدعى " ليز" ، إنها المرأة التي كانت سببًا في دخول رولان ، السجن، " لقد كان للعامل الثقافي تأثيره في علاقة ليز بجعفر صورة الفارس العربي ويرى جعفر فيها الطبيعة الفرنسية والأرض الفرنسية التي يود امتلاكها،

وفي فصول شيقة القراءة ، تصور ليلى صبار التحام جعفر بالريف الفرنسي بوالدة ليز بالطبيعة الفرنسية، وكأنه وجد في كل هذه العناصر أوجهًا عديدة من شخصيته الدفينة، فتستغل ليز هذا التماثل وتؤثر على جعفر للقيام بسرقة أحد بائعي الجوهرات، وتفشل السرقة ويرمي بجعفر مرة أخرى في السجن، فيلتقي برولان، ويتغلب عليه الصمت" [1].

إذن ، ليلى صبار فعلت ما فعله مهدي شرف، فليست أرض هذا النوع من الروايات فقط هي فرنسا، بل إن الأبطال الآخرين ، غير العرب ، هم أيضًا من الفرنسيين، وقليلًا ما نجد أن هناك صداقة بين عربي وآخر، بل على العربي ، في هذه الروايات ، أن يختار أصدقاءه من الفرنسيين سواء من الذين يدفعونه في الحياة، أو من الذين يقتلونه ، ويدفعون به إلى الهاوية، وقد اختلفت هذه السمات عما كتب بعض الفرنسيين أنفسهم حين صوروا حياة العرب في الأحياء التي يعيشون فيها ومنهم مثلا رواية " نقطة الذهب " Gout d، or التي كتبها ميشيل تورينييه عام **1985**م، فالعرب في هذه الرواية يعيشون في عالم عربي لا يخرجون منه إلا عند الضرورة القصوى.

أما رواية " شهر زاد " ، فهي عن فتاة تحمل الاسم ، مراهقة ، جميلة، لها عينان خضراوان ، إنها ممزقة بين مكانين ترحل بينهما ، انها في حيرة أن تكون عربية حقيقية وأن تعيش في المجتمع الفرنسي ، وتحاول الكاتبة أن تعرف القارئ عليها من خلال أسئلة في الفصل الأول جاءت على النحو التالي :

هل اسمك شهر زاد فعلا

– نعم

---

[1] المصدر السابق.

- فعلا ، إنه.. إنه.. كيف أقول ؟ هل تعرفين من كانت شهر زاد.

- نعم

- ألا يعني لك ذلك شيئا ؟

- لا

- هل تعتقدين أنه يمكن أن تسمين شهر زاد هكذا.

- لا أعرف..

شهر زاد هذه تكذب من أجل إنقاذ حياتها، وحريتها ، إنها ترفض في بعض الأحيان، تضع الكوفية الفلسطينية على كتفها، لقد رأت الشباب العربي في باريس يفعل ذلك ، فقلدتهم ، ورغم ذلك ، فهي تتفادى أن تكون محور أي شئ، إنها تحلم أن تسافر إلى الجزائر، حيث جذورها، تتكلم إلى أمها مريم ، لكنها لا تخبرها عن الأماكن التي تذهب إليها، أو عما تفعله ، إنها تقرأ عن العصر العثماني ، وعن الحريم ، و تقول الكاتبة في وصف بطلتها أنها عمل فني، نجمة سينما ، بالنسبة لأسرتها فهي الأخت والابنة وينظر إليها الشاب على أنها جان دارك ، امرأة ثورية ، مثالية دومًا و وتحولت إلى شئ جنسي ، حيوان متوحش.

عزوز بيجاج (5/2/ 1957م)

عزوز بيجاج (يكتب بقبق) ابن لأسرة جزائرية، رحلت إلى فرنسا منتصف الخمسينيات وهو مولود بباريس إذن، فهو فرنسي الهوية، وهو ليس عربيًا، ويمكن القول أننا أمام كاتب غربي من أصل عربي، لأن ما يكتبه فرنسي النكهة، والموضوع، والفكرة.

ويبدو هذا واضحًا في الروايات التي كتبها المؤلف ، ونشرها لدى الناشر " سوى " **seuil** ، من هذه الروايات. " أحياء حسية " ، و " جزيرة الرياح الصغيرة " ، ثم " فواصل الهوية " وأخيرًا روايته " الكلاب أيضًا " **1995** م ، و " زنزلا " **1996**م ، و " قل دان " **1997** م ، و " شطائر الحياة " **1998**م، و"جواز السفر" **2000**م، و"قطار لبيتنا" **2001**م و"مطرقة القلب" **2004**، و"الخرفان" **2008**م، و"قل لى صباح الخير" **2009**م، و"سلام" **2012**م.

ونحن نقدم الكاتب هنا ، لنموذج لإبداع الجيل الثالث من المهاجرين ، فهم أشبه بلاعب الكرة زيدان الذي لا يحمل من أصوله سوى اسمه ، نسى تماما هويته العربية ، وصار فرنسي الفكرة ، والإحساس ، وفي روايات عزوز بيجاج، لا نرى عربيًا واحدًا ، ولا يقترب من الأحياء العربية ، فلا يبقى من الكاتب عربيًا سوى اسمه الذي لا يستطيع التخلص منه.

ورغم ذلك، فإن مسألة أنه ابن أسرة مهاجرة، وأن هناك ميراثًا ثقافيًا لا يزال كامنًا في سلوك الأب، والصور التي يعلقها على الحائط ، لكن في راوية" الكلاب أيضًا " يكتسب عادات جديدة ، منها عشقه للكلاب ، فالحيوانات

الأليفة شئ أساسي في حياة الأسر الفرنسية، وفي هذه الرواية يسعى الكاتب إلى تجريد الأماكن، ويتحدث عن عوالم أقـــرب إلى المجـــردات ، أو إلى محـــددات الفانتازيا، فبطل الرواية اسمه " جون الشعبة " و"المقصود به هدف كـــردي في منطقة تعرف بالشعبة " ، وهو شخص يحلم بالجنة الخاصة الموعـــودة، حيـــث تغيرت أحوال الكلاب ، والرواية هنا لا تنسى أنه ينحدر من أســـرة جزائريـــة الأصل هاجرت إلى هذه البلاد واسمه "جوف " **Gove**

" وعبر طفولته عرف التمرد ، وأقسم ألا يستمر حيًا في بلاد الجهـــلاء ويقرر أن يغير من مسيرة حياته تمامًا.

ومن المهم أن نقتبس فقط من هذه الرواية ، للتعرف على شكل الصياغة ، والكتابة عند عزوز بيجاج :

" عاد هذا المساء إلى وكره ، وانتصب أمام المدخل، ركنـــه المفضـــل ، وناداني بشكل خبيث أعرفه من طرف أذنيه ،

- تعالى ، اقترب مني ، يا بني !

أنت تتكلم إنني ابنك ، أشك في أنه سيطلب مني خدمـــة، وأن يـــدرس بعض الدروس والحصص، أو أشياء من هذا القبيل، قال :

- ارفع عجيزتي ، فأنا أحس بالتثاقل.

ولم أستطع أن أرفض.

كان لديه عجيزتان ثقيلتان، تزحفان إلى رقبته، قال وهو يهتز :

- نعم ، هنا ، رقبتي ثقيلة..

من الواضح أننا أمام آلية مختلفة تمامًا عن الكتابة التي يبدعها العرب الآخرين ، فهناك صداقة بين الكلب وبين الراوية " جون **Gone** "، هذه الصداقة تجعل الراوية لا يستطيع أن يفارق صديقه الثقيل الذي يتحدث إليه ويفهمه، ويبدو الكلب هنا كأنه الشخص الوحيد في حياة الراوية، يفهمه، ويخابره، وهو مدخله إلى فهم الحياة، وتدارك معانيها.

المكان مجرد، والبشر تراجعوا، وليس هناك وطن بشكل محدد، وذلك عكس كاتب من طراز مهدي شرف صاحب رواية " الشاي حريم أرشميدس " ، فالشباب هنا يعيشون في حي المهاجرين، جاءوا من الجزائر حاملين معهم العادات والتقاليد، والذكريات التي لا تنمحي، وهؤلاء لا يحتكون بالفرنسيين، ولا يغادرون الحي كثيرًا ، لكن الجيل الجديد الذي يمثله الشباب، والصبية هم الذين يرفضون البقاء في الحي فيخرجون إلى بقية ضواحي باريس، ويحتكون بالشباب الفرنسيين من نفس العمر، يتواصلون معهم ، ويمارسون عادات جديدة، ومعارف مختلفة، ومن هنا يأتي التغير في شكل الحياة.

عزوز بيجاج، هو واحد من هؤلاء، لكنه ذهب أبعد مما يتصور المرء.

ولنأخذ نموذجًا آخر من كتاباته في " الكلاب أيضًا " :

" أيقظ ضوء النهار المنبه الأبيض لمدينة نانت، ونشط عمال الفجر لإبعاد الليل، راح أبي يحيي الناس أجمعين، فكل الناس يعرفونه ، كنت فخورًا بذلك، وسعيدًا أن أرى أن هناك كلابًا أخرى في الحي الذي يعيش فيه كالكلاب، دون أن نمتلك قدرة الاختيار.

كنت أحس بعزلة أقل.

كنا نلجأ إلى أركان كثيرة من الشارع، نعبر الميدان الكبير الذي يعـــرض الباعة بضاعتهم في حديقة أندريه مالرو.

انتابني فكرة عبقرية :

- باب.. أريد أن أكون ساحر كلاب عندما أكبر.
- لماذا ساحر كلاب ؟
- كي أضحك الجرا ، والجروات
- هل تعتقد أنهم سيسببون ، الضحك ؟ هل ترى أن هذه إجابة ؟
- لا ، لكن الجرا ، والجروات لديهم الحق في الضحك
- وبعد لحظة صمت وقال :
- أنت على حق يابني

الجدير بالذكر أن عزوز بيجاج قد تم تعيينه وزيرًا مفوضًا في الحكومـــة الرسمية التي أعلنت في يونيو عام **2005**م، وحتى عام **2007**م، وهـــو يعمـــل حاليًا مديرًا للمعهد الفرنسى بالبرتغال.

العرب في الأدب الفرنسي 2016

جائزة جونكور تعد هي الأمثل في عالمنا المعاصر، فهي الآن أكثر أهمية من جائزة نوبل، وهي أسبق وأهم بكثير من جائزة بووكر التي تمنح للأدب المكتوب بالإنجليزية، وقد صارت الجائزتان رمزا للمنافسة الساخنة بين انتشار اللغتين الفرنسية والإنجليزية؛ فتصير الغلبة للأكثر عددا وثراءً،

والجائزة الثانية مرتبطة بالتقدير المادي الكبير. كما أنها تمنح في أغلب اللغات والبلدان، أما القيمة المادية لجائزة جونكور فهي عشاء في أحد المطاعم في حضور مجلس الإدارة، والكاتب الفائز الذي يحصل على صك قيمته عشرة يورو، والفائز غالبا هو الناشر ومن بعده الكاتب، حيث تباع آلاف النسخ من الرواية الفائزة يحصل الكاتب في المقابل على نسبة من العائد

تقوم فلسفة الجائزة التي تأسست عام **1903**، على أساس منح الجائزة لرواية واحدة فقط صدرت خلال الاثني عشر شهرا الماضية، وتقوم الأكاديمية بتجميع هذه الاصدارات وتصفيتها إلى ما يسمى بالقائمة الطويلة، التي تتكون من اثنتي عشرة رواية، أما القائمة القصيرة فقد صارت في الفترة الأخيرة أربع روايات، وقد كانت جونكور هي الأسبق دوما في هذا الأمر، وتقوم الصحف بمتابعة الفرز والقوائم دون أي إخفاء، ولا شك أن هذا يأتي على هوى الناشرين الذين يبدأون في حصد المبيعات لإصداراتهم الجديدة في القوائم منذ أول إعلان للقائمة مع بداية موسم العودة إلى المدارس، وهو الموسم الحقيقي للقراءة والعمل الجاد في إوروبا، وخاصة في فرنسا؛ فالقراءة حالة من الثقافة، أما الروايات

البوليسية وروايات التجسس فإنها تتوارى بشكل ملحوظ في خلال الموسم أي أن الثقافة هنا مرتبطة بالترويج وتوصيل العمل الثقافي إلى الناس، ويتم هذا بعيدا عن أعين وإشراف وزارة الثقافة التي تحشر نفسها في بلادنا في كل شيئ

وأعضاء أكاديمة جونكور الذين يقومون بالتصويت سبق لهم جميعا أن فازوا بالجائزة في سنوات سابقة، أي أنهم حين يقومون بالتصويت لا يشعر أي منهم بالغصة أنه سيمنح شرف الفوز لكاتب آخر دون أن يكون قد حصل عليها، ومن النادر أن يكون من بين الأعضاء واحد من الصحافة الأدبية، وسوف نرى أن أغلب من يكتبون النقد الأدبي في الصحف والمجلات هم من الأدباء المبدعين، ويتولى رئاسة الأكاديمية منذ سنوات المذيع "برنار بيفو" الذي ظل يقدم برنامجه الأسبوعي "أبستروف" لأكثر من ثلاثين عاما، وأصدر مجلة "لير" الأدبية في نهاية السبعينيات

بيفو هو أول مخرج من باريس ومعه أعضاء لجنة التحكيم، وسافروا إلى تونس قبل إعلان الجائزة بأسبوع، وفي قلعة "باردو" الأثرية التي تم فيها اغتيال عدد كبير من السائحين الفرنسيين، وعقد المؤتمر الصحفي الخاص بالقائمة الصغيرة التي تضم أربعة أدباء هم على النحو التالي:

"تيتوس لم يحب برنيس" للكاتبة "ناتالي عزولاي" أو "آزولاي"

"المتفوقون" للكاتب الفرنسي "الهادي قدور"

"البوصلة" للكاتب الفرنسي "ماتياس إينار"

"هذا البدر لا يشبهك" للكاتب الفرنسي "توبي ناتان"

تصور البعض أن الهادي قدور هو الذي سيفوز بالجائزة، وأن الأكاديمية تريد إهداء تونس الجائزة في عقر الدار، ولم ينتبه أحد إلى أن هناك سببا آخر مهم يخص الجائزة، وهو أن الروايات الأربع المرشحة لنيل الجائزة تدور أحداثها

كلها في الشرق، وأن الصورة القديمة التي نعرفها عن كتابات الغرب السلبية، وهذا ليس صحيحا دوما، هذه الصورة قد تغيرت تماما بل انقلبت، وأن الكتابات الجديدة تدور حول التواصل مع الشرق، وأن الشرق والغرب يمكنهما أن يتوحدا خصوصا في عالم الإبداع، فرواية "تيتوس لم يحب برنيس" تدور حول الفتاة الفلسطينية التاريخية برنيس، وهي الشخصية التي كتبت عنها الكاتبة أندرية شديد مسرحية شهيرة بالفرنسية، أما رواية "المتنافرون" فتدور أحداثها في شمال أفريقيا إبان الاحتلال الفرنسي للجزائر، خاصة أن الرواية الفائزة "البوصلة" كاتبها فرنسي، وليس من أصول عربية، أو شرقية، وخاصة أيضا أن الكاتب الهادي قدور قد فاز بجائزة الأكاديمية الفرنسية قبلها بأيام مناصفة مع الكاتب بوعلام صنصال، عن رواية باسم **2084**، باعتبار أن كثرة الجوائز الأدبية في فرنسا، تمنع على الكاتب، غالبا، الفوز بأكثر من جائزة مرموقة أثناء الموسم لإعطاء الفرص للكُتَّاب ودور النشر أن تكون في دائرة ضوء الجوائز.

لم يكن اسم الكاتب الفائز بجديد على القارئ الفرنسي، مثلما حدث في العامين السابقين، فقد بدأ ماتياس حياته الأدبية عام **2003** برواية "تحسين" واعتبر من كبار الكتاب في بلاده بعد روايته الرابعة "منطقة" التي ترجمت إلى اللغة العربية، أي أن الكاتب مُترجم إلى اللغة العربية من خلال كتابين على الأقل، ومن أعمال الكاتب الأخرى "شارع اللصوص" التي وصلت إلى ترشيحات جونكور منذ ثلاثة أعوام، وأيضا "كلمهم عن العزلة"، "ملوك وأفيال"

الكاتب مولود في مدينة نبور الفرنسية عام **1972**، درس اللغتين العربية والفارسية، وعاش لفترات متقطعة أو طويلة في مدن الشرق سواء

بيروت، أو القاهرة، أو إستانبول، ودمشق، كما عاش في طهران، وقد كان في جولة بين بيروت وطهران قبل إعلان فوزه بما يعني أنه مرتبط بالمنطقة وتاريخها، وكل رواياته تدور في نفس المنطقة، أكثر مما تدور في فرنسا، وقد ردد عقب فوزه بالجائزة أن هذا من بركات الشيخ عبد الرحمن التعالبي في الجزائر، والقديس جرجس في لبنان..

هذه الأعمال تتكلم عن مذاق مختلف عن المألوف، فالشرق ليس عالما للتطرف أو الإرهاب بقدر ما هو وسيلة للامتزاج الحضاري، فرواية "البوصلة" مكتوب عنوانها بوصلة بالحروف الفرنسية، والبوصلة عبارة عن مؤشر مزدوج يكشف الأقطاب المتضادة، لكن كل قطب لا يستغني عن الآخر ، وتدور أحداثها في ليلة واحدة، في النصف الثاني من ليلة في فيينا، ابتداءً من الحادية عشر مساءً حتى السادسة صباحا، بطل الرواية عالم في الموسيقى يقيم في النمسا اسمه فريتز رايتر، إنه يعيش ليلة بلا نوم، يعيش في حالة أرق، ولا يستطيع النوم فيسترجع ذكرياته عن سفرياته إلى مدن الشرق إنه يتخلص من الأرق من خلال التذكر، وهو منبهر بشكل ملحوظ بالموسيقى الشرقية وآلاتها، ويرى أن الموسيقى وحدت بين الشعوب، حيث انتقلت الآلات والنغمات عبر الأماكن والأزمنة..

تدور الأحداث في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، إنها الفترة التي توجهت فيها أنظار الغرب ثقافيا نحو الشرق، إلة ثقافته بوجه خاص، وانتشرت حركة الاستشراق، سواء من جانب الفن التشكيلي، أو الرواية، أو الموسيقى، ولا شك أن الطرفين قد أخذ كل منهما من الطرف الآخر، فهذا التراث الرائع من المدارس الأوروبية كشف شغف الاوربيين بفنون الشرق، فاقتبست منها، وأضافت إليها.

الكاتب لا يرى أن المسألة فيها سيطرة بل تأثير، الموسيقى الغربية جاءت إلى الشرق واستعذبها الناس، كما أن الأوربيين أمثال فرانز جاءوا بآلاتهم الموسيقية الغربية، ونقلوا إلى فنونهم الإيقاعات الشرقية، ويبدو ذلك واضحا في مقطوعة "شهرزاد"، وينتقل فرانز مع حبيبته سارة إلى أماكن عديدة تعرف قيمة الموسيقى في حياة الشعوب، ومنها إسطنبول، ودمشق، وحلب حيث يصدح الشرق، حيث تنمو دوما الأصوات الصداحة ويطور الناس آلاتهم، وفي أثناء الرحلة تتنامى المشاعر العاطفية بين الاثنين، ويرى الراوية أن الناس في الشرق يستمتعون بالذكاء وبحس عميق على السخرية والفكاهة، كما أن الناس في الرواية مثاليين وهم يخوضون عبر أماكن وسط سحر الموسيقى..

والبوصلة في الرواية تعني الاتجاه الصحيح، والشرق هنا مسلم، معتدل، بعيد عن التشدد "علينا التفكير في مسئولية المفكرين خاصة أصحاب القلم الذين لم ينقلوا إلينا، حتى الآن الرؤية الأكثر واقعية الصحيحة والعادلة حول التنوع الذي يعيش فيه المسلمون في الشرق"

لقد عاش فرانز أغلب سنوات حياته بعيدا عن النمسا، وأقام في مدن الشرق حتى عندما رجع إلى فيينا لم يشعر بالراحة، وانتابته مشاعر القلق فلم ينم، وكي يأتيه النعاس لابد له أن يتذكر أيامه في الشرق، ففي مدن الشرق التقى وحبيبته بعشاق المغامرة، والعلماء، والفنانين، كما قابلا الرحالة القادمين مثلهما من الغرب للعيش في أفق الشرق، لقد حاول الكاتب أن يعدل بعضا من الصور التي صورها البعض عن المستشرقين، الذين أحبوا هذه البلاد وقدموا لها الكثير، والدليل أن ماتياس إينار يكتب أكثر من رواية عن هذه البلاد، ويفوز بالجائزة عن آخر هذه الروايات، لذا فالرواية مكتوبة فيما يشبه السيمفونية المتكاملة الممتزجة الألحان بطريقة كاتب يتقن اللغة العربية، وهو يعلق أن روايته

بمثابة جسر بين الشرق والغرب، مبنية على العشق المقرون بالسحر القادم من الشرق، والرواية بمثابة رسالة إلى القارئ المعاصر عن عالم تيم به الغربيون في القرنين التاسع عشر والعشرين، فالشرق المستنير هو يؤلف الألحان ويتلذذها، ويستمع إليها..

يقول الكاتب متحدثا عن نفسه: "أنا واحد ممن كانوا يسمون قديما بالمستشرقين. درست اللغتين العربية، والفارسية في معهد اللغات الشرقية وحاولت إعادة بناء التاريخ الطويل عن الحياة في الشرق، أنا أشبه بأبطال رواياتي، جبت مصر، وسوريا ، وإيران ،أحببت العواطف على طريقة الشرق، وسحرني العشاق الثنائيات مثل مجنون ليلى التي سبقت القصص الغربية الملتهبة في العشق مثل "تريستان وإيزولت"

هذه الرواية سوف يقرأها الفرنسيون بشغف شديد، وسوف تترجم إلى العشرات من اللغات، وسوف يفوز صاحبها ذات يوم بجوائز كبرى، سيذكر له أن الأدب قد أصلح كثيرا مما أفسدته السياسة والعنف الاجتماعي.

الفصل العاشر :

السينما العربية الناطقة باللغة الفرنسية

> شكلت اللغة التي يقدم بها الفنان العربي أعماله في المهجر عقبة في التواصل مع المجتمع الذي ينتمي إليه، أو ذاك الوافد تجاهه.. فالفنان العربي الذي هاجر إلى أوروبا في ربع القرن الأخير، يمكنه أن يتقن لغة واحدة للتعبير، إما لغة البلد الذي هاجر إليه، أو يظل يحتفظ بلغته العربية في أسبقيته عند التعبير..

وقد ظلت مشكلة اللغة تطارد الفنان العربي، خاصة القادم من شمال إفريقيا إلى فرنسا، فظل الفنان يقاوم رغبته في أن يقدم إبداعه الفني بلغة أجنبية لأن فنه موجه في المقام الأول من نبع تجربته العربية سواء أكان جمهور هذا الفنان هو العربي، أم أي شخص آخر في العالم لكن هذه المقاومة بدأت تقل بصورة ملحوظة، خاصة مع نظام المنح الذي تقدمه وزارة الثقافة الفرنسية للمخرجين السينمائيين الذي يعملون في أفلام تتفق مع الثقافة الفرنسية.

وهنا بدأت مقاومة استخدام اللغة الفرنسية في التعبير الفني تقل، فظهرت في السنوات الأخيرة مجموعة أفلام ناطقة بالفرنسية تتناول أحوال المهاجرين العرب إلى فرنسا وأوروبا من ناحية، أو التجرد من هذه التيمة التي أصبحت مستهلكة والتوغل في الحديث عن مشكلات الإنسان الأوروبي المعاصرة.

تطرح الباحثة آني كريجيه كرينكي تساؤلًا في كتابها " المسلمون في فرنسا " المنشور في عام 1985م، " هل يمكن لثقافة مهاجرة حقيقية أن تتولد فعلًا؟ لقد بدأ المهاجرون في صناعة سينما خاصة بهم تسمى بسينما المهاجرين، وبدأ

يظهر مسرح جديد به الكثير من أصالة البلاد التي جاءوا منها لكنــه يختلــف، وحدث الأمر نفسه للفن التشكيلي.. ".

أما المخرجة والروائية آسيا جبار فتقول حسبما نشــرت مجلــة "جــون أفريك": الأهم هو تعريب العقل، وتعريب النفس ، وبعد ذلك يــأتي تعريــب الأعمال الأوربية..

وترى آسيا جبار أن السينما هي البديل الرائع للكتابة ؛ لأن الشخصــية تظهر بمختلف أبعادها ، تمامًا كما هو الفرق بين الرسم والنحت..

وهذا النوع من الأفلام هو من إنتاج فرنسي، أو أن فرنسا شــاركت في إنتاجه، باعتبار أن الأفلام العربية في الجزائر وتونس والمغرب هي عربية اللغــة، أما الفنان نفسه الذي يقوم بالإخراج في فرنسا، فإنه يلجأ إلى اللغة الفرنســية، مثلما عمل مهدي شرف، ومارون بغدادي، ورشيد بوشارب ، ورضا الباهي.

ويمكن حصر الزوايا التي ارتبطت بها السينما العربيــة الناطقــة باللغــة الفرنسية في ثلاثة محاور أساسية هي :

- المحور الأول: سينما الأقدام السوداء، وهي تعني مجموعــة الأفــلام الــتي أخرجها مجموعة من المخرجين الفرنسيين الذين عاشوا في الجزائر والمغرب العربي إبان الاستعمار الفرنسي، وقد عاش هؤلاء الفرنسيون في الجزائــر علــى أنــه موطنهم الأول الذي تربوا فيه، ولم يعرفوا وطنًا آخر بديلًا له، وكانت صدمتهم شديدة حين اضطروا للرحيل عن المغرب العربي إلى فرنسا، فتمزقوا بين انتماءين : انتماء إلى الجزائر التي تربوا فيها، وانتماء آخــر إلى فرنســا الــتي يحملــون جنسيتها، وأغلب أعمال مخرجي الأقدام السوداء تدور ضمن هــذا المحتــوى، وكما قال أحدهم : " لم تكن بلادنا هي وطننا، كنا نتكلم لغة جاءت من مكان

بعيد، من ناحية أخرى هناك الكثير منا لم يذهب إلى فرنسا. هذا الوطن، وهـــذه اللغة بمثابة أسطورة، فكل منا ينطقها على طريقته، حتى اقتربنـــا مـــن الأصـــل اللاتيني الذي وضعت في البداية منه الجملة التي قد تكون أكثر أهمية".

ويقول الكاتب نفسه : " لم يكن وطننًا أبدًا بلدًا لنا، ولم تكن جغرافيـــة فرنسا هي تاريخنا أو جغرافيتنا، وكان أقراننا يتمتعون بعيون زرقاء وشعر أشقر ، مما جعلنا أقل عبثية بالنسبة للأطفال هناك، كانت مدننا تنتمي إلينا، وكـــان وجودنا هناك مؤقتًا، لذا فقد كتب أصـــحاب الأقـــدام الســـوداء تـــاريخهم وجغرافيتهم من أجل تصوير الواقع، وقد ضاع كل هذا الآن، لم تكن ال**132** عامًا حية هنا، إلا أنها تمثل تاريخ البشرية ".

وقد أطلق تعبير الأقدام السوداء **Pieds Noire** على هـــؤلاء الـــذين عاشوا في الجزائر، وقد ظهر هذا التعبير كما يقول فردريـــك موســـور عـــام **1956**م في مجلة الاكسبريس في الزمن الذي كانت فيه الجزائر تعد جزءًا مـــن فرنسا، وذلك على غرار زنوج أمريكا، أو ما يسمى بفرنسي الجزائر وأعتقـــد أن بعضهم قد تجاوز هذا الإحساس، وقد جاء التعبير من الميثولوجيا اليونانيـــة عندما وطأ هيرقليس بقدميه أرض آسيا فاستعمرها لأن ســـكانها رأوا قدميـــه كبيرتين.

وأشهر مخرجي الأقدام السوداء هم : ألكسندر أركـــادي ، وروجيـــه حنان. وروبير حسين، ودنيز عمار، ويعتبر أركادي أكثر هؤلاء تأثرًا بحياتـــه في الجزائر، أخرج للسينما أربعة أفلام حول هذه الظاهرة هي ، " ضربة حـــظ " **1979** ، " العفو الكبير " **1981** م ، " المهرجان العظـــيم " **1983** م ، و " آخر ليلة في طنجة ". وأركادي – كما جاء في مجلـــة " ســـتوريا " **storia** – أغسطس **1987** م – مثل العديد من أبناء هذه الثقافة يحمل تمزقه في داخلـــه

منذ ربع قرن، فهو لا ينسى قط بلد طفولته، " نحن لا نتخلص بسهولة من الجذور، لأنها أشد قوة من أن نجتثها "، ومع هذا فهو لا يحمل في داخله أي شعور بالمرارة، وهو قادر من خلال السينما أن يصور كل أشباح الماضي، ومن خلال الكاميرا يمكنه أن يكون شاهدًا على هذه اللحظات التاريخية، ويتحدث عن فيلمه الأول أنه أحس بالحاجة لإخراجه والرغبة في ترجمة مشاعره إلى صور، وقد أصبحت الصور رمزًا للجنون والفن والمعرفة، ولكل ما عرفه أصحاب الأقدام السوداء فلكل أسرة من الأقدام السوداء عشرات الحكايات التي ترغب في أن تقوم بسردها ".

ويقول أركادي أنه يعود دائمًا إلى الجزائر من أجل أسباب مهنية، ويرى أنه " يوجد اختلاف كبير بين جزائر طفولته والجزائر المعاصرة، ففي كل مرة يجد نفس الديكور واللون الأبيض الذي تطلى به البيوت والبحر الذي لا يزال يحتفظ بزرقته " ، بل إنه يرى نفس مقابر الفرنسيين : " لم تتغير طوال عشرين عامًا، لم تود أمي التي ولدت في الجزائر أن تسمع شيئًا حول العودة للماضي، وقد ألححت عليها منذ عامين، وقررت الحضور إلى الجزائر، ولم تندم على هذا، فقد كانت زيارتها رائعة، حيث التقت صديقاتها وعادت إلى سنوات طفولتها وشبابها .

لقد ظل كل شئ في ذاكرتها عن الجزائر محفورًا دون أي ندم وإذا داعبت حنين الماضي فسوف تتعلم أن تعود لتعيش في الجزائر ".

- المحور الثاني : وهو محور العرب الذين هاجروا إلى فرنسا في أوائل الستينيات، عقب تحرير الجزائر – مثلما تقول آني كريجيه كرينكي – والذين ارتبطوا بثقافتين : ثقافة البلاد التي جاءوا منها وثقافة البلاد التي هاجروا إليها، ولغة التعبير الأولى عند هؤلاء هي الفرنسية، أما اللغة العربية فتجئ في الدرجة

الثانية، خاصة عند التعبير في الفنون كالرواية والشعر والسينما، وفي حالات الأدب كثيرًا ما يصعب على هؤلاء الكتابة باللغة العربية بنفس الطلاقة التي تحدث باللغة الفرنسية مثل حالة المخرجة والكاتبة المغربية آسيا جبار.

وقد بدأت هذه الظاهرة في جذب الأنظار عندما قام شاب جزائري يدعى عبد الكريم بهلول بإخراج فيلمه الأول " شاي بالنعناع " عام **1983**م وفي نفس العام قام شاب من العمال العرب المهاجرين إلى فرنسا بنشر روايته الأولى تحت عنوان " الشاي في مخدع آرشي أحمد " في دار نشر ميركور ولكن الرواية ذابت مثل العشرات من الروايات في أروقة المكتبات الفرنسية إلى أن عرضها مؤلفها مهدي شرف على المنتجة ميشيل راى زوجة المخرج كوستا جافراس والتي تحمست لإنتاجها – والجدير بالذكر أن عشرات الروايات العربية المكتوبة بالفرنسية لم تجد طريقها بعد إلى الشاشة العربية سواء الناطقة بالفرنسية أم بالعربية – وهنا بدأت مرحلة انتقال السينما العربية إلى اللغة الفرنسية، والتمويل في أغلب هذه الأحوال يتم من قبل الحكومة الفرنسية، فمثل هذا العمل لم يكن له أن ينتج في العالم العربي بدليل أن أحدًا لم يتحمس لإنتاج الروايات الأخرى المكتوبة بالفرنسية لأدباء آخرين.

ورغم أن أسماء عديدة انضمت إلى قائمة المخرجين العرب المهاجرين إلى فرنسا والذين يعملون بتمويل فرنسي، ولا يعبرون قط باللغة العربية ، إلا أن مهدي شرف هو أهم هذه الأسماء، فهو منذ أن أخرج فيلمه " الشاي في مخدع أرشميدس " **1985**م يقدم فيلمًا جديدًا على فترات متقاربة، وهو يحظى في السينما العربية الناطقة بالفرنسية، بنفس المكانة التي يحظى بها الطاهر بن جلون في الأدب العربي المكتوب بالفرنسية أما أهم الأسماء الأخرى فهناك رشيد بوشارب صاحب فيلمي " باتون روج " **1987** م و " شاب " **1992**م،

ورضا الباهي الذي قدم " الذاكرة الموشومة " ، و " الخطاطيف لا تموت في القدس " **1992**م، و" شرف العائلة " **1995** م و " رفات الحياة " عام **1996** م.

ولأن رواية مهدي شرف عربية مغتربة داخل اللغة الفرنسية، فلا يمكن إلا أن نعتبرها رواية عربية، وفي طاقم العاملين لفيلمه الأول المأخوذ عن هذه الرواية التي تغير اسمها قليلًا، وهناك العشرات من الأسماء الفرنسية.. إلا أن مهدي استعان أيضًا بالكثير من العرب المقيمين في فرنسا، وهكذا حمل الفيلم الهوية العربية رغم أنه تمويل فرنسي.

مهدي شرف مولود في مدينة ماجينيا الجزائرية في **24** أكتوبر **1952**م رحل إلى فرنسا عام **1970**م وعمل في العديد من المصانع الباريسية. وحتى عام **1983**م حيث نشر روايته التي استقاها من تجربته الخاصة. حول العرب المهاجرين إلى فرنسا، وهذا الموضوع هو شاغل مهدي شرف في العديد من الروايات والأفلام التي يكتبها مثلما حدث في السيناريو الذي كتبه للمخرج السويسري آلان تانر تحت اسم " الأرض الحرام " ، عام **1985**م ، حول بعض الشباب الذين يهربون المخدرات عند الحدود السويسرية، ومن بينهم فتاة عربية لا ترضى أبدًا لحبيبها الأوروبي

أن يفض بكارتها إلا بعد الزواج، ثم أخرج مهدى أفلامًا أخرى هي " الآنسة منى " عام **1986** م و " كاموميل " **1988**م و " بنت كلثوم **2001**م"

تقول ميشيل راى : " لم ننس أن كوستا جافراس مهاجر، وقد قرر أن يجمع كل المعلومات التي تتعلق بالجيل الثاني من المهاجرين، عن الأطفال الذين

وصلوا إلى فرنسا في نهاية الستينيات وما بعدها، وكانت المصادفة أن وقعت عيناي على المقال حول كتاب لمهدى شرف، وقررت أن أنتج هذه الرواية، رغم أن الأمر بدا أشبه بنزوة ".

والجيل الثاني الذي تقصده ميشيل راى هو الذي وصل عقب نجاح الجيل الأول في البقاء، وقد اقترب بقاء هذا الجيل الآن من نصف قرن ويردد أحدهم كما جاء في كتاب " المسلمون في فرنسا " : " نحن نتلقى ثلاثة أنماط من التعليم : تعليم آبائنا وأخر من مدرسينا وثالث من الحياة وتتضارب هذه الأنماط الثلاثة "، ومن أبرز أبناء هذا الجيل الروائية ليلى صبار وعزوز بيجاج .

وتتناول رواية مهدى نفسه الموضوع الذي يلح على الإنسان العربي في المهجر، فالمخرج عامل بسيط استطاع أن يكافح في حياته، ويعيش بين تضارب الثقافتين اللتين انتمى إليهما، عمل في البناء، وعن هذا العالم صاغ أحداث روايته، فالعمل ينتقل حيث تواجد مبانٍ جديدة، وفى الرواية يتحدث الرواية أن النطق باسم أرشميدس أمر بالغ الصعوبة فاختار أن ينطقه هكذا أرشى أحمد.. لكن ما أن اندمج داخل اللغة الفرنسية حتى ينجح في النطق الصحيح فكثيرًا ما أزعجته نظرية أرشميدس "لقد كتبت الرواية كي أنشرها، ولم تبع الرواية كي لفترة طويلة فبدأت أفكر في تحويلها إلى سينما " لموند 2 مايو **1985**.

والفيلم حول قصة صداقة تربط بين شابين مراهقين: أحدهما عربي والثاني فرنسي، عن حياتهما وانخراطهما في زمرة شباب حيث لا يملكان الكثير من المفردات للتعبير عن رغباتهما، وأيضا بدافع الحشمة، هناك حيث البطولة سائدة في الأحياء الشعبية، والتهريب والسرقات والعنصرية والتعصب والظلم، يحافظ بعضهم على معاني الصداقة والحب والدعابة والضحك، ويقول المخرج : "

يخيل للأشخاص الذين لا يسكنون المناطق الشعبية أن العيش فيهـا جحـيم، أردت أن أظهر العكس وأنه يوجد في هذا المحيط المتسع حنان هائل ".

وعن العالم نفسه أيضًا تحدث شرف في فيلمه الثاني " الآنسة منى " حيث تدور الأحداث من خلال شخصيتين إحداهما عربية والأخرى فرنسية، العربيـة هي سمير، شاب ينتمي للعائلات المهاجرة التي تسكن الأحياء الشعبية بباريس، إنه يعيش هناك بلا بطاقة هوية، لهذا فهو عاطل دائمًا. صديق للتيـه، والـبرد، والداعرات، فيقرر أن يصادق رجلًا مخنثًا يدعى الآنسة منى، وهذا الرجل يريد إخراج سمير من ظروفه، وأن يوفر له المسكن فيحاول، سرًا ،أن يساعده رغـم أنه لا يختلف كثيرًا عنه، فهو عاطل مثله ويسعى إلى جمع مبلغ من المال لإجراء عملية يتحول بعدها إلى امرأة، ووسط البحث عن النقود تحدث جريمـة قتـل وتتحول الأشياء إلى سوداوية.

أما ثالث أفلام مهدى شريف " كاموميل " فهو يختلف قليلًا، حيث رأى المخرج أن عليه أن يخرج من جعبة الهجرة والمهاجرين، ولكن لـيس عليـه أن يبتعد كثيرًا فهناك قصة حب رقيقة بين فتاة وشاب من الأحياء الشعبية لقد أنقذ الشاب الفتاة من موت محقق، ويحاول أن يساعدها بدوره في الحياة بعيدًا عـن المعاناة.

في عام 2000م قدم مهدى فيلمًا فرنسيًا في المقام الأول هـو " مـاري لين" حول امرأة فرنسية تعمل في سوبر ماركت، أما فيلمه " بنت كلثوم " فإنه لأول مرة يعود المخرج فيها إلى أرضه الأولى، الجزائر من خلال بطلته داليـا، التي تعود إلى قريتها الجزائرية للبحث عن أمها التي تركتها لعائلـة سويسـرية ربتها طوال عشرين عامًا، وفي نيتها أن تسألها عن السبب وراء هجرها، ومـن الوهلة الأولى لوجودها في الجزائر، تصدمها مظاهر الفقر والتخلف، وامتـهان

المرأة في وطنها، غير أنها سرعان ما تعبر المفاجآت التي تفجرها الأم كلثوم في وجهها بعد مغامرة أشبه برحلة تنوير تعيشها داليا أو عيشة، كما هو اسمها الحقيقي مع نجمة التي ذهب عقلها.

- المحور الثالث : وهو يدور حول السينمائيين الذين سعوا للاستفادة من التمويل الفرنسي، للأفلام غير الفرنسية التي يتم إنتاجها من قبل فنانين متأثرين بالثقافة الفرنسية ويطلق عليهم عادة اسم الفرانكوفونيين، أو الناطقين باللغة الفرنسية، وقد سعى أكثر رجال السينما العرب والأفارقة لإيجاد تمويل فرنسي لأفلامهم قدر الإمكان، البعض نجح والبعض لا يزال يحاول، بعض هذه الأفلام ناطق باللغة العربية، وحين يعرض في أوروبا تتم دبلجته إلى اللغة الفرنسية، أما البعض الآخر فهو يتكلم مباشرة باللغة الفرنسية، بل إن بعض المخرجين يستعين في أفلامه بطاقم فرنسي مثلما فعل محمد الأخضر حامينا في " الصورة الأخيرة ".. وقد نجح عدة مخرجين مصريين في تدبير التمويل الفرنسي منهم يوسف شاهين في إنتاج "الوداع يا بونابرت" و "اليوم السادس" و "المهاجر" ثم يسري نصر الله في "سرقات صيفية" و "مرسيدس" ، وعاطف حتاتة في "الأبواب المغلقة" أما تجربة "إخناتون" لشادي عبد السلام فلم تر النور لرحيل صاحبها، كما تم تمويل فيلم "شحاذون ونبلاء" لأسماء البكري عن رواية للكاتب ألبير قصيري من قبل القناة السابعة الفرنسية، كما تم تمويل فيلمها الثاني "كونشرتو في درب سعادة" من القناة نفسها، ثم " العنف والسخرية في عام 2003م.

ومن فلسطين يبرز ميشيل خليفي، كما أن هناك من الجزائر محمود زموري، والأخضر حامينا ، ومرزاق علواش ، ورضا الباهي من تونس. ولأنه من الصعب أن نتحدث عن كل هذه النماذج فسوف نختار بعضًا منها. والغريب أن بعض المخرجين يداعب أفكار الغرب ربما أكثر من الأفلام

الفرنسية، مثل قصص الحب المصنوعة على طريقة " روميو وجوليت "بين العرب واليهود في "حب في باريس" "لمرزاق علواش" و "الصورة الأخيرة لحامينا، و "رياح السد" لنوري بوزيد و "الذاكرة الموشومة" ، و "الخطاطيف تموت في القدس" 1992م لرضا الباهي ، ثم "رشيدة" ليمينة بشير شويخ عام 2002م، وهنا يلعب المخرج العربي المتحدث بالفرنسية لعبة مغازلة الثقافة التي تقوم بتمويله، بالإضافة إلى النقد الذاتي للثقافة والعادات العربية المهاجرة، أو التي تسعى للهجرة، حتى وإن ظلت في مكانها، وهكذا فإن المخرج يضمن لفيلمه مغازلة الثقافة التي مولت الفيلم، ونعيد القول بأن تجربة مهدي شرف وحصوله على التوزيع العالمي المضمون من خلال شركات التوزيع الفرنسية دفع وراءه الكثير من المخرجين المقيمين في العالم العربي أن يسيروا في نفس الدرب بعد أن حصل على جائزة "سيزار" عام 1985 م عن فيلمه الأول.

تقول موسوعة السينمائيين العرب التي أصدرها جان ميشيل كلوني باللغة الفرنسية أن محمد الأخضر حامينا هو صاحب الفضل في إنشاء سينما جزائرية، وقد خصصت له أكبر عدد من الصفحات، أكثر من أي فنان سينمائي عربي آخر، وحسب البيان الفيلمي للمخرج فإن كل أفلامه قد أنتجت من خلال مؤسسة السينما الجزائرية، فقد بدأ حياته السينمائية عام 1964 م بفيلم " زمن العودة " وهو فيلم قصير، ثم فاز فيلمه الروائي الأول " رياح الأوراس " 1967م بجائزة العمل الأول في مهرجان كان ، كما نال جائزة أحسن سيناريو من اتحاد الكتاب السوفييت، ثم تتابعت أفلامه ومنها " وقائع السنوات الجمر " 1975 م ، ونال جائزة السعفة الذهبية في مهرجان كان في نفس العام، ثم كانت آخر أفلامه العربية " ريح الرمل " 1982م.

لكن ، ما الذي دفع حامينا أن يقدم فيلمًا يختلف على الأقل بالنسبة للغة ؟ لقد أسند بطولة فيلمه " الصورة الأخيرة " **1986**م إلى مجموعة من الممـــثلين الفرنسيين منهم فيرونيك جانو، وميشيل بوجناح – وهو يهودي تونسي لمع في المسرح والسينما الفرنسية، كما استعان بولديه الصغيرين مالك ومروان حامينا اللذان عملا بين السينما الجزائرية والفرنسية فيما بعد.

تدور أحداث الفيلم في قرية أبو سعادة، التي تقع على مسافة **300** كم من مدينة الجزائر، ويسمونها " بوابة الصحراء " كما صور أجزاء من الفيلم في قرية ميسر التي ولد بها المخرج في عام **1934**م.

إذن ، فالفيلم عربي رغم أن اللغة غير عربية، ويقول المخرج أن القصـــة التي اختارها لفيلمه قد حدثت في الواقع، في نفس الأماكن التي قام بالتصـــوير فيها، ويقول أنه شهد أحداث هذه القصة في عام **1939** م : "أحكـــي قصـــة كلير بوبيه من خلال منظور طفل صغير يدعى مولود يقوم بدوره ابني الأصـــغر مروان "، المدرسة هي فرونيك جانو، التي عاشت في الجزائر إبـــان ســـنوات الاحتلال وهي تنتمي إلى الأقدام السوداء ".

في هذه القرية ، تعيش المدرسة حياة هادئة، لكن هناك بعض " الخصوم " الذين يريدون إيذاءها، أحدهم من الفرنسيين يحب العرب ولكن لا يميـــل إلى اليهود منهم، ولذا يكره كلير، ويراها عاهرة، هناك نماذج أخرى يقدمها الفيلم مثل بعض سكان القرية وبعض المدرسات وناظر المدرسة، أما الصغير مـــروان فإنه يحب المدرسة الفرنسية، أما سيمون – ميشيل بوجناح – فهو يلعـــب دور اليهودي الجزائري ، الذي يلقي معاملة ســـيئة مـــن الآخـــرين ، فيطاردونـــه وينغصون عليه وقته، خاصة فيما يخص علاقته بكلير.

يقول الأخضر حامينا في مجلة برميير – يناير 1986 – أن فرنسا قامت بتمويل فيلمه بمبلغ 13 مليون فرنك، ومع ذلك فقد بقي الفيلم جزائريا ". الجدير بالذكر أنه منذ هذه التجربة عام 1986 م ، فإن حامينا لم يقترب من الإخراج وان كان ولداه قد استمرا في عمل هذا النوع من الأفلام.

وقد بدأ عطاء مرزاق علواش في السينما الروائية عام 1976م بفيلم " عصر قتلته الرجولة ". ولم يخرج حتى الآن سوى خمسة أفلام منها " مغامرات بطل " 1978 م، " الرجل والنوافذ " 1981م، ثم " حب في باريس " 1988م، و " باب واد الحوم " 1994 م، و " الجزائر بيوت للذاكرة 1998 م، والأفلام الثلاثة الأولى ناطقة باللغة العربية من إنتاج مؤسسة السينما الجزائرية، أما الأفلام التالية فهي إنتاج فرنسي وناطقة باللغة الفرنسية ويقول حول هذه التجربة في مجلة اليوم السابع – 8 فبراير 1988 " كل ما حدث لي مع هذا الفيلم، يختلف اختلافًا جذريًا عما حدث لي مع أفلامي الأخرى، لتأخذ عملية الترويج بالنسبة للأفلام الأخرى. فليست تلك مسألتي بل هي مسألة الدولة : "إنها لا تمتلك الوقت الكافي لمحاسبة فيلم معين، المسألة بالنسبة لي اليوم شائكة على مستويات حرية محاسبتي.. هناك من يقول : لنتركه يصور فيلمًا في فرنسا ، فيفشل ، الخطورة موجودة على مستوى الإبداع" أقول أنه ابتداء من فيلم " حب في باريس " فإني سأخرج أفلامي سواء بمساعدة رسمية أو بدونها ".

ومريم بطلة هذا الفيلم فتاة يهودية جزائرية، ترحل إلى باريس لأول مرة وقد اعتزمت أن تتبوء مركزًا محترمًا في عالم الأزياء، وفي أول الأمر يساعدها بعض الأصدقاء من باريس فتقرر العمل في مهنة أخرى بسيطة. حيث تعمل كموظفة خزانة محل سوبر ماركت، وهناك تلتقي بشاب فرنسي ذي أصل جزائري خرج من السجن لتوه، يتعرفان على بعضهما ثم تقوم بينهما علاقة

قوية، وهذا الشاب – علي – يرفض العودة إلى بلاده، ويريد أن يصبح من رواد الفضاء، إنه حلم يراوده منذ سنوات الطفولة، حاول إقناع الطرف السوفيتي بتدريبه على تحقيق هذا الحلم فلم ينجح، وعليه أن يقنع الطرف الأمريكي، لذا فقد قرر السفر إلى قاعدة هيوستن لمقابلة المسئولين هناك، ويعتمل هذا الحلم في داخل علي لدرجة أنه يوافق على معاودة الاتصال بزملاء الشر من أجل تدبير " الأموال "، وفي المطار الذي سيرحل منه مع فتاته، تقف مريم تنتظر لكنه لن يأتي.. فهي لا تعلم أنه قد تم القبض عليه أثناء إحدى العمليات الإجرامية.

ويقول خميس خياطي في تعليق حول هذا الفيلم "مريم ، هذه الفتاة اليهودية الجزائرية تمتلك شيئًا ما يجعلها جزائرية ويهودية، ولو ألغينا أحد هذين العنصرين لأصبحت مريم فرنسية، تحلم بأن تكون عارضة أزياء وينتهي الأمر، كان على مرزاق علواش الذي ألفنا منه هاتين الشخصيتين نظرته لعالم هؤلاء العاملين في الأرض، بيد أنه استسلم إلى السهولة.. وبعض الاستفزاز والكثير من " الغازات " الخاصة بالحي اللاتيني "(اليوم السابع 8 فبراير 1988).

أما فيلمه "الجزائر بيروت، للذاكرة" عام 1998م ، فهو حول لورانس التي تعود إلى بيروت التي هجرتها في عام 1975م ، وتلتقي صدفة برشيد الصحفي الجزائري الذي قابلته في الجزائر قبل بضعة سنوات، والذي لجأ إلى بيروت هربًا من العنف السائد في بلاده ، والذي كان سببًا لمصرع أعز أصدقائه، تحاول لورانس إقناع رشيد بطلب اللجوء السياسي إلى فرنسا، لكنه يرفض، تشعر لورانس بالحيرة أمام أزمة رشيد الذي بدأت تميل له،وفي السنوات الأخيرة تغيرت الكثير من معالم السينما العربية الناطقة باللغة الفرنسية، فقد أصبح الكثير من المخرجين العرب المهاجرين إلى فرنسا أداة

إخراجية بين يدي التمويل الفرنسي.. واستطاع هذا المال أن يوجه المخرج حسبما يشاء، فإذا كان مهدي شرف على سبيل المثال قد بدأ حياته بتقديم أفلام وروايات عن العرب المهاجرين، فإن أفلامه التالية مثل " كاموميل " و " في بلاد جوليت " عن الفرنسيين أنفسهم، حدث هذا أيضًا مع مارون البغدادي الذي كان عليه أن يقدم فيلما عن " ماراصادا " وفيلمًا آخر يتبنى فيه وجهة نظر صحفي فرنسي اتخذته بعض الأطراف اللبنانية رهينة أثناء الحرب الأهلية يحمل عنوان " خارج الحياة ".. وبدت الأعمال الأخيرة لهؤلاء المخرجين وكأنهم قد تفرنسوا، أو كأنهم قد ذابوا داخل المجتمع الفرنسي.. وذلك أشبه بالأوروبيين الذين تمت أمركتهم في السينما الأمريكية، وقد حدث هذا أيضًا مع أسماء عديدة منها عبد الكريم بهلول وآخرون.

حاولنا تناول منظور السينما العربية الناطقة بالفرنسية من خلال علاقة التمويل باللغة، وواضح من اهتمام الممول وأيضًا الفنان الساعي إلي تمويل فيلمه (المخرج) أن اللغة هي العامل الأساسي في أحداث التمويل، واللغة عند الممول الفرنسي كافية تمامًا لصبغ الفيلم بالفرنسية مهما كان مضمون هذا الفيلم، وذلك كنوع من الفرنسة التي صبغها الاستعمار في بعض الدول التي أقام فيها فترة طويلة وخاصة الجزائر.. ومنذ أعوام قليلة أقامت فرنسا مؤتمرًا للدول الناطقة بالفرنسية، أكدت فيه أن لهذه البلاد هوية خاصة. لأنها تتكلم اللغة.. ومن يتكلم اللغة فهو ذو ثقافة خاصة.. رغم تأكيدنا أن هذه السينما عربية في المقام الأول لحمًا ودمًا وتفكيرًا ؛ لأن مبدعيها من العرب وموضوعاتهم عن أبناء عشيرتهم. فإن لغة المال تحكم وتسيطر.. وعلى كلٍ فلهذا النوع الجديد من السينما أكثر من زاوية يمكن من خلالها تحليل ظواهر لم تكن موجودة من قبل.

مراجع عربية

تتمثل المراجع العربية في كافة المجلات ، والصحف ، المشار إليها داخل متن الكتاب، خاصة مجلة " اليوم السابع "، ومجلة " أوراق " ، والعدد **292** من مجلة رسالة اليونسكو حول " المهاجرون بين ثقافتين ". ومطبوعات أخرى عديدة، وأيضا إلى العديد من مواقع شبكة الإنترنت المهمة بهذا الموضوع.

المراجــع الانجليزية

•Achour C. : Dictionneire des oeuvres algerienne

•Francaise ‹Paris ‹L`Harmattan 1990.

•Arnaud ‹Jaqueline : (Colloque) : literatures maghrebins l`Harmattan ‹Paris ‹1990.

•Bonn. CH. ‹Le Roman algerien de langue francaise ‹l`Harmattan ‹ Paris ‹1985.

•Dejeux Jean : Dictionnaire des auteurs maghrebins de langue francaise ‹Karthala ‹Paris ‹1984.

•Dejeux Jean : La littereture maghrebin d`expression francais ‹que-saisje Paris ‹1992.

•Dugas ‹G. La literature judes-maghrebins d`expression francais ‹Paris ‹L`harmattan ‹Paris ‹1990.

•-Fakkar. R. : l`influence sur le formation de la bresse pur la litteraire en egypte au XIX siecle ‹Geuthner ‹Paris ‹1973.

•Fotain ‹J. : la literature Tunisienne Contemporaine CNRS ‹Paris ‹ 1990.

•Joubert d-e : les literatures francophones depuis 1945 ‹Paris ‹1985.

•Khatibi A. : Le roman maghrebin ‹SAER Rabal ‹1979.

•Kriniki A. : Les musulmen en france ‹maison-neuve ‹Paris ‹1985.

•Luthi ‹Jean Jaques : Le francais en egypte ‹Beyrouth ‹1982.

•Luthi ‹Jean Jaques :introduction a la literature d`expression francais en egypte ‹edition de l`ecole ‹Paris ‹1974.

•Memi ‹ALbert ‹Ecrvains francophons du Maghreb `An thologie ‹ Seghers ‹Paris ‹1985.

•Selim Abou : Le bilinguisme arabe – francais au Liben- Du. F. 1962.

•Yequotte ‹Ragaa : Albert cossery ‹Alazhar ‹1990.

الفهرس

- قبل أن تقرأ 5
- الفصل الاول: السمات العامة للأدب العربي المكتوب باللغة الفرنسية .. 9
- الفصل الثاني : الأدب المصري المكتوب باللغة الفرنسية 21
- الفصل الثالث : الأدب اللبناني المكتوب باللغة الفرنسية 159
- الفصل الرابع: الأدب الفلسطيني المكتوب باللغة الفرنسية 213
- الفصل الخامس : الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية 225
- الفصل السادس : الأدب المغربي المكتوب باللغة الفرنسية 325
- الفصل السابع: الأدب التونسي المكتوب باللغة الفرنسية 379
- الفصل الثامن : أدباء عرب.. يهود.. يكتبون بالفرنسية 413
- الفصل التاسع: أدب المهجر الناطق باللغة الفرنسية 449
- الفصل العاشر : السينما العربية الناطقة باللغة الفرنسية 473
- المراجع العربية 487
- المراجع الانجليزية 488